



العتبة الحسينية المقدسة

# المصباح

مجلة فكرية فصلية متخصصة  
تعنى بالدراسات والأبحاث القرآنية

تصدر عن

الامانة العامة

للعتبة الحسينية المقدسة

العدد السابع - خريف (٢٠١١م - ١٤٣٣هـ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ  
الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ  
مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ  
نَارٌ نُوِّرَهُ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ  
لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٤﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

المشرف العام

سماحة الشيخ

عبدالمهدي الأبي كبرلائي

الأمين العام للعبة الحسينية المقدسة

رئيس التحرير

محمد علي هادي

المشرف التنفيذي

د. حميد مجيد هادي

سكرتير التحرير

نوار صبيح الحسيني

الهيئة الاستشارية

أ.د. صباح نوري المرزوك

جامعة بابل - العراق

أ.د. عبد الجبار ناجي

جامعة بغداد - العراق

أ.د. حسام الدين الالوسي

جامعة بغداد - العراق

أ.د. عبود جودي الحلبي

جامعة اهل البيت - العراق

أ.د. عبد الامير كاظم زاهد

جامعة الكوفة - العراق

أ.د. عبد النبي اصطيف

جامعة دمشق - سورية

أ.د. محمد الخطيب

جامعة كربلاء - العراق

# المصباح

مجلة فكرية فصلية متخصصة  
تعنى بالدراسات والأبحاث القرآنية  
تصدر عن

الأمانة العامة

للعتبة الحسينية المقدسة

العدد السابع - خريف (٢٠١١م - ١٤٣٣هـ)

موقعنا على شبكة الإنترنت

www.al-missbah.com | www.al-missbah.net

www.al-missbah.org

البريد الإلكتروني

info@al-missbah.com

almosbah1431@hotmail.com | almosbah1431@yahoo.com

هاتف رئيس التحرير

٠٠٩٦٤-٧٨١٠٥٣٥٥٢٤

٠٠٩٦٤-٧٧١١٦٣٤٣٤٤

هاتف سكرتير التحرير :

٠٠٩٦٤-٧٧٠٦٠١١٨٥

هاتف المشرف التنفيذي

٠٠٩٦٤-٧٨١٠٨٠٦٢٧

العنوان البريدي

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

كربلاء المقدسة - جمهورية العراق

هـ.أ. ٣٢١٧٧٦ - ٣٢٤٣٢

داخلي ٥٦١

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

١٤١٤ لسنة ٢٠١٠م

التسيق والمتابعة

د. عمّار عبودي نصّار (العراق)

د. أنمار عبد الجبار (ألمانيا)

طلال فخر الدين (لبنان)

محمد سليم العضل (سورية)

عدنان الازدكاني (ايران)

معمد الترجمة الإنكليزية

سعد شريف طاهر

الإخراج والتصميم والمتابعة الطباعة

نوّار الحسيني

تنضيد البحوث

قاسم سالم

البحوث وماتضمنتها من أفكار وآراء تعبر عن رأي كتابها



• كلمة الإفتتاح / رئيس التحرير محمد علي هدّو..... ٧

### بحوث العدد

- دروس من سورة الشرح / سماحة العلامة الشيخ محمد مهدي الأصفى..... ١١
- حقيقة النسخ في القرآن الكريم / أ.م.د. علي رحيم هادي الحلو..... ٣٣
- مفهوم الإصلاح (رؤية قرآنية) / أ.د. عباس أمير..... ٦٧
- الشيخ البلاغي وعلم الأديان المقارن / القسم الثاني / أ.م. ستار الفتلاوي..... ٩٥
- الأداء الصوتي في التعبير القرآني / م.د. تحسين فاضل عباس..... ١٣٥
- الصحابة من منظور قرآني / د. علي الأسدي..... ١٤٥
- القرآن الكريم رسالة التحرر الإنساني / د. محمد حبش..... ١٨٥
- المنهج التفسيري للعلامة الطباطبائي / د. طلال الحسن..... ٢٠٥
- أثر التوجيهات اللغوية في انحراف التفسير / أ.م.د. أمجد كامل عبدالقادر..... ٢٢٥
- بحوث العلامة الهندي - الجزء الثالث / ترجمة سعد شريف طاهر..... ٢٤٩
- مصادر الماوردي في التفسير / أ.م.د. عامر عمران الخفاجي..... ٢٧١
- التنغيم في القرآن الكريم / د. سناء حميد البياتي..... ٢٨٥
- العوامة القرآنية وعالمية الاسلام / عادل عبدالرحمن البدري..... ٣٢١
- سورة القيامة دراسة أسلوبية / هيثم عباس عودة..... ٣٣٧

### نافذة المصباح

- الدراسات القرآنية في مطبوعات العراقيين / أ.د. صباح نوري المرزوك..... ٣٥٢
- وقفة عند تحقيق فوائد قرآنية لغوية لفخر الدين الطريحي / أ.د. محمد الخطيب..... ٣٦٢

## بيان

لقد اعلنت مجلة المصباح الفصلية الفكرية المتخصصة بالأبحاث القرآنية عن هويتها منذ صدور العدد الاول منها كما اعلنت عن المحاور التي تبحث فيها والضوابط المترتبة على البحث الذي ينشر فيها وأهم تلك الضوابط:

أن يأخذ ما يُكتب فيها شكل البحث العلمي الأكاديمي المنهجي في سياقه، المستقل في مضمونه، الجديد في طرحه وموضوعه، البعيد عن الانحياز والتطرف، القوي في أسلوبه ونظمه، وكأن الباحث الكريم قد دخل في مباراة لاختيار أحسن بحث.. وان لا يكون البحث قد سبق نشره ضمن كتاب أو في مجلة داخل العراق وخارجه او على موقع الكتروني، اللهم الا اذا كان منشوراً بلغة أخرى وتُرجم الى العربية... وقد دأبنا على أن نجعل المكافأة مجزية لبحث يحمل هذه السمات فضلاً عن اجر الله سبحانه الذي أعده لحملة فكر القرآن ومرّوجيه.

بيد أن الذي فتّ في اعضادنا، ورود ابحاث نكتشف لاحقاً انها تخالف بعض بنود خطتنا في الاختيار، كأن تكون منشورة في مجلات مماثلة في طرحها وموضوعها، أو انها نمطية في مواردها قد أشبعت بحثاً وتحليلاً، أو انها تنهج نهج اثاره مالا يعمل على وحدة الكلمة وحرص الصفوف خلف القرآن العظيم من خلال اعتماد المصادر والاسانيد الضعيفة مما لا يخدم سياسة المجلة في الدعوة الى بسط فكر القرآن الكريم ومراميه السامية في الوحدة ونبذ الفرقة.

ونحن في الوقت الذي ندعو فيه الى توخي الحذر والحيطه من مثل هذه التيارات، ندعو كل الباحثين الأجلاء الى أن يجسدوا موقعهم العلمي ومستواهم الفكري في ما يكتبون، مما يمثل لهم تاريخاً فكرياً يعتدّون برصانته ويفخرون بطرحه، ويحتسبون أجره عند الله- سبحانه- بجدارة المجاهد بقلمه وعلمه، وصدق القول المأثور: زكاة العلم نشره. وقد وظفت المجلة كل امكاناتها من أجل اختزال ما لا يتماشى وسياستها أو ما سبق نشره في مجلة أو كتاب، او ما لا يصمد امام التقويم والتحقيق والتدقيق او ما فقد الموضوعية في الطرح، اذ وكلت ذلك الى ذوي الاختصاص من أهل الرأي والمشورة، وبناءً على ذلك فإن البحوث التي تنشرها المجلة تعبر عن اراء كتّابها حصرياً وليس بالضرورة عن رأي المجلة ولكل من يريد أن يردّ أو يناقش فالباب مفتوح امامه وسوف نلتزم بنشر الرد و المناقشة كما هي في (نافذة المصباح) التي خصصت للنقد والعرض والتعريف.

ولا يفوتنا أن نؤكد للسادة الباحثين أن المجلة ملزمة باشعار الكاتب بموقفها من بحثه شريطة أن يرسل لنا عنوانه ورقم هاتفه، وبخلافه فلا سبيل له الى عتابنا... وفق الله الجميع لما فيه خدمة القرآن المجيد.

## كَلِمَةُ الْإِفْتِتَاحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عند مفترق الطرق، تبرز الحاجة الى الدليل الهادي، والكفيل بأن يصلَ بالقافلة الى سواءِ السبيل. واذا كانت تلك الحقيقة ماثلة في نواميس الحياة كلها، فهي في نواميس الحياة الفكرية اكثر حضوراً. ولما كانت العقيدة الدينية هي أبرز مظاهر نواميس الحياة الفكرية، كانت الحاجة الى الدليل اكبر واعظم واشد. ذلك أن الهوى يلعبُ فيه دوراً أشدَّ حساسيةً من الدور الذي يلعبه أي اعتبار آخر فيه. وتلك هي طبيعة الخلق البشري منذ أن كان آدم عليه السلام.

ان الحاجة الى ترسيخ العقيدة بدفقاتٍ من نور الهداية، تفوقُ الحاجة الى الدعوة الى تبني تلك العقيدة. اذ أن حمل الانسان على تبني العقيدة سهل يسير، وقد يأتي من خلال الترهيب أو الترهيب أو غيرهما من طرق الدعوة. ولكن المشكلة تبقى في كيفية ترسيخ هذه العقيدة، وتحويلها الى نزعة انسانية، قد يتعصّب لها ذلك المعتقد ومن ثم يدافع عن تلك النزعة بكل ما يملك من امكاناتٍ من الصعب أن تقع تحت طائلة التضحية بها ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُل لَّمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِن قَوْلُوا اسْلَمْنَا وَكَمَا يَدْخُلُ الْإِيمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وهذا يعني أن حقيقة الايمان غير حقيقة الاسلام. يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ فالايان، على وفق منظور هذه الآية الكريمة، اعترافٌ باللسان وإقرارٌ بالقلب وعملٌ بالأركان، على أن يعزز كل ذلك، النية الصادقة والعزيمة على إكمال الطريق.

ان ميزان الهداية لا يرجحُ بها يمتلك الانسان من نزعة الايمان، بل هناك ضرورة اخرى

## كلمة الإفتاح ..... **المصباح** .

توصله الى حقيقة ما يتنابهُ من الشعور العَقْدِيّ، ذلك هو العمل على توثيق ما أمر الله به أن يوثق، وترسيخ ما أمر الله به أن يرسخ، وإحياء ما مات أو كاد أن يموت من الهدى بفعل التيارات المعادية للإسلام والتي هدّدت حصونه من داخلها فنجحت - ولو بنسبة ما - في مُرادها، وأقلقت النفوس المريضة التي لا تهمُّها في الحياة سوى مصالحها الشخصية من مُلكٍ أو جاهٍ أو سلطانٍ أو ثراءٍ أو عداوةٍ كامنةٍ ورثها جيلُهُ كابرًا عن كابر. وقد جاءت الدعوات لكشف كل ما من شأنه اختراق العقائد الحقة والسير بها عبر الاجواء الموبوءة الى ما لا تمتدح سُبُلُهُ ولا تؤمن مخاطرُهُ. وهذا المعنى هو الذي اراده الامام ابو عبد الله الصادق عليه السلام بقوله: «رحم الله من احيا أمرنا» وهل المرادُ بقوله عليه السلام: أمرنا، الا الاسلام الصحيح المتمثل بدستوره الشافي ومعلّمه الهادي، القرآن الكريم الذي لم يفسره ويفتح مغاليقه الا الذين نزل في آياتهم من سلالة عترة النبوة، وعدل القرآن للذين لا يفترقان عنه حتى يرّدا على رسول الله الحوض يوم القيامة.

إن الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة، اذ تُصدِرُ العدد السابع من المصباح، انما تجسّد هذه القيم، وتحشد كل قلمٍ خيرٍ ليؤازرها في مرماها هذا الذي تستهدفه بصدق النية ومضاء العزيمة.

وهي، اذ تقف مبهورة بنور الشور والغبطة، إزاء الكمّ الكبير من الاسهامات التي انهالت عليها، فصعب الاختيار، تدعوا من لم تستنفره دعوة الامام جعفر الصادق عليه السلام الى احياء أمر القرآن الكريم والعترة الطاهرة، بالموضوع الثرّ، الجديد، القويم، الى أن يكتب فيه بمنهجية الكاتب المتحرّي المثبت، وموضوعية الحرّ، المستقلّ، النابه، الذي يعرف سبُل الوصول الى مرامي القرآن وأهدافه، والى مواطن إعجازه، وتخرجات أحكامه وأعرافه، وأسرار سياقه ونظمه، يكتب فيها بقلم بارع متوخيا الأجر من الله - تعالى - في أن يُعدّ من خيار الناس الذين تعلموا القرآن وعلموه وعلى الله قصد السبيل واليه المتهمى والمآب.

رئيس التحرير



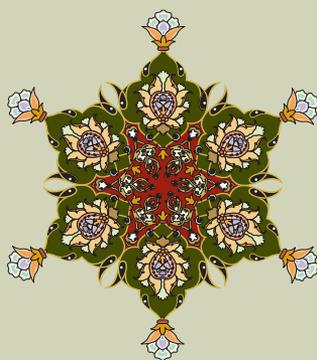
(١٤٣٣هـ - ٢٠١١م) حريف - العدد السابع



٨



# بجود العدد

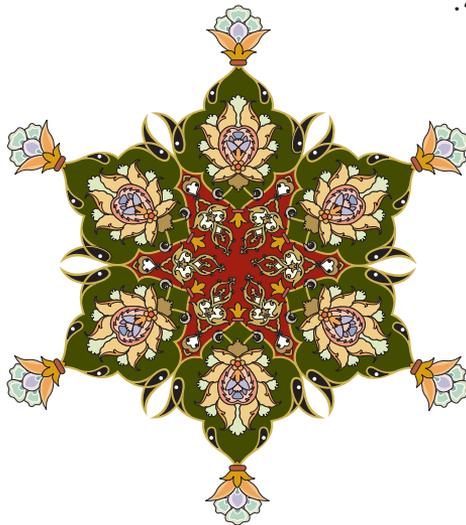
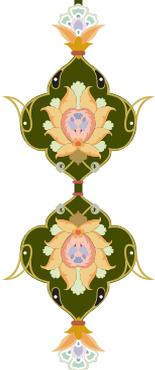


## ملخص البحث

ضمن نمط تفسير القرآن الكريم بالتدبر والتمعن في مرامي آياته وقراءة ما بين السطور، يتصدى سماحة الشيخ الأصفي لبحث سورة من سور القرآن المكية التي ضمت، برغم قصرها وقلة آياتها، معاني حلّقت في الحياة الخاصة والعامّة للانسان والمجتمع.

ففي بدء البحث بسط سماحته ظروف نزول السورة والدروس (الاربعة) المستفادة منها وهي:

(شرح الصدر) و(الاصل) و(المقاومة) و(الذكر) والارتباط بالله عز وجل، ثم ليفصل الحديث في كل درس من هذه الدروس مستشهداً بما يمكن الإستشهاد به من احداث تاريخية وقعت للرسول الاعظم ﷺ والانبياء من قبله.



# دروس من سورة الشرح

سماعة العلامة الشيخ محمد مهدي الاصفهاني

النجف الاشرف - العراق

## المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ

وَزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ

﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾ [سورة

الشرح: ١ - ٨].

## ظروف نزول السورة

نزلت هذه السورة في ظروف الشدة والعسر في مكة في الفترة الصعبة التي كان رسول الله ﷺ والصحابة يلقون فيها ألوان الاضطهاد والأذى على أيدي عتاة قريش.

في هذه الظروف نزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ بأربعة دروس، وأية أربعة، وهي دروس ضرورية لا بدّ منها للعاملين، في أي زمان، ومن دون هذه

الدروس لا يمكن أن يواصل المؤمنون عملهم في الدعوة إلى الله.

وهذه الدروس هي:

١- شرح الصدر.

٢- الأمل.

٣- المقاومة.

٤- ذكر الله والارتباط به.

ويعيش الدعوة إلى الله اليوم في كثير من أقطار العالم الإسلامي ظروفًا مشابهة لتتي عاشها الرعيل الأول من المسلمين بصحبة رسول الله ﷺ في مكة، ولذلك تبقى [سورة الانشراح] حاجة حقيقية قائمة للعاملين في سبيل الله في عصرنا يحتاجون إلى استيعاب دروسها.

واستيعاب هذه الدروس والالتزام

شرحها الله، لا تضيق بهموم العمل ومتاعبه، ومهما واجه صاحبها من المشاكل والمتاعب والهموم استوعبتها وتجاوزتها. بخلاف الصدور الضيقة التي تضيق بالقليل من الهموم والمتاعب وتطفح عليها فتجزع وتتعب وتيأس.

والانهيار والتراجع والخذلان النتيجة الطبيعية لهذا الضيق، كما إن الصبر والمقاومة وذكر الله والتوكل على الله هو النتيجة الطبيعية للصدور الواسعة التي شرحها الله.

إذن الصدور وعاء شخصية الإنسان وهي على طائفتين:

- الصدور الواسعة التي شرحها الله.
  - والصدور الضيقة الحرجة.
- في الصدور الواسعة تتحول الهموم والمتاعب إلى الصبر والذكر. وفي الصدور الضيقة تتحول الهموم والمتاعب إلى الجزع والسقوط. في الصدور الواسعة تتحول الإساءة إلى الحلم والعفو. وفي الصدور الضيقة تتحول الإساءة إلى الانفعال والغضب والانتقام.

بها يمكن الإنسان من مواصلة الطريق إلى نهايته، وتجاوز العقبات الكثيرة الموجودة على هذا الطريق في ظروف غربة الإسلام ومحنته، كما كان سلفنا يحتاجها في مكة في الأيام الأولى من ميلاد الرسالة.

### شرح الصدر

ويقابل ضيق الصدر. ومن خلال هذا التقابل نستطيع أن نفهم معنى شرح الصدر. الصدور الضيقة هي التي لا تستوعب هموم العمل ومتاعب المواجهة، فتطفح عليها المتاعب وهموم العمل، وتتحول إلى (الجزع) و(التعب) و(اليأس).

وأما الصدور التي يشرحها الله تعالى فإنها تستوعب المشاكل والهموم والمتاعب، وتتحول فيها إلى الصبر والمقاومة، والاستعانة بالله.

ومثل الصدور التي يشرحها الله كالبحر، لا يلوثه شيء مما يلقي فيه من القذارة، أما المساحات الراكدة والمحدودة من الماء فإنها سرعان ما تلوثها الأقدار وتطفح عليها، وتغير لونها وطعمها ورائحتها.. والفرق سعة الإناء وضيق الإناء.

وكذلك الصدور الواسعة التي



في الصدور الواسعة تتحول الفتن والمغريات إلى التقوى.

وفي الصدور الضيقة تتحول الفتن والمغريات إلى الانزلاق وإلى الإثم.

في الصدور الواسعة يتحول الرزق والنعمة إلى الشكر.

وفي الصدور الضيقة يتحول الرزق والنعمة إلى السكر (السكر النعمة) والطغيان.

في الصدور الواسعة تتحول المصيبة إلى الصبر.

وفي الصدور الضيقة تتحول إلى الجزع.

في الصدور الواسعة يتحول العلم والموقع إلى التواضع.

وفي الصدور الضيقة يتحول العلم والموقع إلى الغرور.

### شرح الصدر في العمل

وأول ما يحتاج إليه الدعاء إلى الله في ساحة العمل هو شرح الصدر.

ولقد بعث الله تعالى رسوله وكليمه إلى بني إسرائيل وفرعون ليدعوهم إلى

الله.. فلم يطلب موسى بن عمران عليه السلام مالا ولا سلطاناً، ولا قوة من عند الله، لينهض

بهذه المهمة الصعبة، وإنما سأل الله تعالى أن

يرزقه شرح الصدر وتيسير الأمر، فقال:

﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي

أَمْرِي﴾ [سورة طه: ٢٥-٢٦].

وقدم شرح الصدر على تيسير الأمر.

إن الذي يحتاج إليه الدعاء إلى الله على

طريق ذات الشوكة أمران:

١- مضاعفة التحمل.

٢- وتخفيف الحمل.

وكلاهما سأل الله تعالى موسى بن

عمران في بداية المهمة، ولكنه يقدم السؤال

الأول على السؤال الثاني، ويطلب من الله

تعالى أن يضاعف تحمله أولاً، ثم يطلب

من الله أن يخفف له الحمل ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي

صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾.

وفي بدايات الدعوة أيام الشدة

والضيق كان أول ما منّ الله به على عبده

ورسوله ﷺ هو شرح الصدر ﴿لَا تَنْشَخْ لَكَ

صَدْرَكَ﴾.

وإن ساحة العمل وطريق ذات

الشوكة صعب، ولولا إسناد الله تعالى

ودعمه وتطمينه لنفوس أنبيائه وعباده

الصالحين لضاقت صدورهم مما يلاقون.

يقول تعالى مخاطباً رسوله:



وإنما يكتسب شرح الصدر في ساحة  
المواجهة، وفي أيام الشدة والضيق، وبين  
شرح الصدر وساحة العمل علاقة تبادلية  
(جدلية)، وهي واحدة من سنن الله تعالى في  
ساحات المواجهة وأيام العسر والشدة.

### ووضعنا عنك وزرك

ثم بعد ذلك يمنُّ الله تعالى على رسوله  
أنه وضع عنه وزره (حملة الذي أثقل  
ظهره).

والوزر هنا الثقل وهو ثقل العمل  
والرسالة الذي كاد أن ينقض ظهر رسول  
الله ﷺ لولا تأييد الله تعالى وإسناده.

وتفسير (الوزر) بالذنب- كما يقول  
بعضهم- تفسير بعيد، والذي يناسب  
شرح الصدر هو الثقل والحمل، كما في  
دعاء موسى بن عمران عليه السلام:

ومعنى (وضع الوزر) تخفيف الحمل  
بالإسناد والتأييد، وقد قاتل الملائكة دون  
رسول الله ﷺ في معركة بدر ودافعوا عنه،  
 وأنزل الله عليهم المطر، وكانت الأرض  
التي عليها المسلمون يومئذ رملية فتلبدت،  
والأرض التي عليها المشركون طينية  
فتطينت وتزلقت بهم. وقد شق الله تعالى

﴿وَلَقَدْ نَعَمْ أَنْكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا  
يَقُولُونَ﴾ [سورة الحجر: ٩٧].

ولكن الله تعالى يؤيد أنبياءه مرتين:  
يشرح صدورهم، ويزيد ويضاعف  
في تحملهم أولاً، ثم يرفع عنهم الحمل،  
ويضع عنهم ثقل العمل ثانياً.

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ وَوَضَعْنَا  
عَنكَ وَزْرَكَ ۚ﴾ [سورة القلم: ٤٨].

ويأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يصبر  
ويوسع صدره لما يلاقي من قومه، ولا  
يجزع، ولا يفقد صبره، كما ضاق صدر  
العبد الصالح أيوب عليه السلام من قبله بما لاقاه  
من قومه ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ  
الْحُوتِ﴾ [سورة القلم: ٤٨].

### العلاقات التبادلية بين الصدر

#### وساحات العمل:

ومن العجب أن شرح الصدر هو أول  
متطلبات العمل- كما قلنا قبل قليل- ولا  
يتمكّن الإنسان أن يدخل ساحة العمل  
من غير شرح الصدر.. وفي نفس الوقت  
لا يزود الله الإنسان بشرح الصدر إلا في  
ساحة العمل. فليس يكتسب الإنسان شرح  
الصدر في عُقر بيته، وفي أيام العافية واليسر،



فإن مردود الخير والنعمة في الصدور الضيقة الكفران والطغيان والشح والمنع. يقول تعالى:

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ مُسْتَقْبِرًا ﴿٧﴾﴾

[سورة العلق: ٦-٧].

إن الطغيان والكفر والمنع والشح من إفراز الصدور الضيقة، أما الصدور الواسعة فمردودها الذكر، والشكر، والعبودية، والصبر، والحلم، والعطاء.

### شرح الصدر في المعرفة

ما تقدم من حديث يخص شرح الصدر في المعاناة والابتلاء، وهو باب واسع من شرح الصدر، والباب الآخر لشرح الصدر المعرفة والبصيرة.

والصدور أوعية المعرفة، كما هي أوعية الابتلاء. فمن الصدور صدور شرحها الله تعالى للمعرفة، فتعي وتبصر، وتنتفتح على المعارف، وتتلقى من النور والوعي ما لا يتلقاه الآخرون.

ومن الصدور صدور قاسية، لا يدخلها النور، ولا المعرفة، ولا تنتفتح على الهداية، وبينها درجات ومراتب، بعضها فوق بعض. يقول تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ

البحر لموسى عليه السلام فاجتاز هو وبنو إسرائيل البحر، فلما دخله فرعون وجنده رجعت المياه إلى حالها فغرقوا في البحر. ولقد أهلك الله قوم عاد وثمود وقوم لوط ودمر ديارهم تدميراً، والله تعالى يقول ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾. يرفع عنهم ثقل العمل، ويضع عنهم عبء الرسالة، ويخفف عنهم متاعب الطريق، وينصرهم ويهلك أعداءهم، وليس يكلهم إلى أنفسهم في ساحة المواجهة والصراع، وهذا هو قوله ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ والله أعلم ببيضاء كتابه.

### الهلوع

مقابل شرح الصدر.. (الهلوع). يقول تعالى:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [سورة

المعارج: ١٩-٢١].

وحالة الهلوع هي حالة ضيق الصدر، والجزع عند الابتلاء بالشر، فإن الشر يفيض ويطفح عندئذ على هذه الصدور الضيقة، أما الصدور الواسعة فإنها تستوعب الشر، وتحوله إلى صبر وحلم وذكر، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾.



فينغلق على النور.

وفي القرآن تأكيد هذا المعنى في أكثر من موضع، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، ﴿رَبِّ أَسْرَحْ لِي صَدْرِي﴾، ﴿أَفَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾، ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ ونظائر ذلك في كتاب الله.

وكلها يؤكد أن أمر الصدور بيد الله، يشرحها ويضيئها.. فإذا شرحها الله دخلها النور والمعرفة، وإذا ضيقها الله انغلقت على النور والمعرفة.. ونظير ذلك (النصر)، فإنه من عند الله- من دون ريب- والقرآن يقرر هذه الحقيقة وينسب النصر إلى الله في أكثر من موضع:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [سورة النصر: ١]. ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [سورة آل عمران: ١٢٦]. ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [سورة الفتح: ١]. ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة آل عمران: ١٣].

إلا أن ذلك أحد وجهي هذه القضية، وهو حق وصحيح، والوجه الآخر إن أسباب هذا النصر الإلهي بيد الإنسان

صَدْرُهُ، لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ قَوْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْكَ فِي صَلِّ لِي مُبِينٍ﴾ [سورة الزمر: ٢٢].

الصدور التي شرحها الله يدخلها النور، وأما القاسية فلا ينفذ إليها النور، إلا إذا نفذ النور إلى عمق الحجارة الصلدة.. وليس العجز في النور، ولكن في الصدور، فإن النور ينزل على كل مكان من غير حساب، ولكن الصدور تحتجب عن النور عندما تكون قاسية.

### أسباب الشرح

والله سبحانه هو الذي يشرح الصدور، وهو الذي يجعل الصدور ضيقة حرجة، ما في ذلك شك، يقول تعالى:

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٥].

والهداية والضلالة هي الانفتاح والانغلاق على النور. فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره، فيدخل إلى قلبه النور، ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً،



نفسه، إن ينصره الله نصره الله، وإذا لم يشأ لا ينصره الله.

تأملوا إلى الوجه الآخر من هذه القضية:

﴿إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَصْرِكُمْ وَيُنَبِّتْ أقدامَكُمْ﴾  
[سورة محمد: ٧]. ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا  
أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [سورة الأنفال: ٦٠].  
﴿وَلْيَنْصُرِكِ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [سورة  
الحج: ٤٠].

وهذا هو الوجه الثاني لهذه القضية، ولا يشق علينا أن نجمع هذين الوجهين معاً، في تصور واحد متكامل، يكمل كل من الوجهين الوجه الآخر.

وكذلك الأمر في (شرح الصدر) و(ضيق الصدر) فإن أسباب شرح الصدر وضيق الصدر بيد الإنسان، والله تعالى يشرح الصدر ويضيّقها بقانون وسنة، كما هو شأنه تعالى في كل شيء، وليس لسنة الله تحويل ولا تبديل.

والآية (١٢٥) من سورة الأنعام نفسها تبين هذه السنة بعدما تبين أن أمر الشرح والضيّق في الصدر بيد الله، وهذا القانون هو: ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ

الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٥].

صحيح أن الله تعالى هو الذي يشرح الصدر ويضيّقها.. ويبعث فيها الحياة ويميتها، ولكن هذا الضيق والرجس الذي يصيب الإنسان بسبب الإنسان نفسه، الذي أعرض عن الله، وصدّ عن سبيل الله. وهو عقوبة ونتيجة لصدوده وإعراضه عن الله.

ومن أفضح الخطأ في فهم كتاب الله أن نفكك بصائر الكتاب، بعضها عن بعض، ونحاول أن نفهم بعضها مفصلاً عن بعض.

إن هذا المنهج التفكيكي في فهم القرآن يؤدي إلى أخطاء كبيرة، ويتسبب في ظهور نحل ومذاهب منحرفة في فهم كتاب الله وتأويله.

### مفتاح شرح الصدر

مفتاح شرح الصدر: (الصبر والصلاة).

والدليل على ذلك سورة هود، وقد نزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ أيام الشدة والبأساء والضراء، لتبعث السكينة



بالصبر والصلاة، لنواجه بهما هموم العمل ومتاعب الحياة وعقبات طريق ذات الشوكة إن الصلاة ذكر الله ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾.

وفي ذكر الله كل ما يحتاج العامل السالك إلى الله من زاد الطريق، وحول، وقوة، وسكون، واطمئنان، وتوكل، وثقة بالله، فيشد الإنسان حبله بحبل الله، فيتحول ضعفه إلى قوة، وفقره إلى غنى بالله، وجهله إلى سداد ومعرفة، وبذكر الله يخرج الإنسان من أفق الإنسان الضيق إلى رحاب الرحمان الواسع، وماذا يحتاج الإنسان بعد ذلك؟ هذا عن (الصلاة).

وفي الصبر المقاومة والثبات.

وبين الصبر وشرح الصدر علاقة تبادلية. فإن الصبر على الابتلاء يمنح الإنسان شرح الصدر وهو في الوقت نفسه من نتائج شرح الصدر.

وهذا باب واسع من المعرفة، سبق أن أشرنا إليه. إن الإنسان لا يكتسب شرح الصدر وهو قابع في زاوية بيته، فإذا دخل ساحة المواجهة، وعصره البلاء عصراً، وصبر على المواجهة والابتلاء.. عندئذٍ

والطمأنينة على القلب الكبير في مواجهة عتاة قريش.

وتقص السورة على رسول الله ﷺ قصص الأنبياء من قبله، كابراً بعد كابر، وتذكره ﷺ بما لاقوه من أقوامهم من الاضطهاد والعذاب والعناد واللجاج، وكيف واجه الأنبياء هذا العناد والطغيان بالصبر والمقاومة.

ثم تأمر رسول الله ﷺ بالاستقامة والثبات على هدى الأنبياء من قبله:

﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾

[سورة هود: ١١٢]. وتختتم السورة

هذا الدرس العظيم بهذه الآية الكريمة التي هي مفتاح كل ما رزق الله أنبياءه ﷺ من شرح الصدر، والثبات، والمقاومة:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ

إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسَيَّاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي

لِلذَّكْرِينَ ﴿١١٤﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ

الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة هود: ١١٤ - ١١٥].

ومن سورة البقرة نقرأ المعنى نفسه:

﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ

الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٥٣].

وإنما يأمرنا الله تعالى أن نستعين



يمنحه الله شرح الصدر، والعكس أيضاً صحيح فإن الله تعالى إذا شرح صدر عبده، فقد رزقه الصبر والمقاومة والصمود في متاعب العمل وهموم الدعوة.

وعندئذ يكون الصبر من إفراز ونتائج شرح الصدر، ومن خلال هذه العلاقة التبادلية بين (الصبر) و(الشرح) يتصاعد الصبر والشرح، فالصبر يزيد شرح الصدر وشرح الصدر يزيد الصبر. وكذلك الأمر بين الصلاة وشرح الصدر.

بالصلاة يشرح الله صدر عباده، وإذا شرح الله صدر عبده أقبل العبد على الصلاة وذكر الله، ووجد في الصلاة قرة العين، وراحة القلب. ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ **إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**.

هذه سنة من سنن الله في التاريخ، ووعي هذه السنة ينفع العاملين الدعوة إلى الله كثيراً، ومن يعرف أن من بعد العسر يسراً لا يستغرقه العسر، ولا يسقط في العسر.

أما إذا كان الإنسان لا يعرف أن من وراء العسر يسراً، فإن العسر لا محالة يستهلكه ويستغرقه، تماماً كما إذا كان

الغريق يرى قارب النجاة يقترب منه سريعاً، أو يصرخ فلا يسمعه أحد ولا يراه أحد، والأمواج تقذفه وتبتلعه.

إن سنة اليسر بعد العسر من السنن الإلهية الأكيدة التي ورد تأكيدها في القرآن في مواضع عديدة.

والإيمان بهذه السنة ووعيتها من ضرورات العمل.

ولذلك سوف نتوقف عند هذه السنة بعض الوقت لتأمل فيها من خلال كتاب الله.

سنة الاستدراج وسنة الابتلاء سنتان متقابلتان.

سنة الاستدراج نعمة بعدها سقوط ومحق وعذاب، وهذه النعمة ظاهرها رحمة وباطنها النقمة يستدرج فيها الله تعالى المسرفين والظالمين بالنعمة فتلهيهم النعمة، وتبطرحهم فينخر بنيانهم من الداخل، فينهار، وذلك هو المحق والسقوط في حياة هذه الأمم.

وهذا السقوط يتم عادة بغتة وبصورة مفاجئة كما حدث ذلك في عصرنا للإتحاد السوفيتي. يقول تعالى:



يقول تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٥٥].

وهذه هي سنة الابتلاء، وهي سنة عامة شاملة للمعاناة، والعذاب، والضيق، والشدة في هذه السنة ظاهرها عذاب وباطنها الرحمة، بعكس سنة الاستدراج.

### سنة التيسير

ويعقب الابتلاء التيسير والفرج. كما أن سنة الابتلاء عامة، كذلك الفرج بعد الشدة سنة إلهية حتمية في دورة التاريخ، فلن يتلي الله تعالى عباده بابتلاء في دنياهم وعاقبتهم إلا ويعقب هذا الابتلاء فرج ورخاء بشروط نذكرها. يقول تعالى:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرَهُ لِلْيُسْرَى﴾ [سورة الليل: ٥-٧].  
﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [سورة الطلاق: ٢].  
﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِّنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [سورة الطلاق: ٤].  
﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [سورة الطلاق: ٧].  
﴿وَيُنِيرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ [سورة الأعلى: ٨].

﴿فَلَمَّا دُسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٤٤-٤٥].

وإنما يفتح الله أبواب النعمة عليهم ليفرحوا، ويتهادوا في غيهم وطغيانهم، فيأخذهم الله بغتة، أخذ عزيز مقتدر، وهذه السنة هي نفسها سنة الإملاء في القرآن، وإنما يسميها القرآن بالاستدراج لأن الله تعالى يستدرج بها المسرفين إلى السقوط، ويسميها القرآن بـ(الإملاء) لأن الله تعالى يملئ فيها للمسرفين. والإملاء هو الإمداد، كما يقول الراغب في المفردات ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [سورة الرعد: ٣٢].

هذا عن سنة الاستدراج والإملاء، وسنة الابتلاء بعكس سنة الإملاء، يتلي الله تعالى فيها عباده بالشدة والعسر والضيق حتى يذكروا الله ويتضرعوا ويقبلوا على الله.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٧٦].



وتأكيدات القرآن وإشاراته إلى ذلك كثيرة، وهذه الآيات بمجموعها ترسم حدود هذه السُّنة الإلهية.

يسر مع العسر وليس بعده

ومن رقائق التعبير في سورة الانشراح قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ واليسر يأتي بعد العسر عادة، ولكن القرآن يريد أن يقرب اليسر إلى العسر للناس، ويوحى إليهم بالتصاق اليسر بالعسر، فيعبّر عن هذا التجاور والتعاقب القريب بين اليسر والعسر بكلمة (مع) ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ **إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**.

وهو من رقائق تعبير القرآن، فإن لكلمة (مع) من الظلال والأداء ما ليس لكلمة (بعد).

### عسر واحد لا يغلب يسرين

ومن لطائف التعبير في آيتي اليسر تنكير اليسر في الآيتين، وتعريف العسر فيها بالألف واللام ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ **إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**. والقاعدة: إن المعرفة إذا أعيدت في الكلام المتصل على نحو التعريف، كان المقصود به الشخص الأول نفسه، بخلاف النكرة إذا أعيدت في

الكلام المتصل على نحو التنكير، فلا يكون المقصود منها الشخص الأول نفسه.

فإذا قلنا: (إذا كسبت الدينار فانفق

الدينار) كان المقصود نفس الدينار. وإذا قلنا: (إذا كسبت ديناراً فانفق ديناراً) لم يكن المراد بالدينار الثاني، الدينار الأول نفسه.

وفي آيتي اليسر في سورة الانشراح يرد اليسر على نحو التنكير في الآيتين، بينما يرد العسر فيهما على نحو التعريف.. فلا بد أن يكون المقصود من العسر فيهما عسراً واحداً، بخلاف اليسر.

والسر في ذلك، أن ألف اللام في العسر الثاني للعهد، وهو إشارة إلى العسر الأول، فيكون واحداً بخلاف اليسر.

وقد روي أن رسول الله ﷺ خرج يوماً مسروراً فرحاً وهو يضحك ويقول: (لن

يغلب عسر يسرين، ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ **إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** <sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس قال: (يقول الله: خلقت عسراً واحداً وخلقت يسرين، فلن يغلب عسر يسرين) <sup>(٢)</sup>.

(١) ميزان الحكمة ٣: ٢٣٨٦.

(٢) تفسير مجمع البيان للطبرسي ١٠: ٣٩٠.



## باقة من الحديث

## العسر كثيراً.

عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال لعبدالله بن عباس: ألا أعلمك كلمات تنتفع بهن؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: أحفظ الله يحفظك، إحفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، جف القلم بما كان وما هو كائن، ولو جهد العباد أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضرّوك بشيء لم يكتبه الله عليك لما قدروا، فإن استطعت أن تعمل لله بالصدق في اليقين فافعل، فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً<sup>(٣)</sup>.

وعن علي عليه السلام: (إن الله تعالى جعل مع كل قحط خصباً، ومع كل مأساة رخاء).  
وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أيضاً: (لا يعدم الصبور الظفر، وإن طال الزمان)<sup>(٤)</sup>.

## الدعاء باليسر بعد العسر

وقد ورد في الدعاء طلب اليسر بعد

ومن ذلك: (واجعل لنا من أمرنا يسراً، واختم لنا بالسعادة إلى منتهى آجالنا)<sup>(٥)</sup>.  
وفي دعاء الأسحار: (اللهم يسر لي ما أخاف تعسيره، فإن تيسير ما أخاف تعسيره عليك سهل يسير، وسهل لي ما أخاف حزونته، ونفس عني ما أخاف ضيقه، وكف عني ما أخاف همّه، واصرف عني ما أخاف بليته، يا أرحم الراحمين)<sup>(٦)</sup>.

## وعى العسر

(العسر) و(اليسر) سُنَّتَانِ إلهيتان حتميتان، ووعى هاتين السُنَّتَيْنِ يُمْكِنُ الإنسان من الانتفاع بهما والإفادة منهما، فإن الناس - كل الناس - يخضعون لسنن الله، وعوا هذه السنن أم لم يعوها، غير أن الذي يعي السنة يتحمل السنة وينتفع منها بشكل أفضل، والذي لا يعي السنة تشق عليه (إذا كانت ابتلاءً) ويخسر كثيراً من مواقع الاستفادة من هذه السنن.

ولذلك كان الاهتمام بتبيان وتفسير

(٥) مصباح المتهجد للطوسي: ٨١٤، دعاء يوم

السابع والعشرين من رجب.

(٦) مصباح المتهجد: ٦٠١.

(٣) الفرج بعد الشدة ١: ٢٧.

(٤) بحار الأنوار ٦٨: ٩٥ ح ٦٠.



السنن في القرآن، وقد تكررت الإشارة إلى سنة العسر واليسر في القرآن.

ففي [سورة آل عمران] يرسم لنا القرآن صورة دقيقة لسنة (العسر) تتضمن كثيراً من الحقائق والايحاءات.

يقول تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾.

وفي هذه الآية الكريمة يعلمنا الله أربعة دروس عن العسر واليسر.

الدرس الأول: إن العسر من خصائص المعركة، فمن يدخل المعركة يمسه شيء من العسر والشدة، وتصيبه قروح المعركة، ولا تختص هذه السنة بالمؤمنين، فإن ما يصيب الكفار من القروح من المعركة لا تقلل عما يصيب المؤمنين، وهكذا تكون المعارك، ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾.

والدرس الثاني: إن الله تعالى جعل الأيام تداولاً بين الناس، يقلبهم من يوم إلى يوم، فيذيقهم بعد نشوة الانتصار في (بدر) مرَّ النكسة في (أحد).. وفي هذا التقلب

منافع للناس، فإن نشوة (بدر) إذا كانت تمتد بالمسلمين وتتصل، ولم تعقبها نكسة (أحد) أصاب المجتمع الإسلامي يومذاك حالة الترهل وتجمعت حوله العناصر الضعيفة وغير الصالحة والمنافقة، وداخل المسلمين حتى الصالحين منهم وأصحاب بدر الغرور والعجب، وكان لذلك أسوأ الأثر في دورهم القيادي في إمامة الأرض ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾.

والدرس الثالث: إن هذه المحن والشدائد هي التي تفرز الرجال الأشداء، والذين يتخذ الله منهم الشهداء والأئمة والقادة.

وأما أيام العافية واليسر فلا تأتي إلا بالضعاف الذين يوثرون العافية على التضحية في كل شدة ومحنة غالباً، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾.

والدرس الرابع: التمحيص والمحق، يقول تعالى: ﴿وَلِيَمِحَّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمَحِّقَ الْكٰفِرِينَ﴾.

في مثل هذه الابتلاءات والمحن يمحص الله تعالى المؤمنين، ويشذبهم



جميعاً من دون قيد وشرط، مثل سُنَّةِ الابتلاء.

﴿وَلَنْبَلُوْكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ

وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾.

وهذه سُنَّةٌ مطلقة تعم الناس جميعاً ولا يخلوا منها إنسان قط، وفيها ينجح ناس ويفلحون، ويسقط ناس ويهلكون، ولا دخل لإرادة الإنسان في هذه السُنَّة.

وسُنَّةٌ عمومية العذاب فإن العذاب إذا حلّ بقوم بسبب ظلمهم وعصيانهم عمّهم جميعاً، الصالحين منهم والفاسقين، وهذه السُنَّة من السنن المطلقة، يقول تعالى:

﴿وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا

مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾.

وأما السنن المشروطة فهي مقيدة بإرادة الإنسان واختياره وفعله، مثل سُنَّةِ (التغيير) وسُنَّةِ (النصر).

تأملوا في قوله تعالى في سُنَّةِ (التغيير):

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا

بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

إن التغيير من عند الله بالتأكيد، وهي سُنَّةٌ من سنن الله في التاريخ والمجتمع، ولكن الله لا يغير ما بأمة حتى يغيروا ما بأنفسهم وما لم يغيروا ما بأنفسهم لا

ويهدب نفوسهم، ويأخذ عنهم الميل إلى العافية، والضعف، والجبن، وحب الدنيا، ويبقي لهم الشجاعة، والتضحية، والقوة، والزهد في الدنيا (وهذا هو التمحيص) و﴿وَيَمَحِّقُ الْكٰفِرِيْنَ﴾ أما الكافرون، فتمحقهم المحنة، وتهلكهم.. والمحنة هي المحنة لا فرق، ولكن الأثر يختلف بين التمحيص والمحق، وذلك أن المؤمنين يقاومون المحنة، فتمحصهم، والكافرون يسقطون في الفتنة والمحنة فتمحقهم. رأيت النار تشتعل في الخشب والحديد، فتحرق الخشب وتصهر الحديد وتخلصه مما يعلق به من ذرات التراب. ذلك أن الحديد يقاوم فيصهر النار، والخشب لا يقاوم فتحرقه النار.. وكذلك تعمل الفتن والمحن في نفوس المؤمنين والكافرين.

### وعى اليسر

العسر سُنَّةٌ مطلقة، أما اليسر فهو سُنَّةٌ مشروطة وليست مطلقة، ووعى هذه الحقيقة على درجة عالية من الأهمية، لأن سنن الله تعالى في المجتمع والتاريخ على شكلين: مطلقة ومشروطة.

والسنن المطلقة هي التي تعم الناس



يغير الله ما بهم. وتعبير آخر: ما لم يغيروا باطنهم لا يغير الله ظاهرهم.

وهذه سنة مشروطة ومقيدة.

وسنة (النصر) سنة إلهية ثابتة كتبها الله

تعالى وسنها لنفسه ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ

أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة

المجادلة: ٢١]. ولكنها سنة مشروطة.

تأملوا في الآيات الآتية:

﴿إِن نُّصِرُوا اللَّهُ يُلْهِمِ لَهُمْ يُدْرِكُ أقدامكم﴾

[سورة محمد: ٧]. ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا

وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة

آل عمران: ١٣٩]. ﴿وَلْيَنْصُرِكُمُ اللَّهُ مَنْ

يُنْصُرُهُ﴾ [سورة الحج: ٤٠].

وسنة اليسر بعد العسر من سنن الله

الحتمية بدون ريب، ولكنها سنة مشروطة

وليست مطلقة. تأملوا في الآيات التالية:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾

فَسَنِّيْهِ لِلْيَسْرَى﴾ [سورة الليل: ٥-٧].

والشرط هنا العطاء والتقوى

والتصديق، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ

يُسْرًا﴾، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾.

وهذا اليسر المشروط بالتقوى

والتصديق والعطاء، يحفز الإنسان في

ظروف الابتلاء والشدة للعمل والتقوى

والعطاء، حتى يعجل الله تعالى له بالفرج،

أما اليسر المترقب غير المشروط فليس فيه

تحفيز ولا تحريك.

وهذا وعي مزدوج، وكلا الوعيتين

نافع ومفيد للإنسان، وعي أن اليسر بعد

العسر من الله، وليس من الإنسان حتى لا

تأخذ الإنسان نشوة اليسر وسكر العافية

والرفاه، ويتواضع لله، ويشكره في اليسر،

كما يصبر على بلائه في العسر.

والوعي الثاني أن اليسر الذي يأتي من

عند الله مشروط بعطاء الإنسان وعلمه

وتقواه وجهده، حتى لا يخمل، فيوكل

الأمر إلى الغيب، ويكون مثله مثل بني

إسرائيل إذ قالوا لنبيهم: ﴿فَأَذْهَبَ أَنتَ

وَرَبُّكَ فَكُنْتُمْ لَا إِيَّاهُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾.

إن تعاليم القرآن في الوقت الذي

تؤكد عمق التوحيد في كل شيء: في الضر،

والعسر واليسر، والنصر، والشدة والفرج،

في الوقت نفسه تشد هذه السنن بإرادة

الإنسان واختياره، وفعله، وعطائه ليؤدي

دور الخلافة والإمامة على وجه الأرض.

فالنصر من الله بالتأكيد، ولكنه



مرحلة من العمل فانصب نفسك لمرحلة أخرى من العمل من دون تراخي.

والنصب يأتي في اللغة بمعنيين: بمعنى التعب والجهد وبمعنى القيام، وعلى كلا المعنيين يستقيم تفسير الآية الكريمة بالمعنى الذي ذكرناه، سواء قلنا: (فإذا فرغت من عمل فأجهد نفسك لعمل آخر)، أو: (فإذا فرغت من عمل فقم وانهض لعمل آخر). والمعنى على كل حال مكافحة حالة الاسترخاء<sup>(٧)</sup> والتراخي في العمل.

فلا يفرغ الإنسان من شوط من العمل حتى يدخل شوطاً آخر.. ولا يسمح لحرارة العمل أن تبرد. فإن حرارة العمل إذا خفتت في فترات الاسترخاء فليس من اليسير استعادة حرارة العمل من جديد.. وللحرارة والبرودة في الحركة والعمل والنشاط قانون ونظام، كما أن لهما قانوناً في الفيزياء.. وقانون الحرارة في العمل والحركة: إن حرارة العمل تتصاعد

(٧) والاسترخاء غير الراحة، فإن الأجساد والأرواح لا بد لها من راحة، حتى يواصل الإنسان عمله بالنشاط، ولا نريد نحن بالاسترخاء هذا المعنى الذي لا بد منه للإنسان في حياته العملية.

مشروط بعمل الإنسان واختياره وعطاءه، وليس من الله من دون شك، ولكنه مشروط في الوقت نفسه بعمل الإنسان وجهد الإنسان.

وهذا الوعي المزدوج من خصائص كتاب الله. ولعل قاعدة الأمر بين الأمرين التي وضع أساسها أهل البيت عليهم السلام في الثقافة الإسلامية لا تكون بعيدة عن هذا الوعي المزدوج لسنن الله.

### فإذا فرغت فأنصب

وهذا درس مهم من دروس الحركة والعمل: إن الاسترخاء في العمل من أضر الأشياء على حركة العامل، وعمله، وعلى الإنسان أن يكافح حالة الاسترخاء، ولا يسمح لها أن تتخلل فترات عمله، ويواصل التحرك والعمل ليلاً ونهاراً من غير استرخاء، حتى في الفترات التي تتخلل الأعمال عندما يفرغ الإنسان من عمل، وقبل أن يدخل في المرحلة اللاحقة له.

والآية الكريمة تأمر المؤمنين -والله أعلم ببصائر كتابه- ألا يسمحوا أن تتخلل أعمالهم فترات الاسترخاء، يقول تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾، أي إذا فرغت من



بالمواصلة، وتحف وتتنازل بسرعة في فترات الاسترخاء.. وما ينزل من حرارة العمل في فترات الاسترخاء لا يمكن استعادته بسهولة.

ولذلك نجد تأكيد مواصلة العمل ليلاً ونهاراً في القرآن من دون تراخي.

وقد كانت سورة المزمل من أوائل ما نزل من الوحي على قلب رسول الله ﷺ

يخاطب الله تعالى فيها رسوله ﷺ: ﴿وَأَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا... إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ [سورة

المزمل: ٢-٧].، ومع السبح الطويل والشاق الذي ينتظره ﷺ في النهار يأمره الله تعالى أن يقوم الليل إلا قليلاً، نصفه أو ينقص منه أو يزيد عليه.

وفي سورة المدثر يأمر الله تعالى نبيه بالقيام والمقاومة معاً.

﴿قَرَأَنذِرِينَ .. وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [سورة المدثر: ٢-٧]. ويقول تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ

﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾ [سورة

الطور: ٤٨-٤٩].

صبر، ومقاومة، واستقامة في النهار، ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾، ولا تتردد، ولا

تتوقف، ولا تتنازل، ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، نراك وتدعمك ونسندك، ونسدك، ثم ﴿وَسَبِّحْ

بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾، وهذا التسبيح الطويل حين

تقوم، وفي الليل وإدبار النجوم، هو الزاد الذي يُعين رسول الله ﷺ لمواصلة المقاومة

والصبر في النهار.. وهذا هو منهج القرآن في العمل، عمل متصل وشاق، في الليل

والنهار، صبر وحركة واستقامة في النهار، تسبيح وذكر في الليل.. بهذا المزيج من

المقاومة والتسبيح يتم العمل.

في حالات الاسترخاء يسرق الشيطان حرارة العمل من نفوس العاملين. إن

لحظة الاسترخاء من اللحظات الضارة المهلكة في حياة الإنسان.

واللحظات الضارة كثيرة أهمها:

لحظة (الغفلة) ولحظة (النشوة) ولحظة (الاسترخاء).

في لحظة الغفلة قد يخسر الإنسان كل نتائج عمله.

فإن الشيطان يرصد الإنسان رسداً دقيقاً، فينقض عليه في لحظة واحدة من

لحظات الغفلة، فيسلبه كل ما كسبه في



فإذا أراد بعد ذلك أن يستعيد نشاطه وحركته شق عليه ذلك، وتمتعت عليه نفسه بالحركة والنشاط.

وهذه القاعدة تعم حالتى النجاح والفشل.

ذلك أن الإنسان إذا واجه الفشل في مرحلة من مراحل العمل نزعت نفسه إلى الركون وإلى الراحة والاسترخاء، حتى يتخلص من مرارة الفشل، وهو لا يعلم أن هذا الاسترخاء أضرّ عليه من الفشل نفسه أضعافاً مضاعفة.

فإن الإنسان إذا كان على نشاطه وقوته يتدارك الفشل في المحاولات القادمة. أما إذا خمد نشاطه واسترخى من العمل فقد لا تعود إليه قوته ونشاطه مرة أخرى.

لقد علمنا القرآن أن نصل الحركة بالحركة، والعمل بالعمل، والنشاط بالنشاط، ولا ندع الشيطان يتسلل إلى نفوسنا في الفترات التي تفصل بين مراحل العمل.

تعب أصحاب رسول الله من مواصلة السير في بعض الغزوات، فشكوا أمرهم إلى رسول الله ﷺ فعلمهم رسول الله

حياته في أيام العمل، لولا أن يعصمه الله تعالى ويعيده من الخبيث، ولذلك ورد التحذير الشديد من لحظات الغفلة.

لحظة الخطر الثانية، لحظة النشوة، فإن لحظات النشوة، إذا لم يسيطر صاحبها عليها تؤدي به إلى السكر والغرور والعجب والطغيان، وهي من أخطر الحالات على الإنسان.

وقد دخل رسول ﷺ مكة، ودخل المسجد الحرام، وهو مطأطأ الرأس، تواضعاً لله تعالى، وشكراً له، ولثلاً تداخله نشوة النصر، ويأمر الله تعالى المسلمين في ساعات نشوة النصر والفتح الكبير بالتسبيح والاستغفار، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۖ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ ۗ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [سورة النصر].

ولحظة الخطر الثالثة هي لحظة (الاسترخاء) بين عمل وعمل، فإن الإنسان إذا أصابه النصر أو الهزيمة في شوط من أشواط العمل سلبه الشيطان حرارة العمل ونشاطه.



طريقة من السير أشبه بالهرولة، فزال عنهم التعب وشعروا بالراحة. ولا بدّ للإنسان إلى جنب هذه الاستقامة والتواصل في الحركة من الحذر من الغفلة، فإن لحظة واحدة من الغفلة قد تأتي على كل مكاسب العمل.

فقد غفل المسلمون الرماة في (أحد) عن موقعهم الذي وضعهم رسول الله ﷺ فيه، رغم أن رسول الله ﷺ أكد ألاّ يغيروا مواضعهم إلاّ أنهم عندما رأوا الهزيمة في صفوف المشركين ورأوا المسلمين يلاحقون المشركين ويأسرونهم، ويجمعون الغنائم، خالفوا رسول الله ﷺ وتركوا الموقع الذي جعلهم عليه رسول الله ﷺ واندفعوا لجمع الغنائم، فتركوا أظهر المسلمين من دون حماية، فاغتنم خالد بن الوليد هذه اللحظات من الغفلة فهجم على المسلمين من خلف ظهورهم فأصابهم بجروح وأذى بليغ، يحدثننا عنه القرآن في سورة آل عمران.

إن العمل كله استقامة، ومواصلة وحذر من الغفلة وحضور في ساحة العمل، ولحظة من لحظات الاسترخاء والغفلة والغياب قد تكفي للقضاء عليه

إلا أن يعصم الله ويحفظ.

وما يصح في العمل في مواجهة الطاغوت والدعوة إلى الله في (الجهاد الأصغر) يصح تماماً في (الجهاد الأكبر) في مواجهة الهوى والشيطان.

فلا بدّ للإنسان في مواجهة الهوى والشيطان ومغريات الحياة الدنيا أن يصل العمل بالعمل، وأن يكون حذراً من الغفلة، والحذر من العقل هو (الذكر) فإن ذكر الله يأتي في مقابل الغفلة.

وهذان هما الصبر والصلاة.

فإن التواصل في العمل، ومقاومة التعب والاسترخاء، هو (الصبر)، وذكر الله هو الصلاة.

وهو ما يأمرنا الله تعالى، على طريق ذات الشوكة في الجهاد الأصغر والأكبر على نحو سواء.

﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ

الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٥٣].

وهذا هو الدرس الثالث في هذه السورة المباركة.

والى ربك فأرغب

عرفنا فيما سبق من هذه السورة أن على



نرجو غير الله، ولا نخاف إلا من الله.  
وقد كان رسول الله ﷺ يقول: (اللهم  
إني أعوذ بك من الفقر إلا إليك، ومن  
الذل إلا لك، ومن الخوف إلا منك) (٨).

وخلاصة هذا المقام ما يختصره القرآن  
في هذه الكلمة الوجيزة: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي  
وَسُكُوتِي وَخَيْرَاتِي وَمَعَايِبِي وَسُكُوتِي وَمَعَايِبِي﴾  
[سورة الأنعام: ١٦٢].

والآية الكريمة دقيقة في التعبير عن  
المساحة التي يحتلها الارتباط بالله في حياة  
الإنسان، ﴿وَمَعَايِبِي وَمَعَايِبِي﴾ وليس فقط  
﴿صَلَاتِي وَسُكُوتِي﴾.

وآيات الكتاب صريحة وواضحة  
وكثيرة في هذا المعنى:

﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آئِمَّةً  
أَوْ كَفُورًا﴾ (٢٤) ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا  
﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا  
طَوِيلًا﴾ [سورة الإنسان: ٢٤-٢٦].

﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا  
وَخَيْفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ  
وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [سورة  
الأعراف: ٢٠٥].

(٨) بحار الأنوار ٩٤: ٢٣٣.

الإنسان أن يستجمع كل ما آتاه الله تعالى  
من حول وقوة ونشاط في طريق العمل،  
ولا يتوانى في الحركة، ولا يتخلل عمله  
فترات الاسترخاء، ويشد العمل بالعمل،  
ويصل الحركة بالحركة.

وفي هذا الدرس يعلمنا الله تعالى أن  
نوجه كل حولنا وقوتنا وحركتنا وسعينا  
وهمتنا إلى الله.

﴿وَالِى رَبِّكَ فَارْغَب﴾ فلا نرغب في هذه  
الحركة، والعمل الدائم المتصل إلى غير  
الله، ولا نطلب مرضاة أحد غير مرضاة  
الله، ولا نطلب وجه أحد غير وجه الله.

ونوجه عزمنا، وحركتنا، وهمتنا إلى الله.  
ونجعل رغبتنا فيما عند الله، ونحب  
الله، ونحب في الله، ونغضب لله،  
ونبغض في الله، ونسأل الله، ونستعين  
بالله، ونتوكل على الله، ونذكر الله،  
ونوحد الله في العبادة والاستعانة وفي

الذكر والدعاء، ونتضرع إلى الله، ونرفع  
فقرنا وحاجتنا إلى الله.  
ونستغفر الله، ونحمد الله، ونشكره  
ونطلب رحمته، ولا نرغب في ثواب أحد غير  
الله، ونقطع رجاءنا عن كل أحد غير الله، فلا



﴿وَأذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾

[سورة المزمل: ٨].

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ

رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا

تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

[سورة الكهف: ٢٨].

﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ،

شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [سورة الزخرف:

٣٦].

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ

وَأَصْبِرُوا﴾ [سورة الأعراف: ١٢٨].

﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ

مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾

[سورة لقمان: ٢٢].

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ

الدين﴾ [سورة البينة: ٥].

وهذا هو خلاصة المنهج القرآني في

التربية.

فلا يدعو ولا يسأل الإنسان غير

الله، ولا يستعين بأحد غير الله، ولا

يعبد أحداً غير الله ولا يخضع لأحد غير

الله، ولا يأخذ بحكم أحد غير الله، ولا

يدين بدين غير دين الله، ولا يطيع غير

الله، ولا يوالي أحداً غير الله، وهذا هو

(الفصل) و(الوصل). و(الفصل) هو

الشرط الأول من كلمة التوحيد، وله

عرض عريض والشرط الثاني (الوصل)،

وهو التوحيد والإخلاص، توحيد الله في

الخلق، والتدبير، والرزق، وفي العبودية،

والطاعة، والاستعانة، والتشريع،

والحكم، والولاية.

والإخلاص لله في العمل والحب

والنية.

وهذا هو الشرط الثاني من كلمة

التوحيد.

والشرط الثالث العمل في امتداد

توحيد الله وهو الحب في الله، والغضب

الله، والبغض في الله، والاستعانة بما

سخره الله تعالى لنا من الأدوات

والأسباب، والتسليم لمن أمرنا الله

تعالى بطاعته، والولاء لمن أمرنا الله

بولائه، وحب من أمر الله بحبه، وهذا

هو الشرط الثالث للتوحيد، وله عرض

عريض ولسنا نستطيع أن نفهم منهج

الإسلام في التوحيد إلا من خلال هذه

الأبعاد الثلاثة.

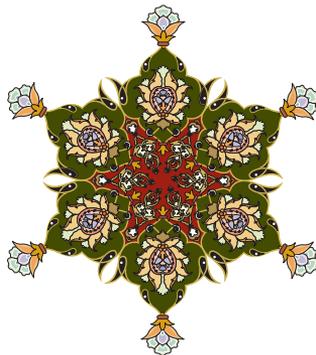


## مفخص البحث

قدم السيد الباحث لبحثه بمقدمة قرر فيها ان الباحثين قد أسرفوا في القول بالنسخ في القرآن الكريم ايا إسراف حتى انهم تعاملوا مع القرآن وكأنه من كلام البشر. ثم مهد لبحثه بعرض امور تتعلق بالاختلاف في الناسخ والمنسوخ والتأليف فيه.

وتطرق في صلب الموضوع الى معنى النسخ لغةً واصطلاحاً وماهيةً وفي بحثه في جواز وقوع النسخ في القرآن الكريم، يعرض السيد الباحث آراء ثلة من العلماء والباحثين في هذا الموضوع وناقش كل هذه الآراء مناقشة هادفة. وفي معرض حديثه عن (حكمة النسخ وعلته واهميته) يقرر السيد الباحث أن التشريعات السماوية راعت حالة الانسان من حيث مكوناته النفسية والثقافية والاجتماعية المتغيرة من شخص وآخر فجاءت الشرائع السماوية بما يناسب ذلك.

وينتهي بحثه بمناقشة آراء من قالوا باهمية علم الناسخ والمنسوخ وصعوبته. وللحديث صلة من قابل ان شاء الله



# حقيقة النسخ في القرآن الكريم

أ.م.د. علي رحيم هاري الحلوي

جامعة كربلاء - العراق

مقدمة

سبحانه: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت: ٤٢]، ولا ادري كيف غاب عنهم قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر: ٩].

والغريب ان القائلين بالنسخ في اي القرآن الكريم، وسوره تعاملوا مع آي القرآن الكريم وكأنه من كلام البشر، يصح عليه الانساء، والحذف، والزيادة والنقصان، -اعوذ بالله مما يقولون- والذي نعلمه، ونؤمن به ان منزلة كلام الله من كلام البشر، كمنزلة الله -سبحانه- من عباده.

وكذا الامر في نقلهم النسيان والسهو عن النبي ﷺ، وكأنه أحدثهم، من حيث الصفات الخلقية والسلوكية، ومن حيث

من علوم القرآن الكريم الناسخ والمنسوخ، وقد عقد له العلماء مباحث بينوا فيها حقيقته، حتى اصبح من المسلمات بها عند كثير من المعنيين بعلوم القرآن وفقهه وتفسيره.

لقد وجدت الباحثين في علوم القرآن الكريم قد اسرفوا ايا اسراف في القول في النسخ في القرآن الكريم، ووجدت لزاما على الباحث المنصف ان يشرع قلمه بالحق والموضوعية، من اجل دفع هذه التهم عن كتاب احكمت آياته ايا احكام، فاني ياتيه ما تقولوه؟ قال تعالى: ﴿الرَّكَدْبُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [سورة هود: ١]

وقد نسي هؤلاء او تناسوا قوله

اختلاف المؤلفين في النسخ، وادخالهم ما ليس بنسخ فيه فقال: (ووجدت في كتب الناسخ والمنسوخ اشياء دخل فيها وهم، ونقلت على حالها، واشياء لا يلزم ذكرها في الناسخ والمنسوخ، واشياء لا يجوز فيها النسخ، فذكرت جميع ذلك من قولهم، وبينت الصواب من ذلك حسب مقدرتي، وما بلغني من العلم)<sup>(١)</sup>.

ونبه كثيرون على اختلاف العلماء في وقوع النسخ في القران الكريم، وكذا اختلافهم في انواعه، فقال الزركشي (ت ٧٩٤هـ): (وقيل لا يقع النسخ في قران يتلى، وينزل)<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر العلماء غرائب للنسخ، واحكام العلماء فيه، من ذلك ما نقله الزركشي في قوله: (ومن غريب هذا النوع اية اوها منسوخ واخرها ناسخ، قيل: ولا نظير لها في القران الكريم، وهو قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [سورة المائدة: ١٠٥].

(١) الايضاح لناسخ القران ومنسوخه/ ٤٦.

(٢) البرهان في علوم القران ٢/ ٢١.

التفكير، والحافظة والنسيان، ونسوا التسديد الالهي، ومرافقة الوحي اياه، فنقلوا الروايات الملفقة، وكانهم لم يقرؤوا قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٣) اِنَّ هُوَ اِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [سورة النجم: ٣-٤]. وهذا الذي نقلوه كلام باطل، وضال ومضل، كما سيأتي في البحث مفصلا- بعون الله-.

### تمهيد

ان الذي يمعن التأمل في النسخ في القران الكريم، ويدقق التفكير في وجوده قد يوافق القائلين به، وقد يزيد فيه، وقد لا يذهب مذهبه- على الرغم من كثرة الآخذين به في القران الكريم- وقد يخرج بامر مخالف تماما ما قال به الاخذون بوقوعه وهذا ما سنتبينه بعون الله في هذا البحث وساعرض- هنا- في التمهيد الاتي:

١. **الاختلاف في الناسخ والمنسوخ:** وهذا الاختلاف كبير جدا بين القائلين بالنسخ في القران الكريم، وهو وحده يكفي ليكون حجة عليهم بعدم صحة ما ذهبوا اليه.

ذكر مكّي بن ابي طالب (ت ٤٣٧هـ)



يعني الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا ناسخ لقوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ - ذكره ابن عربي في احكامه<sup>(٣)</sup>.  
ان القول في الناسخ والمنسوخ في القران الكريم لامر صعب، بل عسير ويتجلى ذلك واضحا من الخلاف بين العلماء فيه، فقد ذهب جمهور العلماء الى وقوعه في القران الكريم، بل وتجاوز قسم منهم على حقيقة حفظ القران الكريم من لدن العزيز الحكيم، فرعموا ان سورا قد انسيت، وأُخِرَ قد حذف جزء منها، و..و..وتوسط قوم في القول بوقوعه من عدمه، ومنعه اخرون ثم اختلف الذين زعموا بوقوعه في الايات المنسوخة، وناسخها من حيث تعيينها وتحديدتها وعددها فقد اوصلها بعضهم الى خمسمئة اية<sup>(٤)</sup>. واخرون عدوها مئتي اية. وجعلها بعضهم عشرين، وحصر بعضهم النسخ في اية واحدة.

وذكر السيوطي (ت ٩١١هـ) الاختلاف في الايات الناسخة والمنسوخة،

(٣) البرهان ٢ / ٢٤.

(٤) ينظر: علوم القران عند المفسرين ٢ / ٥٧٩. ومصدره.

فنظم ابياتا في ذلك فقال:

قد اكثر الناس في المنسوخ من عدد  
وادخلوا فيه آياً ليس تنحصر  
وهاك تحريرا اي لا مزيد لها  
عشرين حررها الخذاق والكُبرُ  
آي التوجه حيث المرء كان وان  
يوصي لا هليه عند الموت مُحْتَضِر  
وحرمة الاكل بعد النوم مع رفت  
وفدية لمطيق الصوم مشتهر وحق  
تقواه فيما صح في اثر وفي الحرام  
قتال للألئى كفروا والاعتداد  
بحول مع وصيتها وان يدان  
حديث النفس والفكر والحلف  
والحبس للزاني وترك اولى  
كفر شهادتهم والصبر والنفر  
ومنع عقد لزان او لزانة  
وما على المصطفى في العقد محتظر  
ودفع مهر لمن جاءت وآية نج  
واه كذلك قيام الليل مستطر  
وَزَيْدَ آيَةَ الاستئذان مَنْ ملكْت  
واية القسمة الفضلى لمن حضروا<sup>(٥)</sup>

(٥) الاتقان: ٢ / ٢٣ ط / البابي الحلبي ١٩٥١.

وينظر النسخ في الشريعة / ٧٢.



٢. التاليف في النسخ في القرآن الكريم:

وقد الف في ناسخ القرآن الكريم ومنسوخه كثيرون. قال الزركشي: (والعلم به عظيم الشأن، وقد صنف فيه كثيرون)<sup>(٦)</sup>.  
 واول مكان ولد القول بالنسخ فيه هو كتب التفسير، اذ لا نجد كتاب تفسير-  
 تقريبا- الا بحث النسخ موجزا، او مفصلا وهو يفسر قوله تعالى: ﴿نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا فَأْتِ بِيحْيِرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة البقرة: ١٠٦].

ونجد النسخ مبحثا مستقلا في كتب علوم القرآن. وافرد له اخرون تأليف مستقلة منهم: قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٧ هـ) وابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الاصم المسمعي «من اصحاب الامام الصادق (عليه السلام)» وجماعة من اصحاب الامام الرضا (عليه السلام)، منهم: دارم بن قبيصة واحمد بن محمد القمي، والحسن بن علي بن فضال، والمفسر علي بن ابراهيم القمي، ومحمد بن العباس (المعروف بابن الحجام). وابو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٣ هـ) وجعفر بن مبشر الثقفي (ت ٢٠٠ هـ) البرهان في علوم القرآن ٢ / ٢٠.

٢٣٥ هـ) واحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ).  
 وابو داود السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) وسعد بن ابراهيم الاشعري (ت ٣٠١ هـ) وابو عبد الله محمد بن حزم الاندلسي (ت ٣٢٠ هـ) وابن الانباري (ت ٣٢٨ هـ) واحمد بن جعفر البغدادي المعروف (ابن المنادي) (ت ٣٣٤ هـ). وابو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ)، ومحمد بن محمد النيسابوري (ت ٣٦٨ هـ) وابو سعيد الحسن السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) ومحمد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق (ت ٣٨١ هـ). وهبة الله بن سلامة الضرير (ت ٤١٠ هـ) والشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) ومكي بن ابي طالب (ت ٤٣٧ هـ) وعلي بن حزم الاندلسي (ت ٤٥٦ هـ)، ومحمد بن بركات السعيدي (ت ٥٢٠ هـ) وابن العربي (ت ٥٤٣ هـ) وابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) ويحيى بن عبد الله الواسطي (ت ٧٣٨ هـ) وعبد الرحمن بن محمد العتائقي (ت ٧٧٠ هـ) واحمد بن المتوج البحراني (ت ٨٣٦ هـ) واحمد بن اسماعيل الابشيطي (ت ٨٨٣ هـ) ومحمد بن عبد الله الاسفراييني (ت: القرن العاشر الهجري) وعطية الله بن عطية الاجهوري



(١١٩٠هـ) (٧). واستمر التأليف فيه حتى يومنا هذا.

### المبحث الاول

مفهوم النسخ، وجواز وقوعه في القرآن الكريم

#### القسم الاول: معنى النسخ:

النسخ في اللغة: ياتي النسخ في اللغة والقران الكريم على ثلاثة معان:

**الاول:** نقل ما مكتوب في صحيفة او

كتاب سواء اكان ذلك العمل (الكتابة)

باليد- على نحو ما كان يفعله الوراقون،

وطلبة العلم في العصور الماضية- ام بالة

التصوير، اي: بما يسمى- اليوم- اجهزة

الاستنساخ، فيكون المعنى تثبيت الكلام

المكتوب هناك نفسه في ورق او في كتاب

جديد مع بقاء المادة المنسوخ عنها في

موضعها، وهذا النوع لم يرد علماء علوم

القران، الا اذا قصد به نقل القرآن الكريم

من اللوح المحفوظ. وهو من معاني النسخ

اللغوية وليس الاصطلاحية اذ لا يوجد

(٧) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢ / ٢٠.

وينظر: الاتقان ٢ / ٢٠. والتمهيد في علوم

القران ٢ / ٢٦٤ وما بعدها.

نصان بالالفاظ نفسها وبالحكم التشريعي نفسه في القرآن الكريم.

#### الثاني: الغاء حكم في امر جرى العمل

فيه لحين، لاسباب قضت بتشريعه وكان في

علم الله تغييره ولما قضت الحكمة الالهية

بتركة بوضع حكم جديد مغاير لما جرى

العمل به فجاء امر الله بذلك التغيير وهو

على انواع- كما سيأتي-.

وهذا النوع هو الذي يريده القائلون

بالنسخ في القرآن الكريم اذ يشرع حكم في

قضية في حال وزمان ويقر بذلك ثم ينقض

ذلك الحكم بالاتيان بحكم جديد حكما

وعملا لا تلاوة فيكون هذا الالغاء للحكم

الجديد مع بقاء تلاوة النص الاول (المنسوخ)

ولكن بترك العمل به لما في الحكم الجديد من

ارادة التاييد في الحكم نحو: نسخت الشمس

الظل فهي قد ازالته وحلت محله.

وللعلماء القائلين بالنسخ مذاهب

مختلفة في تحديد المنسوخ وناسخه حتى قال

قسم منهم بان التخصيص بعد العموم او

العموم بعد التخصيص او الاستثناء او

التقييد وغيرها من النسخ هذا وهو عند

الكثيرين- ولا سيما من تعرض لعلوم



## • حقيقة النسخ في القرآن الكريم.....

وقال الراغب (ت ٥٠٢ هـ): تارة يفهم منه الازالة، وتارة يفهم منه الاثبات، وتارة يفهم منه الامران.. ونسخ الكتاب نقل صورته المجردة الى كتاب اخر، وذلك لا يقتضي ازالة الصورة الاولى، بل يقتضي اثبات مثلها في مادة اخرى، كاتخاذ نقش الخاتم في شموع كثيرة والاستنساخ التقدم بنسخ الشيء، والترشح للنسخ.. والقائلون بالتناسخ قوم ينكرون البعث على ما اثبتته الشريعة ويزعمون ان الارواح تنتقل الى الاجسام على التاييد) (٩).

وقال الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ): نسخت كتابي من كتاب فلان، وانتسخته واستنسخته بمعنى، ويكون الاستنساخ بمعنى الاستكتاب قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الجاثية: ٢٩].

وهذه نسخة عتيقة، وتقول: ما نسخته وانما مسخه ونسخت الآية بالاخري.

٤٢٤/٥. ومختار الصحاح/٦٢٦.  
ولسان العرب ٨/٥٣٢ - ٥٣٣.  
والمصباح المنير ٢/٦٠٢-٦٠٣. والمعجم الوجيز/٦١٢-٦١٣. والمعجم الوسيط ٢/٩١٦-٩١٧.

(٩) المفردات: ٤٩٠.

القران الكريم بموضوعية- ليس منه. وقسم العلماء هذا النوع على انواع، وحددوا ضوابطه وعينوا الايات المنسوخة وناسخها على اساسه وسياتي بحث ذلك بعون الله تعالى وتوفيقه.

**الثالث:** بمعنى الازالة من غير بديل يتلى ويقصد به ازالة شيء من دونها عوض نحو: نسخت الريح الاثار فلا الريح باقية ولا الاثار قائمة وهذا ما اريد به نسيان سور كاملة، او حذف قسم من اياتها وقد جعل منه حذف التلاوة- الآية او الايات- وبقاء الحكم ولا بد من الوقوف عند هذا النوع بموضوعية وعلمية لبيان صحة وقوعه من عدمه.

قال الخليل (ت ١٧٥ هـ): (النسخ والانتساخ: اكتتابك في كتاب عن معارضة والنسخ: ازالته كما كان يعمل به ثم تنسخه بحادث غيره كالأية تنزل في امر ثم يحذف فتنسخ باخرى، فالاولى منسوخة والثانية ناسخة وتناسخ الورثة: وهو موت ورثة بعد ورثة والميراث لم يقسم وكذلك تناسخ الازمنة والقرن بعد القرن) (٨).

(٨) العين ٤/٢٠١ وينظر: مقاييس اللغة



العدد السابع - حريف (٢٠١١ - ١٤٣٣ هـ)



٣٨



ومن المجاز: نسخت الشمس الظل، والشيب وتناسخت القرون وهذا مذهب التناسخية<sup>(١٠)</sup>.

١. النسخ في الاصطلاح: يكاد النسخ في العلوم القرآنية يختص نوعا بعينه عند جمهور العلماء وفقهائهم والباحثين في علوم القرآن، فهم يجدونه بانه ابطال حكم في اية قرآنية بحكم جاء في اية اخرى، وقالوا بتنوع ذلك- كما ياتي- وعلى هذا تكون دلالة النسخ مقصورة على الاحكام الشرعية الاسلامية، فتكون آية لاحقة ناسخة آية متقدمة وذلك برفع حكم شرعي متقدم بدليل شرعي أي: بوضع حكم شرعي جديد، فيكون المعنى اللغوي-الذي مر قبل- قد اصابه تطور دلالي بان قصره على الحكم التشريعي حسب واصبح- لدى سماعنا اياه- انصراف تفكيرنا اليه دون غيره.

٢. وقد حد العلماء مصطلح (النسخ) في القرآن الكريم فقيل هو الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم

(١٠) اساس البلاغة/ ٤٥٤. وينظر: المعجم الوسيط ٢/ ٩١٧.

على وجه لولاه لكان ثابتا مع تراخيه عنه. وذهب جمهور المفسرين والاصوليين والمعنيون بعلوم القرآن وغيرهم الى القول: (ان النسخ نقل حكم اية الى غيره، فيبدل الحكم ويغير بحكم في اية اخرى لاحقة فهو رفع حكم شرعي، ووضع حكم جديد موضع المرفوع وذلك بان يحول الحلال حراما والحرام حلالا، والمباح محظورا، والمحظور مباحا، ولا يكون ذلك الا في الامر، والنهي والحصر والاطلاق والمنع والاباحة فاما الاخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ<sup>(١١)</sup>.

ونقل السمرقندي (ت ٣٧٥هـ) عن ابي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) قوله: النسخ له ثلاثة مواضع ولكل منها شواهد ودلائل فاحدها: ما روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) انه قال في قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ

(١١) جامع البيان- الطبري ١/ ٥٢١. وينظر: الناسخ والمنسوخ- النحاس/ ٧. وتفسير القرآن الكريم (بحر العلوم) ١/ ٤٤٥- ٤٤٧ والكشاف ١/ ٧٩. ومجمع البيان ١/ ٣٥٦-٣٥٧ والمدخل على علوم القرن ٤٣-٤٤.



## • حقيقة النسخ في القرآن الكريم..... **النسخ**

ان يكون ماخوذاً من قول العرب: نسخت الشمس الظل، اذا ازالته وحلت محله وهذا المعنى هو لاكثر الجمهور في منسوخ القرآن وناسخه<sup>(١٤)</sup>.

وقال الطوسي (ت ٤٦٠ هـ): (النسخ، والبدل، والخلف نظائر، ونقل عن الرماني (ت ٣٨٤ هـ) قوله: النسخ الرفع لشيء قد كان يلزمه العمل به الى بدل وذلك كنسخ الشمس بالظل لانه يصير بدلا منها في مكانها وهذا ليس بصحيح لانه ينتقض بمن تلزمه الصلاة قائما ثم يعجز عن القيام فانه يسقط عنه القيام لعجزه ولا يسمى العجز ناسخا ولا القيام منسوخا وينتقض بمن يستتبع بحكم العقل عند من قال بالاباحة فاذا ورد الشرع يحضره لا يقال الشرع نسخ حكم العقل، ولا حكم العقل يوصف بانه منسوخ فان الاولى في القول في حده: هو ان حقيقة كل دليل شرعي دل على ان مثل الحكم الثابت بالنص الاول غير ثابت فيما بعد على وجه لولاه لكان ثابتا بالنص الاول مع تراخيه عنه<sup>(١٥)</sup>.

(١٤) الايضاح/٤٩.

(١٥) التبيان في تفسير القرآن ١/٣٩٣. وينظر:

**نُسِهَا** ﴿سورة البقرة: ١٠٦﴾. يعني نبدلها. ونوضحها. وما روي عن مجاهد انه قال: ثبت خطها ونبدل حكمها فهذا هو المعروف عند الناس. والنسخ الثاني: ان نرفع الآية المنسوخة بعد نزولها ولهذا دلائل جاءت فيه من ذلك: ماروي عن النبي ﷺ انه صلى ذات يوم صلاة الغداة فترك اية فلما فرغ من صلاته قال: هل فيكم أبي؟ قالوا: نعم، قال ﷺ لا ولكن نسيت. وجاءت الاثار في نحو هذا لان الآية قد تنسخ بعد نزولها وترفع<sup>(١٢)</sup>.

والنسخ الثالث: تحويله من كتاب الى كتاب وهو ما نسخ من ام الكتاب فانزل على محمد ﷺ قوله سبحانه: ﴿أَوْ نُسِهَا﴾ [سورة البقرة: ١٠٦]، أي تركها في اللوح المحفوظ<sup>(١٣)</sup>.

وقال مكّي: (الثاني من معاني النسخ: (١٢) هذا المذهب خطير والقول به يقود الى الاقرار بوقوع سقط من القرآن وهذا يخالف ما عليه الامة، وهذه روايات متقولة على النبي ﷺ منكرة، وهو ما لا يمكن قبوله وستقف عند هذه الرواية ونحللها بعد-بعون الله-.

(١٣) تفسير القرآن الكريم (بحر العلوم)

١/٤٤٦-٤٤٧.



وقال ابن عطية (ت ٥٤١هـ): (والنسخ عن ائمتنا: الحكم الثابت نفسه، لا مذهب اليه المعتزلة من انه مثل الحكم الثابت فيما يستقبل والذي قادهم الى ذلك مذهبهم في ان الاوامر مرادة وان الحسن صفة نفسية للحسن، ومراد الله تعالى حسن، وقد قامت الادلة على ان الاوامر لا ترتبط بالارادة وعلى ان الحسن والقبح في الاحكام انما هو من جهة الشرع لا بصفة نفسية.

والتخصيص من العموم يوهم انه نسخ وليس به لان المخصص لم يتناوله العموم قط ولو ثبت قطعا تناول العموم لشيء ما ثم اخرج ذلك الشيء عن العموم لكان نسخا لا تخصيصا وصور النسخ تختلف<sup>(١٦)</sup>.

وقال الرازي (ت ٦٠٦هـ): (اعلم ان التناسخ في اصطلاح العلماء عبارة عن طريق شرعي يدل على ان الحكم الذي كان ثابتا بطريق شرعي لا يوجد بعد ذلك مع تراخيه على وجه لولاه لكان ثابتا، فقولنا طريق شرعي نعني به القدر المشترك بين القول الصادر عن الله تعالى وعن رسوله والفعل

المقول عنهما، ويخرج عنه اجماع الامة على احد القولين، لان ذلك ليس بطريق شرعي على هذا التفسير ولا يلزم ان يكون الشرع ناسخا لحكم العقل لان العقل ليس طريقا شرعيا.. ولا يلزم تقييد الحكم بغاية او شرط او استثناء لان ذلك غير مترام ولا يلزم ما اذا امرنا الله بفعل واحد ثم نهانا عن مثله لانه لو لم يكن مثل هذا النهي ناسخا لم يكن مثل حكم الامر ثابتا<sup>(١٧)</sup>.

وقيل: (هو رفع امر ثابت في الشريعة المقدسة بارتفاع امده وزمانه سواء اكان ذلك الامر المرتفع من الاحكام التكليفية ام الوضعية وسواء اكان من المناصب الالهية ام من غيرها من الامور التي ترجع الى الله تعالى بما انه شارع وهذا الاخير كما في نسخ القران من حيث التلاوة فقط وانما قيدنا الرفع بالامر الثابت في الشريعة ليخرج به ارتفاع الحكم بسبب ارتفاع موضوعه خارجا كارتفاع وجوب الصوم بانتهاء شهر رمضان وارتفاع وجوب الصلاة بخروج وقتها وارتفاع مالكية شخص لماله بسبب موته فان هذا النوع

مجمع البيان ١/ ٣٥٦-٣٥٧.

(١٦) المحرر الوجيز ١/ ٤٣١.

(١٧) التفسير الكبير ٣/ ٢١٨.



## • حقيقة النسخ في القرآن الكريم..... النسخ

فاذا انقلب خلا فلا ريب في ارتفاع تلك الحرمة الفعلية التي ثبتت له في حال خمريته ولكن ارتفاع هذا الحكم ليس من النسخ في شيء ولا كلام لاحد في جواز ذلك، ولا في وقوعه وانما الكلام القسم الثاني، وهو رفع الحكم عن موضوعه في عالم التشريع والاشاء<sup>(١٨)</sup>.

ويمكن ان نتسع في البحث فنذكر ان مادة (النسخ) ثبت لها معنى التثبيت أي: نقل ما هو مكتوب في صحيفة او كتاب الى مثلها مع بقاء المنسوخ على حاله وهذا مما احدهه التقدم العلمي الذي صار من ضروريات الحياة الحضارية وهو ماشاع في حياتنا بمصطلح (الاستنساخ) باجهزة الاستنساخ وفي مكاتب الاستنساخ.

وقد استعمل التنزيل العزيز من مادة (النسخ) صيغتين، الاولى: الفعل المضارع، في ثلاثة مواضع، احدها: قوله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة: ١٠٦]

(١٨) البيان في تفسير القرآن / ٢٧٧ وينظر: علوم القرآن عند المفسرين ٢ / ٥٧٥.

من ارتفاع الاحكام لا يسمى نسخا ولا اشكال في امكانه ووقوعه ولا خلاف فيه من احد.. ان الحكم المجعول في الشريعة المقدسة له نحوان من الثبوت:

**احدهما:** ثبوت ذلك الحكم في عالم التشريع والانشاء والحكم في هذه المرحلة يكون مجعولا على نحو القضية الحقيقية ولا فرق في ثبوتها بين وجود الموضوع في الخارج وعدمه وانما يكون قوام الحكم بفرض وجود الموضوع فاذا قال الشارع: شرب الخمر حرام-مثلا- فليس معناه ان هنا خمرا في الخارج وان هذا الخمر محكوم بالحرمة بل معناه ان الخمر متى ما فرض وجوده في الخارج فهو محكوم بالحرمة في الشريعة سواء اكان في الخارج خمر بالفعل ام لم يكن ورفع هذا الحكم في هذه المرحلة الا بالنسخ.

**وثانيهما:** ثبوت ذلك الحكم في الخارج بمعنى ان الحكم يعود فعليا بسبب فعلية موضوعه خارجا، كما اذا تحقق وجود الخمر في الخارج فان الحرمة المجعولة في الشريعة للخمر تكون ثابتة له بالفعل، وهذه الحرمة تستمر باستمرار موضوعها



## القسم الثاني

### ماهية النسخ

ان التغيير والتطور من سنن الحياة ومن لوازم تطورها وهو مما يعطي الحياة بعدا اخر فضلا عن ديمومتها واستمرارها محببة في نفوس اهلها اذ بدون ذلك لا تلذ الحياة ولا سيما اذا غرقت في رتابة امسها. وانطلاقا من طبيعة الحياة هذه نجد ان القوانين يجب ان تتصف بالمرونة احيانا وبالتغيير اخرى، بما يناسب الحال: فكرا او روحا او سلوكا او مادة.

ولا نريد -هنا- بالتغيير اطلاق المصطلح على سعته لا على علاته، فثمة حقائق كونية ازلية ثابتة لا يستطيع البشر تغييرها نحو: طبيعة الانسان التكوينية الجسدية رجلا كان او امراة فالرجل رجل له سماته، والمرأة انثى لها سماتها كالحمل والوضع والرضاعة.. الى غير ذلك من الحقائق فلا القرد يكون غزالا ولا الغزال يتحول قردا ولا الماء حجرا ولا الحجر ماء...

ان الذي نريد الوقوف عنده تلك القوانين والنظم التي نحتاج إليها لديمومة

والمعنى -بحسب رأي العلماء-: ابطال حكم، بوضع اخر مكانه. وثانيها: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَعَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الحج: ٥٢] ويكون معنى فينسخ: الازالة والحذف، وعدم الابقاء.

وثالثها: قوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنْ كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الجاثية: ٢٩] ونستنسخ -هنا- بمعنى نكتب، ونثبت.

والصيغة الثانية: المصدر في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابُ وَفِي نُسْحَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [سورة الاعراف: ١٥٤]، فالمعنى: القطعة المكتوبة أي: التي ثبت فيها الكلام المخطوط.

ان القران الكريم قد استعمل من مادة (نسخ) في معانيها التي ذكرناها في بدء هذا البحث وهي لا تخرج عن دالتين: الازالة، والتثبيت فتكون الكلمة من الفاظ الاضداد على هذا.



١٠٦]: النسخ هو رفع الحكم، واما نساها فمعناه من النسيان، وهو رفع اللفظ جملة، واما نساها فهو من التأخير ومعناه ان يؤخر العمل بها الى مدة معلومة ويفعل الله من كل ذلك ما شاء لا معقب لحكمه.

واختلف الناس في النسخ علام يقع، اعلى الامر ام على المامور؟

والصحيح من ذلك ان النسخ انما يقع على الامر، ولا يجوز ان يقع على المامور به اصلا لان المامور به هو فعلنا، وفعلنا لا يخلو من احد وجهين: اما ان يكون قد وقع منا، واما ان يكون لم يقع منا بعد، فان كان قد وقع منا فقد فني، لان افعالنا اعراض فانية، ولا يجوز ان ينهى عما قد فني، اذ لا سبيل الى عودته إلينا ابدا. ولا ان يباح لنا ما قد فني ايضا، لان كل هذا محال وان كان لم يقع منا فيكيف ينسخ شيء لم يكن بعد؟ فصح ان المرفوع انما هو الامر المتقدم لا الفعل الذي لم تفعله بعد) (٢٠).

وذهب ابن عطية في النسخ- بعد ان ذكر معنى النسخ في كلام العرب- الى

(٢٠) الاحكام في اصول الاحكام ٢ / ٥٧٠ - ٥٧١.

الحياة صحيحة في علاقتنا بالله وعلاقتنا بالحياة الاخرية مثلما نحن بحاجة اليها في علاقتنا الدنيوية للفرد والجماعة في السلم وفي الحرب في البدو وفي المدينة في الصحة وفي المرض في الشدة وفي الرخاء... وهذا كله يفرض ان يكون التشريع مناسبا للانسان في احواله كلها ملائما ما يستجد له فيها، وما قد يحتاجه في ظروف اخر ولما كان النسخ حقيقة واقعة في الشرائع كافة ومنها الشريعة الاسلامية فقد انصرف العلماء اليه انصرافا اكد اهميته، وضرورته في معرفة الاحكام وضبطها وبيان حدود ذلك.

قال ابو محمد مكي: (وان من اكد ما عني اهل العلم والقران بفهمه وحفظه والنظر فيه من علوم القران وسارعوا الى البحث عن فهمه وعلمه، واصوله علم ناسخ القران ومنسوخه فهو علم لايسع كل من تعلق بادنى علم من علوم الديانة جهله) (١٩).

وقال ابن حزم (ت ٤٥٧ هـ) في معنى قوله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا

نَأْتٍ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [سورة البقرة:

(١٩) الايضاح / ٤٥-٤٦.



القول: (والناسخ حقيقة هو الله تعالى، ويسمى الخطاب الشرعي ناسخا، اذ به يقع النسخ.. والنسخ جائز على الله تعالى عقلا، لانه ليس يلزم عنه محال، ولا تغيير صفة من صفاته تعالى وليست الاوامر معلقة بالارادة فيلزم من النسخ ان الارادة تغيرت لا النسخ لظرو علم، بل الله تعالى يعلم الى اي وقت ينتهي امره، الحكم الاول، ويعلم نسخته بالثاني وصور النسخ تختلف فقد ينسخ الاثقل الى الاخف كنسخ الثبوت لعشرة بالثبوت لاثنين، وقد ينسخ الاخف الى الاثقل كنسخ يوم عاشوراء، والايام المعدودة برمضان، وقد ينسخ المثل بمثله ثقلا وخفة كالقبلة وقد ينسخ الشيء لا الى بدل، كصدقة النجوى، وكذلك حُذِّقَ الاثمة على ان السنة تنسخ بالقران وذلك موجود في القبلة فان الصلاة لم تكن قط في كتاب الله، وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ [سورة الممتحنة: ١٠]، فان رجوعهن -اي النساء- انها كان بصلح النبي ﷺ لقريش) (٢١).

عقلا وواقع فعلا في الشرائع كافة، السماوية، وكذا الوضعية والذي يهمننا -هنا- الشريعة الاسلامية ودستورها القران الكريم. وقال الزرقاني: (ان النسخ لا محذور فيه عقلا وكل ما كان كذلك جائز عقلا) (٢٢).

وقال كذلك: (ان النسخ لو لم يكن جائزا عقلا وواقعا سمعا لما ثبتت رسالة سيدنا محمد ﷺ الى الناس كافة. اذن فالشرائع السابقة ليست باقية بل هي منسوخة بهذه الشريعة الختامية واذن فالنسخ جائز وواقع اما ملازمة هذا الدليل فنبرهن عليها بان النسخ لو لم يكن جائزا وواقعا لكانت الشرائع الاولى باقية ولو كانت باقية ما ثبتت رسالته ﷺ الى الناس كافة) (٢٣).

وقال السيد الخوئي: (المعروف بين العقلاء من المسلمين وغيرهم جواز النسخ بالمعنى المتنازع فيه رفع الحكم عن موضوعه في عالم التشريع والانشاء. (وخالف في ذلك اليهود والنصارى، فادعوا استحالة

والنسخ -في المعنى التشريعي- جائز

(٢١) المحرر الوجيز / ١ - ٤٣٠ - ٤٣٣.

(٢٢) مناهل العرفان / ٢ - ٤٦٨.

(٢٣) مناهل العرفان / ٢ - ٤٧٠.



النسخ، واستندوا في ذلك الى شبهة هي او هن من بيوت العنكبوت) (٢٤).

وقال: (ولا خلاف بين المسلمين في وقوع النسخ فان كثيرا من احكام الشرائع السابقة قد نسخت باحكام الشريعة الاسلامية، وان جملة من احكام هذه الشريعة قد نسخت باحكام اخرى من هذه الشريعة نفسها، فقد صرح القران الكريم بنسخ حكم التوجه في الصلاة الى القبلة الاولى، وهذا مما لا ريب فيه وانما الكلام في ان يكون شيء من احكام القران مسنوخاً بالقران او بالسنة القطعية او بالاجماع او بالعقل) (٢٥).

لا نريد البعد عن جوهر البحث في النسخ ولا نريد اعادة ما قال من سبقنا الى بحث النسخ حيث ذهبوا بنا بعيدا في دلالة النسخ وقالوا بانواعه وحدوده بعيدا عن دلالة النص القراني وواقعيته حتى بلغ بهم الشطط ان يرووا ما ينافي ما جاء به القران الكريم نفسه! ونسوا انه محفوظ من لدن الله سبحانه وتعالى وهو باق مصانا من

التحريف والزيادة والنقص. ان ما زعمه بعضهم في جل ما ذهبوا اليه- بل كل ما ذهبوا اليه- في النسخ والمسنوخ قول لا تعضده حجة مقنعة ولا دليل ناهض بصحتها ولا برهان اخذ بصوابها بل هي افتراضات وراء قال بها قوم اعتباطا- في الاعم الاغلب-، وتبعهم اخرون مدلجين حيث ادلج من قبلهم، ممن لم يتبصر في معنى التعبير القراني المقصود، ولم يتدبره حق تدبره.

لقد اسرف بعضهم في القول بالنسخ ايماء اسراف، فذهبوا الى القول بان سورا قد نسيت، وبقي حكمها! ولنا ان نتصور - مجرد التصور - هذا الزعم، وما يجره على كتاب الله من افتراء، والعياذ بالله.

ويحسن ان نقل - هنا - ما ذهب اليه الطباطبائي في معنى النسخ وهو يفسر قوله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة: ١٠٦]، اذ يقول: (وكيف كان فالنسخ لا يوجب زوال نفس الآية من الوجود فالتعليل في الآية في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ



(٢٤) البيان في تفسير القران / ٢٧٩.

(٢٥) البيان في تفسير القران / ٢٨٤ - ٢٨٥.

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿- الآية- افاد ذلك ان المراد بالنسخ هو اذهاب اثر الآية من حيث انها اية، اعني اذهاب كون الشيء اية، وعلامة مع حفظ اصله، فبالنسخ يزول اثره من تكليف، او غيره مع بقاء اصله وهذا هو المستفاد من اقتران قوله: ﴿نُسِخَهَا ..﴾ بقوله: ﴿مَا نَنْسَخُ ..﴾ فيكون المعنى.. ما نذهب باية عن العين، او عين العلم نأت بخير منها او مثلها. ثم ان كون الشيء اية يختلف باختلاف الاشياء والحديثات، والجهات، فبعض من القران اية لله سبحانه، بعد عجز البشر عن الاتيان بمثله والاحكام والتكاليف الالهية ايات له تعالى، بحسب حصول التقوى والقرب بها منه تعالى، والموجودات العينية ايات له تعالى، بعد كشفها بوجودها عن وجود صانعها، وبخصوصيات وجودها عن خصوصيات صفاته، واسمائه سبحانه وانبياء الله واوليائه ايات له تعالى، بحسب دعوتهم اليه بالقول والفعل وهكذا. ولذلك كانت الآية تقبل الشدة والضعف، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ

ومن جهة اخرى الآية ربما كانت في انها اية ذات جهة واحدة، وربما كانت ذات جهات كثيرة ونسخها وازالتها كما يتصور بجهته الواحد كاهلاكها كذلك يتصور بعض جهاتها دون بعض اذا كانت ذات جهات كثيرة كآية من القران تنسخ من حيث حكمها الشرعي، وتبقى من حيث بلاغتها واعجازها ونحو ذلك) (٢٦)

فعلى ما تقدم يكون الطباطبائي قد توسع في دلالة النسخ، وجعل من دلالاته- المرادة هنا- كل المعجزات التي رافقت الانبياء والاولياء، بل ذهب مذهباً طيباً، اذ ذكر ان ذهاب نبي او ولي، وقيام اخر مقامه يمكن ان يعد ذلك اية، فاية التفاتة ذكية منه هذه (رحمه الله).

وقد استدل العلماء الاخذون بالنسخ -اول ما بنوا به مذهبهم عليه- بآية سورة البقرة، قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخُ ..﴾ -الآية- كونها حجة قرآنية ظاهرة ونسوا انها جملة شرطية فهي واخواتها اللاتي استشهد بهن القائلون بالنسخ في القران الكريم مبنيات على اسلوب الشرط.

(٢٦) الميزان ١ / ٢٥٢-٢٥٣.

آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿ [ سورة النجم: ١٨ ]





اخر الآية ناسخا اولها.. او انها محكمة الا جزءا منها، فهو منسوخ.. الى غير ذلك من الاقوال. وقد ذهب الجمهور الى وقوع النسخ في آيات التنزيل الحكيم وقد استدلووا على وقوعه بقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [سورة الرعد: ٣٩]. قال ابن عباس وغيره: يمحوا الله ما يشاء من احكام كتابه، فينسخه ببدل، او بغير بدل ويثبت ما يشاء، فلا يمحوه، ثم قال: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [سورة الرعد: ٣٩] قال ابن عباس: معناه: عنده ما ينسخ ويبدل من الاي والاحكام، وعنده ما لا ينسخ، ولا يبدل كل في ام الكتاب، وهو اللوح المحفوظ).

وقال كذلك: (فهذا يدل على جواز النسخ (٢٧) بنص القران الكريم، وقد استدلت جماعة على جوازه بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾

(٢٧) نلحظ في جملة مكي قوله (جواز النسخ بنص القران) بمعنى: انه ممكن الوقوع، ان اريد حصوله، لاذ قد لا يراد ذلك فلا يقع.

فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ [سورة الحج: ٥٢] فين ان الله ينسخ ما يلقي الشيطان في تلاوة النبي او الرسول (٢٨)

وهذا انها يدل على جواز النسخ فيما يزيد الشيطان في تلاوة النبي او الرسول من الباطل خاصة، وليس يدل على جواز النسخ فيما ينزله الله، ويامر به، فلا حجة فيه لمن استدل به على جواز نسخ ما هو من عند الله من الحق، وهذا من قوله

تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا نُنزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل: ١٠١]، فهذا نص ظاهر في جواز حكم اية، ووضع ايه موضعها. وهذا النسخ من قولهم: نسخت الشمس الظل

(٢٨) هذا بحسب راي القائلين بالنسخ في القران الكريم، لاذ جعلوا هذه الاية وغيرها - مما استدلووا بها على وقوع النسخ - انها احداث واقعة فعلا، ومذهبهم هذا لا يؤيده اسلوب هذه الايات، ولا تراكيها وغاب عنهم انها جمل شرطية يراد بها احتمال وقوع الحدث، لا وقوع حقيقة، فلا يبنى عليه ويسلم به كونه امرا واقعا بل ان ترجيح عدم الوقوع - عندي - اولي.



## • حقيقة النسخ في القرآن الكريم..... النسخ

وقال الرازي: (النسخ عندنا جائز

عقلا، واقع سمعا، خلافا لليهود، فان منهم من انكره عقلا، ومنهم من جوزه عقلا، لكنه منع منه سمعا، ويروى عن بعض المسلمين انكار النسخ. واحتج الجمهور من المسلمين على جواز النسخ، ووقوعه، لان الدلائل (٣٠) دلت على نبوة محمد ﷺ، ونبوته لا تصح الا مع القول بنسخ التوراة، فان الله تعالى قال لنوح ﷺ عند خروجه من الفلك: (اني جعلت كل دابة ماكلا لك ولذريتك، واطلقت ذلك لكم كنبات العشب، ما خلا الدم، فلا تاكلوه. ثم انه تعالى حرم على موسى ﷺ وعلى بني اسرائيل كثيرا من الحيوان.

الثاني: كان ادم ﷺ يزوج الاخت من الاخ (٣١) وقد حرمه بعد ذلك على موسى ﷺ (٣٢).

و اكثر القائلين بنسخ القرآن الكريم ومنسوخه يروون اقوالا وروايات عن

(٣٠) جعل هذا الاول، وسياتي الثاني.

(٣١) هذا حكم لا يؤيده الشارع المقدس، وياباه التشريع السعوي واحسبه من الاسرائيليات.

(٣٢) التفسير الكبير ٣/ ٢١٨.

اذا ازالته، وحلت محله.

ويدل على جواز القران ايضا قوله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ﴾ - الآية- فهذا نص ظاهر في جواز النسخ للقران بالقران.. ويدل على جواز النسخ ايضا قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ [سورة المائدة: ٤٨] فمعلوم ان شريعة كل رسول نسخت شريعة من كان قبله (٢٩).

المعروف ان شريعة النبي الاتي لا تنسخ كل ما جاء به النبي قبله، بل بعضا من احكامها، ومصداق هذا قوله تعالى على لسان عيسى ﷺ: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجَلِّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة ال عمران: ٥٠] فعيسى ﷺ جاء مصدقا ما جاءت به التوراة، وزاد بانه جاءهم باحكام جديدة،

فسيحل امورا كانت محرمة عليهم. وكذا جاء القران الكريم مصدقا ما في التوراة

والانجيل، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾

[سورة النساء: ٤٧].

(٢٩) الايضاح / ٦٠-٦٣.



العدد السابع - حرفت (٢٠١١ - ١٤٣٣ هـ)



٥٠  
النسخ

قسم من الصحابة، فقد نقلوا عن الامام علي عليه السلام هما:

**الاول:** عن ابي عبد الرحمن السلمي ان عليا عليه السلام مر على قاض، فقال: هل تعرف الناس من المنسوخ؟ قال: لا. قال: هلكت، واهلكت.

**الثاني:** ان عليا عليه السلام دخل المسجد فاذا رجل يخوف الناس، فقال عليه السلام ما هذا؟ قالوا: رجل يذكر الناس، فقال: ليس برجل يذكر الناس، ولكنه يقول: انا فلان بن فلان، فاعرفوني، فارسل اليه، فقال: اتعرف الناس من المنسوخ؟ قال: لا. قال عليه السلام فاخرج من مسجدنا ولا تُذكر فيه (٣٣).

والذي يستوقف الباحث-هنا-ان القول بمعرفة الناس والمنسوخ المنسوب- على فرض صحة الرواية- الى الامام علي عليه السلام لا يوجب ما ذهبوا اليه من معنى

(٣٣) الناسخ والمنسوخ- النحاس/ ٩. وينظر الناسخ والمنسوخ- ابن سلامة/ ٦٤. والناسخ والمنسوخ- ابن حزم/ ٥. والاتقان ٢/ ٢٠٠. والتمهيد ٢/ ٢٦٥-٢٦٦. ومناهل العرفان ٢/ ٤٥٩. وعلوم القرآن عند المفسرين ٢/ ٥٧١.

النسخ، ولا تقسيماته، وان آيات قرآنية قد نسخت- اي نوع كان النسخ الذي قالوا به-. والذي يدفعنا الى هذا الفهم هو ان القائلين بالنسخ سمحوا لانفسهم إعمام انواع النسخ على آيات القرآن الكريم مستندين- فيها استندوا اليه- الى ما رووه عن الامام علي عليه السلام، وهذا- ان صح- يحمل على وجوه هي غيرها التي ذهب اليها القائلون بالنسخ.

ان ما نقل عن الامام علي عليه السلام بفهم منه الاتي:

**الاول:** على من يتعرض لاي علم من علوم القرآن، او تفسيره عليه الاطلاع على الديانات سبقت الاسلام واحكامها، ليستطيع بيان نسخ القرآن لما جاءت به تلك الديانات.

**ثانيا:** ان ما رواه الشريف المرتضى عنه عليه السلام انه قصد بالاحكام تلك التي تدرج الاسلام في فرضها، وتقديمها للمسلمين لقبولها، ولترسيخها في نفوسهم، فقد راعى الله سبحانه عبادته، فلم ياخذهم باحكام لم يكونوا قد اعتادوها او لم تبلغ درجة القبول من نفوسهم او ربما ما



## • حقيقة النسخ في القرآن الكريم..... النسخ

سيما ما جاء به القرآن الكريم من تشريع. فلماذا هذا السكوت من لدن النبي ﷺ؟ على فرض وجود النسخ في أي التنزيل العزيز! ومثلما دمج الرواة الخبر الذي مر منسوباً إلى الإمام علي عليه السلام، كذلك نقلوا مثله عن قسم من الصحابة من ذلك ما نقلوا عن ابن عباس انه (فسر الحكمة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة البقرة: ٢٦٩] بمعرفة ناسخ القرآن ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه).

و روي في معنى الحديث المروي عن الإمام علي عليه السلام مثله كذلك عن ابن عباس أيضاً، وعن عائشة وعن أبي بكر، وعن عمر، وابنه عبد الله. وعن حذيفة بن اليمان قوله: لا يقصن على الناس الا ثلاثة: أمير، أو مأمور، أو رجل عرف الناس بالمنسوخ، والرابع متكلف احمق. و مثل ذلك رؤي عن أبي، وعن ابي موسى الاشعري، وعن غيرهم من الصحابة روايات (٣٤) لا تصمد امام (٣٤) ينظر في هذه الروايات: كتب التفسير،

كانوا يطبقونها اول مرة لاسباب كثيرة، منها نفسية واجتماعية واقتصادية وثقافية وغيرها... لان قسماً من تلك الاحكام قد تعرضت لامور قد استحكمت من نفوس الناس، واصبح تركها ورفضها قد يخالف العرف، بل قد يعد مثلبة عندهم، بعد ان كان الاتصاف بها يعد مفخرة.

وثالثاً: ان ما روي عن الامام عليه السلام هو من اخبار الاحاد فكيف يجوز الاخذ به؟ ورابعاً: لو دققنا تاريخ الخبرين لوجدنا احتمالين في زمن روايتهما:

١. ان ذلك مروي عنه في المدينة، اي قبل خلافته عليه السلام.

٢. او انه خبر وقع في زمن خلافته عليه السلام إذا ذهب الى وقوعه في الكوفة. وهذان الاحتمالان يبينان كذب الرواية، وردها..

وخامساً: لم يرو عن النبي ﷺ خبر في النسخ، او اية اشارة الى النسخ باي نوع كان منه؟ مما قسمه عليه القائلون به، والنبي ﷺ مصدر التشريع عن الله سبحانه، وما جاء في القرآن الكريم، والمعنى الاول به، وهو الذي كان المسلمون يسألونه في كل صغيرة وكبيرة عن شؤون دينهم، ولا



والثقافية والاجتماعية، وغيرها فجاءت الشرائع السماوية بما يناسب ذلك.

لقد نزل القرآن منجما فهو لم ينزل مرة واحدة بل خلال ثلاث وعشرين سنة وفي النزول المفرق هذا حكمة تربوية علمية وعملية عظيمة لان غاية الاسلام بناء انسان قادر على اداء الاحكام الشرعية بقناعة وتمكّن من التطبيق بما يناسب الواقع وكانت ثمة حكمة بالغة وفهمها وان تتمكن من نفسه، ويقدر هو على تطبيقها. وبذلك يكتمل الهدف، وتبلغ الغاية في اعداد نفوس مؤمنة قوية، اخذة باحكام التشريع في تقديم الاحكام الاسلامية تدريجيا، لا دفعة واحدة، وذلك مراعاة للطبيعة البشرية المتغيرة.

قال الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ):  
فما سالوه<sup>(٣٥)</sup> عن الناسخ والمنسوخ، فقال (صلوات الله عليه): (ان الله تبارك وتعالى بعث رسوله ﷺ بالرأفة والرحمة، فكان من رأفته ورحمته انه لم ينقل قومه في اول نبوته عن عاداتهم، حتى استحکم (٣٥) ضمير (الهاء) في (سالوه) يعود الى الامام علي عليه السلام.

البحث العلمي الموضوعي، اذ لاحجة تعضدها، ولا برهان يؤيدها، ولا عقل يصدقها.

### المبحث الثاني

حكمة النسخ، وعلته، واهميته، ومن غرائبه

### القسم الاول

حكمة النسخ في القرآن الكريم، وعلته: ان الانسان محكوم بعدم الكمال، لان الكمال لله وحده، اما النقص فيسمة لبني البشر، وهي حقيقة لا خلاف فيها، ولا سيما الجوانب الفكرية المرتبطة بالعقل والسلوك لذا تجد التغيير مستمرا في القوانين التي تنظم حياته، لتتناسب وضعه الفكري والنفسي والاجتماعي والاقتصادي، وعلى وفق هذا راعت التشريعات السماوية حالة الانسان، من حيث مكوناته النفسية،

وكتب الناسخ والمنسوخ كافة، مثل: الناسخ والمنسوخ - النحاس/ ٩ - ١٠. والناسخ والمنسوخ - ابن سلامة/ ٦٤. والاحكام في اصول الاحكام ٤/ ٥٦٧. والناسخ والمنسوخ - ابن حزم/ ٦. والبرهان في علوم القرآن ٢/ ٥٧١. وعن القرآن/ ١٩٨، والتمهيد في علوم القرآن ٢/ ٢٧٥، وما بعدها، وغيرها.



من الرسل بدليل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعهَا﴾ [سورة الجاثية: ١٨] وذلك منه تعالى تعبد واختبار وابتلاء للطائع والعاصي.. فالملل والشرائع كلها متفقة في انها عبادة لله وطاعة له وهي مختلفة في الهيئة والعدد والرتبة وكذلك الناسخ والمنسوخ كلها عبادة الله وطاعة له وفرض منه علينا وفعله كله طاعة لله على ما رتبه وامر به في ازمانه واوقاته وان كان مختلفا في الهيئة والصفة.. ولجل ما ارد الله من النسخ للرفق بعباده والصلاح لهم انزل القرآن شيئا بعد شيء ولم ينزله جملة واحدة لانه لو نزل جملة واحدة لم يجوز ان يكون فيه ناسخ ولا منسوخ، اذ غير جائز ان يقول في وقت واحد افعلوا كذا ولا تفعلوا كذا لذلك الشيء بعينه. فانزله تعالى ذكره شيئا بعد شيء ل يتم مراده في تعبد خلقه بها يشاء الى وقت ثم ينقلهم عن ذلك التعبد الى غيره في وقت آخره، او يزيل عنهم التعبد بها امرهم بغير عوض تخفيفا عليهم لما في ذلك من الصلاح لهم، مع انه كان انزاله القرآن غير جملة اخف في التعبد، فلو نزل الفرض كله جملة واحدة لصعب العمل به

الاسلام في قلوبهم، وحلت الشريعة في صدورهم فكان من شريعتهم في الجاهلية ان المرأة اذا زنت حبست في بيت وقيم باودها حتى ياتيها الموت، واذا زنى الرجل نفوه عن مجالسهم وشتموه واذوه وعيروه، ولم يكونوا يعرفون غير هذا (٣٦).

وقال مكِّي: (فهو - تعالى - قد علم ما يامر به خلقه ويتعبد لهم به وما ينهاهم عنه قبل كل شيء وعلم ما يقرهم عليه من اوامره ونواهيها وما ينقلهم عنه الى ما اراد من عبادته وعلم وقت ما يامرهم وينهاهم ووقت ينقلهم عن ذلك قبل امره لهم ونهيه بلا امد وذلك منه تعالى لما فيه من الصلاح لعباده فهو يامرهم بامر في وقت لما فيه من صلاحهم في ذلك الوقت وقد علم انه يزيلهم عن ذلك في وقت اخر لما علم فيه من صلاحهم في ذلك.. وان الله - جل ذكره - قدر في غيبه الاول بلا امد تغيير الشرائع وتبديل الملل على السنة الانبياء المرسلين - صلى الله عليهم - واختلاف احكامها كما اراد فاتي كل رسول قومه بشرع شرع الله له مخالف لشرع من كان قبله

(٣٦) الايات الناسخة / ٥٢.



ولسبق الحوادث التي من اجلها نزل كثير من القران، فغير جائز ان ينزل قران في حادثة يجبر عنها بالحدوث، ويحكم، وهي لم تقع (٣٧).

ونقل عن وجدي في (صفوة العرفان):  
(هذا الدين الاسلامي يراعي الانسان في حالة ضعفه وقوته وجهله وعلمه، وحربه وسلمه، وغناه وفقره، وكماله ونقصه الى اخر ما يتتابه من الاحوال البشرية المتناقضة التي تتغير بتغير الازمنة والامكنة والامزجة، فهو الدين الطبيعي الذي تقتضيه الطبيعة البشرية، او هو بلسان الشرع: الدين الفطري الذي ينطبق على مطلوب الفطرة ولما كان كل شيء يتغير في الانسان وتتتابه الزيادة والنقصان جعل الله دينه الاخير صالحا لان يتتبع الانسان في جميع ادواره لا اهوائه.. وقد اقتضت حكمة الخالق جل وعز ان يراعي في تربية الامة من جميع الوجوه فقررها او لا احكاما على قدر حاجاتها، ثم نسخها باحكام اخرى اليق بحالها التي تحولت

اليها. وهو خالق تلك الاحوال، ومسلطها على الانسان.  
والنسخ سنة من سنن العالم الطبيعي، ظاهرة في الجمادات والنباتات والحيوانات وفي الانسان نفسه. فترى النواميس الطبيعية تقتضي ان يكون الهواء مثلا ساكنا في هذه الساعة ثم يحدث ما يغيره، فتتسخ هذه الحال رياح تحدثها، وامطار ترسلها، وصواعق تسلطها ومما لا مشاحة فيه ان الانسان اشد جميع الكائنات تغيرا وتحولا .. افلا تكون من حكمة الخالق جل شأنه ان يعدل له الاحكام على حسب قابليته في كل حال من احواله؟ (٣٨).

ويقول د. غانم قدوري: (وكان من تلك الحكمة ان الله جعل تطبيق بعض الاحكام متدرجا، ولا سيما تلك التي اخذت شكل عادات شعورية في المجتمع، فكان استئصال بعض مظاهر الانحراف الاخلاقي والاجتماعي قد تم في مرحلتين او ثلاث، والقران الكريم يوجه المسلمين -خلال ذلك- وينقلهم الى

(٣٧) الايضاح لناسخ القران ومنسوخه ٥٥ -

(٣٨) علوم القران عند المفسرين ٥٨٨ / ٢ -



كل علم تقريبا، لانهم يرون العلم الذي  
اختصوا به لا يوازيه علم اخر.

وكذا الامر عند الذين بحثوا في علوم  
القران ولا سيما علم الناسخ والمنسوخ فقد  
بينوا اهمية هذا العلم وعدوه علما لازما  
للباحث في أي علم من علوم القران بل له  
تفسيره وضبط احكامه.

وذكر ابن سلامه اهمية علم الناسخ  
والمنسوخ وضرورة الامام به لمن رغب  
في معرفة أي علم من علوم القران، فقال:  
(فاول ما ينبغي لمن احب ان يتعلم شيئا من

علم هذا الكتاب الابتداء في علم الناسخ  
والمنسوخ، اتباعا لما جاء من ائمة السلف،  
لان كل من تكلم في شيء من علم هذا  
الكتاب العزيز ولم يعلم الناسخ والمنسوخ  
كان كتابه ناقصا) (٤٠) وقال مكّي بن ابي

طالب: (و ان من أكد ما عني اهل العلم  
والقران بفهمه، وحفظه والنظر فيه من  
علوم القران وسارعوا الى البحث عن  
فهمه وعلم اصوله، علم ناسخ القران  
ومنسوخه فهو علم لا يسع كل من تعلق

الحكم الاخير في القضية.

والنسخ من الامور التي يَسَّر الله بها  
على المؤمنين- وقت تنزيل القران- تطبيق  
الاحكام.. فالتعديل الجزئي على وفق  
مقتضيات الاحوال- في عصر الرسالة-  
هو لصالح البشرية، ولتحقيق خير اكبر  
تقتضيه اطوار حياتها والله تعالى خالق  
الناس ومرسل الرسل ومنزل الايات، هو  
الذي يقدر هذا وهو الذي يختار الانسب  
لعبادته، وهو الذي يعلم ما يصلح لهم في  
كل موقف) (٣٩).

لقد راعى التنزيل العزيز ما اعتاد  
عليه العباد فقد يكون موقفهم سلبا من  
ذلك التغير، او الحكم الجديد، اما السبيل  
الرباني- الذي قضى بانزال القران الى  
الارض على دفعات- فقد جعل النفوس  
تاخذ ما جاءها من احكام برضى وتسليم  
واستيعاب في الفهم والتطبيق.

### القسم الثاني

اهمية علم الناسخ والمنسوخ وصعوبته:  
كثيرا ما يفاضل علماء علم ما علمهم  
على غيره وهذه المفاضلة تصدر عن علماء



بادنى علم من علوم الديانة جهله<sup>(٤١)</sup>.  
وقال الزركشي: (و قال الائمة: ولا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله الا بعد ان يعرف منه الناسخ والمنسوخ .. والعلم به عظيم الشأن وقد صنف فيه جماعة كثيرون)<sup>(٤٢)</sup>.

وقال الزرقاني: (انه طويل الذيل كثير التفاريع متشعب المسالك انه تناول مسائل دقيقة كانت ماثرا لخلاف الباحثين من الاصوليين الامر الذي يدعو الى اليقظة والتدقيق والى حسن الاختيار مع الانصاف والتوفيق.. وان الامام بالناسخ والمنسوخ يكشف النقاب عن سير التشريع الاسلامي، ويطلع الانسان على حكمة الله في تربيته للخلق، وسياسته للبشر وابتلائه للناس مما يدل دلالة واضحة على ان نفس محمد النبي الامي ﷺ لا يمكن ان تكون المصدر لمثل هذا القرآن ولا المنبع لمثل هذا التشريع انما هو ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت: ٤٢]، وان معرفة الناسخ والمنسوخ ركن عظيم في فهم

الاسلام وفي الاهتداء الى صحيح الاحكام خصوصا اذا ما وُجِدَتْ ادلة متعارضة لا يندفع التناقض بينها الا بمعرفة سابقها من لاحقها، وناسخها من منسوخها ولذا كان سلفنا الصالح يعنون بهذه الناحية يحذقونها ويلفتون انظار الناس اليها ويحملونهم عليها)<sup>(٤٣)</sup>.

وقال د. غانم قدوري: (ومعرفة الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم من الامور التي نص العلماء على ضرورة توافرها عند كل من يريد تفسير القرآن الكريم او البحث في احكامه وقالوا لا يجوز لاحد ان يفسر كتاب الله الا بعد ان يعرف منه الناسخ والمنسوخ وقد رويت في ذلك اخبار عن عدد من الصحابة)<sup>(٤٤)</sup> واختلف القائلون بالنسخ في نوع النسخ ومعناه واختلفوا في تعيين الآية الناسخة لاية، او لبعض الايات فقد قال بعضهم بان ناسخ هذه الآية اية كذا، وعَيَّنَّ غيرهم اية ناسخة غيرها، كما سيأتي بيان ذلك في البحث - انشاء الله -.

(٤٣) مناهل العرفان / ٢ / ٤٥٩.

(٤٤) محاضرات في علوم القرآن / ٢٢٨.

(٤١) الايضاح / ٤٥ - ٤٦.

(٤٢) البرهان / ٢ / ٢٠ - ٢١.



### القسم الثالث

من غرائب النسخ، عرضها، وتحليلها،  
والقول فيها:

لقد اطلق الرواة خيالهم على سعته،  
وراحوا يتخيلون صوراً وحكايات من  
وحي اوهامهم ما انزل الله بها من سلطان  
فنسبوا لهذا الصحابي او ذاك ما لم ينسب  
به بنت شفة، فحكوا عن ابي بكر، وعن  
ابنته السيدة عائشة، وعن عمر وابنه عبد  
الله وعن ابن عباس وغيرهم من الصحابة  
ما لم يصدق الا في ظنونهم وتوسعت دائرة  
الرواية عندما تتابعت الروايات في الاخذ  
والتدوين ومن دونها تمحيص.

اقول: ان لفظ (النسخ) قد ورد في  
القران الكريم لكنه لم يرد موضوعاً بهذا  
الاصطلاح زمن رسول الله ﷺ ولم يكن  
على وفق ما قَعَّده القائلون به ويؤكد  
هذا ان موضوعه من الموضوعات التي  
ذكرت او احدثت بعد زمن بعيد من حياة  
الرسول ﷺ وهذا مما يضعف الاخذ به.

يقول محمد صبيح: (ووضعت قواعد  
للنسخ- هي من غير شك- مجرد اجتهاد  
من الباحثين في علوم القران اذ انه لم يرد

في القران او الحديث الثابت ذكره قواعد  
صريحة لهذه المسألة الهامة) (٤٥).

ومن الاراء الغريبة ما ذكره  
السمرقندي في النوع الثاني من انواع  
النسخ قوله: (ان نرفع الآية المنسوخة بعد  
نزولها ولهذا دلائل جاءت فيه من ذلك ما  
روي عن النبي ﷺ انه صلى ذات يوم صلاة  
الغداة فترك اية لما فرغ من صلاته قال: هل  
فيكم ابي، قالوا: نعم، قال ﷺ: هل تركت  
من اية؟ قالوا: نعم، تركت اية كذا، انسخ  
ام نسيت؟ قال: لا، ولكن نسيت وجاءت  
الاثار في نحو هذا لان الآية قد تنسخ بعد  
نزولها وترفع) (٤٦).

ما ذهب اليه السمرقندي وما نقله-  
هنا- لا يستقيم عقلاً لوجوه كثيرة منها:  
ان نسيان الرسول ﷺ لاية ما لا يمكن  
قبوله اذ كيف يستقيم وهو المصدر الذي  
يبلغ الناس بما ياتي به الوحي؟ وهو الحافظ  
دائماً اجزاء القران كافة بل انه يعلم موضع  
الآية النازلة من السورة لكي تكتب في

(٤٥) عن القران.

(٤٦) تفسير القران الكريم (بحر العلوم)

٤٤٦ / ١ - ٤٤٧.



موضعها المخصص.

قد يسأل سائل فيقول: لقد وردت آيات تنسب النبي ﷺ إلى البشرية وأنه يمارس حياته مثل المسلمين فلم لا يكون نسبة النسيان إليه ممكناً؟

الجواب: نعم هو نبي انسي بشري يؤدي شؤونه الحياتية مثل غيره لكنه مسدد القول والفعل أي: أن حياته كلها مسددة بالوحي الالهي وهذا ما تؤيده نصوص القرآن الكريم ولا ضير من ملازمة الوحي رسول الله ﷺ ولا ضير من كونه بشراً وموضوع بشرية الانبياء ستكون لنا وقفة عنده في موضع آخر - بعون الله وتوفيقه -.

ورب سائل يقول: اذا كان النبي ﷺ معصوماً مسدداً فمن اين جاءت هذه الروايات الضالة؟ وكيف نقلت؟ ولم؟

والجواب: ان بني امية - اعني حكامهم - ما فتئوا يشوهون الاسلام، وينقصون بني هاشم بدءاً بجسد الرسول ﷺ وابيه وعمه ابي طالب وابنائهم وغيرهم ولا سيما (قضية انهم ماتوا كفاراً) ولا فرق عندهم بينهم وبين عمه ابي لهب! كل ذلك لاجل الانتقاص من رسول الله ﷺ

غريب في هذا التفسير للنسخ ان النبي ﷺ يبحث عن ابي كي يتبين الآية التي نسيها فاي مسلم عاقل يقر بهذا وكيف يعقل ان صحابياً يكون مصدراً للنبي ﷺ في ضبط أي القرآن الكريم؟ اين ذهب الوحي عن رسول الله ﷺ الذي كان ملازماً له ﷺ وكان ياتيه بأمر الله وتسديده في الاحوال كافة فلو افترضنا وقوع هذا - جدلاً - من لدن النبي الاكرم ﷺ لاسرع الوحي اليه ليوقفه على موطن النسيان واني لارد بقوة هذا الخبر - وامثاله - الذي لا يقره عاقل.

ان هذا المذهب يجعل الرسول ﷺ انساناً اعتيادياً مثل المسلمين اذ يقع له النسيان والسهو والغلط والخطا والغريب انه سهو في اهم ما عند المسلمين (كتاب الله القرآن) ! وهذا الفهم يسمح للمسلمين توجيهه وتنبهه - استغفر الله واعوذ به مما يفترون - بل يمعن اصحاب هذا بانه ﷺ يستوضح احد اصحابه (ابي) في امر اية ليوقفه على مانسيه منها فاي راي ضال مضل هذا؟!!



## حقيقة النسخ في القرآن الكريم..... **التصحيح**

العربية الناصعة التي اثرت عن فصحاء العرب فكيف يصمد امام العارف باللغة واساليبها العالية؟ وكيف يخفى ضعفه على من عرف لغة التنزيل العزيز؟ وادرك سموها في الجوانب البلاغية والجمالية العالية كافة من اختيار الالفاظ الى حسن التراكيب والدقة في تحري عن الصيغ المناسبة للمعنى والمعبرة عنه بادق تعبير واوجزه واجمله كل ذلك كي يكون وعاء معجزا لحمل المعاني وتقديم الافكار ثم اننا نقر ان منزلة كلام الله من منزلة كلام البشر مثل منزلة الله من منزلة البشر وهذا الذي استشهد به الطبرسي لا يرقى الى كلام الله نعم هو كلام فيه حكمة ومعنى وانه جار مجرى الحكم واقرب ما يمكن قبوله في هذه الروايات انها بعض من كلام أثر عن سيد المرسلين ﷺ فالتبس على اخذيه فحكوا ذلك- من غير تمنع ودراية- انه قران ثم ان من نقل عنهم لم يكونوا من الصحابة الذين عليهم بصحة القران من عدمه ولم يؤثر عنهم ما تؤيده الروايات من اهل البيت عليهم السلام ولا الصحابة الثقات ولا جاء بطرق كثيرة.

- اعوذ بالله- ويواصلوا ذلك بأهل بيته الاطهار عليهم السلام ومنهجهم ومن سار عليه وقد هيا لهم منصب الخلافة ان يشتروا اصحاب النفوس الضعيفة لينشروا هذا الفكر المسيء الضال المضل وكان دافعهم سياسيا قلبيا دنيويا ومنحرفا وكان وعاظ السلاطين الى جنبهم فكان الكذب على الله سبحانه وعلى رسوله ﷺ هينا لديهم والا كيف ارتضت امة ان تسمع مع اذان للصلاة يوميا شتم الامام علي عليه السلام فترضى؟!

وذهب الطبرسي الى نوع في النسخ قريب مما ذهب اليه السمرقندي فقال: وقد جاءت اخبار كثيرة بان اشياء كانت في القران فنسخ تلاوتها فمنها ما روي عن ابي موسى انهم كانوا يقرؤون: لو ان لابن ادم واديين. وعن انس ان السبعين من الانصار الذين قتلوا ببئر معونة قرانا فيهم كتبا: بلغوا عنا قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ثم ان ذلك رفع (٤٧).

هذا كلام لا يرقى الى الاساليب  
(٤٧) مجمع البيان ١/ ٣٥٧. وينظر: عن القران/ ٢٠١.



ومن الغريب ما ذهب اليه ابن عطية قوله: (وحداق الائمة على ان القران ينسخ بالسنة وذلك موجود في قوله ﷺ: (لا وصية لوارث) واسقاط الجلد في حد الزنا عن الثيب الذي يرجم فانه لا مسقط لذلك الا السنة وفعل النبي ﷺ .

وقال كذلك: والحذاق على تجويز نسخ القران بخبر الواحد (٤٨) عقلا واختلفوا هل وقع شرعا؟ فذهب ابو المعالي وغيره الى وقوعه في نازلة مسجد قباء في التحول الى القبلة وابي ذلك قوم) (٤٩).

ويعني بالسنة الناسخة للقران الخبر المتواتر القطعي وقد اشار الى ان هذا الحديث متواتر ذكره عند تفسير قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ

(٤٨) جاء في تفسير المحرر الوجيز الهامش رقم (٢) ج ١ ص ٤٣٣ الاتي: المحققون على ان خبر الواحد لا ينسخ القران، ولا الخبر المتواتر لانه رفع للمقطوع به بالمظنون وانما قبلوا تخصيص المتواتر بالاحاد ولم يقبلوا نسخه به لان الاول بيان وجمع بخلاف النسخ فانه رفع وابطال.

(٤٩) المحرر الوجيز ١ / ٤٣٣ .

بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿ [سورة البقرة: ١٨٠].

ان القول: ان السنة ناسخة للقران- كما مر- مذهب خطير حقا وهو مذهب لا يمكن قبوله عقلا ولا شرعا.

مما نقله الزركشي قوله: (و يجوز

نسخ الناسخ، فيصير الناسخ منسوخا، وذلك كقوله تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَرَبِّي

دِينٌ ﴾ [سورة الكافرون: ٦٠]، نسخها

بقوله تعالى: ﴿ فَأَقْبَلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ

وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ [سورة التوبة: ٥] ثم نسخ

هذه ايضا بقوله جلت حكمته: ﴿ حَتَّىٰ

يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾

[سورة التوبة: ٢٩]، وكذا منه قوله تعالى:

﴿ فَأَعْفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ﴾

[سورة البقرة: ١٠٩] فنسخها قوله تعالى:

﴿ فَأَقْبَلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾

[سورة التوبة: ٥] ثم نسخها قوله عز

وجل: ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ

صَاغِرُونَ ﴾ [سورة التوبة: ٢٩] (٥٠).

ان ما ذهب اليه الزركشي كانه

لاصطناع الابداع او الاغراب في القول..

(٥٠) البرهان ٢ / ٣١ .



## • حقيقة النسخ في القرآن الكريم..... النسخ

[سورة التوبة: ٢٩] فالآية تتحدث عن اهل الكتاب في احوال مختلفة تماما عن المشركين وهؤلاء غير اولئك فلا خيط من النسخ رابط بين الايات البتة. وكذا القول في اية سورة البقرة ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ وآيتي سورة التوبة المار ذكرهما فلا يمكن عدما ناسختين لامر العفو والصفح اذ لا يعقل ان يطلب ابدال العفو والصفح بالقتل ولا باخذ الجزية اليس التعامل بالحسنى هو القائد الى الالفه والعلاقة الحميمة قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٥] وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [سورة فصلت: ٣٤] هذا صريح القران ينطق بالحق المبين الذي لا غموض فيه.

فهذه احكام لها مناسباتها ومن التعسف بحال ان نتمحل نسخ احداها للاخرى فذلك حمل لمعنى النص الكريم

والا كيف يستقيم هذا الراي في كلام الله المحكم ايما احكام؟ فهو قول بعيد عن السياق الذي ضم الايات المباركات وفيه نظر كثير وكبير فالقول في الآية الاولى ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ فيه اظهار تمسك الطرف الثاني بما آمن به - حقا ام باطلا- مثلما الطرف الاول تمسك به وهذا لا يدعو وحده للقتل اذا لم يقترن بامر اخر فقد يحمل من باب الاختلاف في الراي وعلى الباحث ان يدقق في مناسبة السورة واياتها المكررة للتوكيد فالسورة ليست حكما شرعيا قدر ما هي تبين موقفا فكريا واعلانا صريحا لذلك التفكير الذي جاء معبرا عما في النفس.

اما ايتا سورة التوبة ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ - الآية - تظهر حكما في فئة من الناس الذين يجب محاربتهم بل توجب قتلهم ولكن أي من المشركين؟ ان الآية في سياق حديث عمن لم يف بالعهد ومن وفي به فلا يصح اخذ الآية مجتزاة ونطلق الحكم بالنسخ والحق انها لا تريد نسخ حكم ابدا وكذا الامر في الآية ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾



على غير ما وضع له

ومن هذه الروايات الغريبة ما نقل عن ابن عمر انه قال: ( ليقولن احدكم قد اخذت القران كله وما يدريه ما كله؟ قد ذهب منه قران كثير ولكن ليقول: قد اخذ منه ماظهر) (٥١).

نتبين من هذا القول المنسوب الى ابن عمر الاتي:

لم يكن ابن عمر ممن كانوا بَعْمُرٍ يسمح له بمثل هذا القول لعدم مواكبته اول ما نزل من القران حتى يحكم بمثل هذا الحكم فما سمعه من القران وحفظه كان متاخرا فاني له ان يتكلم بمثل هذا القول؟ لم تبين الرواية مقدار الذي ذهب من القران؟ ولم؟ ولا موضوعات الذاهب منه ولم تؤيد المرويات عن الصحابة الثقات ما ذهب اليه ابن عمر.

ان ما دبح من نسخ اية او سورة يهون امام هذه المقولة المروية عن ابن عمر لانه- هنا- يقرر ضياع كلام قراني كثير وهذه تهمة كبرى لا تستحق الاطالة في تحليلها اذ لو وقف عندها الباحث

(٥١) عن القران/ ١٩٨.

الموضوعي الجاد الباحث الغيور على دينه وكتابه العزيز لما توانى في ردها ايما رد لضعفها بل قل لكذبها.

والغريب كذلك ما روي عن السيدة عائشة قولها: (كانت سورة الاحزاب تقرا في زمن النبي ﷺ مئتي اية فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر منها الا ما هو الان) (٥٢).

وزاد الرواة الرواية هذه بزعمهم عن ابي بن كعب: (ان سورة الاحزاب تعدل (٥٣) سورة القرة وانا كنا لنقرا فيها اية الرجم) (٥٤).

ورب سائل يسأل: لم يكتب كثير من الصحابة مصاحف خاصة بهم؟ فلم لم تظهر فيها هذه السورة المزعومة نيسانها؟ او الايات التي نسخت منها؟ وقد جمع القران المكتوب زمن الرسول ﷺ، وزمن الخليفة الاول ابي بكر ولم يظهر ادنى خلاف لا في سوره ولا في اياته ولما قرر

(٥٢) عن القران/ ١٩٨.

(٥٣) قصد بـ (تعدل) تساويها في الحجم اي: بعدد الايات.

(٥٤) عن القران/ ١٩٨.



## • حقيقة النسخ في القرآن الكريم..... المصباح

الكريم ولكن الذي يظهر من كلامه غير ذلك، لان واقع المسلمين في عهد الرسالة لا يؤيده، ذلك ان المسلمين لم يعودوا كما كانوا قبل الاسلام فقد، فتح الدين الجديد تفكيرهم وعندما ياتي الوحي باسقاط آية او سورة سيندفعون الى السؤال بل الى الريبة ولا سيما من لم يدخل الايمان قلبه بعد مثلما كانوا يستفهمون عن كثير من شؤون دينهم ودنياهم فكيف يمر هذا النسخ من غير تساؤل بل سيكون باعثا للتساؤل لانه في موضوع خطير الا وهو التشريع.

واذا ما عرفنا حقيقة المسلمين الفكرية نتيقن انهم يستفهمون عن أي تغيير في مسيرة الدين الجديد، ولا سيما في أي القرآن الكريم وسوره ونرد على من يذهب الى وجود النسخ في القرآن الكريم وانه كان امرا معروفا لدى الصحابة فنزعم انه غير موجود - كما زعموا - على وفق حدودهم وتقسيماهم فاذا لم يقع خلاف فذلك يقوي راي مانعي النسخ اذ لو وقع النسخ لقام الخلاف فيه بين الصحابة اما القول بعدم حصوله فيعني ان الخلاف لا مسوغ له.

ومن الروايات البيهة الوهن: (وروى

عثمان كتابة القران الكريم في مصاحف عدة وارسالها الى الامصار امر بكتابة القران المكتوب والمحفوظ - زمن ابي بكر - في عدد من النسخ بعث بها الى الامصار فلم يبد الصحابة اعتراضا على سور القران ولا في اياته فلم ظهرت هذه الروايات متاخرة؟ انه لامر يدعو الى الريبة وان اقل ما يقال فيها: انها عمل قصد به زرع الشك في ان القران هذا ليس كاملا بل ان فيه نقصا وفي هذه الروايات من السموم ما فيها!

ومن غرائب الراء في النسخ ما ذهب اليه محمد صبيح في قوله: (ان اسباب رفع الايات والسور واسقاطها من صحائف المصحف كان امرا معروفا لدى الصحابة وواضحا في اذهانهم اتم الوضوح على انهم عندما اختلفوا في جمع المصحف لم يُرَو عنهم الا ايسر الاختلاف ولو ان امر هذا النسخ كان من المشكلات التي جابهتهم في حياة الرسول ﷺ اذن لتردد صداها في كتب الحديث او كتب السيرة) (٥٥).

ما ذهب اليه محمد صبيح اراده دليلا على وجود الناسخ والمنسوخ في القرآن

(٥٥) عن القران / ١٩٩.



عطاء بن يسار عن ابي واقد الليثي قال: كان رسول الله ﷺ اذا اوحى اليه اتيناه فعلمنا مما اوحى اليه فجئت ذات يوم فقال ﷺ: ان الله يقول انا انزلنا المال لاقام الصلاة وابتاء الزكاة ولو ان لابن ادم واديا لاحب ان يكون اليه الثاني ولو كان اليه الثاني لاحب ان يكون اليه وفي رواية: واديا من ذهب وفي رواية: جبلا من ذهب لاحب ان يكون اليه الثالث ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب (٥٦).

الذي يتبين في هذه الرواية ما ياتي: لم خص رسول الله ﷺ ابا واقد دون غيره بهذا الخبر؟ وهذا كلام لا يوافق منهج النبي ﷺ في ابلاغ المسلمين بما ياتيه به الوحي وتحفيظهم اياه.

الرواية بلفظ الجمع (اتيناه) ولكنها- هنا- مروية عنه حسب ولم ترد عن غيره وعلى هذا فهي من اخبار الاحاد التي لا يؤخذ بها.

لا نعلم من هو ابو واقد هذا؟ ولا درجة صحبته لرسول الله ﷺ ولا زمن اسلامه ولا درجة ايمانه.. الخ مما يدفعنا الى

(٥٦) ونلاحظ ضعف هذا الاسلوب فاين هو من أسلوب التنزيل الحكيم.

رد هذه الرواية.

ويصل محمد صبيح الى حكم في روايات سقوط السور والايات مخالف ما قال به قبل فيقول: (ما شان هذه الايات التي يقال انها كانت قرانا ثم لم تصبح قرانا؟ والتي اذا دققنا النظر في بعضها فلا نجد حكما من الاحكام يبدل بغيره لسبب من الاسباب) (٥٧).

ان راى محمد صبيح هذا يؤيده ما نذهب اليه من ان هذه الروايات لا تمتلك البرهان على صحتها بل هي تقولات باطلة يرفضها العقل الاسلامي المحصن بالموضوعية.

والراجع عندي- يقينا- ان هذه روايات اختلقها الرواة وليس لها من الواقع شيء من الصحة لكن الغريب ان قسما من المؤلفين تناقلوها من دونها ادنى تمحيص.

**للبحث صلة ان شاء الله**



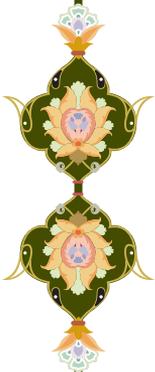
## ملخص البحث

دخل السيد الباحث من باب تقرير ان الاصلاح هو الفعل الدافع - شرعاً - للانسان في نفسه ونفوس الاخرين. وان لكل حركة منظمة عنصرين رئيسين هما: التغير والثبات. ثم يبسط الحديث عن الاصلاح من الثابت الى المتحرك ويقرر ان مهمة المصلح تنحصر في اعادة الامور الى نصابها وبما يتماشى وذلك (الصالح) الذي حدد القرآن اركانه وعناصره.

وفي حديثه عن جهتي الاصلاح يقرر السيد الباحث ان للاصلاح جهتين، اولاهما: جهة المصلح الاول وهذه هي جهة الثابت او الاول والعريق وهي جهة لا يجوز عليها التغير. وثانيتهما: جهة المصلح البشري، وهذه هي جهة المتغير والتالي والجزئي.

وعن وهم الاصلاح الذي ينتاب المنافقين، يستعين السيد الباحث بالقرآن الكريم الذي بيّن هذا الوهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ فاستنتج منها عدة نتائج هي مظاهر هذا الوهم الذي ساور المنافقين بالاصلاح .

ويستمر البحث في هذا الصدد حتى يصل الى بيان شروط المصلح ويخلص الى ان القرآن المجيد وحده هو الذي يمكن ان يقدم للبشرية اليوم التصور المنهجي البديل.



# مفهوم الإصلاح مدخل معرفي - أخلاقي (رؤية قرآنية)

أ.د. عباس أمير

جامعة القادسية - العراق

مدخل

عربيا. فالقرآن هو المعيار الحقيقي والمبين الشفاف عن حركة الأشياء وهي تنتظم على وفق نظامها الكوني أو وهي تخالف نواميس ذلك النظام. وإلا فإن أية مرآة غير مرآة القران، ومهما حرصت على الشفوف والمعيارية، عاجزة عن عكس تلك الحركية عكساً مطابقاً لما يجب أن تكون عليه الحركة التي هي علامة ودليل على مدى تعالق وانسجام حركية الكون الخارجي (الأرض والسماء وما يتعلق بهما) مع حركية الكون الداخلي (القلب والعقل وما يتعلق بهما من حواس).

نعم سيحصل عكس للحركة، ولكن (العكس) الذي هو غير عكس القرآن، عكس مصغر أو مكبر مرة،

الإصلاح هو الفعل النافع - شرعا - للإنسان في نفسه و نفوس الآخرين، ثم في الأشياء من حوله، في مقابل الفعل غير المشروع، فهو، أي فعل الإصلاح، محاولة الإنسان الحريص على نفع نفسه وغيره، إعادة الأمور إلى نصابها، والأشياء إلى الانتظام على وفق نظامها الكوني المستجيب لحركية الزمان والمكان. أما تحقيق تلك الإعادة فكفيل - فضلا عن المنفعة - باستخلاص رؤية صائبة وموفقة لعلاقة الأشياء بما خلفها، ثم بعلة وجودها.

ويقيناً أن المرآة التي تنعكس فيها الرؤية الصائبة لاستخلاص حقيقة الأشياء وما خلفها، هي مرآة القرآن بوصفه النص المؤسس لمعرفة الحقيقة

تجسيد المجرد وتفعيله حياتياً أو مجتمعياً، هي تجريد المجسّد خاصة حينما يصير ذلك المجسّد ماضياً، أي حينما تقضي الكينونة الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو الدينية أو الفنية بتغييره، لأن حركة جديدة للمكان والزمان والكائن قد دفعت به إلى حيث صار ماضياً. فمهمة المصلح إذن تجريد ذلك الفعل الإصلاحي، بعد كل مرة من مرات التجسيد، أي بعد كل مرة من مرات التحقق الواقعي لفعل الإصلاح على يد عالم أو قائد أو زعيم... الخ، وذلك لكي يتحول ذلك المجسد من حيث هو تجربة الشعب الفلاني، أو الأمة الفلانية، أو الشريحة كذا، أو المجتمع كيت.... إلى ارث معرفي لا بد من الاستناد إليه والارتكاز على جاهزيته بغية خلق جاهزيات جديدة منسجمة مع ما تتطلبه الحركة الكونية للإنسان والأشياء في هذا العالم الثابت المتحرك في الوقت نفسه.

الصالح القرآني إذن، هو الصالح الكوني الذي يرتفع على ضرورات التغيير. فصلاحه صلاح قيمي مجرد، لا يعني الإصلاح الأرضي البشري تحوراً منه أو

ومشوه مرة أخرى. إذ لو كان أمر (العكس) غير القرآني معيارياً، لأدرك الإنسان - أي إنسان - الحقيقة المعرفية التي تحقق لفعله في الأشياء انسجاماً مع الفعل الكوني للأشياء فيه. وكذلك لو كان ذلك (العكس) معيارياً لما تعددت النظريات والأيدولوجيات والشعارات والقراءات الكونية البشرية وهي مما يبطل ويخطئ بعضها بعضاً على اختلاف العصور والأمكنة. مرآة القرآن إذن، تبيان للصالح السماوي، الصالح الأصل الذي لا بدّ من الترتب عليه والتفرع منه والانبثاق من أرضيته. فالصالح السماوي الأصل هو الكلي والمجرد القابل للتجسيد والتمثل في كل زمان ومكان. أما المجسّد والتمثل لذلك الصالح الأصل الذي هو فطرة الله وصنعتة المتقنة، فهو الإنسان، أي هو (المصلح) الذي يفيد من ذلك المجرد الثابت والكوني، فيعمل على تجسيده التجسيد الذي ينسجم مع حركية الداخل والخارج في الأشياء جميعاً، كائناً ومكاناً وزماناً وفي مقابل التجسيد هناك التجريد. فمهمة المصلح، فضلاً عن،



اعتاقا وإنما هو، أي الإصلاح الأرضي، «إعادة صلة بالقيم بشكل فعال، وتحرر من العادات والتقاليد السلبية التي تعيق الحركة المجتمعية الرشيدة»<sup>(١)</sup> فالعودة إلى القديم، شرط سماويته، هي قمة التجديد وغاية المعاصرة والتجديد شرط الوعي بالمتغيرات الجديدة في الكون والحياة، الوعي الذي يؤمن بحاجة المجتمعات الإنسانية إلى حركة تجديدية دائمة تنبثق من عمق الحياة الإنسانية الزاخرة بمتطلباتها الحياتية الإجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية... وهاهنا يصير التجديد، أو الإصلاح ضروريا.

لا شك أن لكل حركة منظمة عنصرين رئيسين، هما التغير والثبات، أما الثاني منهما فهو محور الحركة<sup>(٢)</sup> وبموجب هذه الحقيقة نرى أن حركة الإصلاح كما

(١) التجديد الاجتماعي، تأملات في التأهيل المجتمعي، محمد العليوات، سلسلة منتدى الكلمة (٢)، دار الصفاة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م: ص١٩.

(٢) الإسلام ومتطلبات العصر، مرتضى المطهري، تعريف علي هاشم، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م: ص١٦.

يدعو إليها القرآن الكريم على أنها حركة منظمة، ذات عنصرين رئيسين: الثابت والمتحرك، أما الثابت فهو المفروغ من صدقه وموضوعيته ومناسبته لكل زمان ومكان. وهذا هو الذي رآه الدين -مثلا بالقرآن- صالحا فوصفه بالصالح، وصفا ثبوتيا، من مثل قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾

[سورة العنكبوت: ٩]. ولا يقضي هذا الثبوت بالتناقض وعدم الانسجام بين الديني والديني، أو بين الكوني القرآني والأرضي البشري، وكذلك لا يترتب على الاعتبار بذلك الثبوت ومراعاته، الابتعاد عن التجديد أو الإصلاح الأرضي أو البشري، فذلك يعني العيش خارج ضرورات الزمان والمكان من حيث هما متحركان متغيران... وعلى الطرف الآخر فإن الانسجام مع حركية الزمان والمكان لا يعني مجافاة الثابت ومخالفته... فالثابت هو المضمون الشامل والمجرد والغني الذي يتهاوى أمامه أي امتياز فكري تجديدي. وإن كان ثمة امتياز حقا فليس ذلك الامتياز بحاصل حقيقة إلا إذا انبثق عن



ذلك الأصل، فإذا انبثق الامتياز الفكري الإصلاحى من ذلك الثابت وصدر عنه بوصفه منهلا، اعتدَّ به واستنهل من منهله. فليس ثمة غاية للامتياز الإصلاحى إلا إبراز كونية الأصل وكفاءته وسعته وشموليته المكانية والزمانية، وهو يبين كل شيء، بما في ذلك حركة الإصلاح بوصفها ركنا رئيسا من أركان ديمومة البشرية في المكان والزمان.

حركة الإصلاح إذن وهي تستند إلى ثابتها القرآني، والمنبثقة من أرضيته هي الشكل الخارجى المتأخر عن المضمون والمتكون به. ومهمة المصلح هي تعليق المعنى أو المضمون أو الكلي العميق بالكائن الخاضع لحركة الزمان. وما ذاك إلا لأن الذى يقدر على إبلائه الزمان لا يتجاوز الشكلى والمادى جمادا أو نباتا أو حيوانا أو إنسانا. أما الحقيقة الكونية الأصلية والعميقة فثابتة وتمنعة على الزوال. (٣)

### الإصلاح من الثابت إلى المتحرك

جاء في التنزيل العزيز قوله تعالى ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ

(٣) نفسه: ص ١٥.

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمَسِيءُ ﴿٥٨﴾ [سورة غافر: ٥٨]. ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

وبتين الآية الكريمة يتضح لنا، مما نحن بصدد، أن الأساس الذى يبنى عليه القرآن الكريم منهاجه فى إصلاح الحياة الفردية والمجتمعية الإنسانية، هو أساس الوعى والمعرفة. على أن طريقي المعرفة القرآنيين هما طريق خارجى، وآخر داخلى. وبموجب هذه الحقيقة ننظر إلى الإصلاح من حيث هو ظاهرة قرآنية على أنه مستند إلى مدخله المعرفى (الايستمولوجى). أى انه مستند من حيث هو مظهر فردي أو مجتمعي إنساني إلى تحقق مفهوم العلم كما ينظر القرآن إلى العلم على وفق ما جاء فى الآية المباركة السابقة، وهي تقرن بين العلم الحسى والإيمان القلبي، مما يعنى أن تحقيق الإصلاح بوصفه مخرجا أو ممارسة ذات شُعب مختلفة، علمية واجتماعية وسياسية واقتصادية... الخ، لابد أن يسبقه تحقق إصلاح المدخل من حيث هو منهاج وشرعة، أى من حيث هو رؤية خاصة وظاهرة تاريخية مشروطة بظروفها، ثم من حيث هو سمة علم وعمل لابد للمصلح



من ترسمها والتعلم بعلمها وعلاماتها. فهو أي المدخل المنهجي، متبوع لا تابع وثابت لا متحرك، وكوني لا محدود أو مقيد. فإذا التزم المصلح بشرائط المنهج، حق له أن يقوم بالإصلاح، ووجب على الآخرين بعد التحقق من شرائط المنهج، أتباعه.

إن مهمة المصلح إعادة الأمور إلى نصابها وبما يتماشى مع ذلك (الصالح) الذي حدد القرآن أركانه وعناصره، حاجة ماسة وضرورة قائمة لكل ما هو مادي أو هالك، وإلا فإن الثابت غني مستغن، ومتميز التميز الموضوعي الذي ليس به حاجة إلى البرهنة على تميزه. فالذي به حاجة حقيقية هو المصلح نفسه ثم الآخرون ممن يتوجه إليهم بإصلاحه: رعيته، شعبه أو طلابه أو جنوده أو أسرته... الخ. ولأن حاجات الإنسان متجددة بتجدد المكان والزمان، فالإصلاح إذن حاجة مستمرة، أو كائنة. وكيونتها تقضي بدوام عودها إلى الأصل الكوني، أي عودها إلى الثابت القرآني. فالإصلاح البشري استحداث دائم لذلك الحدث الكوني، حدث الخلق.

ولان الذي يبلى ويتغير في المخلوقات

هو ماديتها أو تركيبها الشيئية لا روحها وسر وجودها، فالاستحداث الإصلاحية إذن، استحداث في المادي والشيئي، أو فيما يتعلق بهما. أي ما يتعلق بالحياة العامة من وسائل وأدوات وآليات عمل وتعايش، ومعاملات، وعادات... الخ. وعلى هذا،

"فان المتبوع مكلف، من منظار القران الكريم بان يقوم بالقيادة على أساس المعرفة والتحقيق، والتابع مكلف أيضاً أن يكون محققاً في تبعيته"<sup>(٤)</sup>، وهكذا، ولأن الإصلاح في جوهره دعوة لإعادة إحلال الحق محل الباطل، والإحسان محل الإساءة، والعلم محل الجهل، من خلال التمييز المعرفي بين الحق والباطل، وبما يتماشى مع حركية الزمان والمكان، مايز القرآن الكريم بين الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات والمسيء.

فإذا قرأنا الآية المباركة قراءة أخرى، خلصنا إلى أن القران يربط بين جانبي المعرفة؛ الجانب الروحي والجانب المادي،

(٤) نظرية المعرفة في القران، آية الله جوادى آملي، ترجمة دار الإسراء للتحقيق والنشر، دار الصفوة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م: ص ٨٧.



والأزمنة، خلصنا إلى أن تتميم الإيمان بعمل صالح، يعني أن للإصلاح معالم وركائز ثابتة لا تقبل التبدل والتغيير بتغير الأزمنة والأمكنة، وان قبلت الملاءمة و المساجمة مع ما هو شئني أو دنيوي، باعتبار أن الإصلاح مستلزم ما هو قابل للركود والفناء والهلاك والفساد...

ثابت الإيمان إذن، مقارن ثابت الإصلاح. والذي للإيمان من الثبوت مقابل الذي للإصلاح من الثبوت. فإذا كان الإيمان بشكل عام؛ «عبارة عن ارتباط يتحقق بين النفس و أمر ما»<sup>(٦)</sup> حقا أو باطلا، فإن الإصلاح كذلك، ارتباط يتحقق بين النفس و أمرٍ ما حقا أو باطلا.

أن يصير الإيمان طريقا داخليا إلى المعرفة، يعني أن ثمة فرقا كائنا بين (الصالح) و (الإصلاح). وعلينا أن نميز بينهما. فالإصلاح عود بالأشياء إلى فطرتها الأولى، أي إلى صلاحها الكوني. أما الصلاح فهو الثابت الداخلي الكائن في الأشياء جميعا، والذي على المصلح تمثله حينما يعمد إلى ممارسة فعل الإصلاح (٦) نظرية المعرفة في القرآن: ص ٢١٩.

وبناء عليه، فإنه يربط بين الإيمان ممثلا بـ (الذين آمنوا)، والعمل ممثلا بـ (وعملوا الصالحات). وإن مما لنا تبينه من خلال ذلك الربط، هو ما يسميه البلاغيون العرب القدامى (التتميم) أو (التكميل)، ويعنون به؛ إيفاء المعنى حظه من الجودة ونصيبه من الصحة، ثم لا يغادر المتكلم معنى يكون فيه تمام المعنى الأول وإيفاؤه حظه من الجودة والصحة والحسن إلا أورده.<sup>(٥)</sup> ولقد تحقق لآية (الذين آمنوا) تتميمها بعطف (وعملوا الصالحات) عليها. فآية (وعملوا الصالحات) تتميم في غاية البلاغة، التي بذكرها تم الكلام وجرى على الصحة والوفاء. فإذا بحثنا عن مظهر آخر لهذا التقارن البليغ، وجدنا قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾

[سورة النحل: ٩٧]. فإذا تذكرنا أن الدين قد حدد معالم الإيمان وركائزه الثابتة التي لا تقبل التبدل والتغيير بتغير الأمكنة (٥) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، الجزء الثاني، د. احمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ م: ص ٢٨-٢٩.



الخارجي... وها هنا وكما يميز القرآن بين الإيمان والإسلام، ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾  
 إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَأَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَنَّهْدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿﴾  
 [سورة الحجرات: ١٤-١٥]. علينا أن نميز بين نوعين من الإصلاح في ضوء مرتكزات الإيمان الصادق في الآية الثانية من آيات الحجرات السابقة. فالإصلاح نوعان إصلاح دنيوي، يبدأ وينتهي بالدنيا وأسبابها، وهذا إصلاح خارجي. وإصلاح دنيوي يبدأ في الدنيا ولكن من دون توقف عندها، فالدنيوي المادي الظاهري الكائن وراء فعل الإصلاح ليس هو الغاية، وإنما هو الوسيلة المنبثقة من الغاية والمنظمة مظاهرها جميعاً على وفق نظام تلك الغاية. فالإصلاح هنا محاولة الانتفاع الدائم والتسخير المستمر لأسباب الدنيا وزينتها بغية تحقيق بلاغة السعي إلى الآخرة. وبناء على ذلك تصير

أسباب الدنيا مرتبطة بالمكان والزمان، وما هو زينة في مكان قد لا يكون كذلك في مكان آخر وزمان مختلف. وبالمحصلة فإن ما يصلح للانتفاع اليوم قد لا يصلح غداً. ولكن الذي تحرص عليه الفلسفات الغربية، هو التجديد أو الإصلاح بما يتماشى مع الإيمان بان الحياة الدنيا هي كل شيء. وهذا ما يجعل من ذلك الإصلاح معنياً بمغريات الدنيا وزينتها غير معني بها وراء تلك الزينة والحكمة من وجودها، وسواء كان الإصلاح ذا وجهة دينية أو ذا وجهة دنيوية فإن الصراع الكائن بين فكرتي الإصلاح هنا، مرده إلى الإيمان وقوته أو صدقه وبغض النظر عن صوابه أو خطئه، حقه أو باطله، وكلما كان الإيمان أقوى وأصدق، ركز فعل الإصلاح ركائزه في أرضية المجتمع الذي يحتفي به، ونجح في تأسيس فعله الحضاري الخاص به، أما إذا رافق فعل الإصلاح أو سبقه الارتباب ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ (الآية)، وعدم بذل الوسع والطاقة، ثم عدم توضيح الغاية من وراء الفعل، وإذا وضحت فعدم الإخلاص لها أو عدم المجاهدة في السعي



وتقوى. والذي ينتظم المؤمنين جميعا هو الانطلاق في القول والعمل من شرعة ومنهاج الواحد الأحد، على مَرَّ الأزمنة واختلاف الأمكنة. وبالمقابل لا بد أن يكون المصلح واحدا، وأول المصلحين هو الرسول ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة هود: ٨٨]. وها هنا يصير فعل الإصلاح فعلا فرديا سواء على مستوى الرسول أم على مستوى الولي الذي يلي الرسول في إرادة الإصلاح شرط التوكل على الله والإنابة إليه. «وبالطبع لو كان الشخص الذي يستند إلى كلامه معصوما، وكان الكلام الذي يُسمع منه يقينا وقطعيا من حيث السند وجهة الصدور والدلالة، لأمكن- في هذه الحالة- أن يُجعل كلامه الحد الأوسط للبرهان في العلوم العقلية، لأن كلام المعصوم سيكون برهانيا، بعد إقامة البرهان على عصمته وتكون له قيمة علمية ويقينية»<sup>(٨)</sup>.

ولأننا لسنا معصومين، لا بد من الانطلاق في الإصلاح من كلام المعصوم (٨) نظرية المعرفة في القرآن: ص ١٤٢.

إليها، إذا كان كل ذلك حاصلًا، فشل فعل الإصلاح البشري سواء كان أخروياً أم دنيوياً. وفي ضوء هذا ننظر إلى الإصلاح المنبثق من منهاج وشرعة القران، على أنه «لا يكون عبارة عن التماس الوسائل لمسألة الجاهلية، ولا هو عبارة عن إعمال خلط جديد من الإسلام والجاهلية»<sup>(٧)</sup>، وإنما هو دوماً عود بالأشياء إلى خلوصها، وما خلوصها إلا حينما ينبثق فعلها من صلب التوحيد.

إن عودة سريعة إلى ذلك التقارن الكائن بين الإيمان والصلاح، ثم إلى أسس الإيمان ومرتكزه الرئيس، ألا وهو الإيمان بالله وحده لا شريك له، تخلص بنا إلى أمرين؛ أولهما المؤاخاة بين الوحي والعقل شرط الإيمان بأولية الوحي وأصالته وإحاطته ومعصوميته. وثانيهما الانطلاق من الواحد إلى المتعدد في قراءة فعل الإصلاح، فالله سبحانه واحد أحد، والمؤمنون عدة ومختلفون ألوانا وسُنَّة

(٧) موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، أبو الأعلى المودودي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ-١٨٥م، ص: ٤٧-٤٨.



وفعله، أي من سنته في الإصلاح. فالمعصوم هو الواحد الذي لا بد من رد الكثرة إليه، وبالرّد يتحقق انتظام الكثرة على وفق نظام الواحد الثابت واليقيني الذي يعني مما يعني قرآنيا عدم الاعتقاد بنظرية المعرفة المادية التي لا تركز إلى الواحد الثابت، لأنها أصلا لا ثابت لديها لتركن إليه وهذا ما جعل من مصلحتها مذبذبين قلقين متغيرين تبعا لتغير المكان والزمان. فهم منخرطون في حركية الزمان والمكان غير قادرين على تسخير هذه الحركة إنسانياً لصالح الجماعة وان قدروا على تسخير الطابع المادي طابع (الزينة) لتلك الحركة.

نعم إن المصلح ليس نبياً، ما في ذلك شك، «ولكنه يكون في طبعه ومزاجه اقرب إلى مزاج النبوة»<sup>(٩)</sup>. فإذا كان كذلك، حالفه التوفيق الذي يخالف الأنبياء، وجاء فعل الإصلاح الذي يريده فعلاً منسجماً مع حركية الأشياء، التي هي تسنن كوني على وفق ثبوت السنة، أو هي سنة انتظام الكثرة على وفق بلاغة الواحد.

(٩) موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه: ص ٤٨.

فالتجدد إذن من السنن التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الكون، «فهو من عظيم لطفه التكويني، فلولا هذا التجدد المستمر للكون والحياة لما استمر هذا النظام الكوني البديع في تناسق وجمال»<sup>(١٠)</sup>.

لقد قررنا في موضع سابق من البحث، أن ثمة فارقا كبيرا بين (الصلاح) و(الإصلاح)، ولقد رددنا الصلاح إلى نحو قوله تعالى: ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ حَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾ [سورة الكهف:

٤٦]، أو قوله جل شاناه: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥]. فقلنا إن (الصلاح) هاهنا صلاح

كوني تكويني، موضوعي، مرتفع على الحكم البشري أو المحاكمة البشرية. فهو صالح بذاته، وصلاحه الموضوعي هذا يجعله مناسبا لكل زمان ومكان. فهو القيمة المجردة والمعياري المتعالي الذي لا بد من علوق الفعل البشري الإصلاحي بموضوعيته علوق النطفة بجدار الرحم. أما (الإصلاح) فهو الفعل البشري الذي

(١٠) التجديد الاجتماعي: ص ٢٤.



٢. **غَيَّرَ**: تغير الشيء عن حاله: تحوّل. و**غَيَّرَهُ**: حوله وبدله. وتغايرت الأشياء: اختلفت<sup>(١١)</sup>.

فإذا عرفنا أن الفساد في اللغة، هو ضد ونقيض الصلاح، وانه يعني مما يعني الإساءة والقطع<sup>(١٢)</sup>، خلصنا إلى أن تقابل الفساد والإصلاح في القرآن الكريم، يعني تقابل الحسن والإساءة والوصل والقطع، فالإصلاح هو إعادة وصل المقطوع و الإحسان إلى الأشياء بإرجاعها إلى ما تحولت عنه من نظامها الداخلي. فالإصلاح بهذا المعنى، لا يتعلق بالإنسان من حيث هو فرد أو من حيث أمة حسب، وإنما يتعلق بالصفة الترايبية أو الشئئية الكائنة في الكائنات جميعا. ولهذا

يقول القرآن: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾. وهو هنا، وكما نفهمه بلاغيا ومعرفيا لا ينحصر بظهور

الجدب في البر و القحط في البحر كما فهم أو كما بان للمفسرين القدامى<sup>(١٣)</sup>،

(١١) لسان العرب، ابن المنظور، دار صادر، مادة (صلح)، (جدد)، (غير).

(١٢) نفسه، مادة (فسد).

(١٣) تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل،

يجيء تاليا لحركة الأشياء حينما تؤول الأشياء إلى حركية منحرفة عن صلاحها التكويني، في خلال الزمن، وبسبب الفعل البشري نفسه: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الروم: ٤١] وكذلك فعل الإصلاح البشري دائما، فهو محاولة غايتها إرجاع الأشياء التي ظهر فيها الفساد إلى ناموسها الأول، ناموس الصلاح الإلهي، سواء كان ذلك الفعل داخليا أم خارجيا فرديا أم جماعيا.

عودة سريعة إلى الدلالة المعجمية للأصول اللغوية للمصطلحات الثلاثة الآتية؛ (الإصلاح)، (التجديد)، (التغيير)، تكشف لنا عن:

**صَلَحَ**: ضد فسد، والإصلاح: ضد الفساد. وقد اصلح الشيء بعد فساده: أقامه.

١. **جَدَّدَ**: الجَدُّ: أبو الأب وأبو أم. و**جُدَّةٌ** كل شيء: طريقته. وجدته: علامته.

وجادة الطريق: سميت جادة لأنها خطة مستقيمة ملحوبة. وال**جُدَّة**: نقيض البلى.

وجد الشيء يجده جدا: قطعه.



وإنما هو شامل عام لكل ما هو ذو طبيعة ترايبية مائية، أي لكل ما هو شيئي. فهو إذن لا ينحصر في الأرض من حيث هي ذرات تراب، وفي البحر من حيث هو حياة بحرية، وإنما يتعدى ذلك القطع والإساءة والاختلاف لـ: (ومع) النظام الكوني التكويني الصالح. فإذا أعدنا قراءة الآيات التي وردت فيها كلمة (جديد) في القرآن الكريم، في ضوء تقارنها البلاغي وتعالقها المعرفي، خلصنا إلى أن التجديد متعلق بكل ما هو جسدي: ﴿إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُكُمُ عَلَىٰ رَجُلٍ يَبْتَئِكُمُ إِذَا مَرَّ قَرْعٌ كُلِّ مَرْمَرٍ أَنكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾. [سورة سبأ: ٧]. بينما اقترن (التغيير) بكل ما هو نفسي وداخلي، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

وبموجب ذلك كله، نرى إلى فعل

البغوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٤ هـ-١٩٩٣ م، ج ٣: ص ٨٧، وصفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٢ م، ج ٢، ص ٤١٦.

الإصلاح على أنه أعم وأشمل من فعلي التغيير والتجديد. أما التجديد فمرتبط بالجانب المادي المرئي الخارجي. و أما الإصلاح فمرتبط بالجانب القيمي القلبي الداخلي. وأما التغيير فمرتبط بالجانب الداخلي ارتباط فعل الإصلاح مع فارق مفاده، أن الداخل القابل للتغيير حقا أو باطلا، هو الداخل النفسي، أي داخل الغريزة والتصورات والممارسات والعادات السلوكية. وهكذا يصير الإصلاح بالنسبة إلى الكون والحياة مثل القلب بالنسبة إلى الإنسان، ويصير التجديد مثل الجسد، ويصير التغيير مثل النفس... أما الصالح الكوني فهو النظام الداخلي الذي لا يقبل التجديد أو التغيير، فمثله مثل النظام الوراثي التكويني أو مثل الشفرة الوراثية الداخلية بالنسبة إلى أعضاء الإنسان أو حواسه.

إن قطع العلاقة الكائنة بين الجسد والروح، تعني فناء الجسد، ولن يفنى الروح. وان الإساءة للروح بممارسة الجسد باطلا، تفسد النفس ولا يفسد الروح. وان التحول عن جادة الحق لا



تمكنا من التوسم هيأنا لمحتوانا المعرفي؛  
 الفكري والنفسي والقلبي، سعة في مساحة  
 الحركة التي يستلزمها ثراؤه. وهذا ما  
 يخلص بنا إلى الشعبة الثانية للإصلاح ألا  
 وهي شعبة الإصلاح الداخلي، غير المادي،  
 متمثلاً بإصلاح نفس الفرد، ثم نفس  
 الأمة. فإذا تم لنا إصلاح ذلك المحتوى  
 من خلال إرجاعه إلى صالحه الكوني،  
 تحقق لنا النهوض بذلك المحتوى، لا  
 ليصل إلى ما هو حاضر فحسب، بل  
 ليصل إلى إقامة العلاقات الداخلية أولاً-  
 وهذا هو الأهم - بين الماضي والحاضر.  
 ومن ثم يتحقق لنا إعادة تشكيل كل ما  
 هو متصف بالطبيعة الترابية/ المائية من  
 وسائلنا المعرفية، والمقصود بها وسائلنا  
 الحسية - العقلية، وإلا فإن (ظهور الفساد  
 في الأرض)، أوسع من أن يكون محصوراً  
 بالجدب والقحط كما قلنا سابقاً فظهور  
 الفساد في البر والبحر، نتيجة أو علامة  
 على ظهوره في الطبيعة (الترابية- المائية)  
 الإنسانية، أي ظهوره في معطيات وسائل  
 الإنسان الإدراكية (سمعه وبصره وعقله)،  
 ولهذا ورد ذكر ما يتعلق بالسمع والبصر

يضر بالجادة وإنما يضر بالسالك أو الجاري  
 فيها. وهكذا هي علاقة الأشياء بمصلحتها  
 الداخلي. وهكذا هي علاقة الأمة بوصفها  
 جسداً، بثباتها الكوني المجرد (الدين)  
 بوصفه روحاً. وهكذا هي علاقة كل  
 مترتب بأصله وكل متحرك بثابته، وكل  
 متكون بمكوّنه، وكل جسد بروحه وكل  
 عقل بوحيه، ثم كل أمة بنظامها القيمي  
 المجرد الذي يجيء الدين على رأسه..

وبموجب ذلك كله، نقرأ الإصلاح  
 القرآني، قراءة أخرى. فنراه ذا شعبتين،  
 شعبة مادية خارجية، وشعبة غير مادية  
 داخلية. أما الشعبة المادية فتختص بإعادة  
 صياغة الأشياء صياغة مناسبة لحركية  
 الزمان والمكان، فهي تعمل على مداخلة  
 أو استنبات الشيء في الشيء ووسم  
 الشيء بالشيء، وتكوين الشيء بالشيء من  
 خلال إعادة نفخ القيمي في تلك المسافة  
 الفاصلة بين القديم والجديد والصغير  
 والكبير والخاص والعام، والأمة والأمم،  
 والمجتمع والمجتمعات... الخ، وبها يمكننا  
 من التوسم بسمة أو بيان (الملاسة) القرآنية  
 ملاسة ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾. فإذا



والعقل في [آيتي الإسراء: ٩٧، ٩٨] اللتين انتهت الثانية منهما بكلمة (جديدا) مقترنة بـ (خلقا)، فيما ورد ذكر (عميا وصما وبكما) في الأولى منهما. وما ذلك إلا لإساءة التصرف بالوسائل المعرفية التي يقطع المفسدون تعالقتها بالثابت الروحي. وبعد ذلك فإننا لا نجانب الصواب إذا ما ذهبنا إلى أن الكثير من الأمراض ومظاهر القصور العضوية أو المرضية المتعلقة بالنطق والتعلم والرؤية والسمع، مردها إلى ظهور ذلك الفساد، بل إنها علامة عليه، ونتيجة من نتائجه. فإذا نظرنا إلى مظهر اخر لذلك الفساد الذي ظهر في الأرض، نظرنا إلى المرأة يوصفها المقابل البلاغي للأرض فالأنوثة تبيان أرضية الإنسان والذكورة تبيان سماويته، فإذا بحثنا عن ظهور آخر، وجدنا جسد الإنسان باعتبار العلاقة بين الروح والجسد مقابل العلاقة بين السماء والأرض. وكذلك الأمر في الأسرة بالنسبة إلى رب الأسرة، والمتعلمين على طريق النجاة بالنسبة إلى العالم الرباني، والفقهاء الأصغر بالنسبة إلى الفقهاء الأكبر... الخ، وبالجمل، ظهور الفساد في الدنيا

بالنسبة إلى الآخرة. ولكل مكان وزمان مظهر فساد مماثل لسابقه في الجوهر، ومخالف له في المظهر...

بناء على ما سبق، نذهب إلى أن التجديد ممارسة بشرية، يعني إعادة صياغة الوسائل المعرفية والمادية المجتمعية وغيرها صياغة جديدة تناسب الحركة الكونية للمكان والزمان وما يجري فيها من فعل اجتماعي أو اقتصادي أو سياسي أو علمي، فردي أو جماعي إسلامي أو غير إسلامي. فالتجديد هو الفعل الإنساني فيما كان صالحا ضمن سياقاته المكانية والزمانية ولم يعد كذلك ضمن سياقات جديدة، بغية خلق ذلك التواصل الكوني بين الصغير والكبير والجزئي والكلي والظاهر والباطن والمحدود واللامحدود والإنساني والكوني أما الإصلاح، فهو الفعل الإنساني في ما ظهر فساده في البر والبحر، ثم في الممارسات الإنسانية ذات البناء المادي وغير المادي، الداخلي والخارجي. فالإصلاح لا يقتصر على الشكل وإنما يتعدى الشكل إلى المحتوى الذهني والنفسي أي انه يتجاوز الحسي إلى المعنوي، شرط فساده. وما



الإنسان فيما هو محتوى لا شكل... وبموجب ذلك كله، يصير التجديد وسيلة الإصلاح، ويصير الإصلاح غاية التجديد. فالإصلاح مدخل والتجديد مخرج. ولا انفصال للمخرج عن المدخل، فإذا كان ثمة فصل صار التجديد اتباعاً أعمى لما هو مادي دنيوي تزييني دون أدنى اهتمام بما هو قيمي ومعيارى ومعرفى. وهذا ما يفسر ما يتصف به الفعل التجديدي الإسلامي المعاصر - جله - من محدودية واعتباطية وحسية، ثم هو يفسر تلك الهوة الفاصلة بين الحداثة والتحديث، «فليس هناك تقدم في التحديث من غير تقدم في الحداثة والذي حصل في العالم العربي في نظر البعض هو تحديث بلا حداثة، الأمر الذي جعل التحديث مشوهاً وفوقياً» (١٥) والقصور المعرفي الذي نتج عنه ذلك الخلل في ممارسة التحديث، «هو افتراضه تناقض الحداثة والهوية، وعلى هذا الافتراض كان لابد من التضحية بأحدهما وبلا تردد كانت

(١٥) الفكر الإسلامي قراءات ومراجعات،

زكي الميلاد، مؤسسة الانتشار العربي، ط١،

١٩٩٩م، ص ص: ٧٢-٧٣.

الفاسد كالقديم أو الفاني، فالفاسد فاسد خارج اعتبارات الزمان والمكان والعقل الإنساني ماضياً وحاضراً ومستقبلاً. أما القديم فغير مناسب للحركة الجديدة للمكان والزمان والعقل الإنساني، أما الذي يستلزمه الإصلاح حينها يتعلق بالمحتوى فهو التغيير، فالتغيير الحق هو التحول، أو هو الرغبة الصادقة والنية المخلصة والإرادة الحكيمة القادرة على ترك ومجافة ونبد العلوق بالفاسد طمعا بمساجمة الصالح ومناسبته ومدخلته وملاقحته وإلا فان التغيير كما ورد في القرآن، تبيان التحول مما هو حق إلى ما هو باطل. فالتغيير الحق أول الإصلاح وبدء شروعه. فإذا تم التغيير - شرط أن يكون تمامه تماماً داخلياً - وافق فعل الإصلاح الإلهي. فالتغيير إذن فعل داخلي معنوي، بدليل أن مما جاء في دلالة (غير) معجمياً، هو «غير: من حروف المعاني» (١٤). أما تداول مصطلح التغيير، على أنه الإصلاح أو التجديد، فتداول مغلوط. وكذلك تداول مصطلح التجديد بقصد إرادة فعل

(١٤) لسان العرب مادة (غير).



التضحية بالهوية التي فهمت على أنها تقاليد جامدة وتراث ميت وماضوية مترهلة. وليس على أنها تمثل روح الأمة وشخصيتها الذاتية، وجذورها الممتدة في عمق التاريخ، وسياج وحدتها وتماسكها»<sup>(١٦)</sup>.

وكمثل ذلك القصور من حيث تأثيره ونتائجه السلبية وما يترتب على ذلك كله من ضياع وتخبط، وان باختلاف، هناك قصور معرفي آخر، يخلط أصحابه بين الذي لا يخضع أو لا يندرج تحت تسمية القديم والجديد، لأنه مما لا يوصف بالقدم والجدة، ألا وهو الكتاب السماوي -القران-، وبين الذي يجوز عليه وصف القدم والحداثة، ألا وهو كل ما ترتب على وجود ذلك الكتاب -عدا السنة من حيث هي محتوى- من قراءات معرفية وممارسات مجتمعية. وعلى العكس من هذه النظرية المعادية للقديم عن علم أو جهل، نظرة أخرى تقدر ذلك الذي يجوز عليه الوصف بالقدم والجدة وما يترتب عليهما من بلى وفناء. ولا قدسية إلا للكتاب، ولكن أصحاب هذه النظرة ينغلقون على

(١٦) نفسه، ص: ٧٠.

ذلك القديم، فقد وجدوا آباءهم كذلك، وإنهم على آثارهم سائرون. إن القصورات الثلاثة السابقة، جميعا تستدعي الإصلاح ؛ لأنها جميعا أدت وتؤدي إلى الفساد في الأرض ثم في الطبيعة الأرضية لخليفة الله في الأرض، فردا أو أمة. بل إن فسادها لا يقل ضررا، عن ذلك الفساد الترتب ويترتب على فعل التجديد الغربي، وذلك الفعل المعرفي، العلمي المادي، الذي انتهى بالمادة النافعة إلى أن تصير قبلة نووية وسلاحا بايولوجيا وكيميائيا وجرثوميا... ثم انتهى بالمادة (العقل) إلى إعادة صياغة النظام الحيوي الوراثي، للكائنات الصياغة التي خلصت بالإنسان إلى التفسخ والخثية والهجنة، وتخلص به إلى استخدام هذا النظام في تدمير ذاته الإنسانية وفنائها، حينما يصير ذلك (التشفير) الوراثي سلاحا جديدا لكسب معركة الأرض ووراثتها... ولكن المصلح، يظل ضرورة، ويظل ظهور الفساد إيذانا بظهور المصلح. وكما أن التسلسل الكوني في خلق السماوات والأرض قضى بوجود السماء أولا ثم الأرض ثم السماوات، ثم لا أرض بعد



بالقديم، يقطع صلته بالجديد. والقطع هاهنا يعني مجافاة الانسجام مع حركية المكان والزمان والفعل الإنساني. والمصلح الذي لا يتوهم أو ينخدع بالوسيلة ويتخذها غاية، ولا يقتصر على الشكلي دون المعنوي، والبصري دون البصري والعقلي دون الوجداني والروحي... وفي ضوء كل مرات النفي السابقة (لا يعادي القديم، لا ينغلق لا ينخدع...) يكتسب فعل الإصلاح على يد المصلح بلاغته...

### جهتا الإصلاح

للإصلاح جهتان:

**أولاً:** جهة المصلح الأول أو جهة المصلح الإلهي. وهذه هي جهة الثابت أو الأول أو العميق أو الكلي أو الكوني أو المقدس، وهي جهة لا يجوز عليها التبديل والتحويل والتغيير، لأنها ليست جهة مادية شئئية قابلة للفناء وخاضعة لكنيونة المكان والزمان، الخضوع القاضي بتغيرها وتبدلها وحركيتها وتحولها. «ليس هناك مقدس فيها هو بشري، البشري متغير. وكل ما عدا فكرة التوحيد وما

(فناء) الكون وقيام الساعة، كذلك حركية الإصلاح تقضي بوجود الصالح الكوني أولاً ثم ظهور الفساد ثم إصلاح الفساد، ثم لا فساد وإنما صلاح محض. وكما أن الأرض تتحرك بحركية السماء ومرتبطة بها، وإلا فإن أي خلل بحركية الشمس مثلاً يؤدي إلى فناء الأرض، كذلك يستدعي وجود المصلح وجود من ينتظم بحركته ويتحلّق حوله. فالطبيعة الإنسانية مجبولة ومستعدة تماماً للانتظام كونياً على وفق ما هو نظامي. وما الإصلاح إلا مظهر لذلك النظامي. وإذن لا نعدم دوماً وجود متحلّقين حول المصلح (بشرائطه)، المصلح الذي لا يقطع صلته بالكوني السماوي (الوحي- الكتاب)، وإنما يستمد فعله من فاعلية ذلك السماوي. والمصلح الذي لا يعادي القديم، لأنه قديم، وإهما أن جديده- هو المصلح- اكفاً من القديم، وإنما يعيد استنباته وممازجته وملاقحته وملاابسته. والمصلح الذي لا ينغلق انغلاق الأعمى على القديم فيجانب الصواب لأنه في اللحظة التي يشاء فيها أن يعيد صلته



يلازمها بصورة مباشرة هو بشري وقابل للتغيير»<sup>(١٧)</sup> وكذلك النص القرآني، فهو ثابت من حيث هو بنيةً أو تركيباً لسانی، فهو ثابت الهي، ولهذا لا يمكن اقتراح بديل للآية. أما استيضاحها وتمثلها فهو بشري وإذا كان كذلك فانه يمثل الجهة الثانية للإصلاح لا الأولى. وكذلك السنة النبوية التي خاطبت الناس على قدر عقولهم. فالحديث النبوي قراءة فائقة ومكتملة للنص القرآني، وهذه هي جهة ثبوتها ووحيتها الذي لم يكن عن الهوى، أما جهة حركتها فلزيم بشرية الذات النبوية، ثم مخاطبة العقول على وفق سياقاتها المكانية والزمانية. ولهذا لا يجوز أن نجعل الحديث النبوي ضمن القرآن، أي بين دفتيه. فالسنة إذن "منهج وليس مؤدى حرفياً"<sup>(١٨)</sup> وهذا ما يفسر إشكالية الثبوت والحركة فيما يتعلق بالسنة، فالسنة التي هي تبيان للقرآن بينت ما هو منسجم مع سياقات

(١٧) مناهج التجديد، محمد حسين الأمين، تحرير وحوار عبد الجبار الرفاعي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١، ٢٠٠٠، ص: ٧١.

(١٨) نفسه، ص: ٧٢-٧٣.

الكائن والزمان والمكان. ولو قُدِّر للنبي أن يبين لعقولنا اليوم، لجاء البيان مختلفاً عما كان عليه قبل ألف وأربعمائة من السنين، لا من حيث الجوهر أو المنهج أو الكلي، بل من حيث التلوين الخارجي أو المظهر الفوقي للحقيقة المعرفية. فالسنة حرامها حرام وحلالها حلال إلى يوم القيامة، ولكن ما عدا هذا قابل لتكوين قراءات جديدة تستبطن السنة جوهرها وثابتاً عميقاً، ثم تعيد تشكيله وتكوينه بما يتواءم والسياقات المعرفية المعاصرة، وبما ينسجم مع حركية المكان والزمان، وقدر العقول، الذي هو غير قدر العقول قبل ألف وأربعمائة من السنين.

**ثانياً:** جهة المصلح البشري. وهذه هي جهة المتغير والتالي والمحدود والجزئي. والذي تتميز به هذه الجهة، أنها يجب فيها الأمران؛ القيام بالإصلاح ووقوع الإصلاح عليها من قبل الجهة الأولى، ثم من قبل الجهة البشرية المماثلة لها. فهي قائم بالإصلاح وواقع عليها الإصلاح. ولهذا الجهة مريدان أو إرادتان، في ضوء الوعي بالإصلاح أو عدمه، ألا وهما:



## أولاً

وَهُمُ الْإِصْلَاحُ / المنافقون:

جاء في الكتاب العزيز في معرض تبيانه

لصفات المنافقين، قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا

قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ

مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ

وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿﴾ [سورة البقرة: ١١ -

١٢]، وصفة هؤلاء أنهم يقولون بألسنتهم

ما ليس في قلوبهم. فهم ليسوا بالمؤمنين

حقيقة باعتبار الصدق وعدم الارتباب

دليلين على الإيمان. وهذا ما يدعونا إلى

بناء بعض النتائج المرتكزة على هذه الآية

الباركة- خاصة حينما نقرنها بآية الإيمان

الصادق سابقة الذكر-، ومن تلك النتائج:

في الكذب واعتياده، فساد للنفس.

وفساد النفس مدعاة لعجز وتذبذب

معرفيين، وإن لم يكن الكاذب واعياً أو

مريدا لما هو عليه.

أ- إن أول وأخطر أنواع الفساد، فساد

النفس. فإذا فسدت النفس داخلا

وعمقا، عجزت عن الوعي بها تعمل،

وتوهمت الفاسد صالحا.

ب- إن فساد المنهج أو النظرية، ومن ثم

فساد مقومات الإدراك الداخلي،

يعني فساد التطبيقات والممارسات

والمعطيات، ومن ثم فساد ما يترتب

على الإدراك الخارجي.

ج- إن عدم الإيمان بالنظرية المعرفية من

حيث هي ثابت وصالح يعني مما

يعني من تطبيقات مغلوطة وقاصرة.

د- إن الفساد الخارجي الذي يترتب على

جهل المصلح، ليس بالضرورة أن

يكون مشعورا به شعور حس جزئي

محدود وفي خلال زمن وجيز، وإنما

هو مما يدركه العقل، ومما لا تتكشف

حقيقته، إلا لمدرک بليغ يستقرىء

فساده الداخلي الذي لا تتبين مظاهره

إلا بعد حين.

ه- إن سعي البعض إلى تليح أو تحديث

الديني المقدس والكوني الثابت،

بالبشري الخاضع لحركية المكان

والزمان، سعي خطير ينم عن جهل

تام أو عن إصرار على الجهل وتجاهل

الحقيقة المعرفية، انخداعا بالحسي من

مقومات النظرية البشرية. لذا فان

الركون إلى الحسي الترفيحي الديني على



حساب العقلي الوجداني التقويمي، فعل فاسد، باعتبار أن الفساد هو: "خروج الشيء عن حال استقامته" وكونه منتفعا به<sup>(١٩)</sup> أما إذا كان ثمة انتفاع بذلك الفعل، فهو انتفاع وقتي وديوي جسدي فحسب.

خلاصة القول في هذه الطائفة من المرئيين، هي؛ أن صلاح هؤلاء الواهمين، صلاح ظاهرا وفساد باطنا وعمقا وحقيقة، أو هو بين فاسد جلّه وصلاح أقله في أحسن الأحوال. فهو نتاج فعل مزدوج مذبذب ولا بد أن يكون كذلك.

وبموجب هذه البنية يختلف هذا الفعل عن فعل أولئك ﴿الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [سورة الشعراء: ١٥٢]. وذلك لأن فعل هؤلاء فاسد ظاهرا وباطنا. ودائما يكون هذا الفعل قرين الرفاهية المادية والنعموة والشرة والعجب واللهو والكبرياء والغرور<sup>(٢٠)</sup>... وبجملة القول إنه قرين اللذات الحسية وهي طلب

(١٩) تفسير الكشاف، الزمخشري، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ١، ج ١، ص: ٧٠.

(٢٠) تفسير البغوي ج ٣، ص ٣٣٧.

المأكل والمشروب والمسكن الطيبة<sup>(٢١)</sup>. وهذا ما تخلص بنا إليه بلاغة البيان الإلهي وهو يقرن تلك الآية [سورة الشعراء: ١٥٢]، بسابقتها التي جعلت من قوم صالح وسيلة كشف وإبانة. يقول القرآن على لسان صالح عليه السلام لقومه: ﴿أَتُرْكُونَ فِي

مَا هَلَهْنَا ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُمُورٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَتْ هَٰضِمَةً ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [سورة الشعراء: ١٤٦-١٥٣].

والذي لنا تبيّنه بهدي من هذه الآيات معرفيا، هو: إن الرفاهية المُسرّف فيها نعموةً وشَرهاً ولهوًا، وما يترتب عليها من عجب وغرور وكبرياء وجبروت، ثم ما يترتب عليها من لذائذات حسية طارئة، معوق معرفي كبير ورئيس، وهي بالمحصلة معوق إصلاح وسبب فساد داخلي وخارجي، نفسي وجسدي، فردي ومجمعي، عقلي وحسي...

(٢١) صفوة التفاسير، ج ٢، ص: ٣٣٧.



الظلم وسحق حقوق الآخرين والخروج عن جادة العدالة، والثاني: الجهل" (٢٢). وكلا الطريقتين مرده إلى الركون إلى معرفة الحسي ومتطلباته.

### ثانيا

### الإصلاح الحق

وهذا خاصة فاعلين اثنين، فاعل الوحي ممثلا بالأنبياء والرسل، وفاعل العقل ممثلا بغير النبي والرسول. كل حسب طاقته واستطاعته، وشرط انسجامه مع سياقات الواقع الذي يقع عليه الإصلاح مكانا وزمانا وكائنا. والذي يشترط في الفاعل الثاني خاصة، بغية مقارنة النفس الزكية التي للفاعل الأول هو تزكية النفس والصدق في الإيمان والإخلاص في القصد، ومن جهة أخرى استبطان الفاعل الأول، قوله وعمله (سنته)، وآتباعه والتكون به.

الإصلاح من الكوني إلى الإنساني:

ونقصد به، الإصلاح الإلهي الذي لم يسبق بفساد إنساني، ويتمثل ب:

إصلاح السماوات والأرض، وما

(٢٢) الإسلام ومتطلبات العصر، ص: ٣٣.

١. وكما أن اللذة الحسية لذة طارئة، لأنها نتاج ما هو حسي، وزائل ومادي كذلك ما يثير تلك اللذة في الأرض، ثم كذلك ما يرى من مقومات تلك الرفاهية المدنية الاجتماعية كانت أم اقتصادية أو علمية... الخ.

٢. إن الركون إلى الحسي يعني الركون إلى نهم الحواس وإسرافها، ومن ثم الائتثار بأمرها والاستجابة لمطالبها، مما يعني فساد صاحبها الفساد الكلي الذي لا يتنفع معه إصلاح البتة طالما هو منخرط في حسيته.

٣. الإسراف في الحسيات لا يقتصر على العيش ومتطلباته، وإنما يمتد إلى العلم ومناهجه ونظرياته ووسائله. وبناء على ذلك يصير الإسراف في العلوم المادية سببا في فساد الأرض وما يقابلها بلاغيا (كل ما هو شبيهي أو جسدي).

٤. وبقرن آيات الشعراء إلى آيتي البقرة السابقتين، نخلص إلى أن فساد الإنسان أو سقوطه أو انحرافه؛ "ينبتق عن طريقتين، إحداهما:



يتعلق بهما؛ حركتهما الكونية ونظامهما الشئني وما يتعلق بذلك.

١. ﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [سورة المؤمنون: ٧١].

٢. ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [سورة الأنبياء: ٢٢].

٣. إصلاح الأنبياء والرسول: وهو إصلاح تكويني مرتبط بعلم الله الأزلي الذي يحيط بما هو كائن وما سيكون. ولأن الذي سيكون من هؤلاء الأنبياء هو الصالح كله، ختم عليهم بالصالح منذ تكوينهم الأول. على أن الصالح الذي نقصد، هو الصلاح المرتبط بالعلم الكلي، فالعلم درجات تتفاوت بين الأنبياء، أما الإصلاح المنبثق من إذهاب الرجس والطهارة النفسية، فهذا مما يتصف به الأنبياء والرسول بلا تفاوت، باعتبار أن الذي يترتب على الرجس هو الفساد، وهو لا يجوز على الأنبياء والرسول.

٤. إصلاح الإنسان. من حيث أن الصلاح هاهنا استعداد تكويني أول، فالفساد مرتبط بالإيمان وعدمه. وهذا مما

فطر عليه الإنسان وهو في طور الذر ثم هو مرتبط بالعمل، وليس ثمة عمل بعد للمخلوق الأول بالأسباب المباشرة (آدم) عليه السلام، أو للمخلوق بالواسطة (التناسل)، وهو ما زال طفلاً.

ولان الإنسان مخلوق للعبادة من حيث هي غاية أولى وأخيرة، ولان العبادة مرتبطة بالعلم والتعلم، فقد اصلى الله سبحانه للإنسان علمه التكويني المجبول في جهازه العصبي وخلياه وما يسميه علم الوراثة المعاصر (الجينات الوراثية)، ثم أصلح له وسائله في التعلم، وخاصة سمعه وبصره ولسانه، ولهذا كله صار الإنسان خليفة الله في الأرض.

والذي يقابل هذا الإصلاح استجابة لحركية الزمان والمكان، ثم استجابة لحكمة الابتلاء والاختبار الإلهيين، هو الفساد الذي (ظهر بما كسبت أيدي الناس)، لكنه هاهنا، لا يطال المقدس من المتمثلات الأربع السابقة. أي انه لا يطال جانب التزكية الإلهية ممثلة بالنظام الداخلي للسموات والأرض والأنبياء والملائكة والجن والإنسان، وقد ينتظم المتمثل



على وفق ذلك النظام، فيطابق الخارج الداخل وهذا ما تحقق للأنبياء والملائكة والسموات، وقد يختلف ويتعد الانتظام الخارجي عن الداخلي فيحصل الفساد فيما هو شيئي ومنتظم لا فيما هو نظام داخلي. وهذا ما يحصل للإنسان وبحصوله في نفس الإنسان يحصل ويظهر في الأرض وما يتعلق بها من كائنات وأنظمة. فيستلزم العود إلى ذلك الصالح الكوني.

أما أسباب فساد الإنسان ثم فساد البر والبحر، وقنوات الإفساد التي بيّناها يبين ويتضح ما يجب أن يقع عليه الإصلاح فهي قرآنيا:

الهُوى والرغائب الشهوية والنفسية:  
﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [سورة المؤمنون:  
٧١].

أ- الازدواجية في الهوية أو الكذب:  
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [سورة البقرة: ١١].

ب- الجهل المعرفي: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة

البقرة: ١٢].

ج- اتباع السبل المادية ونظرياتها ومناهجها في الإصلاح المزعوم:  
﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٧].  
وبيان الآية نفسها نستقرئ سببا آخر ألا وهو، عدم المداومة على الإصلاح والانقطاع عنه.

د- الانكباب على الدنيا دون الآخرة، أو على الزائل المنقضي دون الدائم:  
﴿عَبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ٣٦] وسلب الناس حقوقهم ظلما وجورا، أيأ كان نوع تلك الحقوق: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة هود: ٨٥].

هـ- الطغيان والجبروت والظلم: ﴿الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبَلَدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ﴾ [سورة الفجر: ١١-١٢].

و- الجرأة على القيمي والاستغناء عنه وعن العلوq بوسائله ومنه؛ الدعاء، أو الاستغناء بالمخلوق عن الخالق:



﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ  
إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [سورة  
الأعراف: ٥٦].

ز- قطع ما أمر الله به أن يوصل، أو  
التفكك الاجتماعي: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا  
أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ  
فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَالِسُونَ﴾  
[سورة البقرة: ٢٧].

ح- قتل النفس الإنسانية (قتل الذات أو  
قتل الآخر) بغير الحق: ﴿مَنْ قَتَلَ  
نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ  
فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾  
[سورة المائدة: ٣٢].

ط- الحروب المترتبة على حب الملك  
والسلطة: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً  
أَفْسَدُوهَا﴾ [سورة النمل: ٣٤].

ي- النعرات الطائفية وشيوع التعصب  
الديني. يقول تعالى مخاطبا الذين  
ظلموا من اليهود: ﴿لَتُفْسِدَنَّ فِي  
الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [سورة الإسراء: ٤].

ك- جعل الفساد وسيلة وغاية أو انعدام  
الإحسان: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ  
إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة

القصص: ٧٧].

ل- عدم المداومة على الأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ  
الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ  
عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة هود:  
١١٦].

م- تبديل الدين: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ  
دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ  
الْفَسَادَ﴾ [سورة غافر: ٢٦]. وتبين  
الآية عن سبب آخر هو المجاهرة  
بالفساد وإعلانه.

ن- الشعوذة والأعمال الشيطانية: ﴿إِنَّ  
يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة  
الكهف: ٩٤]. وفي السحر بوصفه  
نوع من أنواع الركون إلى فساد النفس  
داخلا (النفس الإنسانية)، وخارجا  
(الاستعانة بالجن والنجاسات...).

يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَبِيحٌ لَطِيفٌ  
اللَّهُ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة  
يونس: ٨١].

س- إهانة المرأة نفسياً وجسدياً، وانتهاك  
حرماتها الأخلاقية، بتوجيهها  
توجيها خاطئا، والاعتداء عليها



يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴿ [سورة البقرة: ٢٢٠]، وتبين الآية عن سبب آخر، ألا وهو انعدام التكافل الاجتماعي والمؤاخاة.

ش- تولية المشركين أمور المسلمين، والتسنن بقوانينهم وأنظمتهم وتشريعاتهم ومنها التشريعات المتعلقة بنظام الحكم والنظام القضائي والقانون المدني الذي يفصل بين الدين والدولة، أو بين الدين والمجتمع: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة الأنفال: ٧٣]. وتبين الآية عن سبب آخر ألا وهو إشاعة الفتن أيا كان نوعها.

### شروط المصلح

للإصلاح نوعان، بحسب الجهة التي يقع عليها. فهو إصلاح داخلي وخارجي، للفرد و للجماعة أو الأمة. أما الإصلاح الداخلي فكائن في العمق من الفرد ومن الأمة على السواء. وعلى المصلح الذي يريد الإصلاح إجراء ذلك الإصلاح الداخلي على نفسه أولاً. فإن

زنى طوعياً أو اغتصاباً: ﴿نَذِيحُ أَبْنَاءِ هُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص: ٤].

ع- محاربة الله ورسوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا﴾ [سورة المائدة: ٣٣]. ويترتب على ذلك كثرة القتل والتقاتل ظلماً.

ف- إرادة العلو في الأرض: ﴿فَجَعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [سورة القصص: ٨٣].

ص- عدم الائتمار بأمر الله تعالى: ﴿إِنَّ الْكَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة يونس: ٩١].

ق- تولية من لا يستحق التولية على المسلمين أيا كان نوع التولية: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة محمد: ٢٢].

ر- قصد الخيانة والإفساد في الأموال واستحصال الأجر عليها باطلاً. قال سبحانه وتعالى في أموال اليتامى:

﴿وَسَتْ لُونَاكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَارْحَمُواكُمْ وَاللَّهُ



البغيوي، «تعلم العلم ليهتدي به كيف يعمل» (٢٣).

٣. العفو: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [سورة الشورى: ٤٠].

٤. التقوى: ﴿فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٣٥].

٥. الدعوة إلى الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا وَمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [سورة فصلت: ٣٣].

٦. الإبانة والإظهار المعرفي ممثلاً بالصدق في الإبانة والاجتهاد في وعن طريق المنزل، إظهارا وكشفا وإيضاحا لما تم الاهتداء إليه بهداية الله سبحانه، وإن كان مخالفا لكثير مما صار مقدسا مما هو بشري، وما هو بمقدس: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا

أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۗ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥١﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة

أجرها عليها، سعى إلى إجرائه على الأمة وفيها، لا من حيث إن الأمة مظاهر مادية ووسائل حضارية، بل من حيث إن إرادة الأمة ظاهرة أوغاية عبادية، ولتحقيق ذلك الإصلاح الداخلي، أسباب وشرائط هي ذاتها المعطيات والتتائج، المترتبة على الإصلاح داخلا وخارجا، وهي نفسها شروط المصلح، ألا وهي:

١. الإيمان: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة الأنعام:

٤٨]. وتبين الآية عن شرط آخر، أو معطى مترتب على الشرط، ألا وهو الشجاعة والجرأة وعدم الأسى والأسف على ما يواجه المصلح من مصاعب ومعوقات واتهامات.

٢. التوبة: ﴿وَلِي لَغْفَارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [سورة

طه: ٨٢]. وتبين الآية عن معطى من معطيات تلك التوبة المقرونة بالعمل الصالح، ألا وهو الهداية، فالهداية هنا معطى التزكية النفسية والتطهير من الرجس. فالمراد بـ ﴿ثُمَّ

اهْتَدَىٰ﴾، ظاهرا، وكما جاء في تفسير



رَبِّهِمْ كَفَرَتْ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بِهِمْ ﴿١٠٩﴾  
[سورة محمد: ٢].

١١. تعاهد الحق والصبر على ما يترتب على فعل الإصلاح من صعوبات و مكاره ؛ منشؤها تعاهد الباطل والجزع، ومن قبل عدم الإيمان وشيوع الفساد، والشك والريبة بالسماوي: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [سورة العصر].

١٢. الإخبات أي الاطمئنان إليه سبحانه وتعالى والخشوع له والانقطاع إلى أسبابه (٢٤). ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [سورة هود: ٢٣]. وإذ، نتذكر، أن في هذه الآية توصيفا لعلاقة العباد بالمعبود ثم نقرن هذه العلاقة بعلاقة الرعية بالراعي، شرط صلاحه المشروط نخلص إلى إبانة جديدة تتعلق بعلاقة الأمة - الجماعة أياً كانت - بالصلح، (٢٤) نفسه، ج ٢، ص: ٣١٩.

البقرة: ١٥٩-١٦٠].

٧. البر: ﴿أَنْ تَبُوءُوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٤].  
٨. التمسك بالمقدس: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾ [سورة النساء: ١٤٦]، وتبين الآية عن معطى آخر من معطيات الإصلاح، ألا وهو الاعتصام بالله). فالاعتصام بالله سبب الإصلاح ونتيجته، فهو أي الاعتصام باطن الإصلاح وظاهره، أوله وآخره، وسيلته وغايته.

٩. إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٧].

١٠. الإيمان العام (بالرسل والأنبياء وكتبهم)، والإيمان الخاص بما نزل على نبي الرحمة محمد، صلوات الله عليه وعلى آله وعلى الرسل والأنبياء جميعا. ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ



أيًا كان نوع إصلاحه.

١٣. العدل والقسط: ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا

بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا﴾ [سورة

الحجرات: ٩].

١٤. الكلمة الطيبة، من باب الدعوة إلى

الحق بالحكمة والموعظة، والمجادلة

بالتي هي أحسن سواء كانت الدعوة

دعوة النفس أم دعوة الآخر، فردا أم

أمة، باعتبار أن فعل الإصلاح نوع من

أنواع الدعوة إلى الله سبحانه: ﴿إِلَيْهِ

يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ

يَرْفَعُهُ﴾ [سورة فاطر: ١٠].

و أخيراً، فالإصلاح الخارجي أيًا

كان نوعه، مجتمعيًا أو علمياً أو سياسياً أو

اقتصاديًا، ما هو إلا مظهر حسي للإصلاح

الداخلي. فالإصلاح الخارجي انتظام

الفعل البشري على وفق نظام الفعل الإلهي

في العميق والكلي الباطن والمجرد في

الآفاق وفي الأنفس، فالإصلاح الخارجي

اجتهاد في الوصول إلى بلاغة ذلك الصالح

الداخلي. وما وسيلة الوصول إلى ذلك

الصالح إلا الكتاب، القرآن، بوصفه

مصدرا منشئاً للمعرفة (٢٥)، «إن القرآن

المجيد - وحده - الكتاب الكوني الذي

يمكن أن يقدم للبشرية اليوم التصور

المنهجي البديل، ويحدث حالة التجديد

على مستوى عالمي، وتتم له الهيمنة بعد

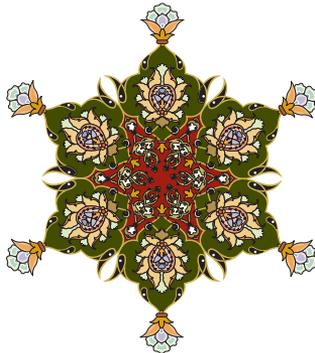
التصديق على مناهج هذه العلوم على

النسق المعرفي العالمي المعاصر» (٢٦).

(٢٥) مناهج التجديد، طه جابر العلواني،

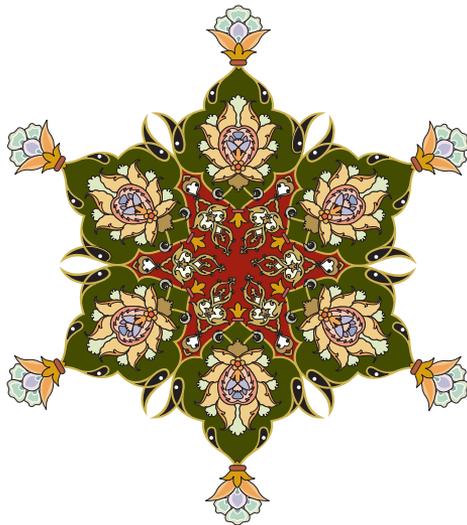
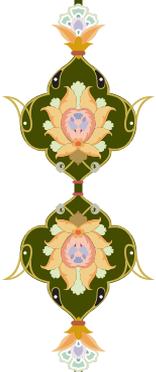
(مصدر سابق)، ص: ١١٥.

(٢٦) نفسه: ص: ١١٩.



## مفخص البحث

تناول البحث في قسمه الثاني، عدداً من ألفاظ (العهد القديم) التي ذكرها الشيخ محمد جواد البلاغي في كتابه (الهدى الى دين المصطفى) وباللغة التي كتب بها وهي (العبرية) ولكن بحروف عربية مشفوعة بالترجمة والتحليل لمعانيها اللغوية والدلالية مدافعاً من خلال ذلك عن القرآن الكريم ورد شبهات المشككين ببعض الفاظه وكلماته.



# الشيخ البلاغي وعلم الأديان المقارن

- شَهَاتُ الْمُسْتَشْرِقِينَ حَوْلَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ -

- الْقِسْمُ الثَّانِي -

أ.م. ستار الفتلاوي

جامعة القادسية / كلية الآداب - العراق

الاهي، لذا كان التعريف بكتب العهدين، وقد اشار البلاغي الى عدد اسفارهما ومتى كتبت واسماؤها في الترجمة السبعينية والنسخة العبرانية، وان الأول من العهدين هو المسمى بالعهد القديم وهو عبارة عن تسعة وثلاثين سفراً خمسة منها منسوبة لنبي الله موسى عليه السلام تسمى بالتوراة، والاسفار الباقية منسوبة الى الوحي الى مَنْ بعد موسى من الانبياء الى ما قبل زمان المسيح عليه السلام بنحو ثلاثمائة وسبع وتسعين سنة، وقد يُسمى جميع العهد القديم بالتوراة، واللسان الاصلي له الى ما قبل سبي بابل هو اللسان العبراني، ومن سبي بابل صار الاصلي لبعضها هو اللسان الكلداني وهو لسان بابل، ثم ترجم العهد القديم الى اللغة

ستتناول في هذا القسم والقسم الثالث عدداً من الفاظ العهد القديم التي ذكرها الشيخ البلاغي في كتابه (الهدى الى دين المصطفى) بلفظها العبري ولكن بحروف عربية، ودفاعه من خلال تحليلها وذكر معانيها اللغوية والدلالية عن القرآن الكريم ورد شبهات المشككين في بعض الفاظه وكلماته.

• (סֵפֶר תּוֹרָה בְּיָמַי וּבְיָמֵיכֶם / סֵפֶר תּוֹרָה נִפְתִּיחַ אוֹכְתוּפִים): كتاب التوراة والانبياء والكتب

ذكر البلاغي في المقدمة الاولى، انه لما كان من مباحثة علماء اليهود والنصارى، والاحتجاج عليهم جديلاً والزاماً بما في العهدين المنسويين الى الالهام والوحي

اليونانية بعناية سبعين او اثنين وسبعين من علماء اليهود لمائتين واثنين وثمانين سنة او وخمس وثمانين او وست وثمانين قبل المسيح، قيل انها تمت في اثنين وسبعين يوماً وسميت بالترجمة السبعينية<sup>(١)</sup>.

من المعروف ان العهد القديم يسمى في اللغة العبرية (ספר תורה בביאים וכתובים / سفر تورا نفيييم اوكتوفيم): كتاب التوراة والانبياء والكتب، دلالة على اقسامها الثلاثة، وقد صاغ اليهود من الحروف الاولى لهذه الاقسام الثلاثة لفظاً واحداً وهو (תנ"ך / تناخ) لينوب في الاستعمال عن اسماء الأجزاء الثلاثة الكبيرة التي يتكون منها العهد القديم وذلك بقصد الاختصار<sup>(٢)</sup>.

وسُمي بالعهد القديم نسبة الى العهد الجديد الذي اقامه السيد المسيح، كما جاء في إنجيل متى ٢٦: ٢٨ (لان هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يسفك من اجل كثيرين لمغفرة الخطايا)، وقد جاء في سفر إرميا ٣١: ٣١، ٣٢ (ها ايام تأتي يقول الرب، وأقطع مع بيت إسرائيل عهداً جديداً، ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم)، والعهد القديم هو (عهد الرب) الذي تكرر لإبراهيم ثم إسحاق ثم يعقوب ثم تكرر على لسان موسى والانبياء من بعده، وقد بدأ هذا العهد أولاً مع نوح بعد ان أغرق الله الأرض ومن عليها (تكوين ٩: ٨-١٧)، ويأتي العهد الثاني لإبراهيم (تكوين ١٣: ١٤-١٧)<sup>(٣)</sup>.

وجاء في قاموس الكتاب المقدس ان الكتاب المقدس (القديم والجديد) هو مجموع الكتب الموحاة من الله والمتعلقة بخلق العالم وفدائه وتقديسه وتاريخ معاملة

١٩٧١، ص ٧٣.

(٣) انظر: البار، د. محمد علي. المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ط ١، دار القلم دمشق والدار الشامية بيروت، ١٩٩٠، ص ١٥٩-١٦٠.

(١) البلاغي، الهدى الى دين المصطفى، ج ١، ص ٣٤-٣٨، وقد ذكر البلاغي في الجزء الثاني، ان الموجود من العهد القديم، بعد اسفار التوراة، حصتان، سموا الاولى (نبيايم - اشونيم) الانبياء الاولين، والثانية (نبيايم - احرونيم) الانبياء الآخرين، ثم ذكروا حصة بعد ذلك سموها (كتوبيم) اولها الزامير (تهليم) وآخرها اخبار الايام الثاني، انظر: ج ٢، ص ١٠٩.

(٢) انظر: ظاظا، د. حسن. الفكر الديني الإسرائيلي (أطواره ومذاهبه)، معهد البحوث والدراسات الفلسطينية، بغداد



الله لشعبه، ومجموع النبوات عما سيكون حتى المنتهى، والنصائح الدينية والادبية، ويدعى ايضاً الكتب وكلمة الله<sup>(٤)</sup>. الثلاثة، وهي<sup>(٥)</sup>:

ويسمى اليهود كل كتاب من هذه الكتب (سفر/ سفر) والجمع (سفرים/ سفر موسى الخمسة، وهي:

(٤) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٧٦٢.

اسم السفر العربية	اسم السفر العبرية	اسم السفر اليونانية	عدد اصحاحاته	عدد آياته	عدد كلماته
التكوين	בְּרֵאשִׁית / بَرَأشيت	Genesis	٥٠	١٥٤٢	٢٠٩٦٧
الخروج	יְצִיאַת מִצְרַיִם / إِيْلَهُ شَموت	Exodus	٤٠	١٢٢٤	١٦٧٧٣
اللاويين	וַיְקַרְא / فَيقرأ	Leviticus	٢٧	٨٥٩	١٢٠٠٧
العدد	בְּמִדְבָּר / بِمَدْيَار	Numeri	٣٦	١٣٨٨	١٦٨٥٢
تثنية الإشتراع	אֵלֶּה הַדְּבָרִים / إيلَهُ هَدَفَاريم	Deteronominm	٣٤	٩٦٤	١٤٨٧٤

٢. (بְּבִיאִים/ نَفِيئِيم) ويُقسم الى الأول: (בְּבִיאִים / ראשונים/ نَفِيئِيم ريشونيم): الانبياء الاوّلون، وهم: قسمين:

اسم السفر العربية	اسم السفر العبرية	اسم السفر اليونانية	عدد إصحاحاته	عدد آياته	عدد كلماته
يشوع	יְהוֹשֻׁעַ / يهوشوع	Jehosuah	٢٤	٩٧٧	١٠٣٨٥
القضاة	שופטים / شوفطيم	Jedicum	٢١	٦٨١	١٠٢٨١
صموئيل الأول	שמואל א / شموئيل ١	Samuelis .1	٣١	٨٠٦	١٣٩٨٠
صموئيل الثاني	שמואל ב / شموئيل ٢	Samuelis .2	٢٤	٦٩٧	١١٤٦٠
الملوك الأول	מלכים א / ملاخيم ١	Regum .1	٢٢	٨١٦	١٣٥٤٨
الملوك الثاني	מלכים ב / ملاخيم ٢	Regum .2	٢٥	٧٢٠	١٢٨٧٣

(٥) سفر تורה نביאים وכתובים. על ידי נור-

מן הנרי، לונדון 1958؛ قاموس الكتاب

المقدس. ص ٧٦٥-٧٦٧.





٣. الأسفار الشعرية: وعددها ستة، هي: أيوب، المزامير، أسفار سليمان الثلاثة، وهي: الأمثال والجامعة ونشيد الأناشيد ومراثي ارميا.

٤. الأسفار التعليمية: وعددها اثنان هما: سفر الحكمة، ويسوع بن سيراخ.

٥. ومن اليهود من يجعل أسفار العهد القديم (٢٣) سفرًا، على عدد حروف هجائهم، ولذلك اعتبروا نبوات الإثني عشر نبيًا الصغار سفرًا واحداً، وضموا مراثي (إرميا) إلى سفر (نبوته) و (راعوث) إلى سفر (القضاة)، في حين ان بعضهم فصل هذين السفرين الأخيرين لوحدهما جاعلاً العدد (٢٤) سفرًا حسب حروف الهجاء عند اليونان.

وقد تُرجم العهد القديم الى لغات عدة، الا ان اشهر الترجمات القديمة المعروفة اربع، هي:

١. الترجمة السبعينية اليونانية (Septuagint)، وتعد اول ترجمة للتوراة من العبرية الى اليونانية واشهرها واهمها، وقد تُرجمت اسفار موسى

وهذه الأسفار البالغة (٣٩) سفرًا، هي المعتمدة لدى الكنيسة البروتستانتية، اما الكنيسة الكاثوليكية فيبلغ عدد الأسفار لديهم (٤٦) سفرًا، إذ يضيفون سبعة اسفار اخرى هي: طوبيا، يهوديت، الحكمة، يسوع بن سيراخ، باروخ، المكابيين الأول، المكابيين الثاني، ويُقسّم الكاثوليك أسفار العهد القديم كما يلي:

أسفار موسى الخمسة (التوراة)، وهي الاسفار الخمسة الموجودة لدى البروتستانت واليهود والطوائف الأخرى.

١. الأسفار التاريخية، وهي (١٦) سفرًا كالتالي: يشوع، القضاة، راعوث، الملوك الأول والثاني والثالث والرابع، أخبار الأيام الأول والثاني، عزرا، نحميا، طوبيا، استير، يهوديت، المكابيون الأول والثاني.

٢. الأسفار النبوية: وعددها لديهم (١٧) سفرًا، هي: أشعيا وارميا وباروخ وحزقيال ودانيال وهوشع ويوثيل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجي وزكريا وملاخي.



إذ ان اليهود الذين رجعوا من بابل كانوا يتكلمون اللغة الآرامية، فبدأ الكتبة بترجمة وتفسير الكتاب المقدس الى الآرامية لكي يستطيع هؤلاء فهم النص المقدس وقراءته، وتسمى هذه الترجمة ب: ترجمات، واليهما اشار سفر نحemia ٨: ٨.

فضلاً عن ان هناك اجزاء من العهد القديم كُتبت اصلاً باللغة الآرامية، هي:  
سفر التكوين، آية واحدة (٣١: ٤٧).  
- سفر إرميا، آية واحدة (١٠-١١).

- سفر دانيال، اصحاح ٢: ٤ - نهاية الإصحاح؛ اصحاح ٣، اصحاح ٤، اصحاح ٥، اصحاح ٦، اصحاح ٧.  
- سفر عزرا، اصحاح ٤: ٨ - نهاية الأصحاح، اصحاح ٥، اصحاح ٦:  
١-١٩، اصحاح ٧: ١٢-٢٧.

٣. الترجمة السريانية (البيطة)، وُسِّمت بذلك لترك البلاغة في نقلها ولبساطتها ووضوحها، وقد تُرجمت في القرن الثاني والثالث، واصلحت فيما بعد بالمقابلة مع الترجمة اليونانية.

٤. الترجمة اللاتينية (الفولجاتا Vulgata)، وتسمى ايضاً بالترجمة

الخمسة وحدها اول الامر، ثم تُرجمت اسفار العهد القديم الاخرى خلال القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد.

وقد بدأ بترجمتها لجنة من العلماء اليهود تحت رعاية بطليموس فيلادلفوس عام ٢٨٥ ق.م، وُسِّمت بالسبعينية؛ لان عدد المترجمين الذين قاموا بترجمتها كانوا سبعين او اثنين وسبعين، حُبسوا في سبعين او اثنين وسبعين غرفة، خلال مدة سبعين او اثنين وسبعين يوماً، وخرجوا ومعهم سبعون او اثنان وسبعون ترجمة.

وهذه الترجمة هي التي كانت مستعملة في ايام المسيح عليه السلام، وتتضمن كتب الابوكريفا التي لم تكن في الاصل العبري، وهذه الاسفار، هي: سفر اسدراس الاول و سفر المكابيين الأول والثاني، وبعض الاضافات في سفر دانيال، وسفر باروخ وسفر طوبيت وسفر يهوديت وسفر اسدراس الثاني وسفر حكمة سليمان وسفر حكمة يشوع بن سيراخ.

٢. الترجمة الآرامية (الترجوم)، وهي ترجمة آيات التوراة من العبرية الى الآرامية مع بعض الشروح والتعليقات،



وكلمة (تורה/ تورا) مشتقة من الفعل (יָרָה/ يارا): علّم، درس، دلّ، ارشد، على صيغة الفعل المزيد (הַפְעִיל/ هفيعيل)، (הורה/ هورا).

وهو ما ذهب اليه الاب مرمرجي الدومنيكي في دراسته لكلمة التوراة، ويذكر قول العلماء في ان اول استعمال (التوراة) كان للدلالة على القاء القرعة والسهام في الهياكل لاستنباء ارادة الالهة، أي ان التوراة كانت تدل على طلب معرفة مشيئة الله وتدبيره، مما كان على الكهنة ان يعلّموه للشعب.

ونجد مصداقاً لهذا الرأي، فالفعل (יָרָה/ يارا) في احد معانيه هو: اطلق، رمى، قذف، صبّ، والوزن المزيد منه (הורה/ هورا) يعطي المعنى نفسه.

ويرجع الدكتور رمضان عبد التواب اصل هذه الكلمة الى (תורה/ تويرا) على وزن (تفعال)، فقلبت الياء واواً لضم ما قبلها، كما في اللغة العربية، في مثل كلمة (مؤمن) واصلها (مؤمن) من: اليقين.

وذكر المشترق الالماني (برجشتراسر) ان التوراة من الالفاظ العبرية-الآرامية،

الشعبية، وتعد من الترجمات الشائعة في اوساط المسيحيين، عمل هذه الترجمة العالم المسيحي (ايرونيوس) عام ٣٩٠ م، وانهاها عام ٤٠٥ م، وقام بها بناء على طلب (دماوس) اسقف رومية (٣٦٦-٣٨٤ م).

• (تורה/ تورا): توراة

• ذكر البلاغي نص الآية الثالثة من الاصحاح الخامس عشر من سفر الايام الثاني: لاسرائيل ايام كثيرة بلا اله حق وبلا كاهن وبلا شريعة، وفي النسخة العبرانية بلا توراة.

اخبار الايام الثاني ١٥: ٣

יְמִימִם רַבִּים לְיִשְׂרָאֵל בְּלֹא אֱלֹהֵי אֲמֶת

وبلا فها مורה وبلا تورا.

فياميم ربّيم لاسرائيل لولو ايلوهي إيمنت اوللو كوهين موريه اوللو تورا.

وايام كثيرة لاسرائيل بلا اله حق ولا كاهن معلم ولا توراة.

وقد جاءت كلمة (تורה/ تورا) في العهد القديم (٢٢٠) مرة، منها: خروج ١٢: ٤٩، لاويين ٧: ٧، عدد ١٥: ١٦، ٢٩، تثنية ٣٣: ٤، اشعيا ٢: ٣، ٨: ١٦.



فأول اللفظ من العبرية وآخره من الآرامية.

وقد ذهب بعض العلماء الى ان التوراة من الالفاظ المعربة عن العبرية، جراء اتصال العرب باليهود.

ومنهم من ذهب الى ان التوراة اسم مشتق من (الوري) بمعنى خروج النار من الزند، وبهذا يكون معنى التوراة: الضياء والنور.

وقد جاءت كلمة (التوراة) في القرآن الكريم (١٨) مرة، في: آل عمران ٣، ٤٨، ٥٠، ٦٥، ٩٣(٢)، المائدة ٤٣، ٤٤، ٤٦(٢)، ٦٦، ٦٨، ١١٠، الاعراف ١٥٧، التوبة ١١١، الفتح ٢٩، الصف ٦، الجمعة ٥.

وتطلق كلمة (التوراة) على كتب موسى الخمسة، وهي: (التكوين، الخروج، العدد، اللاويين، التثنية)، ويُسمون هذه الكتب ايضاً باسماء اخرى، منها: (توراة ايلوهِيم / توراة ايلوهِيم).

توراة الله، اشعيا ١: ١٠، و (توراة يهوه / توراة يهوه): توراة يهوه، خروج ١٣: ٩، و (توراة موشه / توراة موشيه): توراة

موسى، يشوع ٨: ٣٢.

الريانيون من اليهود يدعونها (המק-  
רא / همقرا) أي: النص المقروء، و(חומש  
חומשי התורה / حومش حومشي هتورا):  
خمسة اخماس الشريعة، ويُطلق عليها في  
للترجمة السبعينية (البتاتوكس Pen-  
tatuch) أي: الملفات الخمسة.

الا ان (التوراة) اصبحت تطلق  
مجازاً عن الكتاب المقدس بعهديه القديم  
والجديد، وهو من باب التعميم واطلاق  
تسمية الجزء على الكل؛ لأهمية التوراة  
ونسبتها الى موسى عليه السلام.

ولم تكن التوراة مقسمة الى اصحاحات  
(فصول) واعداد (آيات)، وانما كانت  
مقسمة الى اربعة وخمسين فصلاً على عدد  
ايام السبت في السنة اليهودية، لتسهيل  
قراءتها في الكنيس، ونجد اشارات في  
العهد الجديد تؤيد ذلك، من ان شريعة  
موسى (التوراة) كانت تقرأ في المجامع كل  
يوم سبت.

اما تقسيمها الى اصحاحات (فصول)  
واعداد (آيات)، فيذكر الاب ديلي ان  
ستيفن لانجتون قام سنة (١٢٢٨م)



بتقسيم التوراة الى اصحاحات، وفي سنة (١٥٥١م) قام روبرت ايتن بتقسيم الفصول الى آيات.

اما التقسيم الحالي للتوراة، فيذكر قاموس الكتاب المقدس، ان هذا التقسيم تم سنة (١٥٥٥م)، عندما قام روبرت ستفانس بنشر التوراة الآرامية (الفولجاتا) مقسمة الى فصول وآيات، فاستعملت هذه الطريقة في سائر الطبعات وانتشرت الى سائر اللغات.

وكانت التوراة غير محرّكة، فقد كانت تقرأ في مواضع كثيرة باشكال مختلفة، فتعطي معاني مختلفة للنص الواحد لغياب الحركات، وكانت تعتمد على حروف العلة للدلالة على الحركات في حالات الرفع والنص والجر، وقد استعملت هذه الحروف عندما اصبحت اللغة العبرية تعد من اللغات غير الحية، واستمر استعمال هذه الحروف الى القرون التي سبقت العهد الذي وضع فيه النص الماسوري.

ويدعى النص العبري للتوراة الموجودة حالياً ب: النص الماسوري او المسور (מסורת/ ماسوريت): تقليد،

متعلق بالتقاليد التوراتية، ويبدو ان هذا الاسم مشتق من الفعل (תָּוַן/أسر): منع، حرّم، أي: ان نص التوراة الماسوري، هو النص المحافظ، او النص المحاط بالاسوار.

والنص الماسوري كان نتيجة عمل مجموعة من العلماء الذين قاموا بجمع النصوص العبرية للكتاب المقدس وتنقيحها ومعرفة النصوص الزائفة والدخيلة والمحرّفة، فوحدوها وجمعوها في كتاب واحد، فاصبح النص الرسمي والقانوني لاسرائيل.

اما زمن عمل النص الماسوري، فقيل ان هذا النص بدء منذ اواخر القرن الاول الميلادي، واستمر الى القرن التاسع الميلادي، في حين ان قاموس الكتاب المقدس يذكر ان النص الماسوري بدء منذ القرن السادس الميلادي واستمر الى القرن الثاني عشر بعد المسيح في طبرية.

وقد امتاز النص الماسوري بتحريك النص المقدس، إذ كانت العبرية تكتب قبل ذلك من دون حركات، وقد وضع علماء اليهود (الماسوريين) الحركات



فيه فريضة دهرية، فانه في الاصل (حقت عولم، وحق عولم، ولحق عولم) وما قيل فيه (عهد ابدى، وميثاق ابدى) فانه في الاصل (بريت عولم) وما قيل فيه الى الابد فانه في الاصل (لعولم وعد عولم).

وكلمة (עולם / عولام) اسم مفرد مذكر، يأتي بمعنى: عالم، دنيا، كون، الانسانية، وجود، خلود، وفي حالة الجمع (עולמים / عولاميم).

ويذكر ابن شوشان ان هذه الكلمة موجودة في الاوغاريتية (עלמ / ع ل م) والمؤابية والكنعانية، والآرامية (עלם، עולמא / عالم، عولما)، والعربية (عالم)، وانها ربما مشتقة من الاداة (על / عد): خلود، ابدية، حتى، الى ان، مع التوسع في المعنى. وجاءت هذه الكلمة في العهد القديم

(٤٣٧) مرة، بصيغة المفرد (עולם / عولام) في (٤٢٥) موضع، منها: تكوين ٩: ١٢، ١٣: ١٥، خروج ١٢: ١٧، تثنية ٢٣: ٤، زمامير ١٨: ٥١، وبصيغة الجمع (עולם-מים / عولاميم) في (١٢) موضع، منها: اشعيا ٥١: ٩، زمامير ٧٧: ٦، ١٤٥: ١٣. وتعددت معاني كلمة (עולם / عولام)

على الكلمات، وكانت على شكل نقاط، وعملوا للنص تفسيراً يسمى (المسورة)، أي: التقليد، يتضمن كل ما يتعلق بصحة ذلك النص، ووضع الماسوريون الاصلاحات التي ارتأوها على النص وجعلوها في الحاشية تاركين للعلماء الخيار في قبولها او رفضها بعد البحث والتدقيق.

• (עולם / عولام): أبد  
• ذكر البلاغي خلال تناوله مادة

(الأبد) في التوراة والعهد القديم، وانهم يحتجون على المسلمين في ان كثيراً من شريعتهم قد نصت التوراة على انه ابدى والى الابد، فيمتنع ما جاء به الاسلام من نسخ هذه الامور، ورد البلاغي في ان الاحتجاج بهذا متوقف على صحة السند للتوراة الرائجة، وهو متوقف على دلالة ما تذكره في الاصل العبراني على التأييد مدى الليالي والأيام وليس كذلك كما يشهد به التتبع في العهد القديم العبراني، فان كل ما قيل في تعريبه، فريضة ابدية، فانه في الاصل العبراني (حقت علوم)، وما قيل في تعريبه (كهونوت ابدية) فانه في الاصل (كهونوت لحقت عولم) وما قيل



- في العهد القديم، منها:
١. ابد، دوام، في (١٣٥) مرة، منها:
- تكوين ٩: ١٢، ١٦، ١٧: ١٩، لاويين ٢٥: ٣٢، ٣٤، تثنية ٣٣: ٢٧.
٢. خلود، بقاء، سرمد، في (١٧٨) مرة، منها: تكوين ٣: ٢٢، ٦: ٣، خروج ٢١: ٦، لاويين ٢٥: ٤٦.
٣. الزمن القديم، الماضي البعيد، في (٣٣) موضعا، منها: يوشع ٢: ٢٤، اشعيا ٦٣: ١٦، ارميا ٥: ١٥، مزامير ٩٣: ٢، ١٠٣: ١٧.
٤. المستقبل البعيد، في موضع واحد، مزامير ٧٧: ٨.
٥. العالم، السماوات، في موضعين، مزامير ٨٩: ٣، الجامعة ٣: ١١.
٦. طول الحياة، مدة البقاء على قيد الحياة، نحو: (العبد يخدم سيده الى الابد) خروج ٢١: ٦، (الام تنذر ابنها ليخدم في بيت الرب الى الابد) صموئيل الأول ١: ٢٢، ١١.
- وجاءت كلمة (עולם/عولام) مع كلمات اخرى، فقد جاءت مع كلمة (עַד/عَد)، بصيغة (עולם/עולام فاعيد):
- الى الابد، في (٦) مواضع، منها: مزامير ٤٥: ٧، ٤٨: ١٥، وبصيغة (מֵעוֹלָם וְעַד/عولام/میعتا وعد عولام): من الآن والى آخر الزمن، في (٨) مواضع، منها: اشعيا ٦: ٩، مزامير ١١٣: ٢، ١٢١: ٨.
- ومع كلمة (בְּרִית/بريت): ميثاق، (בְּרִית עוֹלָם/بريت عولام): عهد ابدى، في (١٧) موضعا، منها: خروج ٣١: ١٦، لاويين ٢٤: ٨، اشعيا ٢٤: ٥.
- ومع كلمة (חַק/حاق)، بصيغة (חַק עוֹלָם/حاق عولام): الى لا نهاية، بدون حدود، في (١١) موضعا، منها: خروج ٣٠: ٢١، لاويين ٦: ١١، ١٥، عدد ١٨: ٨، وبصيغة (חֻקַּת עוֹלָם/حوقت عولام) في (٢٣) موضع، منها: خروج ٢٨: ٤٣، لاويين ٣: ١٧.
- ومع كلمة (כְּהֹנָת/كهوت)، (כְּהֹנָת עוֹלָם/كهوت عولام)، في موضعين، خروج ٤٠: ٤٥، عدد ٢٥: ١٣.
- كما تقدم، نستطيع ان نقول ان كلمة (עולם/عولام) الواردة في العهد القديم، لا تدل على الابدية والخلود، بل جاءت تدل على معانٍ اخرى، وهذا ما اكده



وصوابه شخينا وهي كلمة عبرية معناها الروح، او مأخوذ من شاخونة ومعنى سكن، ورد البلاغي بقوله: ان السكينة مأخوذة من السكون بمعنى الطمأنينة، أي روح تقتضي سكون بني اسرائيل وطمأنيتهم بها.

وكلمة (שְׁכִינָה/ شخينا) في اللغة العبرية تأتي بمعنى: الألوهية، روح للقدس، وحيّ الهي، الله، ومنها (בֵּית הַשֵּׁכִינָה/ بيت هسرخينا): البيت المقدس.

ويبدو ان هذه الكلمة كانت تستعمل في الآداب التلمودية والمدراشية القديمة، وجاءت في آرامية التلمود البابلي بصيغة (שְׁכִינָתָא/ شكينتا).

ولم ترد هذه اللفظة في العهد القديم للدلالة على الروح، بل جاءت كلمة (רוּחַ/ روح) للدلالة على الريح او النفس، في اكثر من (٣٨٠) موضعاً في العهد القديم، وجاءت في ثلاثة مواضع فقط تدل على الروح القدس (רוּחַ הַקּוֹדֵשׁ/ رُوح هقوديش)، كما في: مزامير ٥١: ١١، اشعيا ٦٣: ١٠، ١١.

اما كلمة (שְׁכִינָה/ شاخونا): ساكنة،

البلاغي في بحثه عن الابد في التوراة والعهد القديم، وقد ختم بحثه هذا بقوله: « وهذا قليل من كثير تعرف به ان لفظ (عولام) في العبرانية غير مختص بالتأيد الى آخر الزمان ولا يدل على ذلك بل غاية ما تسلم من دلالته على دوام الشيء مدة استعداده المَجْعُول له، فالعبد يخدم مدة عمره ما لم يتلف السيد عينه او سنه، و (صموئيل) يسكن امام الرب مدة عمره، وفاعل الخير يسكن مدة عمره والشريعة يحفظها، والوصايا لا ينساها مدة عمره، والاحكام المذكورة في الاعتراض تدوم ما دامت الشريعة الموسوية قائمة لم تنسخ بشريعة النبي المماثل لموسى كما اخبرت به التوراة (تث ١٨: ١٥-٢٠) ».

وجاءت هذه الكلمة في النقوش الكنعانية والآرامية، والفينيقية، والاوغاريتية، والنبطية، وجاء في السبئية بمعنى (الكون).

• (שְׁכִינָה، שְׁכִינָה/ شخينا، شاخونه): روح، سكن ذكر البلاغي اعتراض المتكلف والمتعرب على قوله تعالى في وصف (التابوت فيه سكينه)، فقال:



فهي اسم فاعلة على وزن (פועלה) / فاعولا)، ولم ترد في العهد القديم.

وكلتا الكلمتين ترجع الى الاصل (שכן / شاحن): سكن، قطن، استقر في.

• (אדון / أدون): سيد، مولى

• ذهب البلاغي الى ان تراجم

العهد الجديد والمزامير اتفقت على تغيير

معنى (سيدي) الذي هو في الترجمة

العبرانية (هادون) - أي السيد او المولى -

الى معنى ربي، وانهم ترجموا المزمور العاشر

بعد المائة ونصه: نأوم يهوه لادناي - أي

اوحى الله لسيدي، الى: قال الرب لربي.

كلمة (אדון / أدون) في اللغة العبرية

بمعنى: مولى، سيد، بعل، رب، وقد

جاءت في العهد القديم (٣٣٤) « مرة،

جاءت في اكثر من (١٠٠) موضع بصيغة

الجمع (אדונים / أدونيم): سادة.

وقد اختلفت دلالتها، وكالاتي:

١. جاءت في (٦) مواضع للدلالة

على: حاكم، رئيس، قائد، كما في: تكوين

٤٥: ٩، ٨، ارميا ٢٢: ١٨، ٣٤: ٥، مزامير

١٢: ٥، ١٠٥: ٢١.

٢. جاءت في (٢٦) موضعاً كلقب من

القاب الرب، منها: خروج ٢٣: ١٧، ٣٤:

٢٣، اشعيا ١: ٢٤، ٣: ١، ١٠: ١٦، ٣٣،

مزامير ١١٤: ٧.

٣. جاءت في المواضع الاخرى للدلالة

على السادة، الذين يملكون العبيد، منها:

تكوين ٣٣: ١٣، ١٤، ١٥، خروج ٣٢:

٢٢، صموئيل الاول ٢٥: ٢٤، ٢٥، ٢٧،

٢٩، ٤١.

كما جاءت هذه الكلمة مركبة مع اسماء

اخرى، كاسماء اعلام، مثل:

- (אדוני צדק / ادوني صدق): سيد

الصدق، في: يشوع ١٠: ١، ٣.

- (אדוני قام / ادوني قام): السيد قام،

في: عزرا ٢: ١٣، ٨: ١٣.

- (אדוניה / ادونيا): يهوه هو السيد،

في: نحemia ١٠: ١٧.

- (אדוני رام / ادونيرام): السيد العالي،

في: الملوك الاول ٤: ٦.

ويذكر ابن شوشان ان كلمة (אדון /

أدون) من الالفاظ السامية القديمة، إذ

وردت في الاوغاريتية بمعنى: اب، رئيس،

والاكديّة والكنعانية adannu بمعنى:

القوة، وهي موجودة في اللغات السامية



فضلاً عن أن سياق الآية الأولى في المزمور العاشر بعد المائة، لا يسمح بأن يكون قال الرب للرب! فهل يعقل هذا، ولا سيما وأن (יהוה / يهوه) يُعد إله العبريين المقدّس.

وإسم (אֲדוֹנָי / أدوناي) يستعاض بها عن لفظ الإسم (יהוה / يهوه)، وأنّ إسم (אֲדוֹנָי / أدوناي) يُلفظ في أسفار العهد القديم / النص الماسوري، بدلاً من إسم (יהוה / يهوه)، مثل:

- (יְהוָה / يهوه) تلفظ: (אֲדוֹנָי / فادوناي)  
- (יְהוָה / يهوه) تلفظ: (אֲדוֹנָי / لأدوناي).

- (יְהוָה / يهوه) تلفظ: (בִּאֲדוֹנָי / فادوناي).

- (יְהוָה / يهوه) تلفظ: (מֵאֲדוֹנָי / فادوناي).

- (יְהוָה / يهوه) تلفظ: (הָאֲדוֹנָי / فادوناي).

• (אֵל / إيل): الله

• ذكر البلاغي ان التوراة تنسب الى الملاك ما تختص نسبته الى الله جل شأنه، منها، قولها ان ملاك يهوه وجد (هاجر)

الغريبة، كالفينيقية والبونية والنبطية والتدمرية بالمعنى نفسه.

وكلمة (אֲדוֹנָי / أدوناي) اسم من اسماء الرب، وقد جاءت في العهد القديم اكثر من (٤٢٥) مرة، منها: تكوين ١٨: ٣، ٢٧، ٣١، خروج ٤: ١٠، ١٣، ٥: ٢٢، اشعيا ٦: ٨، ٦١: ١، ارميا ٤٤: ٢٦، حزقيال ٦: ٣، ٢٥: ٣، ٣٦: ٤.

اما نص الآية العاشرة الأولى في المزمور العاشر بعد المائة، فنصه العبري مع ترجمته، هو:

נָאם יְהוָה לְאֲדוֹנָי שֵׁב יְמִינִי עַד-אֲשִׁית  
אִיךָ הַדָּם לְרַגְלֶיךָ.

ثوم يهوه لادوني شيف ليميني عد آشيت أوفيخا هدوم لرجليخا.

قال الرب لسيدي (الملك): اجلس عن يميني حتى اجعل اعداءك موطناً لقدميك. (مزامير ١١٠: ١)

ونحن مع الشيخ البلاغي في ترجمته لكلمة (אֲדוֹנָי / ادوني) في هذه الآية بـ:

سيدي؛ ذلك ان هذه الكلمة تصبح اسماً من اسماء الرب فقط اذا جاءت بالصيغة التي ذكرناها سابقاً وهي (אֲדוֹנָי / أدوناي).



وذكرت مكالمته معها ثم قالت: وقال لها ملاك يهوه كثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة، ثم قالت التوراة فدعت (هاجر) اسم يهوه الذي تكلم معها انت ايل رثي (أي اله رؤية).

و (אֵיל / إيل) اسم من اسماء الله في العبرية، ويعني: القدرة، القوة، وقد ورد في العهد القديم (٢٣٥) مرة، منها: تكوين ١٤: ٢٠، ٢٢، ٣٥: ١١، ٤٨: ٣، خروج ٢٠: ٥، ٣٤: ٦، ١٤: ١٢، عدد ١٣: ٢٣، ٨: ٨، تثنية ٥: ٩، ٧: ٢١، ٣٢: ١٨، ٢١.

وجاء في (٤) مواضع فقط في صيغة الجمع (אֵילִים / إيليم): آلهة، كما في: خروج ١٥: ١١، مزامير ٢٩: ١، ٨٩: ٧، دانيال ١١: ٣٦، وقد جاء في (٧) مواضع للدلالة على اله من آلهة الاوثان، كما في: خروج ٣٤: ١٤، تثنية ٣٢: ١٢، اشعيا ٤٤: ١٧، ملاخي ٢: ١١، مزامير ٤٤: ٢١، ٨١: ١٠ (٢).

و (אֵיל / إيل) اله الاقوام السامية عموماً، ويعد الاله العظيم الذي قدّسته هذه الاقوام منذ اقدم العصور، فقد ورد في نصوص اكدية بصيغة (إل،

إيل)، وفي النقوش السامية الغربية، كالاوغاريتية والفينيقية والآرامية، إذ يظهر فيها بشكل واسع في نهاية الاسماء، مثل: جبرئيل، عزرائيل.

وقد احتلت عبادة (إيل) مكانة واسعة في العالم القديم، فقد آمن به الاغريق، و اضافوا له لاحقة الاسماء (يوس)، فاصبح الاسم (ايلوس)، وبه تسمى عدد من ابطال الاليادة، مثل: مينليوس، اخيلوس، كذلك فان الرومان عُرف بينهم هذا الاسم، فسَمّوا: فرجيل = فرج+ ايل، هرقل = هرقي+ ايل.

وكان (אֵיל / إيل) يدل على الاله العظيم خالق السموات والارض، عند الاقوام السامية، فهو ليس اله مثل بقية الآلهة التي كانت موجودة آنذاك، واسمه لم يكن يطلق على أي اله آخر، فلم يكن يقال: ايل بعل (الاله بعل)، ولا ايل مردوخ (الاله مردوخ).

وجاء في قاموس الكتاب المقدس ان (إيل) اسم من اسماء الله في العبرية، وتستعمل بمفردها للدلالة على الاله الواحد الحقيقي (عدد ١٢: ١٣)، وكثيراً





بشعب دون شعب.

اما كيف تطور اسم (אֵל / إيل) الى اسم (الله) فيذكر جرجي كنعان رأي في هذا مفاده، ان احد صفات اللسانين الآرامي والعربي هو الميل الى مد الصوت، وحروف المد واللين هي الالف والواو والياء، ولكن الالف امدهن صوتاً، ومن الطبيعي ان تكون الالف اشباعاً للفتحة التي قبلها إذا مد الصوت بها (يا ايلا)، ثم ان الهاء حرف مهموس ضعيف، تلحق الاسم لبيان الحركات تسمى هاء الوقف او السكت (يا ايلاه)، ثم حذفوا الياء الساكنة استقلاً لها بين متحركين مكسور ومفتوح (يا إلاه)، ولم يستسيغوا المد المفتوح بعد همزة مسكورة، فتركوا الهمزة وحولوا كسرتها الى لام مفتوحة، فالتقى لآمان متحركان فأدغموا الاولى في الثانية، فقالوا اللاه (الله).

• (ب، ت، د، هـ / ب، د، ك، م)

• ذكر البلاغي في حديثه عن اختلاف كتب العهد القديم فيما بينها في التاريخ، ان (اخزيا) كان ابن اثنتين وعشرين سنة عند ملكه (الملوك الثاني

٨ : ٢٦)، وجاء في (الأيام الثاني ٢٢ :

٢) ان اخزيا كان ابن اثنتين واربعين سنة، فزاد تاريخ سفر الأيام الثاني على تاريخ سفر الملوك الثاني عشرين سنة، ثم يشير الى قول المتكلف ان سبب اختلاف القراءة من (٢٢) الى (٤٢) هو ان العبرانيين كانوا يستعملون الاحرف للدلالة على الاعداد، وبما انه يوجد تشابه بين الحرف الدال على العدد (٢) والحرف الدال على العدد (٤)

نشأ هذا الاختلاف، فعقّب البلاغي على ذلك بقوله: ان اليهود وان كانوا ربما يشيرون الى العدد بالحروف ولكنه لا اثر لذلك في متن العهد القديم العبراني، وان اشارتهم الى العدد انما هي بحروف (ابجد) الكبير الذي تكون فيه مراتب العدد محفوظة في ذات الحرف لا بموقعه في الصف، وان المتكلف غلط في قوله تشابه الحرف الدال على العدد (٢) والحرف الدال على العدد (٤)

بل الاشتباه في مثل المقام يكون بين الحرف الدال على عشرين وهو الكاف، والحرف الدال على اربعين وهو الميم،



الحروف الفينيقية القديمة، ويُعرف في هذه المرحلة باسم (الحرف العبري القديم).

### المرحلة الثانية: ظهر تأثر الحروف

العبرية بالرسم الآرامي، تبعاً لتأثره باللغة الآرامية نفسها، ومن ثم نشأ نوع جديد من الرسم اشتهرت تسميته بـ: الرسم العبري الحديث او العبري المربع، وقد اقتصر في البدء استعمال هذا الرسم الجديد على الشؤون الدينية، اما فيما عداها فقد ظل اليهود يستعملون الرسم القديم أمداً طويلاً.

### المرحلة الثالثة: في حوالي القرن

السادس الميلادي، ادخل على هذا الرسم إصلاح جديد، فقد اعتبرت الالف والواو والياء أصوات مد طويلة، فساعد ذلك على ضبط النطق، وحفظ الكلمات من التحريف.

### المرحلة الرابعة: أُدخل إصلاح آخر،

إذ اخترع نظام الحركات للإشارة لى اصوات المد القصيرة، وقد أخذت ثلاث طرق لرسم هذه الحركات، أولها: تُعرف بالطريقة الطبرية بفلسطين، نسبة

كما ان الباء والبدال والكاف والميم في الخط العبراني متباعدة في الشكل كتباعدها في الخط العربي او اكثر فلا يشته بها.

من المعروف ان اللغة العبرية هي من اللغات السامية التي يكون عدد الحروف فيها (٢٢) حرفاً، باستثناء اللغة الاكدية التي استخدمت العلامات والمقاطع السومرية التي ربما تصل الى (٦٠٠) علامة، وتسمى رموز الابدجية العبرية باسم (כְּתָב מְרֻבָּע / كِتَاف ررُوبَاع): الكتابة العبرية المربعة He- brew Square Script، وتسمى ايضاً باسم: الخط الآشوري (המיושר / هميوشار): الخط المستقيم، وهذا الخط شبيه بالقلم الآرامي المتأخر، وبالخط النبطي والتدمري.

ويبدو ان الحروف العبرية مشتقة من الحروف الفينيقية، ويمكن تقسيم مراحل تطور الحرف العبري الى اربعة مراحل:

### المرحلة الأولى: كانت أشكال

الحروف العبرية لا تختلف كثيراً عن



إلى مدرسة طبرية، ترمز إلى أصوات المد القصيرة بعلامات تحت الحروف، وهي أشهر الطرق، ويكاد لا يستعمل غيرها في الوقت الحاضر، وثانيها: تُعرف بالطريقة العراقية أو البابلية، نسبة إلى مدارس اليهود أيام السبي، ترمز إلى أصوات المد القصيرة بعلامات فوق الحروف، وقد انقرضت هذه الطريقة بانقراض المدارس البابلية، وثالثها: تُعرف بالطريقة الفلسطينية، وهي ترمز إلى أصوات المد القصيرة بعلامات فوق الحروف، كما تفعل الطريقة العراقية، ولكنها تختلف عنها في صورة هذه العلامات ودلالاتها.

وتكتب من اليمين إلى اليسار، شأنها في ذلك شأن معظم اللغات السامية، باستثناء اللغة الحبشية التي تكتب من اليسار إلى اليمين، وقد رُتبت رموز الابدادية السامية والعبرية ترتيباً ابجدياً، وجمعت في ست مجموعات ليسهل ترديدها وتعلمها، وهي: (ابجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت).

אבגד, הוז, חטי, כלמן, סעפצ, קרשת  
אבגד: א ב ג ד, ה ז ח ט: ה ז ח  
ח ט י: ח ט י, כלמן: כ ל מ נ  
ס ע פ צ: ס ע ف ص, ק ר ש ת: ק  
ר ש ת

وتكتب الحروف العبرية منفصلة بعضها عن بعض ولا يوجد اعراب لأواخر الكلمات فيها، وهناك خمسة احرف يتغير رسمها اذا وقعت في نهاية الكلمة، وتجمع في قولنا: (كم صنف) او (نصفكم)، هي: ד-ה/ק, כ, מ-ם/ס, נ-ו/ן, פ-פ/ף, צ-ץ/צ, ص, وهناك ستة حروف لها نطقان، هي حروف (בגד כפת/بجد كفت)، فتتطق في بداية الكلمة او بعد سكون نطقاً شديداً ويلزم وضع شدة داخل الحرف لتدل على النطق الشديد، وكالآتي: ב/ב, כ/כ, פ/פ ب الباء المثلثة، ת/ת, ג/ג, ד/ד، وتنطق نطقاً خفيفاً ان لم تقع في بداية الكلمة او بعد سكون تام وتخلو من الشدة، وكالآتي: ב/ב, ד/ד, ח/ח, פ/פ, ת/ת, ג/ג, ז/ז، ذ.

وقد وردت حروف الابدادية العبرية



كاملة في فقرة واحدة في العهد القديم، في:  
سفر صفنيا ٣: ٨

לְכֹן חָפוּ לִי נְאֻם יְהוָה לְיוֹם קוּמִי לְעַד כִּי  
מִשְׁפָּטִי לְאַסֹּף גּוֹיִם לְקַבְּצֵי מִמְּלֻכּוֹת לְשַׁפֵּר  
עַלֵיהֶם זַעֲמִי כֹל חֲרוֹן אַפִּי בְּאֵשׁ קִנְאָתִי תֹאכַל  
כֹּל הָאָרֶץ.

لا حين حَكَّو لي نِثوم يهوا ليووم قومي  
لِعَد كِي مِشْباطِي لِيئِسْف جوييم لِقوفصي  
تَمَلَاخوت لِشْفوخِ عَلَيْهِم زَعَمِي كُول  
حرون آبِي بِيئِش قِنْتَاتِي تِيئَاخِيل كُول  
هاتاريص.

لذلك فانتظروني الى يوم اقوم  
الى السلب، لأن حكمي يجمع الأمم،  
ويحشر الممالك، لأصب عليهم سخطي،  
كل حمو غضبي، لأن كل الأرض تؤكل  
بنار غيرتي.

وجاءت بعض مقاطع من العهد  
القديم مرتبة بحيث تكون الكلمة الأولى  
من الآية الأولى تبدأ بحرف (א/أ)،  
وتكون الكلمة الأولى من الآية الثانية  
تبدأ بحرف (ב/ب)، وهكذا، ومن هذه  
المقاطع:

٢. سفر مراثي إرميا ١-٤.  
٣. سفر الأمثال ٣١: ١٠-٣١.  
٤. سفر المزامير ٩، ١٠، ٢٥، ٣٤،  
٣٧، ١١١، ١١٢، ١١٩، ١٤٥.

وتمثل الحروف العبرية أرقاماً  
عددية ايضاً، فالأحرف العشرة الأولى  
للأحاد، والعشرة الثانية للعشرات،  
والحروف الثلاثة الأخيرة تمثل  
المئات- كما هو واضح في جدول رموز  
الأبجدية العبرية-، اما الأعداد المركبة  
فتؤلف من عدد من الحروف مرتبة إلى  
جانب بعضها أي: الآلاف، فالمئات،  
فالعشرات، فالأحاد، على ان تُحسب  
من اليسار إلى اليمين غالباً مثل: א = ١١،  
ב = ١٢ وهكذا.

وفيما يلي جدولاً لرموز الأبجدية  
العبرية مع رسمها اليدوي ونطقها  
والمقابل العربي لها والقيمة العددية  
لكل رمز<sup>(٦)</sup>.

(٦) عليان. قواعد اللغة العبرية، ص ١٩-٢١.

١. سفر ناحوم ١: ٢-١٤.



شکل الحرف	الرسم اليدوي	اسم الحرف	المقابل العربي	القيمة العددية
א	א	אליף = אַלף	أ	١
ב	ב	בייט = בַּיִת	ب	٢
ג	ג	גיימל = גֵּימֶל	ج	٣
ד	ד	דאליט = דַּלִּיט	د	٤
ה	ה	הייה = הַיֵּה	ه	٥
ו	ו	ווי = וַוִי	و	٦
ז	ז	זאين = זַאִין	ز	٧
ח	ח	חייט = חַיִּית	ح	٨
ט	ט	טייט = טַיִת	ط	٩
י	י	יוד = יוֹד	ي	١٠
כ	כ	כּף = כַּף	ك	٢٠
ל	ל	לאמיד = לַאמִיד	ل	٣٠
מ	מ	מיים = מַיִם	م	٤٠
נ	נ	نون = נוֹן	ن	٥٠
ס	ס	סאמخ = סַאמַח	س	٦٠
ע	ע	עאين = עַאִין	ع	٧٠
פ	פ	פּייה = פַּיֵּה	ف	٨٠
צ	צ	צساوي = צַסַּוִי	ص	٩٠
ק	ק	קוף = קוֹף	ق	١٠٠
ר	ר	רייש = רַיִשׁ	ر	٢٠٠
ש / שׁ	שׁ	שׁ ١٣٠ = شين، سين	ش، س	٣٠٠
ת	ת	תאף = תַּאֵף	ت	٤٠٠



كلمة (אֱלֹהִים / إيلوهيم) احد اسماء الاله عند اليهود، وهي صيغة الجمع من كلمة (אֱלֹהִים / إيلوه) : إله، وقد جاءت في العهد القديم مقترنة بصفات عدة، مثل: (אֱלֹהִים צַדִּיק / إيلوهيم صديق) : اله الصدق وغيرها... (٨).

وهي في هذه الآية قد اضيفت اليها كلمة (דְּבַרִּי / دبري) : اقوال، (דְּבַרִּי אֱלֹהִים / دبري إيلوهيم) : اقوال الاله.

وقد جاءت كلمة (אֱלֹהִים / إيلوهيم) في العهد القديم (٢٦٠٣) مرة، وجاءت بصيغتين:

١. (אֱלֹהִים / إيلوهيم)، بحركة الضم القصير الناقص، في اغلب المواضع، مثل: تكوين ١ : ١، ٢، ٢٧، ٢٨، خروج ٨ : ١٥، ٩ : ٢٨، تثنية ٢١ : ٢٣، ٢٩ : ٢٥، مزامير ٣٦ : ٢، ٥٥ : ١٥.

٢. (אֱלֹהִים / إيلوهيم)، بحركة الضم الطويلة، في موضعين فقط، مزامير ١٨ : ٤٧، ١٤٣ : ١٠ (٩).

He- Gesenius. Gesenius (٨)brew Grammar , p.399

(٩) אבן שושן. קונקורדנציה החדשה, כרך ראשון א-ה, עמ' 128-139.

• (אֱלֹהִים / إيلوهيم) : الاله (الله)  
• ذكر البلاغي شهادة بعض أسفار العهد القديم على بعض بالتحريف، ومن جملة الشهادات ما في الثالث والعشرين من ارميا في خطاب الشعب الآية ٣٦، ونصه في النسخة العبرانية: ومساء يهوه لا تزكروا عود كي همسا يهوه لأيش. ووحى الله لا تذكروا بعد لأن وحي الله لرجل. ديباريم وهفختيم ايت. كلامه وحرّفتم. دبري ايلوهيم حيم يهوه صباؤت ايلوهينو. كلام الاله الحي رب الجنود هنا (٧).

(ارميا ٢٣ : ٣٦)

וּמִשָּׂא יְהוָה לֹא תִזְכְּרוּ עוֹד כִּי הִמַּשָּׂא יְהוָה לְאִישׁ דְּבַרוֹ וַהֲפַכְתֶּם אֶת דְּבַרֵּי אֱלֹהִים חַיִּים יְהוָה צְבָאוֹת אֱלֹהֵינוּ.

اومسا يهوه لو تزكروا عود كي همسا يهيه لايش دبارو فهفكتيم ايت دبري ايلوهيم حيم يهوه صباؤت ايلوهينو.

ووحى الله لا تذكروا بعد لأن وحي الرب لرجل كلامه فحرّفتم كلام الاله الحي رب الجنود هنا.

(٧) انظر: البلاغي. الهدى الى دين المصطفى، ج

١، ص ٦٩.



وقد اختلفت دلالة هذا الاسم في العهد القديم، فقد جاء:

١. للدلالة على خالق العالم، رب السموات والأرض، وذلك في اغلب المواضع التي جاء فيها الاسم، مثل: تكوين ١: ٢، ٣، ١٠، ١٢، ٢٢: ١٢، قضاة ٣: ٢٠، ٩: ٩، صموئيل الأول ٤: ١١، ١٠: ١٠، صموئيل الثاني ٩: ٣، ١٤: ١٣.

٢. للدلالة على الآلهة، آلهة الشعوب، جاء اكثر من (١٠٠) مرة، مثل: قضاة ٦: ١٠، ١٠: ١٠، يشوع ٢٤: ١٥، الملوك الأول ١١: ٣٣، ٥، الملوك الثاني ١: ٢، ٣، ١٦: ٦.

٣. للدلالة على لقب محترم لشيخ القضاة من بني اسرائيل، جاء في (٤) مواضع، خروج ٢٢: ٨، ٢١: ٦، ٢٢: ٧، ٨.

٤. للدلالة على الملائكة، او رسل الرب، جاء في (٦) مواضع، مزامير ٩٥: ٣، ٩٦: ٤، ٩٧: ٧، ٩، ١٣٥: ٥، اخبار الأيام الأول ١٦: ٢٥.

وهذا الأسم (אֱלֹהִים/إيلوهيم) اسم

في صيغة الجمع؛ ذلك انه ينتهي بعلامة جمع المذكر السالم في اللغة العبرية وهي (-/ם-يم)، الا ان هناك من يرى ان هذه الميم هي من الكلمة الذي زيدت عليه علامة الجمع على سبيل التعظيم<sup>(١٠)</sup>.

ويبدو ان هناك علاقة بين هذا الاسم (אֱלֹהִים/إيلوهيم) وكلمة (اللهم) في العربية<sup>(١١)</sup>، إذ يرى بعض العلماء ان كلمة (اللهم) من الالفاظ السامية المشتركة، وانها من الركام اللغوي القديم<sup>(١٢)</sup>؛

ذلك ان الميم كانت السمة التي تنتهي بها الاسماء في اللغات السامية وهو ما يسمى بـ (التميم او التميميم) ولا سيما في اللغة الاكادية التي تعد من اقدم اللغات

(١٠) انظر: كمال، د. ربحي. دروس اللغة العبرية، سوريا ١٩٥٨، ص ٥٥٥.

(١١) انظر: الفضلي، د. عبد الهادي. اللامات، دراسة نحوية شاملة في ضوء القراءات القرآنية، ط ١، دار القلم، بيروت ١٩٨٠، ص ٤٣؛ السواح، فراس. مغامرة العقل الاولى، ط ١، دار الكلمة للنشر، بيروت ١٩٨٠، ص ١١٤.

(١٢) انظر: المخزومي، د. مهدي. مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مطبعة دار المعرفة، بغداد ١٩٥٥، ص ٢٦٠.



ويوجد في العهد القديم باللغة العبرية ثلاث مترادفات رئيسية لاسم الاله وهي (الوهيم) و (يهوه) و (ادوناي)، فالاسم الاول مستعمل كثيراً في الاصحاح الاول من سفر التكوين، ويكثر استعماله في مزامير ٤٢-٧٢ تلك المزامير التي سميت بمزامير الوهيم، ويستعمل على التبادل مع الاسمين الآخرين فيما بقي من اسفار العهد القديم، ويدل هذا الاسم على صفة الله كخالق العظيم، وعلى علاقته مع جميع شعوب العالم من امم ويهود" (١٥).

• (יהוה / يهوه): اسم الرب

• ذكر البلاغي ان التوراة الرائجة اشارت الى وحي الله لموسى باللغة العبرانية ان اسمه المقدس جل اسمه (يهوه) (١٦).  
و (יהוה / يهوه) معبود بني اسرائيل، وهو اسم علم مفرد مذكر، وروعي في وضع هذا الاسم الدلالة على كينونة الذات الالهية في الازل والابد والحال (١٧).

(١٥) قاموس الكتاب المقدس، ص ١٠٧.

(١٦) البلاغي. الهدى إلى دين المصطفى، ج ٢، ص ٢٩٥.

(١٧) انظر: كمال، ربحي. دروس اللغة العبرية، ص ٥٦٧.

السامية (١٣)، وقد جاءت هذه الكلمة (اللهم) في القرآن الكريم (٥) مرات (١٤).  
وجاء في قاموس الكتاب المقدس، ان الله اسم « اسم الاله خالق جميع الكائنات والحاكم الاعظم لجميع العوالم، والواهب كل المواهب الحسنة، والله روح غير محدود، ازي غير متغير في وجوده وحكمته وقدرته وقداسته وعدله وجودته وحقه، وهو يعلن لنا نفسه بطرق متنوعة وفي احوال مختلفة متباينة فيظهر لنا في اعماله، وتدبير عنايته،... ولكنه يتجلى غاية التجلي ويظهر ذاته في الكتب المقدسة،...

(١٣) (التميم Mimatiom)، صوت الميم الذي يلحق الاسم والصفة في اللغة الاكديّة في حالة المفرد المذكر والمؤنث وفي حالات جمع المؤنث وذلك بعد حركة الاعراب مباشرة، انظر: سليمان، د. عامر. اللغة الاكديّة (البابلية والآشورية) تاريخها وتدوينها وقواعدها، دار الكتب، جامعة الموصل ١٩٩١، ص ٢٠٥.

(١٤) [سورة آل عمران: ٢٦]، [سورة المائدة: ١١٤]، [سورة الأنفال: ٣٢]، [سورة يونس: ١٠]، [سورة الزمر: ٤٦]؛ انظر: عبد الباقي، محمد فؤاد. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. أونداناش للطباعة، طهران (د.ت)، ص ١٠٥.



ويبدو ان اصل هذا الاسم هو: صيغة المستقبل من الفعل (הָיָה / هافا) وهو الصورة القديمة للفعل (הָיָה / هايأ): كان، صار، وجد، وكان من المفروض ان يُشكل (يُحرك) على النحو التالي: (יְהוּה / يهفيه) على قياس الافعال التي من هذا الوزن، مثل: (קָנָה / قانا) - (יִקְנֶה / يقنيه): اشترى - يشتري.

ولكن خشية اليهود النطق بهذا الاسم، استعاضوا عنه بكلمة (אֲדוּנִי / ادوني): سيدي<sup>(١٨)</sup>، ثم ارادوا ان يشكلوا لالاسم (יְהוּה / يهفيه) على نمط اسم (אֲדָ - די / ادوناي)، فقالوا: (יְהוּה / يهوفاه)، فأصبحت الحركة المركبة (حطف بتاح) تحت حرف (א / أ) حركة سكون منفرد مع حرف الياء (י / ي)، واصبحت الفتحة القصيرة (بتاح) تحت حرف الواو (ו / و) ضمة طويلة، للوقف عليها قبل حرف الهاء (ה / ه)، وقد حذفت الواو الاولى، واستغنوا عنها بالحولام قطان (ضمة قصيرة)، فاصبحت الكلمة بعد هذه

Gesenius' Hebrew Grammar , p.66 (١٨)

التغييرات: (יְהוּה / يهوه)<sup>(١٩)</sup>.

وقد تعددت الآراء حول تفسير اسم (يهوه)، منها<sup>(٢٠)</sup>:

١. ان هذه الصيغة (יְהוּה / يهوه) تعني (سأكون الذي سأكون)، او (اكون الذي اكون)، او (سأكون الذي وعدت ان اكونه) وهو تفسير التوراة لهذا الاسم.

٢. ان الله ينسب الى نفسه صفة البقاء على ما هو عليه في افكاره وقراراته وعوده.

(١٩) انظر: عبد التواب، د. رمضان. في قواعد الساميات، ص ٨١؛ وهو ما ذهب اليه الدكتور عبد الوهاب المسيري، من ان هذا الاسم (יְהוּה / يهوه) يتكون من اربعة حروف، ولذا سُمِّي (تتراجراماتون)، أي: الرباعي، ولكن في القرن الرابع عشر، قرأ احد الكتاب المسيحيين الكلمة خطأ على انها (يهوفاه) وذلك بان وضع الحروف المحركة لكلمة (אֲדוּנִי / ادوناي) مع احرف (יְהוּה / يهوه) الاربعة فأصبح (יְהוּה / يهوفأ). انظر: المسيري، د. عبد الوهاب. موسوعة اليهودية والصهيونية، مقال من الانترنت.

(٢٠) كنعان، جرجي. تاريخ يهوه، منشورات الدار العربية للعلوم، ط ٢، بيروت ١٩٩٤، ص ١١٥.



مساكن البابليين والآموريين، وهم من الاقوام السامية، وعلى هذا الاساس اراد اليهود ان يتميزوا عن آلهة الساميين؛ ولهذا جاءوا بالاله (يهوه/يهوه) المشتق من اسم الهين فارسين، هما: الاول، آهو رامزدا، وهو اله مذكر، والثاني، ياهي، وهو اله مؤنث، فصاغوا من الالهين الهاً واحداً، ولهذا؛ قالوا ان الاله كان ثنائي الجنسية (٢١).

و(يهوه/يهوه) باعتبار موسى واحبار بني اسرائيل، واحد، ولكنه ليس الاله الوحيد في العالم، ومن ثم ليس اله البشر اجمعين، وهذا الاله الواحد مقصور على بني اسرائيل وحدهم، اما الشعوب والامم الاخرى فلها الهتها الخاصة التي تحميها وترعاها، وهذا مانجده في مواضع عدة في اسفار العهد القديم، منها: القضاة ١١: ٢، ١٤، صموئيل الاول ٢٦: ١٩، دانيال ١: ١.

ولم ينكر بنو اسرائيل وجود آلهة اخرى غير الههم (يهوه/يهوه)، ووجود الارباب المختلفة لدى الشعوب الأخرى، مما لا يتعرض مع ايمانهم بربهم (يهوه/يهوه) (٢١) هو، عبد الحميد. الله ام يهوه، ص ٧٩.

٣. ان (يهوه/يهوه) صيغة مضارع الغائب من الفعل (هوه/هوى): كان، فيكون معنى (يهوه/يهوه): يكون، وان معنى (يهوه/يهوه) /اهيه): اكون، ويكون (يهوه/يهوه) اسم الله حين يتحدث عنه غيره، وان (يهوه/يهوه) /اهيه) اسم علم لله حيث يتحدث هو عن نفسه.

٤. ان الجذر الذي اشتق منه الاسم (يهوه/يهوه)، يبدو انه (هوه/هوى): الذي من معانيه: سقط، فيكون معنى الاسم (المسقط)، أي: الذي يسقط بروقه وعوده على الاعداء.

٥. ان الاسم (يهوه/يهوه) من كلمة (هوى) العربية، والتي معناها: الهواء، وبذلك يكون معنى الاسم: يسري في الاهوية، يهب، أي: انه اله العاصفة.

ومن الباحثين من ذهب الى ان الاسم (يهوه/يهوه) مشتق من اسماء آلهة الفرس، إذ ان اليهود منذ كتابة التوراة، فضلوا العرق اليافثي الآري على العرق السامي، وهذا ما أكدته توراتهم في سفر التكوين ٩: ٢٧، ليفتح الله لياث فيسكن في مساكن سام)، فقد فتح الفرس بابل، وكانت بابل



الذي يتميز عن الآلهة الأخرى، التي زعموا وجودها، بقوته وجبروته، وكثيراً ما نسبوا الى الههم (יהוה/يهوه) الاشتعال بنار الغيرة منها، وهذا ما نجده في اسفار العهد القديم، منها: خروج ٢٠: ٣، ٣٤: ١٤، تثنية ٥: ٧، ٦: ١٤.

وجاءت اشارات في اسفار العهد القديم تحث على عبادة (יהוה/يهوه)، منها: خروج ٢٣: ٢٥، تثنية ٦: ١٣، ١٣: ٤، يشوع ٢٢: ٥، صموئيل الأول ١٢: ٢٠، ٢٤، واشارات اخرى لبني اسرائيل ان لا يعبدوا آلهة اخرى، منها: خروج ٣٤: ١٤، تثنية ٧: ١٦، يشوع ٢٣: ٧، واشارات تحذير من عدم عبادة (יהוה/يهوه) بالتحديد، منها: تثنية ١٣: ٦، ٧، ٣٠: ١٧ (٢٢).

وقد اوحى الرب باسمه لموسى كما جاء ذلك في سفر الخروج ٣: ١١، ١٥: ٥، وفي تفسير هذا الوحي والادلاء بالاسم، يقول الاب اسطفان شربنتيه: «ان هذا الادلاء من الرب باسمه لموسى، في الواقع

(٢٢) انظر: كنعان، جرجي. تاريخ يهوه، ص ٢١٥-٢١٨.

ليس هو اسماً بقدر ما هو دليل على حضور مع العلم باننا لا نعرف كيف نلفظ هذا الاسم، ذلك بان اليهود كانوا يمتنعون عن لفظ اسم الله احتراماً له، فكانوا يكتبون احرفه الاربعة، ويقرؤون ادوناي أي الرب، فوضع المسورون حركات ادوناي على احرف يهوه، فأصبحت يهوفاه، واما الترجمة السبعينية فقد ترجمت الاحرف الاربعة بكيريوس الرب، وهكذا فعل المسيحيون الاوائل» (٢٣).

ويذكر ابن شوشان ان لهذا الاسم في اللغة العبرية صورتين، هما: (יהוה/يهوه) و (יהוה/يهوه)، وهو اسم اله اسرائيل في اسفار التوراة (المقرا) الذي يضم الصفات كلها (יהוה/هايا): كان، أي: الماضي، و (יהוה/هوفيه): يكون، أي: الحاضر، و (יהוה/يهيه): سيكون، أي: المستقبل (٢٤).

ويبدو ان اسم (יהוה/يهوه) من

(٢٣) شربنتيه، الاب اسطفان. دليل الى قراءة الكتاب المقدس، نقله الى العربية: الاب صبحي حموي اليسوعي، ط ٤، دار المشرق، بيروت ١٩٨٣، ص ٧٣.

(٢٤) אבן שושן. המלון החדש, כרך שלישי -מ-, למ" 943.



هَشِيم) العبرية، بمعنى: الاسم (٢٦).  
وقد جاء اسم (יהוה/يهوه) في العهد القديم (٦٦٣٩) مرة، منها: تكوين ٢: ٤، ٥، ٧، خروج ٩: ٣٠، ٢٠، ٢١، عدد ٣٦: ٣١، تثنية ٥: ٥، يوشع ٨: ٨، ٢٧، مزامير ٧٢: ١٨، ٨٤: (٢٧) ١٢، وقد تنوب عنه مختصرات، عبارة عن حرفين، مثل (יה/ياه) او (יהו/ياهو) وان اليهود اتخذوه الهاً ايضاً بعد ان صاغوه بالصورة التي ارادوها (٢٥).

ويذكر الدكتور عبد الوهاب المسيري ان (يهوه) صيغة مختصرة لعبارة (יהוה אֱשֶׁר יהוה/يهويه اشير يهوه)، أي: يخلق الذي هو موجود، او لعلها اختصار (יהוה בְּרָאוֹת/يهوه صفاؤت)، أي: رب الجنود، وهو من اكثر الاسماء قداسة، وكان اليهود لا يتفوهون به، وكان يتفوه به الكاهن الاعظم فقط داخل قدس الاقداس في يوم الغفران، فكانوا يستعملون كلمة (אֱדוֹנָי/ادوناي) العبرية، او (كيريوس) اليونانية، بمعنى: سيدي، او مولاي، للاشارة الى الاله، ثم اصبحوا يستعملون كلمة (הישם/هشيم)

هَشِيم) العبرية، بمعنى: الاسم (٢٦).  
وقد جاء اسم (יהוה/يهوه) في العهد القديم (٦٦٣٩) مرة، منها: تكوين ٢: ٤، ٥، ٧، خروج ٩: ٣٠، ٢٠، ٢١، عدد ٣٦: ٣١، تثنية ٥: ٥، يوشع ٨: ٨، ٢٧، مزامير ٧٢: ١٨، ٨٤: (٢٧) ١٢، وقد تنوب عنه مختصرات، عبارة عن حرفين، مثل (יה/ياه) او (יהו/ياهو) وان اليهود اتخذوه الهاً ايضاً بعد ان صاغوه بالصورة التي ارادوها (٢٥).

ويذكر الدكتور عبد الوهاب المسيري ان (يهوه) صيغة مختصرة لعبارة (יהוה אֱשֶׁר יהוה/يهويه اشير يهوه)، أي: يخلق الذي هو موجود، او لعلها اختصار (יהוה בְּרָאוֹת/يهوه صفاؤت)، أي: رب الجنود، وهو من اكثر الاسماء قداسة، وكان اليهود لا يتفوهون به، وكان يتفوه به الكاهن الاعظم فقط داخل قدس الاقداس في يوم الغفران، فكانوا يستعملون كلمة (אֱדוֹנָי/ادوناي) العبرية، او (كيريوس) اليونانية، بمعنى: سيدي، او مولاي، للاشارة الى الاله، ثم اصبحوا يستعملون كلمة (הישם/هشيم)

وغالباً ما تُشكل الحروف الثلاثة الاولى من اسم (יהוה/يهوه) وهي (יהו/يهوه) مقطوعاً في اسماء العلم العبرية، فهو أأتي صدرأً لبعض الاسماء، مثل: (יהוש-פט/يهوشافط): الرب حكيم، (יהורם/يهورام): الرب سما، وعجزاً في بعض الاسماء، مثل: (אֱלֹהֵינוּ/الياهو): ايل الرب، (יְהוָה/نتياهو): اعطى الرب، ويأتي الحرفان (יו/يو) للدلالة على اسم (٢٦) انظر: المسيري، د. عبد الوهاب. موسوعة اليهودية والصهيونية، مقال من الانترنت.

(٢٧) אבן שושן. קונטרס דנציה הזדשה, כרך

שני ט-ס, למ" 820-834.

(٢٥) انظر: ديورانت، وليم. قصة الحضارة،

ترجمة: محمد بدران، القاهرة ١٩٥٦، ج ٢،

م ١، ص ٤٣٠.



الرب في بعض الاسماء، مثل: (יְהוָה / يوناتان): الرب اعطى.

وجاء في قاموس الكتاب المقدس ان (يְהוָה) اسم من اسماء الله (خروج ١٧: ١٥)، ومنذ عهد الله مع موسى على جبل حوريب يطلق عليه يهوه (خروج ٦: ٣)، وفي سفر اشعيا يصبح لاسم يهوه وقع جديد يدل على سرمديته، اله الدهر (اشعيا ٤٠: ٤٠)، انا الاول وانا الآخر (اشعيا ٤١: ٤، ٤٤: ٦، ٤٨: ١٢)، قبلي لم يصوّر (او يكون) اله، وبعدي لا يكون (اشعيا ٤٣: ١٠)، ومنذ اواخر القرن الرابع قبل المسيح تزايد الخوف من تدنيس اسم (يهوه)، فُمنع الشعب من النطق به، واصبح لا يستطيع التلفظ به الا رئيس الكهنة عند تلاوة الصلاة واعطاء البركة في الهيكل (٢٨).

اما صفات (יְהוָה / يهوه) فأكثر صفاته مستمدة من صفات الآلهة الموجودة آنذاك، التي كانت الشعوب السامية تدين بها، ومن صفاته:

١. راكب الغيوم، ويركب السماء

(٢٨) انظر: قاموس الكتاب المقدس. ص ١٠٩٦-١٠٩٧.

والغمام، وفي العاصفة طريقه، والسماء مركبته، الماشي على اجنحة الريح (٢٩)، وهذه الصفات معظمها كانت تطلق على الاله (بعل) في النصوص الاوغاريتية. ٢. اله الرعد، اله المجد ارعد (٣٠)، وهذه من الصفات التي كان يُعرف بها الاله (هدد) الآرامي.

٣. خالق العالم، يقتل الحية الهاربة، والتنين، ولويathan (٣١)، وهذه صفات آلهة بابل وكنعان، فالاله (مردوخ) البابلي يقتل تنين المياه الاولى (تيامات)، والاله (بعل) الكنعاني، يقتل الحية الملتوية ذات الرؤوس السبعة (لويathan).

فضلاً عن صفات اخرى، أطلقت على الاله (יְהוָה / يهوه) في العهد القديم، منها: الشكل الانساني، تكوين ١: ٢٧-٢٨، اله حزين، قد حزن لأنه خلق الناس، تكوين ٦: ٥-٧، اله نادم على فعله، صموئيل

(٢٩) انظر: ثنية ٣٣: ٢٦، مزامير ٦٨: ٤، ناحوم ٣: ١... الخ.

(٣٠) انظر: ايوب ٣٧: ٢، مزامير ٢٩: ٣... الخ.

(٣١) انظر: مزامير ٨٩: ١٠، ايوب ٢٦: ١٣، اشعيا ٥١: ٩... الخ.



الأول ١٥ : ١٠-١٢، اله الجنود، الملوك الثاني ١٩ : ٣٥-٣٧.

ويُعلل احد الباحثين سبب وجود الالهين (يهوه) و (ايل) في الديانة اليهودية، بقوله: " لقد أدخل يهوه في اسفار التوراة، بعد ان قُضي على دولة بابل، وادخله اليهود ليتخلصوا من ايل اله البابليين الكبير، وقد وُضع يهوه ليكون بديلاً من ايل، لكنه لم يستطع ان يحل محله، ولهذا؛ ابقت الديانة اليهودية الالهين معاً؛ ايل ويهوه على ان يكون يهوه الاول، وايل الثاني او المرادف ليهوه" (٣٢).

• (יְהוָה / يوشفيتم): جالسون  
 • ذكر البلاغي في المقدمة الثامنة التي بحث فيها الرسالة والنبوة، وبيان حقيقة الرسول، الذي هو انسان كامل يرسله الله الى البشر ليكلّمهم ويهديهم الى الصواب، وان الغاية من ارساله رحمة من الله لمن يدعوهم النبي، ويلزم في تحصيل هذه الغاية امران، احدهما كون الرسول معصوماً في التبليغ غير متهم فيه، وثانيهما (٣٢) همو، عبد الحميد. الله ام يهوه، ص ٣٠.

كونه معصوماً عن الذنوب وارتكاب القبائح، وقد اتفق اهل الملل القائلون بالنبوة والرسالة على الأمر الأول، اما الأمر الثاني ففيه ثلاثة وجوه، ذكر فيها بامثلة من كتب العهدين عصمة النبي والرسول (٣٣).

وفي الفصل الرابع من المقدمة نفسها، اشار البلاغي الى ظاهرة الدس والكذب في العهدين حول نسبة الكذب والخداع الى الانبياء، وقوله: «ان اهل الكتاب قد اتفقوا على الاعتراف والتسليم بلزوم عصمة الانبياء في التبليغ، وحتجتهم في ذلك ليست الا نحو ما ذكرنا من دليل العقل في رعاية الغاية المطلوبة من الرسالة وماذا تراهم يصنعون في ما ورد في كتبهم التي ينسبونها الى الوحي والالهام من نسبة بعض الانبياء الى الكذب في تبليغ الوحي على وجه الصراحة التي لا يحوم حولها مقبول التأويل، اترام يعدلون عن دليل العقل ويقولون بكذب النبي في التبليغ تعبداً بما في كتبهم ام يعترفون بأن ما ينادي بصراحته

(٣٣) انظر: البلاغي. الهدى الى دين المصطفى، ج



بكذب الانبياء في التبليغ ليس من الوحي والالهام بل هو مدسوس فيه» (٣٤).

بعد ذلك، يذكر البلاغي من جملة شواهد التوراة في نسب الكذب والخداع الى الانبياء، ما ذكر في الثالث عشر من الملوك الأول، ان الشيخ النبي الساكن في بيت إيل الموصوف بانه كان اليه كلام الرب للتبليغ قد كذب على شمعياء رجل الله بدعوى الوحي وتكليم ملاك الرب له حتى حمله بكذبه على الله وعليه، وخداعه بدعوى الوحي على مخالفة امر الله وواقعه في هلكة النكال، وكيف حاول مترجم الترجمة العربية للتوراة المطبوعة سنة ١٨٨١م ان يجعل هذا النبي من الكاذبين في اصل دعوى النبوة، لاجل ان يتخلص من الاعتراض عليهم بكذب النبي الحقيقي في التبليغ، فحرف الفقرة العشرين من ثالث

(٣٤) انظر: البلاغي. الهدى الى دين المصطفى، ج ١، ص ٨٤، وقد اشار البلاغي الى ذلك في نهاية الفصل الرابع بعد ذكره لأدلة من كتب العهدين تنسب الكذب والخداع الى الانبياء، وقوله: «ان هذا الذي نسب في العهدين الى هؤلاء مما يلزم منه الكذب في التبليغ عن الله مكذوب عليهم مدسوس في الكتب الالهامية». ص ٩١.

عشر الملوك الأول وترجمها هكذا: وبينما هما جالسان على المائدة يأكلان حتى وردت نبوة من عند الله الى نبي الله الذي رده النبي الكاذب.

في حين ان نص الأصل العبراني هكذا: ويهيم. يشيم. ال هشلحن. ويهبي.

دبر. يهوه. ال. هنبئ

وكانا جالسين الى المائدة وكان كلام

الله الى النبي

اشير. اشيبو ويقراً. ال ايش. هألوهيم.

اشير باء ميهوده. لامر

الذي رده ودعا رجل الالهنا الذي جاء

من يهوذا قائلاً

كه. امر. يهوه يعن كي مريت في يهوه.

هكذا قال الله اداة تعليل اداة تعليل

ايضاً عصيت فم أي قول وما في معناه الله.

فزاد المترجم على الاصل العبراني لفظ

يأكلان، ولفظ النبي الكاذب (٣٥).

ويظهر من الأصل العبري للآية

٢٠ من الاصحاح ١٣ من سفر الملوك

الأول، صحة ما ذهب اليه البلاغي، فلا

(٣٥) انظر: البلاغي. الهدى الى دين المصطفى، ج

١، ص ٨٤-٨٥.



نجد اشارة للأكل او الطعام، او اشارة الى الكذب فيها.

(الملوك الأول ١٣ : ٢٠)

יְהִי הֵם יֹשְׁבִים אֶל-הַשְּׁלֶחַן יְהִי דְבַר-  
יְהוָה אֶל-הַנְּבִיא אֲשֶׁר הָשִׁיבוּ. ٢١ וַיִּקְרָא  
אֶל-אִישׁ הָאֱלֹהִים אֲשֶׁר בָּא מִיְהוּדָה לְאָמֵר  
כֹּה אָמַר יְהוָה יְעֹן כִּי מְרִיתָ פִי יְהוָה...

فيهي هيم يوشفيم ايل هشلحان فيهي  
دفر يهوه ايل هتافي اشير هيشيفو. ٢١ فيقرا  
ايل ايش هايلوهيم اشير با ميهودا ليتمور  
كو آمر يهوه يعن كي مارتا بي يهوه...

وكان (هم) جالسين على المائدة وكان  
كلام الله الى النبي الذي رده. ٢١ ودعا  
رجل الله الذي جاء من يهوذا قائلاً هكذا  
قال الله لأنك عصيت قول الله...

(يُشَبِّمُ/ يوشفيم): جالسون، اسم  
فاعل جمع مذكر، مفرد (يُشَبِّمُ/ يوشيف)،  
اصل الفعل (يُشَبِّمُ/ ياشف): جلس،  
سكن، قطن، عاش، اقام. (٣٦).

جاء هذا الفعل بصيغة (ي س ب) في

(٣٦) אבן שושן. המלון החדש, כרך שלי-  
שי י-ז, לזמ" 497; قوجمان. قاموس  
عبري-عربي، ص ٣٢١.

النقوش الفينيقية<sup>(٣٧)</sup>، والنقوش العبرية  
القديمة<sup>(٣٨)</sup>، وجاء بصيغة (ي ش ب)  
في عبرية العهد القديم<sup>(٣٩)</sup>، وبصيغة  
(ي ث ب) في الاوغاريتية<sup>(٤٠)</sup>، وآرامية  
العهد القديم<sup>(٤١)</sup>، والسريانية<sup>(٤٢)</sup>،  
والسبئية<sup>(٤٣)</sup>.

وهذا الفعل (يُشَبِّمُ/ ياشف) يعد من  
الافعال معتلة الفاء بالياء، من نمط الافعال  
التي فاؤها ياء غير اصلية، وتحذف منها  
الياء (فاء الفعل) في المستقبل، وتصرف  
مكسورة العين، نحو:

(٣٧) Tomback, R., A Comparative Semitic Lexicon. p. 130

(٣٨) Hoftijzer, J. Jongeling, K, Dictionary of the North-West Semitic Inscriptions. p. 473

(٣٩) Brown. A Hebrew and English Lexicon , p. 442

(٤٠) Gordon, C Ugaritic Text- book. p.416

(٤١) Brown. A Hebrew and English Lexicon , p. 1096

(٤٢) Costaz, L., Dictionnaire Syrique-Français. p. 146

(٤٣) بيستون وآخرون. المعجم السبئي. ص ١٦٥



- الماضي: יִשְׁבֵּתִי / يَأشفتي:

٥: ١٢ (٤٥).

جلست (متكلم)

• (ספרים / سوفريم): كتبة

- المستقبل: אֵשֵׁב / إيشيف:

(كاتيون)

سأجلس (متكلم)

• ذكر البلاغي ان لا حجة لكتب

- الأمر: שֵׁב / شيف: اجلس (مخاطب)

العهدين للنصارى في الاحتجاج بهما

- اسم الفاعل: יוֹשֵׁב / يوشيف:

على المسلمين، وذكر لذلك وجوه ستة،

جالس (غائب) (٤٤).

كان الوجه الثالث هو شهادة بعضها على

وقد جاء هذا الفعل في العهد القديم

بعض بالتحريف، ومن جملة الشهادات،

(٨١٥) مرة، جاء بصيغة اسم الفاعل في

ما جاء في ثامن ارميا (٨) كيف تقولون

(٢١٧) مرة، بصيغة اسم الفاعل المذكر

نحن حكماء وشريعة الرب معنا حقاً انه الى

(יושב / يوشيف) في (١٢٩) موضع، منها:

الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب، ونصه

تكوين ٤: ٢٠، ١٤: ١٢، عدد ١٣: ٢٩،

في النسخة العبرانية ايجاه توميروا حاخاميم

قضاة ١٦: ٩، وبصيغة اسم الفاعل المؤنث

انحنو وتوراة يهوه اتانوا اكم هنيه لشيقيرو،

(יושבת / يوشيفيت) في (٢٠) موضع،

كيف تقولون حكماء نحن وشريعة الرب

منها: لاويين ١٥: ٢٣، قضاة ١٨: ٧،

معنا لكن هوذا للكذب، عاساه عيط شقير

ككريا ٧: ٧، وبصيغة اسم الفاعلين (יש-

سوفيريم، صنعها قلم كذب الكتبة (٤٦).

בים / يوشفيم) في (٧٠) موضع، منها:

ارميا ١٧: ٢٥، ٣٦: ١٢، حزقيال ٣٨:

١١، وبصيغة اسم الفاعلات (יושבות /

ارميا ١٧: ٢٥، ٣٦: ١٢، حزقيال ٣٨:

يوشفوت) في (٣) مواضع، الملوك الأول

ايخا توميروو حاخاميم انحنو فتورة يهوه

٣: ١٧، حزقيال ٨: ١٤، نشيد الأناشيد

איכה תאמרו: חכמים אנחנו ותורת יהוה

٣: ١٧، حزقيال ٨: ١٤، نشيد الأناشيد

אָנוּ אִכָּה הִנֵּה לְשָׁקֵר עָשָׂה יַעַט שְׁקֵר סִפְרִים

٣: ١٧، حزقيال ٨: ١٤، نشيد الأناشيد

איחא توميروو حاخاميم انحنو فتورة يهوه

٣: ١٧، حزقيال ٨: ١٤، نشيد الأناشيد

(٤٥) אבן שושן. קונקורדנציה החדשה, כרך

(٤٤) انظر: عليان. قواعد اللغة العبرية، ص

שני ט-ס, למ" 936-937.

(٤٤) انظر: عليان. قواعد اللغة العبرية، ص

١، ص ٦٩-٧٠.



مرة، جاء بصيغة المفرد (פּוֹרַ / سوفير)، في (٤٨) موضع، منها: قضاة ٥: ١٤، مزامير ٤٥: ٢، ارميا ٣٦: ١٢، وجاء بصيغة الجمع المذكر السالم (פּוֹרִים / سوفريم) في (٦) مواضع، منها: الملوك الأول ٤: ٣، اخبار الأيام الأول ٢: ٥٥ (٤٩).

ويذكر قاموس الكتاب المقدس، انواع الكتاب، وهم:

١. كاتب عمومي، وكان يستأجر لكتابة ما يتلى عليه (ارميا ٣٦: ٤، ١٨)، او لتنظيم المعاملات او السجلات القانونية.  
٢. امين سر، كاتب حكومي، او موظف (الملوك الثاني ١٢: ١٠، عزرا ٤: ٨)، وكان اللاويون يقومون بوظيفة الكتاب في عمل ترميم الهيكل (اخبار الأيام الثاني ٣٤: ١٣).

٣. كاتب الناموس والاجزاء الاخرى من العهد القديم، واشهرهم عزرا الكاتب، الذي كان ملماً بالشرعية الموسوية، واراد القيام بها لكي يعلم بني اسرائيل الفرائض والقضاء (عزرا ٧: ٦، ١٠).

(٤٩) ابن شوشن. كوندوردنصية الحذش، كرج ١٥١٠-١٥٠٠.

إتانو آخين هنيه لشيقير عاسا عيط شيقير سوفريم.

كيف تقولون: نحن حكماء وشريعة الرب معنا. اما ترون ان قلم الكتبة الكاذب حوّلها الى الكذب.

(פּוֹרִים / سوفريم): كتبة، اسم فاعل في صيغة الجمع المذكر، مفرده (פּוֹרַ / سوفير): كاتب، من الفعل الثلاثي (פּוֹרַ / سافر): عدّ، حسب، احصى، ومن الاسم (פּוֹרַ / سيفير): كتاب، مجلد، سجل (٤٧).

واسم الفاعل في اللغة العبرية يُسمّى ايضاً ب (פּוֹרַ / زَمَن هوفيه): الفعل الحاضر (المضارع الحالي)، ويصاغ على وزن اسم الفاعل، وفيما يلي طريقة تصريفه (٤٨):

الشخص	اسم الفاعل / المضارع الحالي
١. متكلم، مخاطب، غائب	פּוֹרַ / بوعل
٢. متكلمة، مخاطبة، غائبة	פּוֹרַת / بوعلت
٣. متكلمين، مخاطبين، غائبين	פּוֹרִים / بوعليم
٤. متكلمات، مخاطبات، غائبات	פּוֹרֹת / بوعلوت

وقد ورد هذا الاسم في العهد القديم (٥٤)

(٤٧) ابن شوشن. الملون الحذش، كرج ربيعي ٥-٥، لام 1835-1836؛ قوجمان.

قاموس عبري-عربي، ص ٦١١.

(٤٨) انظر: كمال. قواعد اللغة العبرية،

ص ١٨٩-١٩٣.



وكان يلتف حول كاتب مشهور جماعة من الطلاب يتلمذون عليه، وقد تقدمت صناعة الكتابة كثيراً بعد رجوع اليهود من بابل، إذ انقطع الوحي اليهودي عندئذ وبقي عليهم ان يدرسوا الاسفار الموجودة بين ايديهم (٥٠).

• (הַרְוָה/ هاروويه): الرائي (النبى)

• ذكر البلاغي ان النبى في زمان صموئيل ونحوه يُسمى (الرائي)، ويسمى ايضاً في العهد القديم (رجل الله) (٥١).

واسم (הַרְוָה/ هاروويه) اسم فاعل معرف بهاء التعريف في اللغة العبرية، من الفعل (רָאָה/ راءا): رأى، نظر، وقد جاء هذا الاسم في العهد القديم (١٢) مرة، للدلالة على النبى، او الذي يشاهد، كما في: صموئيل الاول ٩: ٩ (٢)، ١١، ١٨، ١٩، اخبار

الايام الاول ٩: ٢٢، ٢٦، ٢٨، ٢٩: ٢٩، اخبار الايام الثاني ١٦: ٧، ١٠، اشعيا ٢٨: ٧، وجاءت مرة واحدة بصيغة الجمع المذكور

(٥٠) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٧٥٩-٧٦٠.

(٥١) انظر: البلاغي. الهدى إلى دين المصطفى، ج ٢، ص ٣١٣.

(רַאִים/ رويم)، في: اشعيا ٣٠: ١٠ (٥٢).

وجاءت عبارة (אִישׁ הָאֱלֹהִים/ إيش هاإيلوهيم): رجل الله، في العهد القديم (٧٦) مرة، تدل على النبى، رجل الله، منها: تثنية ٣٣: ١، قضاة ١٣: ٦، ٨، صموئيل الاول ٩: ١٠، الملوك الاول ١٣: ٤، ٥، ٧، ١١، ٢٩، الملوك الثاني ٤: ٢١، ٢٢ (٥٣).

واللفظة الاساس في الدلالة على النبوة هي لفظة (רַאִים/ راياء): النبى، وهي اسم مشتق من الفعل المضعف العين (רָאָה/ رياء): تنبأ، جاء بالوحي (٥٤)، ورد هذا الاسم في العهد القديم (٣١٥) مرة، للدلالة على النبى ومن يسلك طريق الانبياء، منها: تكوين ٢٠: ٧، تثنية ١٣: ٢، ١٨، قضاة ٦: ٨، جاء في (١٣٩) موضع بصيغة جمع المذكر (רַאִים/ راياء) نفيئيم): انبياء، منا: صموئيل الاول ١٩: ٢٠، ملوك الاول ١٨: ٢٠، اشعيا ٢٩: ١٠ (٥٥).

(٥٢) אבן שושן. קונקורדנציה החדשה, כרך שלישי ע-ת, עמ" 1978.

(٥٣) אבן שושן. קונקורדנציה החדשה, כרך ראשון א-ה, עמ" 99.

(٥٤) אבן שושן. המלון החדש, כרך רביעי מ-ס, עמ" 1606-1607; قوجمان.

قاموس عبري-عربي، ص ٥٢٥.

(٥٥) אבן שושן. קונקורדנציה החדשה, כרך



هو من قوة خارجه عنه، والنبوة عند اليهود هي الاخبار عن الله وخفايا مقاصده، وعن الامور المستقبلية ومصير الشعوب والمدن والاقدار بوحي خاص منزل من الله على فم انبيائه.

وقد تكاثر عدد الانبياء حوالي القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وكان همهم تقوية الايمان بالله وتشجيع اليهود على الصمود، وكانت لهم مدارس، وقد اطلق على طلاب تلك المدارس اسم ابناء الانبياء (ملوك الثاني ٢: ٣، ٥)، وكان الله يختار من بين هؤلاء التلاميذ عدداً ويقبلهم انبياء له، وكان انبياء الله يواجهون انبياء مزيفين من غير اليهود، وانبياء كذبة من اليهود انفسهم.

وقد كان الانبياء من عماد الحياة في المجتمع العبري، وكانوا مع الحكماء والكهنة، مستشاري رجال الدولة ومقرري مصائرها زمن السلم وفي الحروب (ارميا ١٨: ١٨)، وكانت نبواتهم على انواع: كالا حلام (دانيال ٢)، الرؤيا (اشعيا ٦)، والتبليغ (الملوك الاول ١٣: ٢٠-٢٢).

وفي العهد القديم ستة عشر سفراً خاصاً لستة عشر نبياً، هم:

١. انبياء ما قبل السبي البابلي:

وللنبوة مفهوم واسع في الديانة اليهودية، فلا يشترط في النبي ان يكون صاحب شريعة عامة شاملة، بل هي اشبه بالوظيفة او هي عنصر مزدوج ديني وديوي، سماوي وارضوي (٥٦).

والنبي عند اليهود، يُعبر عنه انه فم الله والشعب، يُسمع الناس كلام الله، ويوصل كلام الشعب لله، او كاتب ملهم، او مترجم، اور جل الله.

والانبياء حسب التقليد اليهودي بشر خاطئون، أي غير معصومين، وهم اناس عاديون يخطئون، والحكمة من خطأهم هي ان حكمة الله اقتضت ان يكونوا كذلك لان الله سبحانه وتعالى اراد ان يبعث الى الخطّائين خطّائين مثلهم (٥٧).

وجاء في قاموس الكتاب المقدس ان النبي هو من يتكلم او يكتب عما يجول في خاطره، دون ان يكون ذلك الشيء من بنات افكاره، بل

שני ב-ה, ٥, لام" 1365-1367.

(٥٦) انظر: علي، د. فؤاد حسنين. اليهودية واليهودية المسيحية، معهد البحوث والدراسات جامعة الدول العربية، ١٩٦٨، ص ١٨.

(٥٧) انظر: محمود، مصطفى. التوراة، دار العودة، ط ١، بيروت ١٩٧٢، ص ٦٣.



يونان، عاموس، هوشع، اشعيا، ميخا، ناحوم، صفيانيا، ارميا، حبقوق.

٢. انبياء ايام السبي البابلي:

دانيال، حزقيال.

انبياء ما بعد السبي البابلي: حجي، زكريا، عوبديا، ملاخي، يوثيل.

وهناك انبياء ليس لهم اسفار، هم: اخنوخ

(ادريس)، نوح، ابراهيم، يعقوب، هارون،

موسى، بلعام، صموئيل، داود، ناثان، صادق،

اخيا، عدو، شمعياء، عزريا بن عوديد، حناني،

ياهو بن حناني، ايليا، اليسع، ميخا، زكريا بن

يهوياداع، عوديد، يدوثون<sup>(٥٨)</sup>.

• (לוּחַ، לוּחוֹת/ לוֹחַ، لوحوت):

لوح، الواح

ذكر البلاغي في مسألة الالواح التي

اعطيت لموسى <sup>(عليه السلام)</sup>، ان التوراة صرحت في

بعض المقامات بأنهما لوحان اثنان حيث

صرح الاصل العبراني بقوله (شني لوحت)،

وفي بعض المقامات قال (لوحت) (خروج

٢٤: ١٢)، وهذه في اللغة العبرانية كلمة جمع

لا تخرج الى التثنية الا بالتقييد بلفظة (شني)

(٥٨) انظر: قاموس الكتاب المقدس. ص

٩٤٩-٩٥٢.

أي اثنين، وان المتكلف والمتعرب اعترضوا في ان القرآن ذكر الالواح بصيغة الجمع<sup>(٥٩)</sup>.

جاءت كلمة (לוּחַ/ לוֹחַ): لوح، في

العهد القديم (٤٣) مرة، جاءت في (٥)

مواضع بهذه الصيغة المفردة، كما في: اشعيا

٣٠: ٨، ارميا ١٧: ١، امثال ٣: ٣، ٧: ٣،

نشيد الاناشيد ٨: ٩)، وجاءت بصيغة جمع

المؤنث السالم (לוּחוֹת/ لوحوت): الواح، اذ

ان (וּת/ وت) علامة الجمع المؤنث السالم في

اللغة العبرية، في (٣٨) مرة، كما في: خروج

٢٤: ١٢، ٢٧: ٨، ٣١: ١٨ (٢)، ٣٢: ١٥

(٢)، ١٦: ٢، ١٩، ٣٤: ١ (٣)، ٤ (٢)،

٢٨، ٢٩، ٣٨: ٧، تثنية ٤: ١٣، ٥: ١٩، ٩:

٩ (٢)، ١٠، ١١ (٢)، ١٥، ١٧، ١٠: ١، ٢،

(٢) ٣، (٢) ٤، ٥، ملوك اول ٧: ٣٦، ٨:

٩، حزقيال ٢٧: ٥، حبقوق ٢: ٢، اخبار

الايام الثاني ٥: ١٠<sup>(٦٠)</sup>.

ولا يأتي المثني من هذه اللفظة الا بقرينة

كلمة (שְׁנַי/ شني): اثنين، ذلك ان اللغة العبرية

تخلّصت من الكلمات المثناة عبر تاريخها اللغوي،

(٥٩) البلاغي. الهدى إلى دين المصطفى، ج ٢،

ص ٢٢١-٢٢٢.

(٦٠) אבן שושן. קונקורדנציה החדשה، כרך

שני ט-ס، למ" 1102-1103.



وإذا كان الاسم المراد تثنيته مؤنثاً في مفرده يجمع ويسبقه اسم العدد (שְׁנַיִ / شَتَيْ) (٦١).

وكلمة (לוח / لَوْح) اسم مفرد مذكر، مجمع جمعاً شاذاً على جمع المؤنث السالم (לוחות / لوحات)، وبما أنه مذكر في المفرد، فقد جاء قبله اسم العدد (שְׁנַיִ / شَتَيْ) للدلالة على المثني، وقد ورد في العهد القديم بصيغة المثني (שְׁנַיִ לוחות / شَتَيْ لوحات): لوحين، في (١٧) موضع، كما في:

خروج ٣١: ١٨، ٣٢: ١٥، ٣٤: ١،  
٤ (٢)، ٢٩، تثنية ٤: ١٣، ٥: ١٩، ٩: ١٠،  
١١، ١٥، ١٧، ١٠: ١، ٣ (٢)، الملوك  
الاول ٨: ٩، الاخبار الثاني ٥: ١٠ (٦٢).

وقد تنوعت دلالة كلمة (לוח، لوح) في العهد القديم، فقد جاءت في (٤) مواضع كلقب لقلب الانسان ومركز ذاكرته، (לוח הלב / لوح هليلف): لوح القلب، في: ارميا ١٧: ١، امثال ٣: ٣، ٧: ٣، نشيد الاناشيد ٨: ٩.

(٦١) ربحي، د. كمال. دروس اللغة العبرية، ص ١٠٣-١٠٤؛ عليان، د. سيد سليمان. قواعد اللغة العبرية، ص ١٣٥-١٣٨.  
(٦٢) אבן שושן. קונקורדציה החדשה، כרך שני ט-ס، לגמ" 1102-1103.

ولم يبق سوى بقايا الكلمات مثناة بحكم وجودها في الطبيعة مركبة من شقين، وعلامة المثني في اللغة العبرية هي (-ים / -يم) تلحق الاسم المفرد مذكراً كان أم مؤنثاً، أي أنه يُشكل الحرف الاخير من الاسم المفرد بالفتحة (البتاح)، وتتمثل بقايا المثني في اللغة العبرية في:

- اعضاء جسم الانسان المثناة، مثل: (עין-עَيْنِيم) / عَيْن-عينين.
- اسماء الزمن، مثل: (שנה-שְׁנַתִּים) / شانا-شِنَاتِيم): سنة-سنتين.
- اسماء الملابس المزدوجة، مثل: (مك-קוּסִים) / مَحْناسِيم): بنطلون.
- اسماء العدد المثناة، مثل: (שְׁנַיִם) / شَيْنِيم): سنة-سنتين.
- ادوات الصناعة المثناة، مثل: (מסופ-מַסְבָּרִים) / مسباريم): مقص.

اما بقية الاسماء، فالطريقة العامة لتثنيتهما (التثنية الصناعية)، فتصاغ بتركيب اضافي يتكون من اسم العدد (שְׁנַיִם / شَيْنِيم): اثنان، واسم العدد (שְׁתַּיִם / شَتَيْنِيم): اثنان، وفي حالة الاضافة (שְׁנַיִ / شَتَيْ) و (שְׁתַּיִ / شَتَيْ)، قبل الاسم الجمع، فإذا كان الاسم المراد تثنيته مذكراً في مفرده يجمع ويسبقه اسم العدد (שְׁנַיִ / شَتَيْ)،



وجاءت في (٣) مواضع للدلالة على لוחي العهد (לוחות הברית/ لوحوت هيريت)، في: تثنية ٩: ٩، ١١، ١٥.

كما جاءت في (٣) مواضع، للدلالة على لוחي الوصايا (לוחות העדות/ لوحوت هاعيدوت)، في: خروج ٣١: ١٨، ٣٢: ١٥، ٣٤: ٢٩.

ويرجح ان اللوح كان صفحة مغطاة بطبقة رقيقة من الشمع يكتب عليها بقلم من حديد، ومثل هذه اللوح بقيت مستعملة الى سنة ١٣٠٠ م (٦٣).

وجاء في سفر الخروج (١٥: ٣٢) انهما لوحان مكتوبان على كل جانبٍ منهما، وقد كُتبت فيهما الوصايا العشر او الكلمات العشر (خروج ٣٤: ٢٨، تثنية ٤: ١٣، ١٠: ٢٤)، وهي ما نطق به الله في سيناء، وتنطوي على حكمة اجتماعية روحية اعتبرت من مميزات الشعب العبراني (تثنية ٤: ٦، ٨)، وعلى توجيهات وارشادات للحياة الصالحة، وهي موجز لكثير من تعاليم العهد القديم.

وقد لُقت الوصايا حسب شهادة الكتاب المقدس لموسى، ثم كُتبت على

(٦٣) قاموس الكتاب المقدس. ص ٧٦١.

لوحى حجر، وعلى الوجهين (خروج ٣١: ١٨-٣٢: ١٦)، ولكن عندما نزل موسى من الجبل بعد اربعين يوماً قضاها في حضرة الله، ولما عاد وجد الشعب يعبدون العجل، فاستشاط غيظاً، وفي غيظه كسر اللوحين، ولكنه بعد ان طهر الشعب المتمرد على الله، صعد مرة اخرى الى الجبل بناءً على امر الرب، وعاد حاملاً لوحين جديدين كُتبت عليهما وصايا الرب (خروج ٣٤) (٦٤).

وفي القرآن الكريم جاءت كلمة (الالواح) في (٣) مواضع، في: الاعراف/ ١٤٥، ١٥٠، (٦٥) ١٥٤.

وفي هذه الآيات اشار القرآن الكريم الى ان الالواح التي تلقاها النبي موسى ﷺ قد تضمنت موعظةً وتفصيلاً لكل شيء وامر الرب موسى ﷺ ان يأخذها بقوة ويأمر قومه ان يعملوا بها، كما اشارت الى ان موسى ﷺ عند رجوعه الى قومه وبيده الالواح وجدهم يعبدون العجل القى الالواح، لكنه لم يقم بكسرها، فأخذها بعد ان هدأ وذهب عنه الغضب.

(للبحث صلة إن شاء الله)

(٦٤) قاموس الكتاب المقدس. ص ١٠٢٩.  
(٦٥) عبد الباقي. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٨١٠.

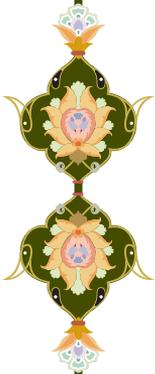


## ملخص البحث

عبر العرب عند سماعهم القرآن انه سحر يؤثر، فأين سحر هذا؟ وأين يمكن؟ لا بد ان يكون موجوداً في صميم النسق القرآني نفسه.

إن جمال القرآن اللغوي يتمثل في رصف حروفه وترتيب كلماته، الجامعة بين اللين والشدة، والخشونة والرقّة، والجره والخفية، على وجه دقيق محكم، ويستعمل القرآن الكريم الأصوات التي تنسجم والمعنى المعين، فكأن تلك الأصوات أصبحت عاملاً مساعداً في إضفاء جو معين خاص من حزن أو سعادة، أو ضيق أو عذاب، وما إلى ذلك، الذي ينبع من صفة الصوت. ومن ثم يصب في خدمة المعنى.

والقرآن وجّه اهتمام العرب منذ وقت مبكر ولفت نظرهم إلى ضرورة الافادة من الزخم الصوتي في اللغة العربية وهو يستهل بعض السور القرآنية بجملة محدودة من الحروف الهجائية. والنص القرآني قائم على التجانس الصوتي، من ذلك اشارته ﴿الرَّ﴾ بدءاً من اقصى الحلق (الهمزة)، ووسط الحلق (اللام) والنهاية في الشفتين (الميم).



# الأداء الصوتي في التعبير القرآني

م.د. تحسين فاضل عباس  
جامعة الكوفة / كلية الآداب - العراق

وللقرآن في حضارتنا دور ثقافي لا يمكن تجاهله في تشكيل ملامح هذه الحضارة. وإذا صح لنا أن نخترل الحضارة ببعد واحد لصح أن نقول إن الحضارة المصرية القديمة هي حضارة (ما بعد الموت) وان الحضارة اليونانية هي حضارة (العقل)، أما الحضارة العربية الإسلامية فهي حضارة (النص).

إن البحث في مفهوم النص يكمن في ماهية (القرآن) وطبيعته بوصفه نصاً لغوياً. فهو كتاب العربية الأكبر، وأثره الأدبي الخالد، فالقرآن كتاب الفن العربي الأقدس<sup>(١)</sup>.

وقف العربي أمام القرآن الكريم يحمل

(١) مفهوم النص دراسة علوم القرآن ٩-١٠.

لما كان أنسب الأشياء إلى الإنسان وأقربها إلى أن يدرك الكمال في تناسب موضوعها هو شكله الإنساني فكان إدراكه للجمال والحسن في تخاطبته وأصواته من المدارك التي هي أقرب إلى فطرته فيلهج كل إنسان بالحسن من المرئي والمسموع بمقتضى الفطرة والحسن في المسموع ان تكون الأصوات متناسبة لا متنافرة في الصفات والمخارج.

والقرآن نص لغوي يمثل نصاً محورياً في تاريخ الثقافة العربية، والنص بمفرده لا ينشئ الحضارة ولا يقيم ثقافة. إن الذي انشأ الحضارة، وأقام الثقافة جدل الإنسان مع الواقع من جهة، وحواره مع النص من جهة أخرى.

إن جمال القران اللغوي يتمثل في رصف حروفه، وترتيب كلماته، الجامعة بين اللين والشدّة، والخشونة والرقّة، والجهر والخفية، على وجه دقيق محكم، وضع كلاً من الحروف وصفاتها المتقابلة في موضعه، بميزان حتى تألف من المجموع أساليب تعبير امتزجت فيها جزالة البداوة في غير خشونة، برقة الحضارة من غير ميوعة. ومن نتيجة الجمال اللغوي والنظام الصوتي أن يسترعي الأسماع ويثير الانتباه ويحرك داعية الاقبال في كل إنسان إلى القرآن (٤).

عبر العرب عند سماعهم للقرآن انه سحر يؤثر، فأى سحر هذا؟ وأين يكمن؟ لا بد ان السحر المراد والمعبر عنه موجود في صميم النسق القرآني نفسه.

ففي قوله سبحانه ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [سورة المزمل: ١٤]، نحسُّ صورة الهول واضحة في الآية، ولكن بأية أدوات عبر عنها فلو أدخلنا الأدوات هذه (الأصوات) في المختبر التحليلي الذي يتألف منها الحدث نجد الفعل (تَرْجُفُ) مكوناً بداية من (٤) مناهل الفرقان، ١ / ٣٠٢ - ٣١٣.

خصالاً متعددة منها الحيرة، والتعجب من نظمه، والتذوق لأسلوبه، والعجز، بعدما تحداهم ان يأتوا بمثله وهم أساطين البلاغة والذين عرفوا بذلاقة اللسان وحسن البيان وروعته، حتى أن الوليد بن المغيرة بعد سماعه قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: ٩٠]، قال مقولته المشهورة: والله إن عليه لحلاوة وإن له لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق (٢) وما هو بقول البشر (٣).

إن دراسة القران دراسة صوتية لها جانب البداية والأولية في دراسة الإعجاز القرآني، فاللغة عند العرب هي عبارة عن أصوات فهي المادة الأولية في نشوء أي نتاج كلامي وتركيب. والصوت والدلالة يجتمعان في تخطيط المنهج واتجاه النص، بحسب ذكاء المبدع أو المنشئ له.

(٢) أغدق المطر: كثر قطره، وأسفله أول ما يكون منه، وأعلاه ما ينتهي إليه منه، والمراد ان بدايته يتبعها كثير.

(٣) تقريب النشر في القراءات العشر ٢١-٢٢، دلائل الإعجاز ٢٩٧.



صوت انفجاري، (التاء)، (الراء) الصوت الذي وصف بالتكرار، أي له الإمكانية في تكرار الحدث، و(الجيم) الصوت المجهور والانفجاري الذي يضاعف فيه قوة الصوت وشدته، مشفوعاً بخاتمة (الفاء) الصوت الاحتكاكي المسموع، الذي قد يكون قد حقق موازنة والانتقال من الشدة إلى الرخاوة، أو الإظهار والانتشار عن طريقه. إذ عدّه بعض القدماء من أصوات التفشي، أي أن الفاء قد حقق نشرًا للصورة المرعبة.

ف نجد صورة مخيفة نبعت من ينايع صوتية حققت لها ما تريد إثباته للمتلقي، ومن الممكن التجديد لها من خلال الصيغة الفعلية (ترجف)، ومن هو الذي يرتجف؟ انها صورة عظيمة في ثبات الأرض والجبال، ثم هذا الطود الشامخ (الجبل) أصبح (مهياً) وهو «الذي لا يثبت مكانه حتى ينهال فيسقط... وشبهه بالرمل في كثرته»<sup>(٥)</sup> ثم نتأمل في العلو والانخفاض في الرفعة من صورة الجبال الشاخحة إلى ان أصبحت (مهياً) فعبر عن صورة الذوبان في (هيل) لسان العرب (هيل).

هذه بالميم، الصوت الشفوي المجهور الذي له علو، صوتي، ثم الهاء الصوت الحنجري الاحتكاكي المهموس: فنلاحظ الانتقال والانسجام في المخارج الصوتية، ثم ان الهاء صوت (مهتوت) لضعفه وخفائه ثم تبعه الياء الذي يشاركه بالخفية (لاتساع المخرج الصوتي فيهما).

فالظاهر تحقُّق أمرين:

**الأول:** ان الهاء والياء أسهمتتا في وضوح الصورة النازلة كأن الجبل الشامخ وقع في منخفض سريع.

**الثاني:** احتواء هذه الصورة السريعة من خلاهما.

من الملاحظ ان القرآن الكريم يستعمل الأصوات التي تنسجم مع المعنى المعين، فكأن تلك الأصوات أصبحت عاملاً مساعداً في إضفاء جوٍ مقصود من نوع خاص، من حزن أو سعادة أو انشراح أو ضيق أو عذاب أو فوز، وما إلى ذلك، الذي ينبع من صفة الصوت ومن ثم يصب في خدمة المعنى.

نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي

صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿سورة طه: ٢٥-



ليس بالسهل فهو عمل كبير، فالآية تعطي دلائل على عظمة الخالق وقدرته على فعل الصعب في أي وقت يشاء بدوران الأرض حول الشمس، وبالتالي تعدد الفصول ثم بتغير الليل والنهار في طولهما، ومن قدرته العجيبة خروج الشجرة من النواة، أو خروج النواة من الشجرة.

تلك عملية مستمرة عبّر عنها الله تبارك وتعالى بتكرار لفظة (تولج) و(تخرج) في الآية أربع مرات، فضلاً عن شيوع (صوت الرءاء) في اغلب المقاطع الذي يتصف بالتكرار، وبالضربات المتلاحقة، وبذلك تحقق الانسجام بين الأدوات الصوتية وجو الآية.

ويستعمل القرآن الكريم صوت (الكاف) الشديد أو الانفجاري، في توافق بين الصوت والمعنى العام للنص كقوله سبحانه على لسان النبي موسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فْتُوبُوا إِلَى بَرِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَرِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة: ٥٤] ، المقام مقام عتاب

[٢٦] وبالإحصاء الرقمي في الأصوات الموجودة في الآيتين نجد أن أكثر الأصوات المكررة والمستعملة هي الرءاء (وردت خمس مرات)، ثم الصائت الطويل (الياء) أو صوت المد (ورد أربع مرات).

ف نجد مقام الآيتين مقام طلب من مخلوق إلى الخالق وغايته يريد المتكلم تحقيق طلبه والاستجابة له، فبأي أدوات عبّر عنها، نجد سيادة استعمال الرءاء فيها، الذي تحس عند النطق به وجود التضعيف فكأن هذا الصوت كان أداة لِكُنْهُ الإلحاح في طلبه، ثم صوت المد الذي يعطي أكبر مساحة صوتية في الطول المعبر عن ذلك الطلب، فالطلب كبير يحتاج إلى وعاء كبير فالمناسب له هو صوت المد بإعطاءه فسحة زمنية.

ونجد كذلك في تكرار (الرءاء) بإضفاء جو معين في ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ شَاءَ بِعَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة آل عمران: ٢٧]، فجمعت الآية في المتضادات: الليل والنهار، الحي والميت، الرزق وعدم الرزق، وتحول الضد من شيء إلى آخر أمر



من النبي لقومه بعبادتهم الوثن (العجل)، وفيه إيحاء إلى عظم جرمهم هذا ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَرِيئِكُمْ﴾ وفيه دعوة إلى قتل من ارتد عن دينه إلى عبادة العجل من قبل من بقي على الإيمان.

ومن ثمَّ إضفاء النعمة على بني إسرائيل بعد القتل الكثير الذي وصل إلى سبعين ألفاً، وهي نعمة الصفح عن جرمهم ﴿إِنَّهُ هُوَ النَّوَّابُ الرَّجِيمُ﴾<sup>(٦)</sup>.

ف نجد جو الآية مشحوناً بالتوتر وتفرعاته من عتاب وغلظة وقتال ومن ثم توبة، فنلاحظ شيوع (الكاف) في الآية وما له من من ثقل الحدث وعظم الجريمة، بإحداثه رنة إيقاعية قوية تهز النفس، لتبين واقع تلك النفوس.

وكذلك نجد الأصوات الحادة في إيقاعها تحوي الجو العام الشديد والقوي، فتصير وعاءً له، من ذلك قوله تعالى ﴿وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ

(٦) ينظر: تفسير ابن كثير ١/ ١٣٥، تفسير الطبري ١/ ٣٢٥، التفسير المبين (محمد جواد مغنية) ١٤.

أَنْبِ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْعَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كَلُوا مِنْ طَيْبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

[سورة الاعراف: ١٦٠]، فقد تكرر صوت (السين) في الآية ثمان مرات، وبهيمنته هذه جاء ليعبر عن جلال الامور وعظمتها الموصوفة من تفريق بني إسرائيل إلى قبائل شتى، وانفجار الماء من الحجر، وجعل السحاب يقيهم حر الشمس، وثقل نعم الله على هؤلاء القوم، فالسين صوت صفيري أي فيه حدة، ناتج من الاحتكاك الشديد فجاء علو صوت (السين) في الحدة لينسجم مع إظهار المعنى الكبير بعظمة تلك الأمور الدالة على قدرة الله تعالى، فأدى ذلك الصوت وظيفته خدمة للمعنى الشامل.

وفي قوله عز من قال ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَابُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسَّسَ الْمِهَادُ﴾ [سورة آل عمران: ١٢] فالآية بمثابة شن حملة قوية على الكفار فعلاً



بالحدة. ثم اختار لهذا العالم أعلى الأصوات وضوحاً للمعنى وهي الصوائت الطويلة: ياء مرة، واو ثلاث مرات، والألف مرة، إضافة إلى الصوائت القصيرة.

ونجد في السور القرآنية الخاصة بتصوير يوم القيامة، اختيار الأصوات القوية والانفجارية والصفيرية من ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۙ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۙ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۙ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۗ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۗ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [سورة الزلزلة: ١-٦].

فعند قراءتك هذه المقاطع كأنك تهتز لاهتزاز الحدث العظيم وتضطرب لاضطراب الكوكب الذي سوف يتحول إلى كيان اهتزازي غير مستقر بعد ان كان الاستقرار صفة ملازمة له، على مر السنين الطوال. فكيف تأثرت بالصورة؟ وما الرابط الذي مدّ جسور التواصل العاطفي والفكري بينك وبين هذه الجمل؟ انه الجرس (الصوت)، فهو آلة اللفظ وبه تتألف الجملة فهو المادة الخام لتكوين

لهذه الحملة أدوات تتناغم مع كبر الحدث من هزيمة تنتظرهم، ومسكنهم في المكان المخيف (جهنم)، وبئس القرار والمهاد، فالأدوات الصوتية ومعنى الآية صرختان منسجمتان كلٌ منهما يقوّي الآخر ليعطيا وصفاً مناسباً.

في الواقع ان في الآية أكثر من نغمة خوف جاءت متلبسة بأصوات متوافقة معها، تبدأ بـ ﴿قُلْ﴾ وبالتحديد من القاف واللام، فالأول يحمل صفة الشدة والانفجار بسبب الانحباس الحاصل، ثم دُعم من اللام، الصوت المجهور الذي يقوم يهز الأوتار الصوتية فيؤدي صوتاً واضحاً عالياً أو الذي يمنع النفس من الجريان به، فاجتماع هذين الصوتين بهذه الصفات الغليظة انما هو بداية لدخول معنى شديد وغليظ.

فنلاحظ علورنين الأحداث الانفجارية من استعمال القاف: مرة والتاء مرتين، والكاف مرة، والهمزة مرتين، والجيم مرة، والدال مرة، والباء مرتين، ثم ختم الله سبحانه هذه الغلظة بلفظة (بئس) المتكونة من صوتين شديدين، والثالث المتمثل



الكلام والقول «والصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف. ولن تكون حركات اللسان لفظاً وكلاماً موزوناً ولا متثوراً إلا بظهور الصوت»<sup>(٧)</sup>، لذلك من يريد معرفة الإعجاز وكنه القرآن فعليه الوقوف أولاً عند الصوت فالقرآن «وجّه اهتمام العرب - منذ وقت مبكر - ولفت نظرهم إلى ضرورة الإفادة من الزخم الصوتي في اللغة العربية وهو يستهل بعض السور القرآنية بجملته محددة من الحروف الهجائية»<sup>(٨)</sup>.

إن الانسجام والتوافق قائم بين العربية والقرآن، فالعربية في طبيعتها تقوم على التوازن «امتياز اللغة العربية في مجموع أصوات حروفها بسعة مدرجها الصوتي سعة تقابل أصوات الطبيعة في تنوعها وسعتها، وتمتاز من جهة أخرى بتوزعها في هذا المدرج توزعاً عادلاً يؤدي إلى التوازن والانسجام بين الأصوات»<sup>(٩)</sup>، والقرآن قام على هذا الانسجام والتجانس في

(٧) البيان والتبيين ١/ ٧٩.

(٨) الصوت اللغوي في القرآن، ٨٣.

(٩) بحوث لغوية (أحمد مطلوب) ٢٨.

الأصوات، وأول إشارة له ﴿اللَّهُ﴾ بدءاً من أقصى الحلق المتمثل في (الهمزة)، ووسط الحلق (اللام) والنهاية في الشفتين (الميم).

فسورة الزلزلة انموذج من نماذج التوافق بين الأصوات والمعنى. وكانت البداية ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ إيذاناً لما بعدها من تصوير خيف ومروع ليوم القيامة. وعند تحليلنا للأصوات الأكثر ظهوراً وبروزاً في تلك الآية اللام (٥ مرات)، والزاي (٤ مرات)، فاللام «صوت شديد جرى فيه الصوت لانحراف

اللسان مع الصوت»<sup>(١٠)</sup>. فهو صوت اختص بـ(الانحراف) للاستعداد بالنطق بالصوت الذي يليه. وبعده (الزاي) في (زلزل) وكأن الزاي يطلب اللام، واللام يطلب الزاي في اتحادهما في الشدة والجر، ويعضد ذلك الرنين القوي صفير الزاي مما يزيد الإيقاع ضخامة ووضوحاً، وبالتالي إيجاد جو مناسب للمعنى والسياق. ثم يختتم صورة الآية الأولى مع الآيات الأخرى (بالألف) الذي هو أعلى واكبر الصوائت الطويلة مداً وسمي (بالهاوي)

(١٠) الكتاب ٤ / ٤٣٥.



المهموسة، والهمس «عام في كل شيء له صوت خفي»<sup>(١١)</sup>، والخفاء والظهور موجود في ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَسِ﴾<sup>(١٥)</sup> الْجَوَارِ الْكُنَسِ وهي «النجوم تخمس بالنهار وتكنس بالليل»<sup>(١٢)</sup>، السين فيه همس ورخاوة أي امتداد الصوت معه<sup>(١٣)</sup>، ونجد استمرار وديمومة وامتداد هذه الظواهر الكونية ومثله ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾<sup>(١٧)</sup> وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ كناية عن آخر الليل، والصبح يتنفس من كابوس الليل فيطلع ويضيء.

فاختيار هذا الصوت كان منسجماً مع الظواهر ومع الوصف الفني لها، فلا شدة ولا قوة، إنما هناك أمل وارتياح ونشوة تحسها وأنت تقرأ هذه المقطوعة اللينة الهادرة كهدير الماء، احتواها صوت السين الذي هو من الحروف (اللينة)، وانك «تكاد تسمع من قوله تعالى: والصبح إذا تنفس سقسقة العصفور وصيحة الديك»<sup>(١٤)</sup>.

(١١) لسان العرب (همس).

(١٢) تفسير الطبري ١٢ / ٤٦٦.

(١٣) سر صناعة الاعراب ١ / ٦١.

(١٤) التفسير المبين ٦٩٢.

لعدم وجود أي حائل يعترضه. فهذا النَّفْسُ الجاري والمد العالي إنما يساعد في زيادة وضوح الصورة.

ويستمر المشهد الذي يخيف القلوب بالتعبير عنه بالأصوات الشديدة الانفجارية، والأبرز فيه شيوع الهمزة «أَخْرَجَتْ، الْأَرْضُ، أَنْقَالَهَا، الْإِنْسُنُ، يَوْمَئِذٍ، أَخْبَارَهَا، أَوْحَى، يَوْمَئِذٍ، أَشْتَاتًا، أَعْمَلَهُمْ» فالهمزة صوت صعب فزاد الصورة شدة وصعوبة.

ونجد في مواضع غير الشدة يستعمل القران الكريم، الأصوات اللينة والمهموسة، وخاصة في تصويره لمعالم الطبيعة، ومعالم الكون، من ذلك قوله عز من قال ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَسِ﴾<sup>(١٥)</sup> الْجَوَارِ الْكُنَسِ<sup>(١٦)</sup> وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ<sup>(١٧)</sup> وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ [سورة التكويم: ١٥-١٨] ، نلمس كبر مساحة السين في هذا المقطع التصويري الفني بالمقارنة مع الأصوات المكونة لهذه الآيات الثلاثة.

فالسين هنا احتوت المعالم الكونية والطبيعية بما ينسجم مع وجودها وصفاتها الخاصة، فالسين من الأصوات



## قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر
- الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت.
- تاريخ ابن خلدون، دار الكتب، بولاق، د.ت.
- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ت (٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط ٢، ١٩٩٩م.
- تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، ت (٣١٠هـ) تحقيق احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٠م.
- التفسير المبين، محمد جواد مغنية، دار التعارف، بيروت، ١٩٧٨م.
- تقريب النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ت (٨٣٣هـ)، تحقيق: إبراهيم عطوة، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- دلائل الاعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تصحيح الشيخ محمد عبدة وآخرين، ط ٤، دار المنار، مصر، ١٣٦٧هـ.
- سر صناعة الاعراب، أبو الفتح عثمان بن جني: د. حسن هنداي، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٨٥.
- الصوت اللغوي في القرآن، د. محمد حسين الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.
- الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، ط ١، بيروت.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط ١.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار احياء التراث العربي، بيروت، تحقيق عبد الرازق المهدي.
- المزهري في علوم اللغة وانواعها، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ت (٩١١هـ)، تصحيح فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.
- مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، د. نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط ٦، ٢٠٠٥م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، المطبعة الفنية، القاهرة.



## ملخص البحث

يطرق الباحث في ثنايا بحثه أمر صحبة الرسول الاعظم ﷺ ومصطلح الصحابة فيقرر ان الحديث يقتضي الرحابة ويتطلب الثبوت في الحكم عليه ويقتضي الانصاف في تعاطيه ويقرر أن افضل كلام يستوفيه هو الكلام المنطلق من وحي الانصاف لا من وحي التعصب او الحب او البغض، وليس انصف من القرآن الكريم واعدل منه في الكلام عنهم فحكمه هو الحكم الفصل إذ هو تجرد عن الهوى وترفع عن التحيز. وقد استقرأ السيد الباحث آيات القرآن وحسب للوصول الى الحكم المتمثل بتفاوت الصحابة في الفضل وتباينهم في العدالة واختلافهم في الدرجات (وهي سنة الله في عباده).

وقد بدأ البحث بشرح المفردات الدليلية (الصحابة-القرآن-الصحبة) من اكثر المصادر اللغوية وثيقة وقد وصل الباحث الى نتيجة منطقية اخذها من حكم القرآن على الصحابة فوجد أن منهم الصالحين ومنهم دون ذلك.

# الصحابة من منظور قرآني

الدكتور علي الأسدي

كلية الشهيد مطهرى للدراسات والعلوم الإسلامية  
جامعة فردوسى مشهد

## مقدمة البحث

الصحابة، في كتابه الحكيم. وهذا التمييز هو التمييز العادل باعتبار تفاوت الطبائع البشرية وتباين القابليات المودعة في الجبلة الانسانية. ولا بد لكل مسلم ذي بصيرة أن يمتلك القدرة على التمييز ليكون الحكم على الأشياء عادلاً منصفاً.

وهذا التمييز هو الكفيل بوضع الصحابة مواضعهم التي وضعهم القرآن فيها. وسترد مفرداته في هذا البحث لغةً واصطلاحاً؛ والسبب الذي دعا إلى اختيار هذا الموضوع؛ فأستعرض الصحابة بنظرة عامة محايدة، ثم بنظرة قرآنية عامة، ثم أنواع الصحبة وأصحابها قرآنيًا، يلي ذلك أهم الموضوعات وأبرز العناوين القرآنية التي تخص الصحابة، ونظرة أخيرة تليها

الدخول في عالم الصحابة من منطلق قرآني ضمان لصحة الحديث عنهم وأمان من الإجحاف بحقهم ومن بخسهم أشياءهم. والخوض في حديثهم -قربةً إلى الله تعالى، ومن وحي القرآن- يوصلنا إلى الهدف المقصود المتمثل بإيقاد جذوة البيّنة القرآنية لتتكشف الحقائق بازغةً كما يريدنا القرآن الكريم فتنتشع غمام الغفلة والكدر والتنغيص ونسعد جميعاً بالتمييز الصائب للأُمور. والتمييز المذكور هو الزبدة المتوخاة من مخاض هذا البحث، وبه تُدرَك الحقائق. فإذا تيسر التمييز فقد بلغ البحث مراده، لاسيّما إذا كان مستوحىً من كلام مميّز عادل وهو الله سبحانه وتعالى، إذ هو المميّز الحكيم الذي ميّز بين الناس، وفيهم

النتائج التي يتمخض عنها البحث. والصحابة من منظور قرآني هم الصحابة الذين غفل البعض عن التمييز المنصف السديد بينهم فأجحف بحقهم ولم يجعلهم في منازلهم التي أنزلهم القرآن فيها. ولم يرد مصطلح الصحابة في القرآن الكريم والسنة الشريفة وإنما وضعه المسلمون في عصر لاحق. وعلى هذا فإن هذه التسمية من نوع تسمية المسلمين ومصطلح المشرعة<sup>(١)</sup>.

ولا يدخل في الحديث عن الصحابة الصحابيات، ولا نساء النبي ﷺ اللاتي كن أكثر صحبةً، ومصاحبتهن له كانت من أعلى درجات الصحبة<sup>(٢)</sup>. ولا يدخل فيه أيضاً أهل بيته: الذين اصطفاهم الله سبحانه. فلكل من هؤلاء مفهومه المستقل، ونصيبه من الحديث، وليس هنا موضع ذكره، بخاصة أن في أهل البيت علي بن أبي طالب عليه السلام الذي كان أخا النبي ﷺ بل نفسه بنص القرآن، كما كان وصيه ومرجع

أصحابه من بعده، فله منزلته الخصيصة ولا يقاس به أحد على حدّ تعبير إمام الحنابلة (عبدالرحمن بن الجوزي)<sup>(٣)</sup>.

فموضوعنا هو الصحابة من منظور قرآني أو النظرية القرآنية في صحابة نبينا (رضي الله عنهم). ويستتير الموضوع بالقرآن الكريم نفسه، ويستهدي بصواب ما قيل في حقه مستخلصاً أرجح الآراء من أقوال المفسرين فيما غمض منه، مع تأكيد الاستضاءة بالكتاب العزيز نفسه، وهو الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [سورة فصلت: ٤٢] باستقراء الآيات البيّنة الصريحة الواضحة التي اتفق عليها جلّ المفسرين، أو هي عينها لا تحتاج إلى تفسير وتبيين لوضوحها واستبانتها ويُسّر معرفتها.

ويحسن أن أسجل في ختام هذه المقدمة عدداً من الملاحظات التي ترتبط بالموضوع قبل الدخول فيه.

١- تنقسم الآيات القرآنية التي تتحدّث عن الصحابة على ثلاثة أقسام. وهي: الآيات المقايسة بينهم، والآيات

(٣) مناقب الإمام احمد بن حنبل: ١٦٢.

(١) السيّد مرتضى العسكري/ معالم المدرستين ١:

(٢) السيّد العسكري/ معالم المدرستين ١: ١٣١.



المادحة، والآيات القادحة. والآيات المادحة أقل من الآيات القادحة. وهذه نقطة لافتة للنظر. والآيات المقايسة نفسها تدلّ على تطبيق سنّة التفاضل في الوجود.

٢- تقسيم الصحابة بيان لحقائق قرآنيّة تعطينا صورة واضحة عنهم ليُعلم المؤمن من غيره. والتفاوت الملحوظ بينهم حقيقة قرآنيّة لا سبيل إلى إنكارها.

٣- إنّ أول ما تفيده الآيات النازلة بشأن الصحابة هو اختلاف مستوياتهم، وتعدّد درجاتهم، وتباين توجّهاتهم، وتفاوت فضلهم، وتنوّع أفهامهم. وهذا ما يقرّه العقل السليم ويرتضيه الذوق السديد بنظرة عامّة محايدة تنطلق من وحي الإنصاف.

٤- في القرآن الكريم آيتان تحسمان النزاع بين المسلمين حول الصحابة، لأنّهما بيّتان في التفضيل بين من هم فوق الصحابة في الفضل، وهم رسل الله سبحانه وأنبياءه؛ فكيف لا تنطبق هذه السنّة على الصحابة وهم دونهم في الفضل؟ والآيتان هما قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ

عَلَى بَعْضٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٣]؛ وقوله جلّ

شأنه: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [سورة الإسراء: ٥٥]. فلا مساواة بينهم في الفضل على ما نطق به القول الفصل.

٥- الرؤية القرآنيّة في الصحابة تقابلها الرؤية البشريّة التي تتسم بالاجتهاد والتأوّل، وتنطلق من الهوى والتمحّل. وهذه الرؤية لا تنصف البتة إذ يوجّهها الحبّ والبغض، وهما إفراط وتفريط، وكلاهما ذميم. فانتهاج الرؤية القرآنيّة يُفضي إلى الحكم على الصحابة بإنصاف. ويقطع دابر التشاحن والتحامل.

٦- لا دليل في القرآن ولا في السنّة أيضاً على كون الصحبة وحدها عاصمة كافية إذ إنّ الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة تدلّ على أنّها لا تكفي ولا تركّبي أصحابها ولا تعصمهم ولا تضيغي قداسةً عليهم لما ورد من ذمّ وعتاب وتوبيخ لبعضهم.

٧- لم يرد عنوان الصحابي في القرآن موضوعاً للتوثيق والجرح كما صرح به الشيخ المحسنّي في كتاب «عدالة الصحابة على ضوء القرآن والسنّة والتاريخ»: ٨.

إنّ الحكمة من بيان الرؤية القرآنيّة في الصحابة وضع كلّ صحابي موضعه



الجدير به. ولما وصف القرآن نفسه بالحكيم- والحكيم هو الواضع كل شيء موضعه- فموقفه من الصحابة هو الموقف الحكيم. فالهدف المتوخى من هذا البحث هو بيان الرؤية المذكورة، وترسيخ القدرة على التشخيص السديد الصائب لمستويات الصحابة، وتطويع النفوس على قبول النظرية القرآنية الثابتة فيهم.

والفائدة المرجوة من البحث هي إطلاع المسلمين قاطبة على النظرية القرآنية القويمة في الصحابة، ولفت أنظارهم إليها، وغرس البصيرة النافذة في قلوبهم فتستنير بصائرهم، وإيجاب وقوفهم على تلك النظرية الساطعة.

والجديد في البحث هو الاستقراء الدقيق للآيات القرآنية وإنعام الفكر فيها. ونتيجة هذا الاستقراء والإنعام استنباط رؤية قرآنية تحليلية في الصحابة، وتقسيم دقيق منصف لهم.

### الصحابة لغةً واصطلاحاً

الصحابة جمع الصاحب والصحابي. وتشابه كتب اللغة في تعريف الصحابي إلا في بعض المواطن. كما نقل بعضها

عن بعض لاسيما المتأخر منها فقد نقل عما تقدم. وهذا شيء ملحوظ. ونكتفي هنا ببعض منها خشية الإطالة علماً أنّ المعنى اللغوي والاصطلاحى لهذه الكلمة متماثلان متقاربان.

قال ابن فارس: «(صحب) الصاد والحاء والباء أصل واحد يدل على مقارنة شيء ومقاربتة. من ذلك الصاحب والجمع الصحب، كما يقال راكب وركب... وكل شيء لاءم شيئاً فقد استصحبه» (٤).

وقال الزمخشري: «هو صاحبي... وهم صحبي وصحيتي وأصحابي... وصحابي وصحابتي... ومن المجاز: هو صاحب مال وعلم وكل شيء. وفي كتاب العين: وصاحب كل شيء: ذوه... وأحسن الله تعالى صحابتك، وامض مصحوباً ومصاحباً بمعنى مسلماً معافى، ومنه: ﴿وَلَا هُمْ مِّنَّا يَصْحَبُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٤٣]: يُعَافُونَ وَيُحْفَظُونَ» (٥).

وقال الزبيدي: «الصَّحَابَةُ بالفتح الأصحاب، وهو في الأصل مصدر وجمع.

(٤) ابن فارس / معجم مقاييس اللغة ٣: ٣٣٥.

(٥) الزمخشري / أساس البلاغة: ٢٤٩.



وجمع الأصحاب أصحاب. وأمّا الصُّحبة والصَّحْب فإسمان للجمع... ويقال: صاحب وأصحاب، كما يقال: شاهد وأشهد، وناصر وأنصار... والصِّحابة بالكسر: مصدرٌ قولك: صاحبك الله وأحسن صحابتك، وهو مجاز. واستصحبه: دعاه إلى الصُّحبة، ولازمه، وكلّ ما لازم شيئاً فقد استصحبه»<sup>(٦)</sup>.

وقال ابن منظور: «صحبه يصحبه صُحبةً بالضمّ، وصحابة بالفتح، وصاحبه: عاشره... والصاحب: المعاشر... وصَحْب وصحابة وصحابة، حكاها جميعاً الأخفش... وفي حديث قيلة: خرجتُ أبتغي الصحابة إلى رسول الله ﷺ؛ هو بالفتح جمع صاحب، ولم يُجمع فاعل على فعالة إلا هذا»<sup>(٧)</sup>.

وقال الطريحي: «والصاحب للشيء: الملازم له، وكذا الصُّحبة للشيء هي الملازمة له إنساناً كان أو حيواناً أو مكاناً أو زماناً... ومنه الحديث: يقال لصاحب

القرآن: «اقرأ وأرق». ويكون تارةً بالحفظ، وتارةً بالتلاوة، وتارةً بالتدبّر له، وتارةً بالعمل به. وقبل ذلك قال: وفي الدعاء: «اللهم أنت الصاحب في السفر» أراد بمصاحبة الله إياه بالعناية والحفظ... والصحابي على ما هو المختار عند جمهور أهل الحديث: كلّ مسلم رأى رسول الله ﷺ، قيل: وروى عنه، وقيل: أو رآه الرسول. قيل: وكان أهل الرواية عند وفاته ﷺ ألف وأربع عشرة ألف». [هكذا جاء. والصحيح هو مئة ألف وأربعة عشر ألفاً، أو: مئة وأربعة عشر ألفاً]<sup>(٨)</sup>.

أمّا الصحابي اصطلاحاً، فهو عند عمّامة المسلمين ذو تعاريف مختلفة إذ كلّ من علمائهم عرفه بنحو يتباين في منطوقه ودلالته. ونجتزئ هنا تعريف ابن حجر في مقدّمة كتابه (الإصابة). قال: «الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام. فيدخل في من لقيه طالعت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالس،

(٦) محمد مرتضى الحسيني الزبيدي/ تاج العروس ٣: ١٨٦ تحقيق: إبراهيم التريزي.  
(٧) ابن منظور، لسان العرب ١: ٥١٩.

(٨) فخر الدين الطريحي/ مجمع البحرين ٢: ٩٦-٩٩.



ومن لم يره لعارض كالعَمى» (٩).

إنَّ اختلاف العلماء في التعاريف التي أدلوا بها للصحابي - وهي تزيد على عَشْرَة - ينفي القول بحجّية رأيه، إذ لا يُعَلَم على وجه الدقّة والتحديد من هو الصحابي حتّى يؤخذ برأيه. وهذه نقطة مهمّة يتعيّن أن تؤخذ بعين الاعتبار عند البحث والتحقيق. كما أنّ التعريفات المذكورة اجتهادات قابلة للنقاش إذ لم يرد فيها نصّ شرعيّ صريح.

وأما الصحابي عند أهل البيت: فهو اصطلاح لغويّ، لا شرعيّ، والصاحب في اللغة هو الملازم والمعاشر، ولا يُطلق على من قصرت مصاحبته لشيء، بل لا بدّ من لبثه معه برهةً طويلةً نسبياً ليصدق عليه هذا اللفظ. ومن هنا جاء في القرآن مضافاً، مثل ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾، و﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾، و﴿يَصْحَبِي السَّجَنُ﴾، و﴿أَصْحَابُ الْقَرْيَةِ﴾؛ لكنّه أُطلق على الصحابة بعد وفاة النبيّ ﷺ غير مضاف، فهو إذاً

اصطلاح غير شرعيّ (١٠). فمدرسة أهل البيت ترى أنّ تعريف الصحابي هو ما ورد في قواميس اللغة. والصاحب المعاصر والملازم. ولا يقال إلا لمن كثرت ملازمته. وأنّ المصاحبة تقتضي طول لبثه (١١).

أمّا الصحابي، بتعبير جامع دقيق مصوغ من جوهر الحقيقة - قبل الاطّلاع على التعاريف المتباينة الواردة - فهو المسلم الذي لازم النبيّ ﷺ ملازمةً عُرف فيها عند الناس أنّه صحابي سواءً طالّت الملازمة أم قصرت. فمن رآه ﷺ وسمع كلامه، وشهد مشاهدته كلّها أو بعضها، ومكث معه فترة متعارفة فهو ملازم له. ويصدق عليه عنوان الصحابي.

فالصحابة هم المسلمون الأوّلون الذين صحبوا النبيّ ﷺ. والصحبة كما تدلّ عليها كتب اللغة تقتضي المعاشرة والملازمة. فالصحابي هو المعاصر والملازم والمرافق. من هنا، لا ينطبق مفهوم الصحابي على كلّ من رأى النبيّ ﷺ وسمع حديثه، إذ لا

(١٠) السيّد ضياء الدين عليان/ الصحابة في القرآن: ٢٣.

(١١) السيّد مرتضى العسكري/ معالم المدرستين: ١١٨: ١.

(٩) السيّد مرتضى العسكري/ معالم المدرستين ١: ١١٧؛ أحمد بن علي بن حجر/ الإصابة في تمييز الصحابة ١: ٨.



تستوفي الرؤية والسماع معنى الصحبة، بل هما يدخلان في مضمون المعاشرة والملازمة. ذلك أن أهل الكتاب والمشركين رأوه وسمعوه أيضاً، وربما جلسوا معه برهةً ليسألوه أو يسمعوا دعوته أو يناظروه، فلا يقع عليهم عنوان الصحابة.

### لماذا موضوع الصحابة؟

إنّ التدبّر في الآيات والذكر الحكيم هو الذي حدا بي الى الخوض في هذا الموضوع وإيناس الطالبين به إذ تلفت الآيات المتحدّثة عن الصحابة نظر كل ذي بصيرة، فيندفع اندفاعاً بَصْرِيّاً سريعاً ليستخرج ما فيها من كنوز تُغني الطالبين والراغبين. والتأمل العميق فيها يُرغم المتأمل على اكتناهاها وبلورة نظرة شفافة راقية عنهم تعلوها النزاهة وتُبصر بالبداهة فلا عناء في إدراكها واستيعابها. كما أنّ ما يلمس من الغفلة عن البيّنات، والوهم في فهم بعضها، وتحكيم الهوى في تطبيق مداليلها بواعث أخرى على استعراض الموضوع المذكور. ومن البواعث الأخرى أيضاً: الرغبة في تصحيح ما شدّد من الآراء المنحازة وعلاج ما سقم من الأحكام الكيفيّة، من

وحي الشعور بالمسؤوليّة؛ وكذلك توعية المسلمين وغيرهم، وعطفهم على الآراء والأفكار السليمة؛ وإشعارهم بضرورة امتلاك الرؤية التقويميّة، وتنبههم الى وجوب التدبّر والاستيعاب، وتذكيرهم بالحكم على الأشياء برؤية منفتحة رحبة غير متحاملة.

### الصحابة بنظرة عامّة محايدة

الصحابة بشر، والبشر تراكيب متباينة وطبائع متنوّعة وأمزجة متفاوتة. ففيهم المصيب والمخطئ، والصالح والطالح، والعالم والجاهل، وهذا أمر لا يُنكر. وهو من سجيّة البشر. ويحسن هنا أن أنقل ثلاثة آراء لثلاثة رجال مشهورين، ورأياً رابعاً لرجل معاصر هو بسّام الجمل نقله في كتابه (أسباب النزول) الذي حصل به على شهادة الدكتوراه من جامعات تونس في العقد الأوّل من هذا القرن. وهذه الآراء تترجم للصحابة بنظرة عامّة محايدة. ونكتفي بها في الحديث عن هذا العنوان.

الأوّل للسيد علي خان المدنيّ في كتابه (الدرجات الرفيعة). قال: «إنّ الصحابة على مراتب كثيرة بحسب التقدّم في



الثالث لعالمٍ زيديٍّ ردَّ به على الحسن البصريِّ. وقد أوردَه السيّد عليّ خان المدنيُّ في كتاب «الدرجات الرفيعة» مفصلاً دون الإشارة إلى مصدره، وهو جدير بالمطالعة الهادفة حقيق بالبحث والدراسة لما حواه من أفكار مفيدة وعقائد نافعة ونظرات محايدة نزيهة. قال العالم الزيديُّ، وكلامه مفصّل: «... وهذا عمر بن الخطّاب يشهد لأهل الشورى أنّهم النفر الذين توفّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، ثمّ يأمر بضرب أعناقهم إن أخرجوا فصل حال الإمامة بعد أن ثلبهم، وقال في حقّهم ما لو سمعه اليوم من قائل لوضعتُ ثوبه في عنقه سحباً إلى السلطان، ثمّ شهدت عليه بالرفض واستحللت دمه. فإن كان الطعن على بعض الصحابة رفضاً فعمر بن الخطّاب أرفض الناس وإمام الروافض كلّهم... إنّ الصحابة قوم من الناس لهم ما للناس، وعليهم ما عليهم. من أساء منهم ذمناه، ومن أحسن منهم حمدناه. وليس لهم على غيرهم من المسلمين كثيرٌ فضل إلاّ بمشاهدة الرسول ﷺ ومعاصرته لا غير... ومن أنصف وتأمّل أحوال

الإسلام والهجرة والملازمة والقتال تحت رايته ﷺ والرواية منه ومكالمته ومشاهدته ومماشاته وإن اشترك الجميع في شرف الصحبة». (١٢)

الثاني للدكتور طه حسين في كتابه (الفتنة الكبرى). قال: «لأنرى في أصحاب النبي ﷺ ما لم يكونوا يرون في أنفسهم. فهم كانوا يرون أنّهم بشر يتعرّضون لما يتعرّض له غيرهم من الخطايا والآثام. وهم تقاذفوا التهم الخطيرة. وكان منهم فريق تراموا بالكفر والفسوق... وإذا دفع أصحاب النبي ﷺ أنفسهم إلى هذا الخلاف، وتراموا بالكبائر وقاتل بعضهم بعضاً في سبيل الله، فما ينبغي أن يكون رأينا فيهم أحسن من رأيهم في أنفسهم. وما ينبغي أن نذهب مذهب الذين يكذبون أكثر الأخبار التي نقلت إلينا ما كان بينهم من فتنة واختلاف...» (١٣).

(١٢) السيّد عليّ خان المدنيُّ / الدرجات الرفيعة: ١٠.

(١٣) باقر شريف القرشيُّ / الشيعة والصحابة: ٣٩-٤٠، نقله عن كتاب الفتنة الكبرى - عثمان، وهو في ص ١٧١-١٧٢ من الكتاب المذكور.



الصحابة وجدهم مثلنا يجوز عليهم ما يجوز علينا. ولا فرق بيننا وبينهم إلا الصحبة لا غير، فإن لها منزلة وشرفاً. ولكن لا إلى أحدٍ يمتنع على كلِّ من رأى رسول الله ﷺ وصحبه يوماً أو شهراً أو أكثر من ذلك أن لا يُخطئ ولا يزل...» (١٤).

وأما بسام الجمل فيقول في (أسباب النزول): «وعندما نولِّي وجهنا شطر الأخبار المصوّرة لسلوك الصحابة في ما يربط بينهم من علاقات نراهم يدينون بقيم تخرج في مناسبات عديدة عن القيم القرآنية التي دعت إليها الرسالة المحمّدية. فالصحابة، قبل كلِّ شيء، بشر يُخطئون في أعمالهم ويُصيبون، يتأثرون بما ورثوه من قيم غير إسلامية بحكم خضوعهم لنواميس الاجتماع الانساني. ولذلك تضمّنت مرويات أسباب النزول أمثلة عديدة على سلوك الصحابة لا صلة لها بالقيم القرآنية بقدر ما لها ارتباط بنزعاتهم المادية ورغباتهم المترجمة عن نمط اجتماعهم

وأحوال معاشهم في مجتمع الدعوة. لقد أخذت العلاقة بين الصحابة أشكالاً عديدة عكست حقيقة الروابط التاريخية بينهم» (١٥). وساق أمثلة قرآنية رائعة تخصّ كبار الصحابة. ولها مدلولها العلمي الموضوعي. ويقول في هامش الصفحة ٤٣٧: «لاحظ خليل عبدالكريم أن جُلَّ الصحابة عاشوا القسم الأكبر من حياتهم في الجاهلية فتخلّقوا بأخلاقها» (١٦).

فالصحابة بنظرة عامّة محايدة هم الصحابة الذين حكم عليهم المنصفون بتنوّع آرائهم، وتباين أفكارهم، واختلاف أذواقهم، وتفاوت أحكامهم، وتغاير طبائعهم، وانقسام درجات إيمانهم، ونشوب الخلافات بينهم. وصدور الأخطاء منهم. والعجيب العجيب ممّن يجادلون على معاصي الأنبياء، بزعمهم، ويثبتون أنّهم عصوا الله - وهم منزهون - وينكرون على من ينكر ذلك ويطعنون فيه. فإذا تكلم واحد في بعض الصحابة

(١٤) باقر شريف القرشي/ الشيعة والصحابة: ٧٧، ٧٨، ٨٢؛ السيّد علي خان المدني/ الدرجات الرفيعة: ١١-٣٢.

(١٥) أسباب النزول: ٤٣٦-٤٣٧.

(١٦) انظر كتابه: شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة، م.م، ج٢، ص٢٣.



الصحابة على ثلاثمئة آية. وبعضها يختص في الحديث عنهم ولا ينطبق على غيرهم، وبعضها يجري على كل زمان ومكان. وللآيات المذكورة دلالات تستوقف المتأمل فيستخرج منها ما لا يقبل التأويل وإن تمحل البعض في توجيهها. وهي ماثوثة في سور عديدة. ومنها آيات قد قايست بين الصحابة، وآيات مدحت، وآيات قدحت.

أما الآيات المقايسة فعددها تسع. وهي: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرَبَكُمْ مَا تَحِبُّونَ ۗ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٢]. وهذه الآية هي فصل الخطاب في التفريق بين الصحابة ولا مرأى فيها. ورؤي عن عبدالله بن مسعود أنه قال: «ما كنت أدري أن أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى نزلت فينا هذه الآية يوم أحد» (١٨).

(١٨) الطبرسي / مجمع البيان ١: ٥٢٠.

ونسبهم إلى المعصية احمرت وجوههم، وطالت أعناقهم، وتحازرت أعينهم، وقالوا فيه ما لا يُحمد، وأتهموه بالسب والشتم... (١٧)

والحديث عن سير الصحابة ودرجاتهم حديث علمي موضوعي نزيه يبين القدر المثير.

### الصحابة بنظرة قرآنية عامة

يتسنى لكل أحد أن يعي الموقف القرآني من الصحابة إذا أنعم الفكر في كريم آياته. فالقرآن صريح في حديثه عنهم. وكل آية فيه وثيقة دامغة ومستمسك ملزم لا يند عنه أحد. وهو أفضل مصدر يدل على سيرتهم. ولو تدبرناه بإنصاف لحكمتنا عليهم بإنصاف. وهو نفسه يرشدنا إلى آتهم درجات ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ حَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [سورة الأنعام: ١٦٥]. وحديثه عنهم مفصل لا تستوعبه هذه الدراسة، فنكتفي منه بما يناسب حجمها.

تزيد الآيات التي تتحدث عن

(١٧) السيد علي خان المدني / الدرجات الرفيعة:

٢٧-٢٨.



وقوله سبحانه: ﴿جَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة: ١٩] وهذه الآية- على حدّ تعبير الفخر الرازي- مفاضلة جرت بين المسلمين<sup>(١٩)</sup>. وذهب إلى أنّ المعنيّ بالمؤمن المجاهد هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والمعنيّ بذنك العملين هما طلحة بن شيبه والعبّاس. وذهب غيره أيضاً إلى هذا الرأي، ومنهم عبدالرزاق في تفسيره ٢: ٢٦٨-٢٦٩ عن معمر عن الحسن، والثعلبيّ في تفسيره، والواحديّ في أسباب النزول. (حاشية تفسير الكشاف للزمخشريّ/ رقم ٦٧١/ ص ٢٤-٢٥ من الجزء الثالث عند تفسير الآية). وجاء هذا الرأي في الصفحة التاسعة والثلاثين والمئة من كتاب «أسباب النزول» لأبي الحسن عليّ بن أحمد الواحديّ.

ويتلوها قوله تعالى في مجال المفاضلة: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [سورة التوبة: ٢٠].

(١٩) الفخر الرازيّ/ التفسير الكبير ١٦: ١١.

وقوله تبارك اسمه: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ٩٥]. وهذه الآية واضحة الموازنة بيّنة الدلالة لا ريب في مقايستها بين الفريقين بما تدلّ على التفضيل بينها.

وقوله جلّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَخْرِينَ﴾ [سورة الحجر: ٢٤]. وذكر الطبرسيّ في تفسيره ستّة آراء في تفسير الآية، منها: علمنا المستقدمين في صفوف الحرب والمتأخّرين عنها. ومنها: علمنا المتقدمين في الخير والمبطين عنه<sup>(٢٠)</sup>.

وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِذِنَ اللَّهُ﴾ [سورة فاطر: ٣٢] روي عن عائشة أنّها قالت: كلهم في الجنّة.

(٢٠) الفضل بن الحسن الطبرسيّ/ مجمع البيان ٣٣٤: ٦.



أما السابق فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة؛ وأما المقتصد فمن أتبع أثره من أصحابه حتى لحق بهم؛ وأما الظالم فمثلي ومثلكم. وروى عنها أيضاً أنها قالت: السابق الذي أسلم قبل الهجرة؛ والمقتصد الذي أسلم بعد الهجرة؛ والظالم نحن. وروى عن عمر بن الخطاب أنه قال: سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له... وروى أصحابنا عن ميسر بن عبدالعزيز عن الصادق عليه السلام أنه قال: الظالم لنفسه منّا من لا يعرف حق الإمام؛ والمقتصد منّا العارف بحق الإمام؛ والسابق بالخيرات هو الإمام، وهؤلاء كلهم مغفور لهم... وقال عكرمة عن ابن عباس: إن الظالم هو المنافق، والمقتصد والسابق من جميع الناس. وقال الحسن: السابقون هم الصحابة؛ والمقتصدون هم التابعون؛ والظالمون هم المنافقون... (٢١) وفي المجمع آراء أخرى في تفسيرها أيضاً عرضنا عنها خشية الإطالة.

(٢١) الفضل بن الحسن الطبرسي / مجمع البيان

وصفوة القول إن موضوع الآية المذكورة هو التقسيم البين الصريح للصحابة، وعقد الموازنة بينهم بتبيان درجاتهم ومستوياتهم.

وقوله تعالى شأنه: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [سورة السجدة: ١٨]. ذكر الواحدي أنّ هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام والوليد بن عقبة. والمؤمن هو علي، والفاسق هو الوليد. (٢٢) وذكر الإمام عليه السلام هنا وعند إيراد الآية التاسعة عشرة من التوبة فيما سلف، لأنّه كان مرجع الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ.

وقوله جلّت عظمته: ﴿هَاتَتْهُ هَتُؤَلَاءُ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَّفْسِهِ﴾ [سورة محمد: ٣٨]. وهذه الآية تدلّ على وجود كرماء مُنفقين وبخلاء مُقتربين. فهي توازن بين مجموعتين من الصحابة، لأنّ قوله: ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ﴾ يدلّ على أنّ (منكم من يُنْفِق) إذ

(٢٢) علي بن أحمد الواحدي / أسباب النزول:



إِنَّ (من) هنا للتبويض.

وقوله سبحانه: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا﴾ [سورة الحديد: ١٠]. وهي غنيّة عن البيان لما تُفصح به من التبيان. فدرجة المنفق المقاتل قبل الفتح أعلى من درجة المنفق المقاتل بعده، ولا يتساويان أبداً. فالقول بالتساوي قولٌ غير ذي بصيرة.

هذه هي الآيات المقيسة بين الصحابة. أمّا الآيات المادحة والقادحة فستأتي في تضاعيف الفقرتين الآتيتين من هذا البحث وسنقف عليها بشيءٍ من التفصيل لأنّ هذه الفقرة التي نحن فيها نظرة قرآنيّة عامّة إلى الصحابة.

والنظرة القرآنيّة العامّة التي ألقيناها دلّت على وجود آيات صريحة تتحدّث عن الصحابة، ذلك أنّ بعض الآيات يمكن أن تشملهم وتشمل غيرهم من المؤمنين في كلّ زمان مضافاً إلى اختلاف المفسّرين في شأن نزول بعض الآيات واحتمال الوهم في موضوعها ومطابقة معناها.

والآيات الصريحة المذكورة تبيّن وجود

السابق والمتباطئ، والمجاهد والقاعد، والمنفق والباخل، والمطيع والمعذر، والعالم والجاهل، والثابت والفسارّ، والمخلص والخائن، والمتعبّد والمتكاسل؛ وهي تبلغ قرابة خمسين آية. وسيأتي مثلٌ منها في كلامٍ قادم إن شاء الله.

ويهدي بعض الآيات إلى أنّ الصحبة وحدها غير كافية وغير عاصمة، لأنّها لو كانت كذلك، فكيف يقتتل فريقان من الصحابة؟ وإذا اقتتلا فبأيّهما يُقتدى؟ قال تعالى: ﴿وَلِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَقْتُلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الحجرات: ٩]. ويجسن الرجوع إلى كتب التفسير للوقوف على شأن نزولها.

وإذا كانت وحدها كافيةً عاصمة، فكيف يقول سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَاكْتُمِبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ [سورة النساء: ١٣٦].

وقيل في تفسيرها آراء منها: يا أيّها الذين آمنوا في الظاهر بالاقرار بالله ورسوله آمنوا في الباطن ليوافق باطنكم ظاهركم، ويكون الخطاب للمنافقين... ومنها:



أن يكون الخطاب للمؤمنين على الحقيقة ظاهراً وباطناً، فيكون معناه: اثبتوا على هذا الإيمان في المستقبل وداوموا عليه ولا تتقلوا عنه... (٢٣)

وإذا كانت كذلك، فكيف يكون الموقف ممن ارتد من الصحابة؟ قال جل شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُوا عَلَىٰ آذَانِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ [سورة محمد: ٢٥].

وقوله تبارك اسمه: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [سورة النجم: ٣٢]؛ وقوله تعالى: ﴿لَن نَّفْعَكُمُ أَرْحَامَكُمُ وَلَا أَوْلَادَكُمُ﴾ [سورة الممتحنة: ٣]؛ وقوله سبحانه: ﴿وَقُلِ أَعْمَلُوا فَيَسِّرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة التوبة: ١٠٥]؛ وقوله عز من قائل: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ [سورة الأنعام: ١٣٢]؛ وقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [سورة الأنعام: ١٦٥]

ونظائرهما آيات بينات على أن الصحبة لا تزكي أصحابها ولا تعصمهم ولا تُصفي (٢٣) الطبرسي / مجمع البيان ٣: ١٢٤-١٢٥.

قداسة عليهم.

وترشد النظرة القرآنية العامة إلى طبقات الصحابة التي أنهاها السيد ضياء الدين عليانرب إلى أربع عشرة طبقة (٢٤). وهي كالآتي:

١- السابقون الأولون:

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [سورة التوبة: ١٠٠]

٢- المبايعون تحت الشجرة: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [سورة الفتح: ١٨]

٣- المهاجرون المعدمون: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَصْرُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [سورة الحشر: ٨]

٤- أصحاب الفتح: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الفتح: ٢٩]

٥- المنافقون المكشوفون: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ

٥- المنافقون المكشوفون: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ

٥- المنافقون المكشوفون: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ

٥- المنافقون المكشوفون: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ

٥- المنافقون المكشوفون: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ

٥- المنافقون المكشوفون: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ

٥- المنافقون المكشوفون: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ

٥- المنافقون المكشوفون: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ

٥- المنافقون المكشوفون: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ

٥- المنافقون المكشوفون: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ

٥- المنافقون المكشوفون: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ

٥- المنافقون المكشوفون: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ

٥- المنافقون المكشوفون: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ

٥- المنافقون المكشوفون: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ



لَكَذِبُونَ ﴿ [سورة المنافقون: ١]

٦- المنافقون المندسسون: ﴿ وَمِمَّنْ

حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ  
الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ  
تَعْلَمُهُمْ سَنَعَدِبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَردُّونَ إِلَى

عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿ [سورة التوبة: ١٠١]

٧- مرضى القلوب: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ

الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا  
اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿ [سورة الأحزاب:

[١٢

٨- جواسيس العدو: ﴿ يَبْغُونَكُمْ

الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ  
بِالظَّالِمِينَ ﴿ [سورة التوبة: ٤٧]

٩- الفاسقون: ﴿ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا

إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنْهُ أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا  
بِجَهْلَةٍ ﴿ [سورة الحجرات: ٦]

١٠- الخاطون عملاً صالحاً وآخر

سيئاً: ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا  
عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴿ [سورة التوبة:

[١٠٢

١١- ضعفاء الايمان: ﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ

أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ  
ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴿ [سورة آل عمران: ١٥٤]

١٢- المسلمون غير المؤمنين: ﴿ قَالَتِ

الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلُوبُنَا لَمَّا تَوَّسَّوْا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا  
وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴿ [سورة  
الحجرات: ١٤]

١٣- المؤلفة قلوبهم (عد ابن سعد في

الطبقة الرابعة من كتابه «الطبقات الكبرى»  
أسماء (٣٤٠) شخصاً من مُسْلِمة الفتح):

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ  
وَالْعَمَلِينَ عَلِيًّا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبِهِمْ ﴾ [سورة  
التوبة: ٦٠]

١٤- المولون من العدو: ﴿ يَتَّبِعُهَا

الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا  
فَلَا تُولُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ  
دُبْرَهُ إِلَّا مَتَحَرِّقًا لِنِقَالٍ أَوْ مَتَحَنِّنًا إِلَى  
فِتْنَةٍ فَقَدْ بَكَءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴿ [سورة  
الأنفال: ١٥-١٦]

ويضاف إلى هذه الطبقات طبقة

المخلفين. قال تعالى: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ  
بِمَقْعَدِهِمْ خَلَفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ  
يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿  
[سورة التوبة: ٨١].

وطبقة أصحاب المعاذير. قال تعالى:

﴿ وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤَدَّنَ



## أنواع الصحبة وأصحابها قرآنيًا

تُشعر الآيات القرآنيّة التي تتحدّث عن الصحابة أنّ الصحبة على ثلاثة أقسام هي:

### ١- صحبة رساليّة مبدئيّة:

وأهمّ صفة تتّصف بها أنّها على بصيرةٍ. وهي الصحبة السويّة السليمة التي مثلها الواعون الهادفون أوّلو المنطلقات والاهتمامات الرساليّة والمواقف المبدئيّة السديدة الذين خُصّوا بالآيات المادحة. وفي هؤلاء من سبق إلى الإيمان والهجرة ودافع عن الدين. وفيهم الذين أخلصوا في صحبتهم لرسول الله ﷺ ونصروه ووقروه وعزّروه، وهم المواقف المشكورة والمشاهد المحمودة التي أثنى عليها القرآن الكريم في عدد من آياته. ولا شكّ في أنهم طليعةٌ خير أمةٍ أُخرجت للناس وصفوتها بعد نبيّها ﷺ وأهل بيته. ولا يُنكر فضلهم إلّا مكابر أو غافل أو واهم. ومنهم من استشهد ببدرٍ وأحدٍ والأحزابٍ وحُنينٍ وغيرها. ومنهم الذين استقاموا فشرّفهم الله تعالى بحمل رسالته إلى أنحاء المعمورة.

ومّا نزل فيهم من القرآن قوله سبحانه:

﴿هُم﴾ [سورة التوبة: ٩٠] أي: المقصرون الذين يعتذرون وليس لهم عذر عن أكثر المفسرين... (٢٥) وهؤلاء هم الطبقة الأولى من الأعراب. أمّا الطبقة الثانية منهم المذكورة في الآية نفسها، فهم القاعدون: ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [سورة التوبة: ٩٠]. قال أبو عمرو بن العلاء: في هذه الآية كلا الفريقين كان مسيئًا. جاء قوم فعذّروا، وجنح آخرون فقعدوا. يريد أنّ قوماً تكلفوا عذرًا بالباطل، وتخلّف آخرون من غير تكلفٍ عذرٍ وإظهار علةٍ جراءةً على الله ورسوله (٢٦).

وطبقة المتشاقلين المتوانين: ﴿يَتَأْتِيهَا

الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ [سورة التوبة: ٣٨].

هذا مجمل النظرة القرآنيّة العامّة إلى الصحابة، وسيأتي مزيدٌ بيانٍ عنهم في الفقرات القادمة من هذا البحث إن شاء الله.

(٢٥) الطبرسي / مجمع البيان ٥: ٥٩.

(٢٦) الطبرسي / مجمع البيان ٥: ٥٩.



﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠].

وقد روي عن بعض الصحابة أنه قال: من أراد أن يكون خير هذه الأمة فليؤدِّ شرط الله فيه من الإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. واختلف في المعني بالخطاب، فقيل: هم المهاجرون خاصة عن ابن عباس والسدي؛ وقيل: نزلت في ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة عن عكرمة؛ وقيل: أراد بهم أصحاب رسول الله ﷺ خاصة عن الضحَّاك؛ وقيل: هو خطاب للصحابة ولكنه يعم سائر الأمة (٢٧). (وورد الرأي الثاني في أسباب النزول للواحدي: ٦٧)

﴿وَلَا تَقْرُؤْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ

حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٥٢]

روى الثعلبي بإسناده عن عبد الله بن مسعود، قال: مرَّ الملاء من قريش على رسول الله ﷺ وعنده صهيب وخبَّاب وبلال وعمَّار وغيرهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد أَرْضَيْتَ هؤلاء من قومك، أفنحن نكون تبعاً لهم، هؤلاء الذين منَّ الله عليهم اطردهم عنك فلعلك إن طردتهم اتبعناك فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُدْ﴾ وقال سلمان وخبَّاب: فينا نزلت هذه الآية (٢٨).

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا كَمَا سَلِّمْتُمْ عَلَيْنَا فِي نَفْسِكُمْ﴾ [سورة الأنعام: ٥٤]

قيل: نزلت في جماعة من الصحابة منهم حمزة، وجعفر، ومصعب بن عمير، وعمَّار، وغيرهم (٢٩). وكان النبي ﷺ إذا رأى هؤلاء بدأهم بالسلام، وقال: الحمد لله الذي جعل في أممي من أمرني أن أبداهم

(٢٨) الطبرسي / مجمع البيان ٧: ٣٠٥.

(٢٩) الطبرسي / مجمع البيان ٧: ٣٠٧.

(٢٧) الطبرسي / مجمع البيان ٢: ٤٨٦.



بالسلام (٣٠).

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا  
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ  
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [سورة الأنفال: ٧٢]

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ  
هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾  
[سورة الأنفال: ٧٤].

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ  
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ  
جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ  
فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة:  
١٠٠]

قال بعض المفسرين: هم الذين  
أسسوا أساس الدين ورفعوا قواعده قبل  
أن يظهر، طائفة بالإيمان ثم الصبر على  
التعذيب والخروج من الدار والأموال  
والأهل بالهجرة إلى الحبشة والمدينة،  
وطائفة بالإيمان ونصرة الرسول وإيواء  
من هاجر إليهم. وهذا ينطبق على من آمن  
(٣٠) الواحدي/ أسباب النزول: ١٢٥.

بالنبي ﷺ قبل الهجرة، ثم هاجر قبل وقعة  
بدر التي منها ابتداء ظهور الإسلام على  
الكفر أو آمن به وآواه وتميهاً لنصرته (٣١).

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا  
لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ  
أَكْبَرُ﴾ [سورة النحل: ٤١]

نزلت في أصحاب النبي ﷺ بمكة  
بلال، وصهيب، وخبّاب، وعامر، وجندل  
بن صهيب. أخذهم المشركون بمكة  
فعدّبوهم وأذوهم، فبوأهم الله تعالى بعد  
ذلك المدينة (٣٢).

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ  
رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشِيَّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا  
تَعُدَّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [سورة الكهف: ٢٨]

نزلت في سلمان، وأبي ذر، وصهيب،  
وعمار، وخبّاب وغيرهم من فقراء  
أصحاب النبي ﷺ (٣٣). فقام النبي ﷺ  
يلتمسهم حتى إذا أصابهم في مؤخر  
المسجد يذكرون الله تعالى، قال: الحمد لله  
(٣١) الشيخ محمد آصف المحسنّي/ كتاب  
عدالة الصحابة على ضوء القرآن والسنة  
والتاريخ: ١٦.  
(٣٢) الواحدي/ أسباب النزول: ١٦٠.  
(٣٣) الطبرسي/ مجمع البيان: ٦: ٤٦٥.



الذي لم يُمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجالٍ من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات (٣٤).

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [سورة الفتح: ١٨]

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَم يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [سورة النور: ٦٢]

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [سورة الفتح: ٢٩]

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (٢٢) ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢٢-٢٣].

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٨) ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر: ٨-٩]

ذكر الواحدي في أسباب النزول أنّ الآية الثانية نزلت في أنس بن النضر شهيد أحد، وهو عمّ أنس بن مالك الذي سُمي به. (٢٠٢) وذكر الطبرسي في تفسيره عن ابن عباس أنّه قال: من قضى نجه حمزة بن عبدالمطلب ومن قُتل معه، وأنس بن النضر وأصحابه (٣٥).

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [سورة الشورى: ٣٨]

والصحابة الرساليون المبدئيون هم الصديقون. وأفضل تعريف للصديقين هو تعريف القرآن الكريم نفسه. قال جلّ شأنه: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ

(٣٤) الواحدي/ أسباب النزول: ١٧١.

(٣٥) مجمع البيان ٨: ٣٥٠.



الصَّادِقُونَ ﴿سورة الحديد: ١٩﴾

الإيمان بلحمه ودمه (٣٧).

وفي هؤلاء المخلصين من أبدى موقفاً طيباً عبّر عنه بدموع عينيه حين لم يجد ما يُحْمَلُ عليه للخروج إلى تبوك. قال سبحانه:

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِدٌ مَّا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ فَفِضٌ مِّنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُفْقُونَ﴾ [سورة التوبة: ٩٢]

فهؤلاء جاءوا إلى رسول الله ﷺ، وهم سبعة، فقالوا: يا رسول الله، احملنا فإنه ليس لنا ما نخرج عليه. فقال: لا أجد ما أحملكم عليه عن أبي حمزة الثمالي... (٣٦)

وفي رجال هذه الصحبة الحميدة المطمئن قلبه بالإيمان الراسخ في حبّ الرحمن. قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مِنْ أَكْرَهٍ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [سورة النحل: ١٠٦]. قال ابن

عبّاس: نزلت في عمار بن ياسر. وذلك لما عذّب مع أبويه تعذيباً شديداً وأعطى المشركين ما أرادوا بلسانه مكرهاً، فأخبر النبي ﷺ بأنّ عماراً كفر، فقال: كلا إنّ عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط

وفيهم من شرفه الله تعالى بذكر اسمه ولم يذكر غيره، وهو أمير الجيش شهيد مؤتة زيد بن حارثة. قال تبارك اسمه:

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَخَشِيَ النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي زَوْجِ أَدْعِيَابِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [سورة الأحزاب:

٣٧]. وذكر علي بن إبراهيم في تفسيره أنّ رسول الله ﷺ كان شديد الحبّ لزيد. وكان إذا أبطأ عليه زيد أتى منزله فيسأل عنه (٣٨).

وفيهم من صنع المواقف الكريمة نصرةً للحقّ، وهم شعراء العقيدة الذين نهضوا للدود عن الدين والدفاع عن رسول الله ﷺ إذ انبروا لشعراء المشركين.

قال عزّ اسمه: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [٢٢٤] **أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ** [٢٢٥] **وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ** [٢٢٦] **إِلَّا**

(٣٧) الواحدي/ أسباب النزول: ١٦٢.

(٣٨) الطبرسي/ مجمع البيان: ٨: ٣٥٩.

(٣٦) الطبرسي/ مجمع: ٥: ٦٠.



الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴿سورة الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٧﴾. وهم شعراء المؤمنين مثل عبدالله بن رواحة، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت، وسائر شعراء المؤمنين الذين مدحوا رسول الله ﷺ وردّوا هجاء من هجاه (٣٩).

دلّت الآيات المادحة على أنّ صحبة المددوحين هي الصحبة الحميدة، وسيرتهم هي السيرة المحمودة. فهم الصالحون من الصحابة، والطبقة الأولى (في الفضل) منهم، والمستحقّون للثناء والتبجيل.

#### ٢- صحبة تقليديّة عرفية:

صحبة على غير بصيرة. وهي صحبة ضعفاء الإيوان، والمعدّرين، والمتردّدين، والمتوانين الذين وقع عليهم اللوم والعتاب، ووُجّهت إليهم النصيحة والموعظة، وشملهم التذكير والتنبيه. وربما نال بعضهم التأنيب والتقريع. وهؤلاء هم ذوو الكفاءات الإيانية الواطئة، والغافلون عن استحضار العلاقة بالله سبحانه في جميع أوقاتهم، وعن الجانب (٣٩) الطبرسيّ / مجمع البيان ٧: ٢٠٨.

القدسيّ في شخصيّة رسول الله ﷺ. وفيهم من كان ذا موقف غير محمودة.

فمنهم الذين قال فيهم القرآن الكريم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [سورة الحجرات: ١-٢]. أي: لا تحكموا فيما لله ولرسوله فيه حكم إلا بعد حكم الله ورسوله. أي: لا تحكموا إلا بحكم الله ورسوله، ولتكن عليكم سمة الاتباع والافتقار (٤٠).

وقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الصف: ٢] نزلت في قوم كانوا يقولون: إذا لقينا العدو لم نفرّ ولم نرجع عنهم، ثم لم يفوا بما قالوا وانفلّوا يوم أحد (٤١). ووردت آراء أخرى في شأن نزولها.

وقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَنْخَدُوا

(٤٠) السيّد الطباطبائيّ / الميزان في تفسير القرآن ١٨: ٣٠٦.

(٤١) الطبرسيّ / مجمع البيان ١٠: ٢٧٨.



في قوم أرادوا الهجرة فثبّطهم نساؤهم وأولادهم عنها عن ابن عباس ومجاهد (٤٥).

وقال: ﴿وَجَاءَ الْمَعْدُرُونَ مِنَ

الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٩٠]

أي: المقصرون الذين يعتذرون وليس لهم عذر عن أكثر المفسرين. وقيل: هم المعتذرون الذين لهم عذر (٤٦).

وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [سورة التوبة: ٣٨].

نزلت في الحثّ على غزوة تبوك، وذلك أنّ رسول الله ﷺ لما رجع من الطائف وغزوة حنين أمر بالجهاد لغزو الروم، وذلك في زمان عُسرة من البأس وجذب من البلاد وشدة من الحرّ... فعظم على الناس غزو الروم وأحبّوا الظلال والمقام في المساكن والمال، وشقّ عليهم الخروج إلى القتال، فلما علم الله ثقافت الناس أنزل هذه الآية (٤٧).

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ

(٤٥) الواحدي/ أسباب النزول: ٢٤٥؛

الطبرسي/ مجمع البيان ١٠: ٣٠٠.

(٤٦) مجمع البيان ٥: ٥٩.

(٤٧) أسباب النزول: ١٤١.

عَدُوِّ وَعَدُوِّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾

[سورة الممتحنة: ١]. نزلت في حاطب بن

أبي بلتعة حين كتب إلى المشركين يخبرهم

بعزم النبي ﷺ على فتح مكة (٤٢). ويبدو

أنّه من ضعفاء الإيمان. وفي هذا نهى لبعض

الصحابة عن موالاته الكافرين وبذل

النصيحة لهم. وفيه أيضاً نزل قوله سبحانه:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ

وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ

عَلَى الْإِيمَانِ﴾ [سورة التوبة: ٢٣] (٤٣).

وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ

أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾

[سورة المنافقون: ٩]. وهو إشارة إلى أنّه

لا ينبغي أن يغفل المؤمن عن ذكر الله في

بؤسٍ كان أو نعمةٍ فإنّ إحسانه في الحالات

لا ينقطع (٤٤).

وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ

مَنْ أَرْزَقَكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ ءَعْدُوًّا لَكُمْ

فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ [سورة التغابن: ١٤]. نزل

(٤٢) الواحدي/ أسباب النزول: ٢٣٩-٢٤٥؛

الطبرسي/ ٩: ٢٦٩-٢٧٠.

(٤٣) الطبرسي/ مجمع البيان ٥: ١٦.

(٤٤) الطبرسي/ مجمع البيان ١٠: ٢٩٥.



أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ  
بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴿[سورة آل عمران:  
١٥٥]. أي: إن الذين ولّوا الدبر على  
المشركين بأحد منكم أيها المسلمون عن  
قتادة والربيع. وقيل: هم الذين هربوا إلى  
المدينة في وقت الهزيمة عن السديّ. (مجمع  
البيان ٢: ٥٢٤).

وقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْرِ  
إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونُ فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا  
تَأْمُونُ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾  
[سورة النساء: ١٠٤].

وقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا  
الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ [سورة النساء:  
٤٣] نزلت في أناس من أصحاب رسول  
الله ﷺ كانوا يشربون الخمر ويحضرون  
الصلاة وهم نشاوى، فلا يدرون كم  
يصلّون ولا ما يقولون في صلاتهم (٤٨).

ومن هؤلاء من قال سبحانه فيهم:  
﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْهُمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ  
قَائِمًا﴾ [سورة الجمعة: ١١]. كان رسول  
الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ أقبلت غير

قد قدمت، فخرجوا إليها حتى لم يبق معه  
(٤٨) أسباب النزول: ٨٧.

إلا اثنا عشر رجلاً، فأنزل الله تبارك وتعالى  
﴿وَإِذَا رَأَوْا﴾ (٤٩). قال جابر بن عبدالله:  
أقبلت غير ونحن نصلي مع رسول الله ﷺ  
الجمعة فانفضّ الناس إليها، فما بقي غير  
اثني عشر رجلاً أنا فيهم، فنزلت الآية (٥٠).  
وفي ذلك إساءة أدب إذ تركوا نبيهم ﷺ يوم  
الجمعة قائماً وأسرعوا إلى التجارة. وهذا  
موقف غير طيب. ويدلّ على انعدام الوعي  
السليم عندهم، وغلبة الأهواء عليهم  
وايثارهم المصلحة الدنيويّة على الأخرويّة.

ومنهم من قال فيهم: ﴿لَا تَجْعَلُوا  
دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ  
بَعْضًا﴾ [سورة النور: ٦٣]. أنه سبحانه  
علّمهم تفخيم النبي ﷺ في المخاطبة،  
وأعلمهم فضله فيه على سائر البريّة.  
والمعنى: لا تقولوا له عند دعائه: يا محمد  
أو يا ابن عبدالله، ولكن قولوا: يا رسول  
الله يا نبيّ الله في لين وتواضع وخفض  
صوت عن ابن عباس ومجاهد وقاتادة (٥١).  
وقال مؤدّباً بعضهم: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ

(٤٩) أسباب النزول: ٢٤٣.

(٥٠) مجمع البيان ١٠: ٢٨٧.

(٥١) مجمع البيان ٧: ١٥٨.



ءَامَنُوا لَا نَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ  
لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنَّ  
إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا  
وَلَا مُسْتَعْسِبِينَ لِجَدِيفٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ  
يُؤْذَى النَّبِيِّ فَيَسْتَحْيِيءُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا  
يَسْتَحْيِيءُ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا  
فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ  
لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذِرُوا  
رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ  
بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا  
﴿٥٣﴾ [سورة الأحزاب: ٥٣].

وستأتي آيات أخر في الفقرة الآتية  
كأبرز العناوين القرآنية التي تخص  
الصحابة. علماً أنّ في هذا النمط من  
الصحابة من لبس الصحبة الرسالية  
المبدئية بالصحبة التقليدية العرفية التي  
تحكمت فيها الأهواء. فقد قال سبحانه:  
﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِقُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ  
عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ  
أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ  
ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [سورة التوبة:  
١١٨]. وهؤلاء هم كعب بن مالك،  
ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية. وذلك

أثمهم تخلفوا عن رسول الله ﷺ ولم يخرجوا  
معه لا عن نفاقٍ ولكن عن تَوَانٍ ﴿٥٢﴾ .

وفي أصحاب هذه الصحبة من  
مُني بالغرور وأخذته نشوة الكثرة. قال  
سبحانه واصفاً هؤلاء الصحابة: ﴿لَقَدْ  
نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ  
حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ  
تَغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ  
الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ  
﴿٥٢﴾ [سورة التوبة: ٢٥]. وهذه آية بيّنة  
على مستوى إيماني من مستويات الصحابة.

ولها دلالتها في التعبير عن توجهات  
معينة. قال حسن فرحان المالكي وهو  
من جمهور المسلمين في كتابه «مع الشيخ  
عبدالله السعد في الصحبة والصحابة»: «نزل القرآن الكريم  
بتخطئة الصحابة  
يوم حنين وتفاجرهم بكثرتهم، كما نزل  
القرآن الكريم بتخطئة أفراد من الصحابة  
كما حصل لحاطب بن أبي بلتعة. ونزل  
القرآن الكريم بالحكم بالفسق على الوليد  
بن عقبة، وهو صحابي حسب تعريفهم كما  
في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَإِنْ جَاءَهُمْ  
﴿٥٢﴾ مجمع البيان ٥: ٧٩.



فَاسِقٌ بِنِيٍّ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ تَنِيدِينَ ﴿٥٣﴾ [سورة الحجرات: ٦] ﴿٥٣﴾.

ولعل في هذه الطبقة من الصحابة من جاء بالإفك وهو الكذب العظيم على إحدى نساء النبي ﷺ ورميها. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [سورة النور: ١١]. أو هو في الطبقة الآتية التي تضم المنافقين تبعاً لآراء المفسرين في تسميتهم. «قال ابن عباس وعائشة: منهم عبدالله بن أبي سلول وهو الذي تولى كبره [تحمل معظمه]، ومسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش» ﴿٥٤﴾.

وربما نزل في رجال هذه الصحبة قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعْتُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ

(٥٣) نقلاً عن مختار الأسدي في كتابه <سب الصحابة>: ٦٢.

(٥٤) مجمع البيان ٧: ١٣١.

وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ أَنْقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَبِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٧﴾. قال الواحدي: نزلت هذه الآية في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ منهم عبدالرحمن بن عوف، والمقداد بن الأسود، وقدامة بن مظعون، وسعد بن أبي وقاص كانوا يلقون من المشركين أذىً كثيراً ويقولون: يا رسول الله ائذن لنا في قتال هؤلاء، فيقول لهم: كفوا أيديكم منهم فإني لم أؤمر بقتالهم فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأمرهم الله تعالى بقتال المشركين كرهه بعضهم و شق عليهم ﴿٥٥﴾.

فالأيات بشأن هذه الصحبة لائمة معاتبه، ولها وقعها في التمييز بين الصحابة. ٣- صحبة مصلحية نفعية:

وهي صحبة ذوي المصالح والمنافع الخاصة الذين لم يفكروا إلا بأنفسهم ولم تهتمهم مصلحة الإسلام بقدر ما تهتمهم مصالحهم الشخصية. وفيهم المنافقون أصحاب التوجهات الكاذبة الماكرة الذين كادوا للإسلام، والكارهون، والطلاق مسلمة الفتح، والمؤلفة قلوبهم، وأضرابهم.

(٥٥) أسباب النزول: ٩٥.



ومن مواصفات هذه الصحبة إثار المصلحة الخاصة على مصلحة الدين، والاستئثار بالمنافع المادية، والكيد للإسلام، وعدم الانقياد الكامل للأوامر الإلهية، ونقض العهود، والاستهزاء بالقرارات النبوية، وجهل الحرمة النبوية، والايان المتزعزع في نفوس أصحابها. وهؤلاء هم الذين نزلت الآيات القرآنية القادحة بشأنهم ذمًا وتوبيخًا وتقريعًا.

وفيهم من أراد الفتك برسول الله ﷺ كما نطق به التنزيل. (وهو ما ورد في تفسير الآيات الكريمة ٦٤، ٦٥، ٦٦ من سورة التوبة. قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُتَنَفِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا وَإِنِ اللَّهُ مُخْرِجٌ مِمَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ وكانوا اثني عشر رجلاً من الصحابة وقفوا على العقبة ليفتكوا برسول الله ﷺ عند رجوعه من تبوك... والقصة مفصلة في التفاسير. واللافت للنظر أن الله

تعالى وسمهم بالكفر!!

ومن الآيات التي ترتبط بهذه الصحبة:

- ﴿إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ يُخَدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء: ١٤٢-١٤٣].

- ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [سورة النساء: ١٠٧-١٠٨].

- ﴿وَمَنْ حَوَّلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة التوبة: ١٠١].

- ﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَا بِاللَّهِ وَيَأْمُرُوكُمْ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن



يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ  
مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ  
وَرَسُولَهُ، بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿ [سورة  
النور: ٤٧ - ٥٠].

﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ آسَلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ  
إِسْلَمْتُمْ بِلِ اللَّهِ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ  
كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة الحجرات: ١٧].

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ  
لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ  
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ  
قُلُوبُهُمْ وَكثيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [سورة الحديد:  
١٦]

قال الواحدي: قال الكلبي ومقاتل:  
نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة. وذلك  
أنهم سألوأسلما الفارسي ذات يوم فقالوا:  
حدثنا عما في التوراة فإن فيها العجائب،  
فنزلت هذه الآية. وقال غيرهما: نزلت في  
المؤمنين (٥٦).

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا  
مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ  
ءَأَفْنَا؟ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا  
أَهْوَاءَهُمْ﴾ [سورة محمد: ١٦] مستهزئين بما

(٥٦) أسباب النزول: ٢٣١.

قال رسول الله ﷺ .

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ  
وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ  
الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [سورة  
محمد: ٢٣ - ٢٤]

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ  
سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة  
المنافقون: ٢]. وهؤلاء هم المنافقون  
الذين كانوا يستترون بآيهم من الكفر  
لئلا يُقتلوا ولا يُسبوا ولا تؤخذ أموالهم  
وأعرضوا عن دين الحق ومنعوا غيرهم  
عن اتباع سبيل الحق (٥٧). وما أكثر الآيات  
التي تذم المنافقين وتعنفهم وتفضح  
خططهم مما يدل على استشراف ظاهرة  
النفاق بين المسلمين، وقد شككت خطراً  
ماحقاً على الإسلام!

ووصف القرآن المنافقين بأوصاف  
شتى. والآيات النازلة بشأنهم كثيرة وهي  
تلمح إلى استطارة شرهم في المجتمع، كما  
امتألت التفاسير بالحديث عن وضعهم  
عند تفسير الآيات المذكورة. وهي جديرة  
بالمراجعة للوقوف على أحوالهم.

(٥٧) مجمع البيان ١٠: ٢٩١.



- وقال سبحانه في الكارهين الذين يمثلون أحد رموز الصحبة المصلحية النفعية: ﴿وَكِرْهُوْاْ اَنْ يَّجْهَدُوْاْ بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ﴾ [سورة التوبة: ٨١].

- وقال تعالى في المؤلفعة قلوبهم: ﴿اِنَّمَا اَلصَّدَقَتُ لِّلْفُقَرَاءِ وَاَلْمَسْكِيْنَ وَاَلْعَمِلِيْنَ عَلَيَّهَا وَاَلْمَوْلُفَعَةُ قُلُوْبِهِمْ﴾ [سورة التوبة: ٦٠]. «وكان هؤلاء قوماً من الأشراف في زمن النبي ﷺ، وكان يعطيهم سهماً من الزكاة ليتألفهم به على الإسلام ويستعين بهم على قتال العدو» (٥٨).

وليس أدل من القرآن الكريم نفسه على صحبة بعض الصحابة، فقد وصف بعضهم وصفاً صريحاً بيناً بما لا يقبل الامتراء والإنكار، فقال مثلاً: ﴿يَتَّيَّأُهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْاْ اِنْ جَاءَكَ فَاَسِقُ بِنِيٍّ فَتَبَيَّنُوْاْ اَنْ تُصِيبُوْا قَوْمًا يَّجْهَلُوْنَ فَتُصِيبُوْهُمُ عَلٰى مَا فَعَلْتُمْ نَدِيْمِيْنَ﴾ [سورة الحجرات: ٦].

نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط الذي سماه الله فاسقاً حين أرسله النبي ﷺ على صدقات بني المصطلق، فعاد وأخبر النبي ﷺ أنهم خرجوا لقتاله فأراد أن يجهز

(٥٨) مجمع البيان ٥: ٤٢.

لهم جيشاً فأنزل الله فيه الآية (٥٩).

- وقال: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّقُوْلُ اٰذَنْ لِّيْ وَلَا تَفْتِنِّيْ اَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوْاْ وَاِنَّ جَهَنَّمَ لَمَحِيْطَةٌ بِالْكٰفِرِيْنَ﴾

[سورة التوبة: ٤٩]. نزلت في الجد بن قيس أخي بني سلمة من بني الخزرج حين قال: يا رسول الله ائذن لي ولا تفتني بينات الأصفر (الروم لأن أباهم الأول كان أصفر اللون وهو روم بن يعصوب بن اسحاق بن إبراهيم) فإني أخاف أن أفتن بهن، فقال: قد أذنت لك فأنزل الله فيه الآية (٦٠).

- وقال في الذين بنوا مسجد الضرار: ﴿وَالَّذِيْنَ اتَّخَذُوْا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَاِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللّٰهُ وَرَسُوْلُهُ مِنْ قَبْلُ وَيَحْلِفُوْنَ اِنْ اُرْدْنَاْ اِلَّا الْحُسَيْنِؑ وَاَللّٰهُ يَشْهَدُ اِنَّهُمْ لَكٰذِبُوْنَ﴾ [سورة التوبة: ١٠٧].

(٥٩) مجمع البيان ٩: ١٣٢. وانظر: الصحابة في نظر الشيعة الإمامية: ٣٥ نقلاً عن تفسير ابن كثير ٤: ٢١٢؛ وأسباب النزول للواحدي: ٢٢٢.

(٦٠) مجمع البيان ٥: ٣٦. وانظر: المصدر نفسه نقلاً عن سيرة ابن هشام ٢: ٣٣٢؛ وأسباب النزول للواحدي: ١٤٢.



وكانوا اثني عشر رجلاً، وقيل: خمسة عشر رجلاً منهم ثعلبة بن حاطب، ومعتب بن قشير، ونبتل بن الحرث. فلما فرغوا منه أتوا رسول الله ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك (٦١).

وطلبوا منه أن يصلّي فيه فوعدهم إذا رجع، فنزلت عليه الآية وهي تنهأه عن الإقامة والصلاة فيه لأنه لم يؤسس على التقوى كما جاء في الآيات التالية للآية السابقة.

- وقال في أحدهم: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِذَا آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنُصَدِّقَنَّهُ وَلَنُكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة التوبة: ٧٥]. نزلت في ثعلبة بن حاطب وهو ممن شهد بدرًا وأحدًا، وكان من الأنصار فقد منع زكاة ماله فأنزل الله فيه الآية (٦٢).

(٦١) مجمع البيان ٥: ٧٢. وانظر: الصحابة في نظر الشيعة الإمامية، أسد حيدر: ٣٥ نقلًا عن سيرة ابن هشام ١: ٣٤١؛ وتفسير ابن كثير ٢: ٢٨٨؛ وأسباب النزول للواحدي: ١٤٩-١٥٠.

(٦٢) مجمع البيان ٥: ٥٣. وانظر: الصحابة في نظر الشيعة الإمامية: ٣٦ نقلًا عن الاستيعاب بهامش الإصابة ١: ٢٠١؛ وأسباب النزول للواحدي: ١٤٥-١٤٦.

- وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [سورة الحج: ١١] «قيل: نزلت في جماعة

كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ... فكان أحدهم إذا صحّ جسمه ونتجت فرسه وولدت امرأته غلاماً وكثرت ماشيته رضي به واطمأن إليه؛ وإن أصابه وجع في المدينة وولدت جارية، قال: ما أصبت في هذا الدين إلا شراً، عن ابن عباس (٦٣).

وتوجد آيات أخرى أيضاً لا نذكرها خشية الإطالة وبسبب اختلاف المفسرين في شأن نزول بعضها، واحتمال الوهم في موضوعها ومطابقتها معناها، وشمول بعضها للصحابة وغيرهم من المؤمنين في كلّ زمان، أو للمسلمين وغيرهم من أهل الكتاب والمشركين.

ونكتفي بمثال واحد للدلالة على ما نقول: قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ

(٦٣) مجمع البيان ٧: ٧٥؛ وانظر: أسباب النزول: ١٧٥-١٧٦.



إلى الصفحة التسعين من كتابه إذ نقل آراءً كثيرةً لمفسرين مشهورين من الفريقين وعلق عليها).

٢. خيانة النفس: قال سبحانه: ﴿أَحْلَ

لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنْتَكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَاوُنَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ [سورة

البقرة: ١٨٧].

٣. اتّخاذ الكافرين أولياء: قال تعالى:

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتَهُ وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ فَانفُسَهُ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [سورة آل عمران: ٢٨].

٤. مودة الكافرين: قال سبحانه: ﴿لَا

تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ،  
وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ  
أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [سورة

المجادلة: ٢٢].

٥. بيع عهد الله والأيمان: قال تعالى: ﴿إِنَّ

الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا

حَقًّا وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
الظَّالِمِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٨٦]. قيل:

نزلت في رجل من الأنصار يقال له حارث بن سويد بن الصامت... وقيل: نزلت في أهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالنبي ﷺ قبل مبعثه ثم كفروا بعد البعثة حسداً وبغياً عن الحسن، والجبائي، وأبي مسلم (٦٤).

- أهمّ الموضوعات وأبرز العناوين القرآنية التي تخصّ الصحابة:

نكتفي في هذه الفقرة من البحث بذكر العناوين مع الأمثلة إلا في مواضع مقتضية:

١. سؤال في غير موضعه: قال تعالى:

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ  
كَمَا سَأَلِ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ  
يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ  
سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [سورة البقرة:

١٠٨] يُنظر كتاب «الصحابة في

القرآن» لمؤلفه السيّد ضياء الدين عليان. فقد أفاض في الحديث عن هذه الآية من الصفحة الثالثة والثمانين

(٦٤) مجمع البيان ٢: ٤٧١؛ ويُنظر أسباب النزول للواحدي: ٦٤-٦٥.



قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ  
وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ  
أَلِيمٌ ﴿سورة آل عمران: ٧٧﴾.

٦. مودة المنافقين: قال تبارك اسمه:

﴿يَتَّيِبُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْخِذُوا بِطَانَةً  
مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا  
عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ  
وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ  
الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَتَّانِثُمْ أَوْلَاءَ  
تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ  
كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا  
عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ  
مُوتُوا بَغِيظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ  
﴿١١٩﴾ إِن تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ سَوْهَمُمْ وَإِن  
تُصِيبَكُمُ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [سورة آل  
عمران: ١١٨-١٢٠].

٧. مخالفة النبي ﷺ: قال جلّ شأنه:

﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ  
مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾  
إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا  
وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾  
[سورة آل عمران: ١٢١-١٢٢].

٨. الانقلاب على الأعقاب: قال

سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ  
خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ  
أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ  
يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَصَرَ اللَّهُ شَيْئًا  
وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة  
آل عمران: ١٤٤]. وهذا الانقلاب  
هو الارتداد عن الدين والعودة إلى  
الكفر بعد الإيمان. والآية عجيبة جداً  
وتحليلها يتطلب دراسة مستقلة. وما  
ورد في كتب التفسير وغيرها بشأنها  
جدير بالمطالعة والتأمل. ويحسن  
الوقوف عندها واستخراج الدروس  
منها لولا ضيق المقام.

٩. التنازع على الغنائم: قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ  
وَعَدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ  
حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ  
فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا  
أَرْسَلْنَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّن  
يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ  
الْآخِرَةَ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٢]  
والآراء التفسيرية التي أدلى بها علماء



الستة حول هذه الآية قابلة للتأمل.  
 يُنظر كتاب الصحابة في القرآن  
 للسيد ضياء الدين عليان: ١٤٠ -  
 ١٤٣ للوقوف على الآراء المذكورة).

يَوْمَ اتَّقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ  
 الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا  
 اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ [سورة  
 آل عمران: ١٥٥].

١٠. الفرار من الجهاد: قال سبحانه: ﴿إِذْ  
 نَصَبُوا نُجُودًا وَلَا تَكُونُوا عَلَى  
 أَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ يَدْعُوكُمْ فِي  
 فِي أُخْرَتِكُمْ فَأَتَّبِكُمْ غَمًّا  
 يَغْمِرُ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا  
 فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ  
 وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة آل  
 عمران: ١٥٣].

١٣. التحاكم إلى الطاغوت: قال جلّ  
 وعلا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ  
 أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ  
 مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى  
 الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ  
 وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا  
 بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا  
 إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ  
 رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ  
 صُدُودًا ﴿٦١﴾ [سورة النساء: ٦٠ -  
 ٦١].

١١. الظنّ الباطل: قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ  
 عَلَيْكُم مِّن بَدْرِ الْأَمْنَةِ نَعَاسًا يَغْشَى  
 طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ  
 أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ  
 الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ  
 مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ  
 فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ  
 كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا﴾  
 [سورة آل عمران: ١٥٤].

١٤. كراهة أمر النبي ﷺ ومجادلته: قال  
 عظمت آلاؤه: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ  
 مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرَبًّا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ  
 لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ  
 مَا بُيِّنَ لَكُمْ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُ إِلَىٰ الْمَوْتِ وَهُمْ  
 يَنْظُرُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٥-٦].

١٢. الزلل باستزلال الشيطان: قال  
 سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ

١٥. معصية الرسول ﷺ: قال  
 تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي



مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ  
أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرْتُمْ فَلَمْ تُعْنِ  
عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمْ  
الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ  
مُذْرِبِينَ ﴿سورة التوبة: ٢٥﴾.

١٦. الثعالبي عن الجهاد: قال سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا  
قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلْتُمْ  
إِلَى الْأَرْضِ ءَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ إِلَّا  
نَفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا  
وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ  
شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ  
﴿٣٩﴾ إِلَّا نَضُرُّوهُ فَقَدْ نَضَرَهُ  
اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
ثَانِيًا أَنَّنِي إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ  
يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا  
اللَّهُ مَعَنَا فَاَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ  
عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا  
وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ  
كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ  
هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

﴿٤٠﴾ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا  
بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا  
لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَدَدْتَ عَلَيْهِمُ الشَّقَّةَ  
وَسَيَّحِلُّنَا بِاللَّهِ لَوْ أَسْتَطَعْنَا  
لَفَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ  
يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿سورة التوبة:  
٣٨-٤٢﴾.

١٧. تقليب الأمور للنبي ﷺ: قال تعالى:

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى  
يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمِ  
الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ لَا يَسْتَعِذُّنَاكَ  
الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ  
أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ  
عَلِيمٌ بِالْمُنْفِقِينَ ﴿٤٤﴾﴾ إِنَّمَا يَسْتَعِذُّنَاكَ  
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ  
وَأَزَّابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ  
يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ وَلَوْ أَرَادُوا  
الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ  
كَرِهَ اللَّهُ أَنْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ  
أَقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ لَوْ  
خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا



النزول للواحدِي وفي غيرهما من المصادر المعهودة هو حرقوص بن زهير رأس الخوارج حين أساء الأدب وتناول بقوله لرسول الله ﷺ: اعدل. وذلك عند تقسيمه للصدقات. وقيل: نزلت في المؤلفة قلوبهم كما في المصادر المعنيّة.

٢٠. القسم المزيّف: قال سبحانه:

﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَعْذِبْنَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [سورة التوبة: ٧٤].

٢١. نقض العهد ومنع الزكاة: قال

تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنُصَدِّقَنَّهُ وَلَنُكُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا

وَلَا وَصَعُوا خِلَافَكُمْ يَبْغُونَكُمْ أَلْفِئَةً وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدْ ابْتِغَوْا أَلْفِئَةً مِنْ قَبْلُ وَكَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿سورة التوبة: ٤٣-٤٨﴾.

١٨. إيذاء النبي ﷺ: قال سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ

الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة التوبة: ٦١-٦٢].

١٩. اللمز في الصدقات: قال تعالى:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [سورة التوبة: ٥٨]. واللمز هو العيب على وجه المسارّة كما في مجمع البيان (٥: ٤٠). وشأن نزولها في المجمع وفي أسباب



كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا  
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ  
وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ ﴿[سورة  
التوبة: ٧٥-٧٨].

تَعْنُ نَعْلَمُهُمْ سَعَدِيهِمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ  
يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿[سورة  
التوبة: ٩٧-١٠١].

٢٣. الكذب والنفاق: قال تعالى:

٢٢. نفاق البعض: قال سبحانه:

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا  
وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ  
عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾ وَمِنَ  
الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا  
وَيَتَّبِعُ يَكْفُ الْدَوَابِّ عَلَيْهِمْ دَائِرَةٌ  
السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾  
وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ  
قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَّا  
يُنْفِقُوا لَهُمْ سَيِّدًا خَلَهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ  
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩﴾ وَالسَّيِّئُونَ

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا  
وَكُفْرًا وَفِرْقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ  
وَالرَّصَادَا لِمَن حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
مِن قَبْلُ وَلِيَحْلِفَنَّ إِن أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ  
وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٧﴾ لَا تَقُمْ  
فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ  
مِن أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ  
رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَظْهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ  
الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٨﴾ أَفَمَن أَسَّسَ  
بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ  
خَيْرٌ أَم مَّن أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا  
جُرْفٍ هَارٍ فَاتَّخَذَ يَوْمَئِذٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا  
يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ لَا يَزَالُ  
بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا  
أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿[سورة التوبة: ١٠٧-١١٠].

٢٤. التخلف عن الجهاد: قال سبحانه:

الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ  
اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ  
وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي  
تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا  
ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمُ  
مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ  
الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ  
وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ



اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ  
مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ  
ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ  
رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا  
حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ  
وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا  
مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ  
لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿

[سورة التوبة: ١١٧ - ١١٨].

### نظرة أخيرة

الملاحظ هو أن الآيات القرآنية  
الكريمة التي تتحدث عن الصحابة  
تفاوتت بين المدح والثناء والتكريم كقوله  
تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ  
الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ  
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ  
رَفِيقًا﴾ [سورة النساء: ٦٩]. والقدر  
والتأنيب كقوله سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا  
قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَدَدْتَ  
عَلَيْهِمُ الشَّقَّةَ وَسَيَّخَفَلُوكَ بِاللَّهِ لَوْ  
أَسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [سورة التوبة:  
٤٢]. واللوم والعتاب كقوله تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا  
قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قَاتِلُمْ إِلَى  
الْأَرْضِ﴾ [سورة التوبة: ٣٨]. والنصيحة  
والموعظة كقوله تبارك اسمه: ﴿يَتَأْتِيهَا  
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَانْتَوَلَوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ  
فَدَيَسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِيسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَحْصَابِ  
الْقُبُورِ﴾ [سورة الممتحنة: ١٣]. نزلت  
في ناس من فقراء المسلمين كانوا يخبرون  
اليهود بأخبار المسلمين وتواصلوا بهم  
فيصيرون بذلك من ثمارهم، فنهاهم الله  
تبارك وتعالى عن ذلك (٦٥). وقوله جلَّ  
شأنه: ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ  
دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [سورة  
الأنعام: ١٠٨]. والتذكير والتنبيه كقوله  
تعالى: ﴿وَعَلِّمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ  
فِتْنَةٌ وَأَنْتَ اللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾  
[سورة الأنفال: ٢٨] والإجابة والإفتاء  
وتعليم الأحكام وبيانها كقوله سبحانه:  
﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾  
[سورة الأنفال: ٦٠]؛ وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا  
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ  
حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [سورة  
(٦٥) الواحدي/ أسباب النزول: ٢٤٢.



النور: ٢٧]؛ وقوله: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [سورة الأحزاب: ٥]؛ وقوله: ﴿تَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَكُمْ قُلَّ أَحَلَّ لَكُمْ أَنْطَبَيْتُ﴾ [سورة المائدة: ٤]؛ وجميع الآيات التي تبدأ بـ {يَسْأَلُونَكَ} والحث والترغيب كقوله: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة التوبة: ٤١]. وقوله: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَاِنِّي فَأَعْبُدُونِ﴾ [سورة العنكبوت: ٥٦].

ويشير كثير من الآيات إلى أن بعض الصحابة كانت به حاجة إلى وعي وتنقيف. كما يُلَمَح بعضها إلى وجود

### نتيجة البحث

الوحيد في حياته.

تبيّن من الآيات القرآنيّة أنّ رأي القرآن في الصحابة هو الرأي الوسط بل الأمثل. فقد مدح المؤمنين المخلصين منهم وأثنى عليهم لسبقهم إلى الإيمان والهجرة وجهادهم في سبيل الله ودفاعهم عن الدين، أولئك الذين نجد صفتهم في سورة الفتح

اختلاف بينهم في فهم الأحكام. واتّخاذ المواقف. فلا يحسن النظر إليهم بنظرة واحدة إذ إنّ فيهم من آمن حقّ الإيمان، وفيهم من أسلم ولم يؤمن قلبه، وفيهم من كان ضعيف الإيمان، وفيهم من نافق ودَجَل وفعل ما فعل. والحقّ أنّ جلالة الصحابة تتوقف على قدر استقامتهم. وأعظم الصحابة قدراً هو صاحب التقوى، الموقر لله، المعظم لرسوله ﷺ، المتمثل قداسته ﷺ، الغيور عليه وعلى دينه، ذو البصيرة الثاقبة، المستقيم حتى آخر عمره. وأحسن من قال: إنّ الصحابي الحقّ الممدوح هو الذي يحمل همّ الدين، ويفكرّ به، ويدعو إليه، ويتّخذ المعيار

وأواخر سورة الانفال. فهم الذين تمثلوا خلق نبيهم ﷺ فهم معه ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءٌ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ لا يبتغون الا سبيل الله وهم المهاجرون الاولون السابقون بالايان وهم الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءٌ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا



وعاتب ضعفاء الإيوان والمترددين منهم غير الواعين ولا مهم لما بدر منهم من مواقف غير طيبة. وذم المخادعين المذبذبين لسوء صنيعهم وذمهم أفعالهم ومواقفهم المشينة من الإسلام ورسوله ﷺ وعنفهم بل هددهم باستبدال غيرهم بهم.

سَجَدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿

### مصادر البحث

- المؤسسة العربية للتحديث الفكري والمركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٥م.
- حسين، طه، الفتنة الكبرى، ط٧، دار المعارف، القاهرة، بلا تاريخ.
- الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبدالسلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م.
- الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- الزمخشري، محمود بن عمر، الكشف، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- سبحاني، شيخ جعفر، حوار مع الشيخ

- الأسدي، مختار، سب الصحابة، ط١، دار الميزان، بلا مكان، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- أسد حيدر، الصحابة في نظر الشيعة الإمامية.
- ابن الجوزي، عبدالرحمن، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ط٣، دار الآفاق الجديدة، بلا مكان، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون، مركز النشر، مكتب الإعلام الاسلامي، قم، ١٤٠٤هـ.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.
- الجمل، بسام، أسباب النزول، ط١،



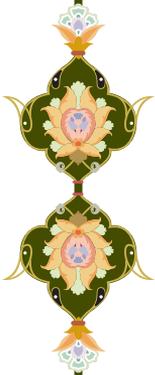
- صالح بن عبدالله الدرويش حول الصحبة والصحابة، مؤسسة الإمام الصادق ٧، قم، ١٤٢٣ هـ.
- الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط ٣، مؤسسة اسماعيليان، ١٣٩٤ هـ- ١٩٧٤ م.
- الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، بلا تاريخ.
- الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، ط ٢، المكتبة المرتضوية، طهران، ١٣٦٥ ش.
- العسكري، السيد مرتضى، معالم المدرستين، ط ٥، المجمع العلمي الإسلامي، طهران، ١٤١٣ هـ- ١٩٩٣ م.
- عليانسب، السيد ضياء الدين، صحابه در قرآن، مركز انتشارات مؤسسة آموزشي پژوهشي امام خميني رحمه الله، قم، ١٣٨٣ ش.
- الفخر الرازي، التفسير الكبير، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.
- القرشي، باقر شريف، الشيعة والصحابة، الناشر هو المؤلف، بلا مكان، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧ م.
- المحسني، الشيخ محمد آصف، عدالة الصحابة على ضوء القرآن والسنة والتاريخ المطبوع مع كتاب «بحوث في علم الرجال»، ط ٣، المسؤول العام للقسم الثقافي في الحركة الإسلامية الأفغانية، اسلام آباد، ١٣٧٥ ش.
- المدني، السيد علي خان، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، مكتبة بصيرتي، قم، ١٣٩٧ هـ.
- الواحدي، علي بن أحمد، أسباب النزول، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٤١٠ هـ- ١٩٩٨ م.
- يعقوب، أحمد حسين، عدالة الصحابة، مؤسسة الفجر، لندن، بلا تاريخ.



## ملخص البحث

بحثٌ جديدٌ في طرحه اذ ان السيد الباحث يعقد فيه مقارنة بين ما ورد في الاعلان العالمي لحقوق الانسان الذي طرحته الامم المتحدة كدستور عمل لحماية الشعوب من الاضطهاد والاستعباد وتسمية حقوقها المشروعة في الاعتناق من ربقة التعامل السلبي الذي يسلبها حقوقها، والقرآن الكريم الذي سبق هذا الاعلان بثلاثة عشر قرناً من الزمان. فكان حرياً بتلك الشعوب المظلومة أن تُكبر في تشريع السماء المتمثل بالقرآن الكريم بأضعاف القدر الذي أكبرت فيه هذا الاعلان الوضعي. وحرى بالمسلمين أن يلتزموا بما جاء في قرآنهم ليكونوا في غنى عن أية مؤسسة عالمية تطالب بما طالب به القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وفي الشق الثاني من البحث يعقد السيد الباحث مقابلة بين بنود هذا الاعلان ونصوص القرآن الكريم، بنداً بنداً.



# القرآن الكريم رسالة التحرر الإنساني

## دراسة مقارنة مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

د. محمد حبش

دمشق - الجمهورية العربية السورية

من مصادر الشريعة تحت عنوان: شرع من قبلنا، وكذلك ما شرحه وطوره من أعمال القدماء كتشريع حمورابي ومدونة جوستينيان وآراء أهل المدينة الفاضلة، وحين قاموا بإطلاق حضارتهم فإنهم قاموا بترجمة معارف الأمم بكل احترام، وكانت دار الخلافة في بغداد تكافئ المترجمين الذين ينقلون علوم اليونان والرومان والهند إلى اللغة العربية بوزن الكتاب ذهباً، وقد كشف ذلك بوضوح عن معنى التكامل بين الإسلام وبين شرائع الأمم الأخرى. كما تشارك في تدوين الحضارة الإسلامية وإطلاقها علماء وخبراء مسلمون ومسيحيون يهود وصابئة، وكان لكل منهم مساهماتهم الأکید في سائر

جاءت الشريعة الإسلامية لتستكمل ما أنجزه الأنبياء الكرام من معالم الحق والعدالة والإنصاف، فأفادت من النبوات السابقة ومن تجارب الأمم الأولى ودعت المسلم أن يلتمس الحكمة والفائدة في كل تراث الأمم وفي هذا المعنى يقول الرسول الكريم: الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أولى بها.

وهذا بالضبط ما تم إنجازه خلال العصر الذهبي للحضارة الإسلامية حيث أفاد المسلمون فائدة كبرى من تعاليم أهل الكتاب ومن حكمة اليونان كما أفادوا من حضارات مصر وبلاد الرافدين والقوانين الرومانية حتى اعتبر الفقهاء جانباً من هذه الحكمة والمعرفة مصدراً

إن هذه العبارة تكشف بجلاء أن رسالة النبي الكريم تتكامل مع ما أنجزته من قبل النبوات السابقة وتتواصل مع ما يأتي من بعد في الحكمة اللاحقة، وهي رسالة تواصل واستكمال.

ومن هنا فإن طبيعة التواصل بين ما جاء به الإسلام وما قدمته الشرائع الأخرى يتمثل في التكامل والتواصل والترافد، وليس من الصواب وصفه بأنه فكر منفصل عن الزمان والمكان والعالم، وأن دور البشر فيه لا يتعدى التنفيذ الحرفي، وأنه مناقض لكل ما أنتجته الحضارات الإنسانية، وفي تأكيد هذا المعنى تتم المقارنة لإثبات التناقض بين شرائع الأرض وشرائع السماء، إن مثل هذا الوصف النرجسي للشريعة الإسلامية يسيء إليها من حيث يظن البعض أنهم يبالغون في تقديسها.

وفي سبيل توضيح هذه الحقيقة فإن المفكرين الإسلاميين في العالم كله اعترضوا أشد الاعتراض على وصف ما يجري في العالم بأنه صراع الحضارات، ولمواجهة هذا الموقف الانقسامي أجمعت الدول

حقول المعرفة من طب وهندسة وتشريع وقانون وكيمياء وفلك وغيرها من أشكال المعارف والإدارة كما وصل عدد كبير من هؤلاء إلى مواقع مهمة في الإدارة والسياسة في إشارة جلية إلى روح التكامل بين الإسلام والحضارات الأخرى.

وقد عبر النبي صلى الله عليه وسلم عن رسالته هذه بقوله: مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها إلا موضع لبنة فكان الناس إذا مروا بتلك الدار يقولون ما أحسن هذه الدار لولا موضع اللبنة، فكنت أنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين.

ويكشف هذا الموقف بوضوح أن الشريعة الإسلامية ليست نشوزاً عن خيارات الأمم السابقة ولا اللاحقة فيما كانت تسعى فيه من خير، وقد أشار القرآن الكريم بوضوح في أربعة عشر موضعاً إلى طبيعة هذه الرسالة بقوله تعالى: ﴿لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيَّ﴾<sup>(١)</sup> [سورة آل عمران: ٣]،

(١) راجع: [سورة البقرة: ١٠١، ٨٩] [سورة آل عمران: ٨١] [سورة المائدة: ٤٦، ٤٨] [سورة الاحقاف: ٣٠] [سورة الصف: ٦] وغيرها.



الإسلامية على اختيار موقف مناهض للصدام والنزاع وعبرت عنه دول منظمة المؤتمر الإسلامي<sup>(٢)</sup> بإطلاق مشروع حوار الحضارات لعام ٢٠٠١ وقد تم تسمية ذلك العام رسمياً عبر الأمم المتحدة بأنه عام حوار الحضارات.

وفي استطراد فلسفي فإنني أسجل هنا اعتراضي على مصطلح الحضارات وقناعتي أن هناك في العالم حضارة واحدة هي الحضارة الإنسانية وهي التي اشترك في بنائها كل دعاة الخير والعمل والعطاء عبر التاريخ من أنبياء وحكماء وقادة سياسيين ورجال حقوق وتشريع.

إن الديمقراطية وحقوق الإنسان ليست منتجاً أوروبياً أو أمريكياً، إنها في العمق حصيلة الكفاح الإنساني الطويل خلال التاريخ ساهم فيه ملايين المناضلين من سائر الأمم، يقاومون الاستبداد والقهر والظلم، من ثورة العبيد في روما بقيادة سبارتاكوس إلى تعاليم فلاسفة اليونان

(٢) تم تغيير اسم المنظمة الدولية من منظمة المؤتمر الإسلامي إلى منظمة التعاون الإسلامي عام ٢٠١١ وهي تضم سبعة وخمسين دولة إسلامية مستقلة.

إلى حكمة الأنبياء وشرائعهم الكريمة إلى كفاح القادة التاريخيين للعدالة والمساواة عبر الثورات الإنسانية الشريفة والجهود العلمية التي توفر على بذلها آلاف الحكماء حتى توصل الإنسان في هذا العصر إلى تحديد معالم العدالة وكرامة الإنسان عبر المواثيق الدولية التي تم إقرارها في هيئة الأمم المتحدة.

ونحن نعتقد أن سير الأنبياء الكرام كانت ملهمة للأحرار من رجال الكفاح الإنساني الذين ناضلوا طويلاً من أجل تحقيق آمال الإنسان الكبرى في الحرية والعدالة والكرامة.

ونعتقد أيضاً أن أئمة الهدى في الإسلام شاركوا في الكفاح الإنساني للتحرر كل في موقعه وتاريخ نضاله، ولا يصعب تلمس أثر الخلفاء العادلين الراشدين كعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب والحسين بن علي وعمر بن عبد العزيز وألب أرسلان ونور الدين الشهيد وغيرهم من القادة الإسلاميين الذي أسسوا للعدالة الاجتماعية وقواعد الإنصاف في العلاقات الدولية.

ومن حقنا كذلك أن نشير إلى جهود



الإنساني، وتسعى إلى تحقيق التكامل بين جهود الشرفاء من سائر الأمم في سبيل الخير الإنساني، وهي جهود كبيرة اشتهر بها عبر التاريخ أئمة مسلمون كبار أمثال الفيلسوف الفارابي وابن سينا ابن رشد والشيخ ابن عربي وعبد القادر الجيلاني وجلال الدين الرومي وغيرهم من الفلاسفة الإنسانيين الذين تحدثوا عن إخاء الإنسان للإنسان، ووجوب البحث عن الخير في فطرة ابن آدم، وبالتالي وجوب تطوير ثقافة القانون الجنائي لتنسجم مع مبدأ الإصلاح الإنساني وليس الانتقام، وقد ترجمت أعمالهم ودراساتهم الى اللغات الحية في العالم.

ولذلك فإنه من الطبيعي أن تتقارب شرائع السماء مع ما تم إقراره في المحافل الإنسانية الدولية من أحكام وقوانين تهدف لتحقيق كرامة الإنسان وحمايته من الظلم والاستبداد والدكتاتورية والدعوة إلى تعزيز الديمقراطية والحريات في العالم. وأشير هنا إلى جهد هام كنا قد أنجزناه خلال مؤتمر خاص تم تنظيمه في معهد ليوبولد سكرون في سالزبورغ بالنمسا عام ٢٠٠٨ تم عقده تحت عنوان الإسلام

كبيرة بذها علماء الإسلام أيضاً لبناء علاقات إنسانية في الإطار الحقوقي أكثر عدالة ومساواة، ونشير هنا إلى جهود الماوردي والفراء، ونشير إلى عدد منهم في العصر الحديث كالأفغاني والكواكبي ومحمد عبده وغيرهم من علماء الإسلام الذين دونوا كتبهم في الأحكام السلطانية والعلاقات الدولية ووجوب إنصاف الناس وتحقيق كرامتهم وتأمين العدالة الاجتماعية.

ويتضمن الاعتقاد الإسلامي الإقرار بحقيقة اعتقاده قاطعة وهي أن الخلق جميعاً عيال الله، وأن الروح التي فيهم هي نفحة من الله نفسه، وأن كل مولود يولد على الفطرة، ومقتضى ذلك أنهم مأمورون أن يبحثوا عن المشترك الإنساني في تحرير قيم العدالة والمساواة، والبحث عن التواصل والتكامل بين نصوص الوحي وبين هدايات العقل وتجارب الإنسان.

وقد أصدر علماء الشريعة الإسلامية عشرات الأعمال العلمية المتخصصة التي كرست لتأكيد الصلة بين الدين والعلم، وتعزيز المعنى الإنساني للإسلام رسالة رحمة ومحبة وخير ترتكز في جوهرها على الجانب



والقانون الدولي، وقد قمنا بإجراء مقارنة دقيقة بين ما ورد في القرآن الكريم وما ورد في شرعة الأمم المتحدة وإعلان حقوق الإنسان، وقد صدرت عن تلك الندوة مجموعة توصيات تؤكد هذه الحقيقة.

ولتوضيح هذا التقارب بين ما ورد في القرآن الكريم وبين ما ورد في إعلان حقوق الإنسان فقد قمنا بإعداد الجدول المرفق حيث تمكن المقارنة بين النص الإسلامي من قرآن أو سنة، وبين النص الذي ورد في إعلان حقوق الإنسان.

وغني عن القول أننا لا نزعم التطابق بين ما ورد في الشرعة الدولية وبين ما

جاء في القرآن الكريم، فالقرآن كتاب موعظة وهداية وليس نصاً سياسياً، والقرآن خطاب بلاغي والميثاق نص حقوقي، والقرآن نص ديني والميثاق دستور توافقي، ولكن على الرغم من ذلك كله فإنك ستشعر بالدهشة ولا ريب من التقارب الشديد بين دلالة القرآن الكريم ودلالات النص العالمي لحقوق الإنسان، وهذا يعزز الحقيقة التي نتحدث عنها وهي أن مقاصد الوحي الشريف وما بشر به الأنبياء الكرام لإسعاد الإنسان، يلتقي مع ما توصل إليه الإنسان في كفاحه من أجل الحرية والعدالة والكرامة.

النص الإسلامي	نص إعلان حقوق الإنسان
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء: 70].	لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم. الديباجة فقرة ١
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [سورة يونس: ٤٤]. ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَإِنَّمَا نُنحِذُ فِيمَ حُسْنَانَا﴾ (٨١) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾ [سورة الكهف: ٨٧].	ولما كان تناسي حقوق الإنسان وازدراؤها قد أفضيا إلى أعمال همجية آذت الضمير الإنساني، وكان غاية ما يرنو إليه عامة البشر انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة ويتحرر من الفرع والفاقة. الديباجة فقرة ٢



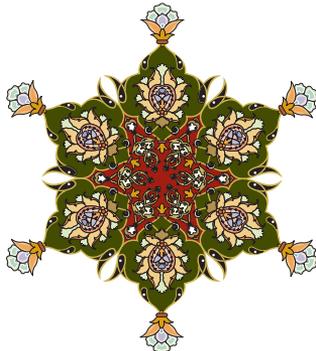
<p>ولما كان من الضروري أن يتولى القانون حماية حقوق الإنسان لكيلا يضطر المرء آخر الأمر إلى التمرد على الاستبداد والظلم. الديباجة فقرة ٣</p>	<p>﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [سورة النساء: ٥٩].</p>
<p>ولما كانت شعوب الأمم المتحدة قد أكدت في الميثاق من جديد إيمانها بحقوق الإنسان الأساسية وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء من حقوق متساوية وحزمت أمرها على أن تدفع بالرفعي الاجتماعي قدماً وأن ترفع مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح. الديباجة فقرة ٤</p>	<p>﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الحديد: ٢٥]</p> <p>﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [سورة الحجرات: ١٣]</p>
<p>ولما كان للإدراك العام لهذه الحقوق والحريات الأهمية الكبرى للوفاء التام بهذا التعهد. الديباجة فقرة ٥</p>	
<p>فإن الجمعية العامة تنادي بهذا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أنه المستوى المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه كافة الشعوب والأمم حتى يسعى كل فرد وهيئة في المجتمع، واضعين على الدوام هذا الإعلان نصب أعينهم، إلى توطيد احترام هذه الحقوق والحريات عن طريق التعليم والتربية واتخاذ إجراءات مطردة، قومية وعالمية، لضمان الاعتراف بها ومراعاتها بصورة عالمية فعالة بين الدول الأعضاء ذاتها وشعوب البقاع الخاضعة لسلطانها. الديباجة فقرة ٦</p>	
<p>المادة ١ . يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلاً وضميراً وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء.</p>	<p>﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنْتَقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِلْدٍ﴾ [سورة النساء: ١].</p> <p>إن الله سبحانه وتعالى قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتكبرها بأبائها، كلكم لآدم، وآدم من تراب، - من خطاب النبي الكريم في حجة الوداع، أخيار مكة للأزرق ج ٢ ص ٣٨٣</p>



<p>المادة ٢.</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>• لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، دون أية تفرقة بين الرجال والنساء...</li> </ul>	<p>في خطاب حجة الوداع للنبي الكريم: أيها الناس إن أباكم واحد وإن ربكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، وأكرمكم عند الله أتقاكم - مسند أحمد رقم ٨٧٢١</p>
<p>المادة ٣.</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>• لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه.</li> </ul>	<p>﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [سورة الإسراء: ٣٣].</p> <p>﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا يَغْيِرَ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [سورة المائدة: ٣٢].</p>
<p>المادة ٤.</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>• لا يجوز استرقاق أو استعباد أي شخص، ويحظر الاسترقاق وتجارة الرقيق بكافة أوضاعها.</li> </ul>	<p>﴿فَشُدُّوا الرِّبَاطَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أوزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِنَبِّئُوا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [سورة محمد: ٤]</p> <p>والآية تنص على تحريم استرقاق الأسرى بعد الحرب، وتحصر حق الدولة بين أمرين اثنين لا ثالث لهما: المن، (إطلاق الأسرى بدون عوض) أو الفداء (إطلاقهم مقابل تعويض) وهذه الآية آخر ما نزل بشأن الأسارى وفي آية أخرى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ وَنَحْنُ بِمَسْكِينٍ وَنِيْمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [سورة الدهر: ٨-٩].</p> <p>وهي نص في وجوب إكرام الأسير وتوفير حقوقه الإنسانية</p>



<p>المادة ٥.</p> <p>• لا يعرض أي إنسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاسية أو الوحشية أو الحاطة بالكرامة.</p>	<p>قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من لطم غلامه أو ضربه فكفارته أن يعتقه- صحيح مسلم ج ٥ ص ٩٠</p> <p>وفي عصر الخلافة الراشدة تم استدعاء حاكم مصر وابنه ومحامتهما في المدينة المنورة وتم جلده بسبب ضربه لرجل مسيحي، وقال له عمر بن الخطاب: يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً</p>
<p>المادة ٦.</p> <p>• لكل إنسان أينما وجد الحق في أن يعترف بشخصيته القانونية.</p>	<p>﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة الحجرات: ١١]. ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٣].</p> <p>كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس بأحب أسمائهم إليهم- معجم الطبراني ٣٤٩٩</p>



المادة ٧.

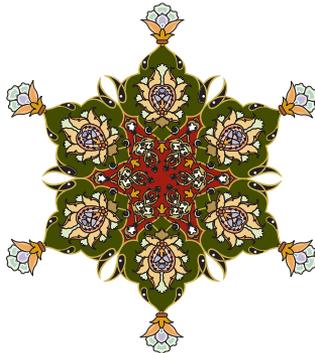
• كل الناس سواسية أمام القانون ولهم الحق في التمتع بحماية متكافئة عنه دون أية تفرقة، كما أن لهم جميعا الحق في حماية متساوية ضد أي تمييز يخل بهذا الإعلان وضد أي تحريض على تمييز كهذا.

في القرآن الكريم: ﴿قَدْ جَاءَ تَكْمُلُ بَكِينَتُهُ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [سورة الأعراف: ٨٥].

و في ميثاق المدينة الذي كتبه الرسول الكريم لتنظيم أحوال المدينة:  
المؤمنون والمسلمون من قريش وأهل يثرب، ومن تبعهم فلحق بهم... أمة واحدة من دون الناس...

وأنة من تبعنا من اليهود، فإن له المعروف والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم... وأن يهود بني عوف أمة من المؤمنين، لليهود دينهم وللمؤمنين دينهم، ومواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ (يسيء) إلا نفسه وأهل بيته...

الأموال لابن زنجويه ج ٢ ص ١١٧ وانظر الأموال للقاسم بن سلام ج ١ ص ٤٧٩ وقد تم فتح مكة في الإسلام انتصاراً لبعض المواطنين المظلومين من غير المسلمين من مشركي خزاعة.



<p>المادة ٨.</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>• لكل شخص الحق في أن يلجأ إلى المحاكم الوطنية لإنصافه عن أعمال فيها اعتداء على الحقوق الأساسية التي يمنحها له القانون.</li> </ul>	<p>دعا الإسلام إلى إجراء المحاكمات العادلة ونبه أن العدالة مرتبطة بالبينات والشهود، وأن البيئة على من ادعى واليمين على من أنكر</p> <p>﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ [سورة ص: ٢٦].</p> <p>﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [سورة النساء: ٥٨].</p> <p>ونص بصراحة أن النبي نفسه قد يخطئ في الحكم، وعليه إذن أن يتراجع ويقضي بالعدالة: إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وأقضي له على نحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذ فإنما أقطع له قطعة من النار صحيح البخاري ج ٢ ص ٩٥٢</p>
<p>المادة ٩.</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>• لا يجوز القبض على أي إنسان أو حجزه أو نفيه تعسفاً.</li> </ul>	<p>﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٣٨) ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣١)</p> <p>الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالَّذِينَ فِيهَا أَسْمَاءٌ كَثِيرَةٌ وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحج: ٣٨-٤٠].</p>



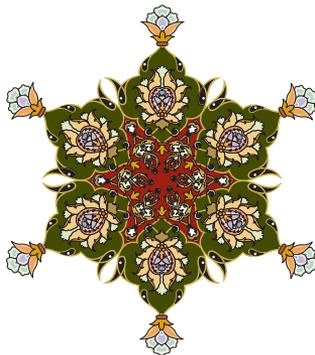
<p>المادة ١٠ .</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>• لكل إنسان الحق، على قدم المساواة التامة مع الآخرين، في أن تنظر قضيته أمام محكمة مستقلة نزيهة نظراً عادلاً علنياً للفصل في حقوقه والتزاماته وأية تهمة جنائية توجه إليه.</li> </ul>	<p>﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴿١٥﴾ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّكَ اللَّهُ كَانَ عَفُوًّا رَحِيمًا ﴿١٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٠٥-١٠٧].</p> <p>﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٣١﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة الشورى: ٣٩-٤٢].</p>
<p>المادة ١١ .</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>• (١) كل شخص متهم بجريمة يعتبر بريئاً إلى أن تثبت إدانته قانوناً بمحاكمة علنية تؤمن له فيها الضمانات الضرورية للدفاع عنه.</li> <li>• (٢) لا يدان أي شخص من جراء أداء عمل أو الامتناع عن أداء عمل إلا إذا كان ذلك يعتبر جرمًا وفقاً للقانون الوطني أو الدولي وقت الارتكاب، كذلك لا توقع عليه عقوبة أشد من تلك التي كان يجوز توقيعها وقت ارتكاب الجريمة.</li> </ul>	<p>﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الحديد: ٢٥]</p> <p>﴿رَبَّنَا يَا أَلْهِنَا أَلْمَنُوا أَجْتَبْنَا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّك بِبَعْضِ الظَّنِّ إِنَّهُ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [سورة الحجرات: ١٢].</p> <p>في خطاب الوداع للنبي الكريم: فإن الله قد حرم بينكم دماءكم وأموالكم قال ولا أدري قال أو أعراضكم أم لا كحرمه يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا رواه أحمد ج ٣٧ ص ٤٧٤</p>



<p>المادة ١٢ .</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>• لا يعرض أحد لتدخل تعسفي في حياته الخاصة أو أسرته أو مسكنه أو مراسلاته أو لحملات على شرفه وسمعته، ولكل شخص الحق في حماية القانون من مثل هذا التدخل أو تلك الحملات.</li> </ul>	<p>﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تُذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [سورة النور: ٢٧-٢٨].</p>
<p>المادة ١٣ .</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>• (١) لكل فرد حرية التنقل واختيار محل إقامته داخل حدود كل دولة.</li> <li>• (٢) يحق لكل فرد أن يغادر أية بلاد بها في ذلك بلده كما يحق له العودة إليه.</li> </ul>	<p>﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَىٰ ظَهْرًا وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرًا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سورة سبأ: ١٨].</p> <p>وفي ميثاق المدينة الذي أعده النبي الكريم وهو أول دستور في الإسلام:</p> <p>وأنة من خرج آمن، ومن قعد بالمدينة أمن أبر الأمن، إلا ظلما وأثما. -الأموال للقسام بن سلام ج ١ ص ٤٧٩</p>
<p>المادة ١٤ .</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>• (١) لكل فرد الحق في أن يلجأ إلى بلاد أخرى أو يحاول الالتجاء إليها هرباً من الاضطهاد.</li> <li>• (٢) لا ينتفع بهذا الحق من قدم للمحاكمة في جرائم غير سياسية أو لأعمال تناقض أغراض الأمم المتحدة ومبادئها.</li> </ul>	<p>﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْسُوا فِي مَنَاجِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [سورة الملك: ١٥].</p> <p>﴿وَمَن مَّاجِرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَحِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْتَمِعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مَهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٠٠].</p>
<p>المادة ١٥ .</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>• (١) لكل فرد حق التمتع بجنسية ما.</li> <li>• (٢) لا يجوز حرمان شخص من جنسيته تعسفاً أو إنكار حقه في تغييرها.</li> </ul>	<p>قرر الإسلام حق الإنسان في التمتع بجنسية وطنية وفق العقد الاجتماعي كان في صلح الحديبية الذي وقعه النبي الكريم:</p> <p>من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل. سنن البيهقي ج ٨ ص ٩٩</p>



<p>المادة ١٦ .</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>(١) للرجل والمرأة متى بلغا سن الزواج حق التزوج وتأسيس أسرة دون أي قيد بسبب الجنس أو الدين، ولهما حقوق متساوية عند الزواج وأثناء قيامه وعند انحلاله.</li> <li>(٢) لا يبرم عقد الزواج إلا برضى الطرفين الراغبين في الزواج رضى كاملاً لا إكراه فيه.</li> <li>(٣) الأسرة هي الوحدة الطبيعية الأساسية للمجتمع ولها حق التمتع بحماية المجتمع والدولة.</li> </ul>	<p>﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [سورة النساء: ١].</p> <p>﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكَحْنَ زَوْجَهُنَّ إِذَا تَرَضُوا بِبَنِيهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٢].</p> <p>﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ١٩].</p>
<p>المادة ١٧ .</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>(١) لكل شخص حق التملك بمفرده أو بالاشتراك مع غيره.</li> <li>(٢) لا يجوز تجريد أحد من ملكه تعسفاً.</li> </ul>	<p>﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْمُكَّارِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٨].</p>



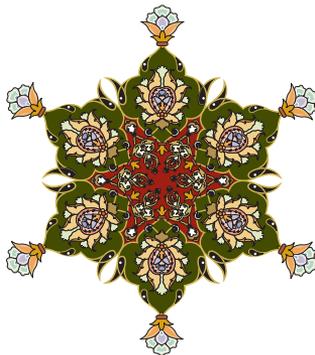
<p>المادة ١٨ .</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>• لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين، ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته، وحرية الإعراب عنها بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر ومراعاتها سواء أكان ذلك سرّاً أم مع الجماعة.</li> </ul>	<p>﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰدِقِينَ وَالصَّٰدِقَاتِ مَن ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة: ٦٢].</p> <p>﴿قُلِ اللّٰهُمَّ فَاطِرَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ اَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوْا فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَ﴾ [سورة الزمر: ٤٦].</p> <p>وفي القرآن الكريم تأسيس لمسؤولية الدولة في حماية المعابد الدينية من صوامع (كنائس) وبيع (معابد اليهود) وصلوات (طقوس الأديان المختلفة) ومساجد:</p> <p>﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللّٰهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفُتِنَتْ صَوَاعِقُ وَيَبِيعُ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَٰجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اَسْمُ اللّٰهِ كَثِيْرًا﴾ [سورة الحج: ٤٠].</p>
<p>المادة ١٩ .</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>• لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل، واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقييد بالحدود الجغرافية.</li> </ul>	<p>﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [سورة الكهف: ٢٩].</p> <p>﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيْعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِيْنَ﴾ [سورة يونس: ٩٩].</p> <p>﴿لَا اِكْرَاهُ فِي الدِّيْنِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦].</p>
<p>المادة ٢٠ .</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>• (١) لكل شخص الحق في حرية الاشتراك في الجمعيات والجماعات السلمية.</li> <li>• (٢) لا يجوز إرغام أحد على الانضمام إلى جمعية ما.</li> </ul>	<p>﴿كُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ لَجَعَلَكُمْ اُمَّةً وَّاحِدَةً وَلٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتٰكُمْ فَاَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ اِلَى اللّٰهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيْعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيْهِ تَخْتَلِفُوْنَ﴾ [سورة المائدة: ٤٨].</p>



<p>المادة ٢١.</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>• (١) لكل فرد الحق في الاشتراك في إدارة الشؤون العامة لبلاده إما مباشرة وإما بواسطة ممثلين يختارون اختياراً حراً.</li> <li>• (٢) لكل شخص نفس الحق الذي لغيره في تقلد الوظائف العامة في البلاد.</li> <li>• (٣) إن إرادة الشعب هي مصدر سلطة الحكومة، ويعبر عن هذه الإرادة بانتخابات نزيهة دورية تجري على أساس الاقتراع السري وعلى قدم المساواة بين الجميع أو حسب أي إجراء مماثل يضمن حرية التصويت.</li> </ul>	<p>[٣٨].</p> <p>﴿وَأْمُرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الشورى]:</p> <p>﴿فَاعْفُ عَنَّهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَسَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩].</p> <p>وفي الحديث النبوي:</p> <p>من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ومن لم يصبح ويمس ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه وإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم الطبراني ج ٧ ص ٢٦٨</p> <p>- من استعمل رجلاً في قوم وفيهم من هو أرضى الله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين- رواه الحاكم انظر جامع الأحاديث للسيوطي رقم ٤٥٦٩٤</p>
<p>المادة ٢٢.</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>• لكل شخص بصفته عضواً في المجتمع الحق في الضمانة الاجتماعية وفي أن تحقق بوساطة المجهود القومي والتعاون الدولي وبما يتفق ونظم كل دولة ومواردها الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والتربوية التي لا غنى عنها لكرامته وللنمو الحر لشخصيته.</li> </ul>	<p>قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الناس سواسية كأسنان المشط وإنما يتفاضلون بالعافية، والمرء كثير بأخيه، ولا خير في صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له جزء ما رواه الزبير ج ١ ص ٢٩</p> <p>وقال: يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى رواه أحمد ج ٣٨ ص ٤٧٤</p>



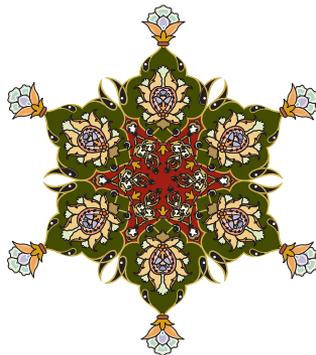
<p>المادة ٢٣ .</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>• ( ١ ) لكل شخص الحق في العمل، وله حرية اختياره بشروط عادلة مرضية كما أن له حق الحماية من البطالة.</li> <li>• ( ٢ ) لكل فرد دون أي تمييز الحق في أجر متساو للعمل.</li> <li>• ( ٣ ) لكل فرد يقوم بعمل الحق في أجر عادل مرض يكفل له ولأسرته عيشة لائقة بكرامة الإنسان تضاف إليه، عند اللزوم، وسائل أخرى للحماية الاجتماعية.</li> <li>• ( ٤ ) لكل شخص الحق في أن ينشئ وينضم إلى نقابات حماية لمصلحته</li> </ul>	<p>﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة التوبة: ١٠٥].</p> <p>جاء في الحديث القدسي: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل أستأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره الجامع الصغير رقم ٦٠١٣ وفي الحديث الشريف: أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه، وأعلمه أجره وهو في عمله سنن البيهقي ج ٥ ص ٢٣</p>
<p>المادة ٢٤ .</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>• لكل شخص الحق في الراحة، وفي أوقات الفراغ، ولا سيما في تحديد معقول لساعات العمل وفي عطلات دورية بأجر.</li> </ul>	<p>قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إخوانكم حولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما لا يطيقون فإن كلفتموهم فأعينوهم. رواه البخاري في الصحيح ج ١ ص ١٥</p>



<p>المادة ٢٥.</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>• (١) لكل شخص الحق في مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولأسرته، ويتضمن ذلك التغذية والملبس والسكن والعناية الطبية وكذلك الخدمات الاجتماعية اللازمة، وله الحق في تأمين معيشته في حالات البطالة والمرض والعجز والتمرد والشيخوخة وغير ذلك من فقدان وسائل العيش نتيجة لظروف خارجة عن إرادته.</li> <li>• (٢) للأمومة والطفولة الحق في مساعدة ورعاية خاصتين، وينعم كل الأطفال بنفس الحماية الاجتماعية سواء أكانت ولادتهم ناتجة عن رباط شرعي أو بطريقة غير شرعية.</li> </ul>	<p>جاء في الحديث الشريف: الناس شركاء في ثلاث الماء والكلاء والنار زوائد المهتمي ج ١ ص ٥٠٨</p> <p>وتشمل هذه الثلاثة الشروات القومية الطبيعية للأمم من الماء ومصادرها ومواردها والكلاء وما يعنيه من الأرض المنتجة للزراعة، والنار وما يتصل بها من قوى الطاقة ومواردها الوطنية المختلفة</p>
<p>المادة ٢٦.</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>• (١) لكل شخص الحق في التعلم، ويجب أن يكون التعليم في مراحله الأولى والأساسية على الأقل بالمجان، وأن يكون التعليم الأولي إلزامياً وينبغي أن يعمم التعليم الفني والمهني، وأن ييسر القبول للتعليم العالي على قدم المساواة التامة للجميع وعلى أساس الكفاءة.</li> <li>• (٢) يجب أن تهدف التربية إلى إنماء شخصية الإنسان إنماء كاملاً، وإلى تعزيز احترام الإنسان والحريات الأساسية وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية أو الدينية، وإلى زيادة مجهود الأمم المتحدة لحفظ السلام.</li> <li>• (٣) للآباء الحق الأول في اختيار نوع تربية أولادهم.</li> </ul>	<p>﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٣].</p> <p>طلب العلم فريضة رواه ابن ماجه ج ١ ص ٨٠</p> <p>إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع رواه أبو داود ج ٣ ص ٣٥٤</p>



<p>المادة ٢٧.</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>• (١) لكل فرد الحق في أن يشترك اشتراكاً حراً في حياة المجتمع الثقافي وفي الاستمتاع بالفنون والمساهمة في التقدم العلمي والاستفادة من نتائجه.</li> <li>• (٢) لكل فرد الحق في حماية المصالح الأدبية والمادية المترتبة على إنتاجه العلمي أو الأدبي أو الفني.</li> </ul>	<p>في القرآن الكريم تحذير شديد من كتم العلم عن الناس: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَيْنَاهُمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٥٩].</p> <p>ومن سئل عن علم فكتمه أجمه الله بلجام من نار يوم القيامة رواه الترمذي ج ٥ ص ١٦.</p> <p>قال عمر بن الخطاب: تعلموا العلم وعلموه الناس وتعلموا له الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن يعلمكم عند العلم، وتواضعوا لمن تعلموه العلم، ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم بلوغ الأرب ج ١ ص ١٥٥</p>
<p>المادة ٢٨.</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>• لكل فرد الحق في التمتع بنظام اجتماعي دولي تتحقق بمقتضاه الحقوق والحريات المنصوص عليها في هذا الإعلان تحقاً تاماً.</li> </ul>	<p>في ثمانية مواضع في القرآن الكريم فرض الله على الأمة وجوب إكرام ابن السبيل وهو المسافر في غير وطنه وتيسير حاجته وتحريم الاعتداء عليه وأمر بإنفاق الزكاة عليه طالما كان في دار الغربة عن وطنه تأكيداً لحقه في العدل والمساواة- انظر مثلاً [سورة النساء: ٣٦].</p>



<p>المادة ٢٩.</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>• (١) على كل فرد واجبات نحو المجتمع الذي يتاح فيه وحده لشخصيته أن تنمو نمواً حراً كاملاً.</li> <li>• (٢) يخضع الفرد في ممارسة حقوقه وحرياته لتلك القيود التي يقررها القانون فقط، لضمان الاعتراف بحقوق الغير وحرياته واحترامها ولتحقيق المقتضيات العادلة للنظام العام والمصلحة العامة والأخلاق في مجتمع ديمقراطي.</li> <li>• (٣) لا يصح بحال من الأحوال أن تمارس هذه الحقوق ممارسة تتناقض مع أغراض الأمم المتحدة ومبادئها.</li> </ul>	<p>﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦].</p> <p>﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَازْرَهُ وَنَزَّ أُخْرَى﴾ [سورة الأنعام: ١٦٤].</p> <p>﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [سورة المدثر: ٣٨].</p> <p>﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ [سورة النجم: ٣٩-٤١].</p>
<p>المادة ٣٠.</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>• ليس في هذا الإعلان نص يجوز تأويله على أنه يخول لدولة أو جماعة أو فرد أي حق في القيام بنشاط أو تأدية عمل يهدف إلى هدم الحقوق والحرريات الواردة فيه.</li> </ul>	

وبعد هذه المقارنة فإن من المنطقي تماماً أن نقول إن شرائع الله تهدف إلى الغايات النبيلة نفسها التي أنجزها الإنسان في كفاحه الطويل من أجل العدالة والكرامة والمساواة.

قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

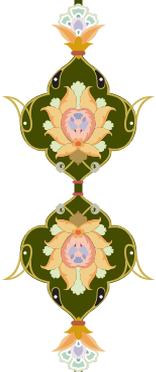


## ملخص البحث

قدم الشيخ الباحث لبحثه بدياجة عبر فيها عن إعجابه بفكر السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب تفسير (الميزان) والبحث في جملته، عرض وتحليل ونقد لهذا التفسير القيم. وقد وقف عليه ضمن ثلاثة محاور:

المحور الاول: بيان الوجوه الرئيسة المحتملة في التعاطي مع العملية التفسيرية بشكل موجز.  
المحور الثاني: تحليل هذا الوجه المعتمد لدى العلامة الطباطبائي بمعية تفسير القرآن بالقرآن .  
المحور الثالث: الوقوف على منهجه التفسيري مرة أخرى بروح نقدية وصولاً الى مقدار ما يمكن الاستفادة من منهجه في التفسير.

وفي الختام، أوجز الشيخ الباحث، النتائج العلمية و العملية التي انتهى اليها في هذا البحث، وختمها بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدها في اقامة بحثه.



# المنهج التفسيري عند العلامة الطباطبائي

## عرض وتحليل ونقد

د. الشيخ طلال الحسن

قم - جمهورية إيران الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

### ديباجة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله الطاهرين.

الله المنة وحده فيما وهب واعطى، ومما أعطاه وأجزل في عطائه هو التوفيق للاهتمام بكتابه المجيد والعمل على رعاية حدوده ورسومه، والسعي لنيل شرف تفسيره وتأويله، هي نعمة إن أعطيت فإنها تفوق ما طلعت عليه الشمس، وهبة إن مُنحت تكلّ الألسن وتعجز النفوس عن أداء شكرها.

وبعد...

فقد جرت سنة الاعلام تأريخاً على ادخال الأوقات الثمينة للعناية بالقرآن الكريم، وبذل الغالي والنفيس سعياً

للوصول الى مرادات النص القرآني، وبحسب العادة العلمية وجدنا ان اعلام الأمة يختمون حياتهم العلمية بالعناية والرعاية للقرآن، بحثاً وتحقيقاً وتأويلاً، ولعل السرّ في تعقيبية البحوث القرآنية هو إدراكهم العالي لما يحتاج اليه النصّ القرآني من تمعن وتدبير ودراية وضبط لأكثر من علم، وهذا المعنى لا يحصل عادة الا في مراحل متقدّمة من أعمارهم الشريفة. ولكننا لسنا أمام قاعدة حاکمة وإنما هي قاعدة علمائية متوارثة لم يخرج عنا الا القليل القليل، ومن أولئ القليل في العدد، الكثير في النفع، أستاذ الفلاسفة والمفسرين المعاصرين العلامة الفذّ السيد محمد حسين الطباطبائي (قدس) انه

الطود الشامخ الذي عُدّ نظيره، وندر شبيهه، أنفق زهرة عمره في خدمة القرآن والحكمة، فوهب له الله تعالى الخلود والذكر الجميل، فجعل الله تعالى ذكره ترنيمة تنشء بها عقولنا، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [سورة مريم: ٩٦].

إنه جامع المعقول والمنقول، ذخيرة العلم وفخر الأمة، والمثال والقدوة والأسوة في علمه وتعليمه وفي أخلاقه وسيره وسلوكه، الفذ في علمه وتعليمه وسلوكه، الذي اختصر سيره بكلمة جامعة أفاض بها تلميذه الطهراني (رحمه الله) حيث يقول: (لم يقدم خطوة واحدة نحو الجاه والخطوة، وقد أحرق كل جذور حبّ الظهور والانانية في وجوده<sup>(١)</sup>).

خلاصة ما نريد الوقوف عنده في هذا البحث هو عرض وتحليل ونقد المنهج التفسيري للسيد العلامة الطباطبائي المتمثل بتفسير القرآن بالقرآن. وسيكون

(١) انظر الشمس الساطعة، للسيد محمد الحسين الحسيني الطهراني: ص ٢٢، نشر دار الاولياء، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨ م.

هذا الوقوف ضمن ثلاثة محاور المحور الأول: الوجوه المحتملة في العملية التفسيرية  
إن أرضية العملية التفسيرية مهما اختلفت مناهجها واساليبها<sup>(٢)</sup> ومصادرها

(٢) هنالك خلط واضح يقع فيه الكثير من اصحاب الفن، فضلا عن سواهم، في تحديد هوية المناهج وهوية الاساليب، وهوية الاتجاهات التفسيرية، وهذا الخلط عادة ما يُفرض الى نوع من الخلل في النتائج البحثية، وبقطع النظر عن أسباب الوقوع في مثل هذا الخلط فإنه ينبغي إليه ومعالجته.

فالمنهج-اصطلاحاً- هو طريقة الاستدلال أو الكيفية المعتمدة في إثبات المطلوب، فهناك نوع مساواة بين الدليلية وبين المنهج المتبع، فمن لم يتخذ منهجاً في العملية التفسيرية لم يعتمد الدليل في إثبات مقاصده، فاذا اعتمدنا القرآن في فهم النصّ القرآني فالمنهج هو تفسير القرآن بالقرآن، واذا ما اعتمدنا الرواية فالمنهج روائي وهكذا.

وأما الاتجاه التفسيري فإنه يقوم بدور مغاير حيث يقوم صاحب الاتجاه بالسير مع مركزاته واعتقاداته القبلية في تطويع النصّ القرآني باتجاه نتائج حدّتها قبلياته، والحصيلة التفسيرية انعكاس فعلي لتبنياته القبلية؛ وبمطالعة للكتب التفسيرية نجد الاتجاهية حاکمة على الغالب عليها، خدمة لأهداف عقديّة معينة، او سياسية أو عصبية قبليّة، وتكمن خطورة الاتجاهات في تقديمها



فإنها لا تخرج في شكلها ومضمونها عن مرجعية معرفية من مرجعيات أو نظريات أربع ينبغي الوقوف عندها والتعريف بها، وهذا ما سيجعلنا على مقربة من المنهج الفعلي للسيد العلامة الطباطبائي رحمته.

إن الوقوف على هذه المرجعيات أو النظريات المعتمدة في القراءة الدليلية للقرآن سوف يفتح أمامنا آفاقاً معرفية مهمة في عالم التفسير، ويجعلنا أمام مفترقات طرق وميزان أولي يمكن من خلاله تصنيف المصادر والبحوث التفسيرية بشكل أولي وصحيح وأما هذه المرجعيات أو النظريات الأربعة فهي:

النظرية الأولى: محورية القرآن.

ويُراد بها حصر المرجعية التفسيرية بالقرآن وحده، وهو ما يُطلق عليه عادة بمنهج تفسير القرآن بالقرآن، من دون

رؤية كونية إلهية مدّعية أنّ عمادها النصوص الشرعية فتتوقع طبقة من الأمة في الهلكة والضلال؛ وقد جرت محاولات عديدة لإضفاء صبغة علمية معرفية للاتجاهات التفسيرية من خلال إبرازها بعناوين مختلفة من قبيل المذاهب والمدارس، وما شابه ذلك.

الرجوع الى مرجعيةٍ أُخرى؛ والذين يتمسكون بذلك يُصطلح عليهم عادة بأنهم: (قرآنيون)، أو هذا ما يُسمّون به أنفسهم<sup>(٣)</sup>، وربما هم حملة شعار: (حسبنا كتاب الله).

ولعلّ من ابرز دعاة هذه النظرية من المعاصرين ومُفسّري الشيعة وهم: الشيخ البلاغي<sup>(٤)</sup>، والشيخ محمد الصادقي<sup>(٥)</sup>، ويُنسب الى هذه النظرية ايضاً السيد العلامة الطباطبائي رحمته وهي نسبة غير

(٣) وهذه التسمية تجدها واضحة في مواقعهم الالكترونية-الانترنتية- المعروفة وصحفهم ومجلاتهم، حتى عاد عنوان (قرآنيون) أشهر من نار على علم.

(٤) هو الشيخ محمد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢ هـ)، ولد وعاش ومات في مدينة النجف الاشرف، من اهم آثاره التفسيرية هو كتابه (آلاء الرحمن في تفسير القرآن)، وفيه يعتمد بصورة كاملة على هذه النظرية.

(٥) هو الشيخ محمد الصادقي الطهراني، من العلماء الايرانيين المعاصرين، درس في حوزة النجف المقدسة، كانت لديه ميول اخبارية واضحة، اهتم بدراسة الديانات وعقد الحوار بينها، يرى بأنّ القرآن لا يمكن تفسيره الا بالقرآن، ومن اهم وابرز نتاجاته التفسيرية هو تفسير (الفرقان في تفسير القرآن)، وهو دورة تفسيرية كاملة.



المُسَمَّون بالاخباريين التقليديين (٨) يرون ان القرآن مُفسَّر للقرآن أيضاً، ولكن بشرط ان يكون المفسر هو المعصوم **عليه السلام**، فالواقف على التوجيه القرآني للمراد القرآني هو المعصوم حصراً، وما عداه فليس امامه سوى السنة الشريفة التي نهضت بدور التبيين.

النظرية الثالثة: محورية القرآن والسنة معاً.

ويُراد بها اعتماد القرآن والسنة الشريفة كمصدرين اساسين في العملية التفسيرية، فالسنة ليست مؤكدة ولا مُعمَّقة فحسب، وإنما هي مصدر تفسيري اساس يقع في عرض القرآن نفسه، فالسنة هنا لا تلعب دوراً تكملياً فحسب، وإنما تُمارس دوراً تاسيسياً على حدّ سواء مع الدور التاسيسي للقرآن في سير العملية التفسيرية.

(٨) الاخباريون بفتح الهمزة كما هو الصحيح، وليس بكسرهما كما هو المشهور، اتجاه حصر مصادر المعرفة بالسنة الشريفة، واما العقل فيؤخذ منه ما وافق النقل او يُعمل به شرط عدم معارضته للنقل، هذا ما نُسب إليهم، والحال أنّ هذه النسبة تحتاج الى تحقيق، لاسيّما وأنّ الكثير من عظماء المذهب هم اخباريون بامتياز.

دقيقة كما سيأتي تحقيق ذلك. واما من المدارس الاسلامية الأخرى فمنهم محمد رشيد رضا (٦)، والأستاذ عبد الكريم الخطيب (٧).

النظرية الثانية: محورية السنة. ويُراد بها تفسير القرآن بالسنة الشريفة فقط لا غير، وهؤلاء هم انفسهم الذين انكروا حجية ظواهر القرآن، وهؤلاء

(٦) محمد رشيد رضا عالم ومفسر مصري، من تلامذة الشيخ محمد عبده، وقيل بأن كتابه التفسيري المعروف بـ(المنار) هو في اصله مجموعة محاضرات تفسيرية لأستاذه الشيخ محمد عبده.

(٧) عالم مصري أزهرى: كتب في السيرة والعقيدة وعلوم القرآن والتفسير؛ كان معروفاً باعتداله وإنصافه لاسيما في كتابه المعروف (علي بن ابي طالب بقيمة النبوة وخاتم الخلافة)، من آثاره التفسيرية (التفسير القرآني للقرآن). ولكنه ولظروف غير معلومة أصبح سلفياً، حتى انه ألف كتاباً يُمجّد فيه زعيمها المتأخر، وهو (محمد بن عبد الوهاب - العقل الحر)، حيث يقول فيه: (دعوة محمد بن عبد الوهاب من الكلم الطيب، لانها تستند الى الحق وتدعو له، وتعمل في سبيله، لهذا كانت دعوة مباركة، وفيرة الثمر، كثيرة الخير)، وقد وُجِّت له نقودات في ذلك.



النظرية الرابعة: محورية القرآن ومدارية السنة.

وهي النظرية المعتمدة لدى السيد الطباطبائي في الميزان، والتي يُراد بها اعطاء الدور التتيمي او التكميلي للسنة الشريفة، فالتأسيس التفسيري ينطلق من القرآن نفسه، وتكتمل فراغاته او تفريعاته من خلال السنة الشريفة، أما الدور التكميلي فهو ما يُمكن ان نُطلق عليه بالوجوه الباطنية والتي يُصطلح عليها بالتأويل، وأمّا الدور التفرعي فهو ما يُمكن ان نُطلق عليه بالتيبين، كما هو الحال بالنسبة الى بيان تفصيلات الشريعة التي وردت أصولها في النصوص القرآنية؛ ومن ثم لا ينبغي لأولي العلم التلويح بإلغاء دور السنة الشريفة في العملية التفسيرية في ضوء المدرسة الطباطبائية، وهو ما نلمحه عند البعض ممن يلزم كتاب (تفسر الميزان) بذلك، فلا الطباطبائي (قرآني) محض بحسب الاصطلاح، ولا هو اخباري محض، ولا هو من القائلين بمحورية القرآن والسنة الشريفة معاً.

النظرية الخامسة: محورية القرينة القطعية.

تعتمد هذه النظرية على ضابط واحد لا بدّ من توفره في العملية التفسيرية، وهو توفر القرينة القطعية او ما تُوجب الاطمئنان، او ما صحَّ العمل به، سواء كانت القرينة قرآنية ام روائية أم عقلية أم علمية تجريبية محضة، فالمُعطى العلمي المعتمد هو الملاك الحقيقي في ضوء هذه النظرية التفسيرية، وهذا هو الحقّ وما ينبغي الالتزام به في العملية التفسيرية، وهو لعظمته وجلالته لا يحتاج منا الوقوف على دليليته، لما هو واضح لأولي العلم من كون القطع حُجّة بلا كلام، سواء قلنا بان حُجّيته ذاتية، كما هو المشهور، أم مولوية، كما يرى ذلك بعض الاعاظم<sup>(٩)</sup>، واما الاطمئنان فحجّيته على غرار حجية القطع، واما القرينة الظنية المعتمدة فمحصورة بالامارات الشرعية، او ما تُسمّى بالظنّ الخاص في قبال الظنّ العام الذي لا يُغني من الحقّ شيئاً.

(٩) هذا ما ذهب اليه السيد محمد باقر الصدر **رحمته** في بحوثه ودروسه الأصولية، انظر: دروس في علم الأصول، الحلقة الثانية والثالثة، للسيد الشهيد الصدر، بحث حجية القطع.



المحور الثاني: تحليل النظرية الرابعة.

في هذا الوجه الكبرى (محورية القرآن ومداريه السنة) الذي نميل الى ان السيد العلامة قد اعتمده في تفسيره بمعية منهج تفسير القرآن بالقرآن، سوف نُحاول تحليله للخروج بصحة ما ننسبه اليه، وإبطال دعوى القائلين بانّ الوجه الكبرى الذي اعتمده العلامة الطباطبائي هو محورية القرآن، ولكي يتبين لنا الحق في المقام لا بدّ من الوقوف عند منهج تفسير القرآن بالقرآن ثمّ التعرض الى نقده وفق ما يسمح به هذا البحث.

### تفسير القرآن بالقرآن

بعد ان وقفنا عند الوجوه الكبرى الخمسة المحتملة في كل عملية تفسيرية يتعيّن علينا التعريف بمنهج تفسير القرآن بالقرآن الذي قد يتوهم البعض انه عنوان يُرادف النظرية الأولى، أعني: محورية القرآن، أو ما متداول من كون القرآن يُفسّر بعضه بعضاً؛ والحقّ إنه قد يبدو كذلك للوهلة الأولى، ولعله كذلك حتى بالنظرة الفاحصة، ولكننا لسنا بصدد النفي أو الإثبات، وإنما بصدد إثبات ما

يتبنّاه العلامة الطباطبائي **تتفق**، وهل أنّ ما أعلن عنه في اكثر من مناسبة من كون القرآن يُفسّر بعضه بعضاً هو انعكاس للنظرية الأولى أو أنّ الامر اعمّ من ذلك؟ لنقف اولاً عند هذا المنهج ليتّضح لنا الامر، فمما يُذكر أنّ منهج تفسير القرآن بالقرآن هو أقدم وأفضل المناهج التفسيرية المعلومة، فلا نكاد نجد مفسراً قد تنصّل عنه حتى الذين اعتمدوا منهجاً خاصاً بعينه كالتفسير بالمأثور وما شابه ذلك<sup>(١٠)</sup> ويُراد به هو ان تكون النصوص القرآنية مفسّرة بعضها لبعض، فيكون النصّ القرآني المراد كشف معانيه مُنكشفاً ومُفسّراً بصيغة اسم المفعول- بنصّ قرآني آخر، ولا ريب بانّ أسلوب التفسير

(١٠) فهم لم يتقاطعا مع نفس المنهج البتة، وانما يتقاطعون مع اطلاق الممارس للعملية التفسيرية، فهم يحصرون الدور التفسيري بالمعصوم **عليه السلام**، وقد عرفت ذلك، ولعل هذه النكتة الدقيقة هي المبرر التي تقف وراء ندرة وجود تعليقات من أولئك المفسرين في ذيل الروايات التفسيرية المساقاة في مواردّها، انها بقدر ما تُضعف دورهم كمفسّرين تُعزز امامنا امانتهم العلمية.



الموضوعي<sup>(١١)</sup> للقرآن يعتمد منهج تفسير القرآن بشكل اساس، بل لا يمكنه تقديم

(١١) عادة ما يُذكر في العملية التفسيرية أسلوبان، هما التجزيئي الترتيبي والموضوعي التوحيدي، ووظيفة التفسير التجزيئي تكمن في إبراز المداليل التفصيلية للآيات القرآنية دون ان تُحدد الموقف القرآني العام الذي يُقدّم لنا نظرية قرآنية؛ بخلاف التفسير الموضوعي الذي يُحدد الموقف القرآني تجاه موضوع من موضوعات الحياة المعروضة على القرآن. «انظر: المدرسة القرآنية، للسيد الشهيد الصدر: ص ٣٤-٣٥، نشر مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ، ايران) وقد سُمِّي الموضوعي بذلك لأنّ المُفسّر في ضوئه يجمع الآيات ذات الصلة، فيؤخذها ضمن موضوع البحث، ثم يُحاول ان بين الاشكالية الحياتية (التناج البشري) والعرض القرآني الموحد (التناج السماوي)، ليخرج بنظرية قرآنية؛ ولا ريب بأنّ التفسير الموضوعي قد احدث طفرة معرفية نوعية في التفسير رغم انه لا غنى له عن التفسير التجزيئي.

وبذلك يتضح ان الاساليب التفسيرية هي غير المناهج التفسيرية آفة الذكر، ولكنها لا تنفك عنها، فالمنهج التفسيري أيّا كانت هويته لا بدّ له من إطار وأسلوب معين، فيُصار الى احد الاسلوبين المشهورين (التجزيئي والموضوعي)، او لأسلوب آخر كالترابطي المزجي والمقطعي، وغير ذلك.

أيّ نتائج مفصلة دون التزوّد بهذا بمنهج تفسير القرآن بالقرآن؛ وقيل بأنّ اول من عمل بهذا المنهج الصحيح هو رسول الله ﷺ واهل بيته ﷺ وبعض الصحابة والتابعين.

ولعلّ من النماذج التطبيقية للتفسير الموضوعي هو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [سورة الانعام: ٨٢]، فتأذى واستشكل بعض الصحابة من ذلك وقالوا: أينا لم يظلم؟، فبيّن لهم النبي ﷺ أنّ المراد بالظلم الشرك، واستدل بقوله سبحانه في آية أخرى، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان: ١٣]، بهذا المثال التقريبي يتضح لنا وجه من وجوه التفسير الموضوعي.

إن التفرّد في اعتماد القرآن في تفسيره قد يبدو وكأنه مُفضٍ الى الغاء دور المناهج التفسيرية الأخرى لاسيما الروائي، ولكن هذا الاحتمال لا يصحّ فيما يتبناه السيد العلامة في رؤيته التفسيرية، فمما يبدو



لم يُصادر دور السنة الشريفة في العملية التفسيرية أو إضاءتنا التفسيرية وفق ما يتبناه **تتُّل** ، فيكون التصريح بمنهج تفسير القرآن بالقرآن والاكتفاء به مُنحصراً في المجال التأسيسي للعملية التفسيرية، وهذا هو ما عيناه بمحورية القرآن ومدارية السنة، فالسنة لا تقوم بدور تأسيسي وإنما ينحصر دورها بالاضاءات البيانية، أي إنها تُمارس دوراً توضيحياً لما أجمله القرآن، والمجمل هنا ليس ما يقع في قبال المبين وإنما ما يقع في قبال التفصيل، وسنأتي على كلماته في هذا الشأن.

### المحور الثالث

#### نقد المنهج التفسيري للسيد العلامة

إنَّ منهج تفسير القرآن بالقرآن هو منهج صحيح كما تقدم، ولا كلام في صحته وأصل العمل به، وإنما الكلام كل الكلام في حصر العملية التفسيرية به، أي أن يُتخذ هذا المنهج بنحو القضية الموجبة الكلية أو الإطلاق الطارد لكل ما عداه؛ وهنا عادة ما تُساق بعض الأدلة العقلية والنقلية لإثبات هذا المدعى، بل إن بعض كلمات السيد العلامة تُوحي وكأنَّ الامر

منه هو الرجوع الى المصادر الأخرى، ولكنه رجوع طوي- أو ما شبه بالطولية- بنحو يُقارب الدور الثانوي في العملية التفسيرية، لا سيَّما الروائي منها، فالرواية عنده تؤدي دوراً توكيدياً لما أسسه الفهم القرآني للقرآن، وربما تعمق الفهم القرآني أيضاً، فالرواية قد تجلو الموقف عن مراتب معرفية تعجز عنها المناهج التفسيرية الأخرى؛ وهذا الدور التوكيدي و التعميمي لا يُخرج الرواية عن مداريتها، ممَّا يجعلنا نلتزم بأنَّ النظرية التي اعتمدها السيد العلامة **تتُّل** هي: محورية القرآن ومدارية السنة الشريفة، التي وجد فيها ما تُحفظ به كرامة القرآن من التبعية، وجدوائية السنة فلا تُهجر، وبذلك تنتظم عنده العملية التفسيرية.

وما نُريد ان نخلص اليه هو عدم وجود ملازمة بين الالتزام بين منهج تفسير القرآن بالقرآن وبين نظرية محورية القرآن، وما نراه وبظرة فاحصة هو أنَّ السيد العلامة، وإن أكثر التلويح و التصريح بمنهج تفسير القرآن بالقرآن، إلا أنه لم ينصوِّ تحت لواء النظرية الأولى، لانه



مفروغ منه، وأن القول بهذا المنج أكبر من ان يُستدل عليه، هذا ما يُمكن أن نتصيده من كلماته **تُتلى** كما سترى.

فمن الأدلة التي تُساق في المقام هي أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، وأنه يُصدّق بعضه بعضاً، ويشهد بعضه على بعض، فعن رسول الله ﷺ قوله: «إن القرآن ليصدّق بعضه بعضاً، فلا تكذبوا بعضه ببعض» (١٢)، وعن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) انه قال: (إن الكتاب-القرآن الكريم- يُصدق بعضه بعضاً) (١٣)، وأن القرآن لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (١٤) وأنه لا يوجد اختلاف بين مضامينه ابداً (١٥)،

(١٢) انظر: كنز العمال في سنن الاقوال والافعال للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥هـ): ج ١ ص ٦١٩ ح ٢٨٦١، نشر مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩ هـ.

(١٣) نهج البلاغة، للامام علي بن ابي طالب: ج ١ ص ٢٨٨، خطبة رقم ١٨. تحقيق وتعليق الشيخ محمد عبده نشر دار المعرفة، بيروت.

(١٤) قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت: ٤٢].

(١٥) قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ٨٢].

وانه نور وهدى وتبيان لكل شيء، ولذلك كله لا يمكن ان يُتصوّر في حقه ان يكون مفتقراً الى الغير في بيانه وتفسيره، وكيف يُتصوّر ذلك في حقه وهو مشتمل على الدلالات البيّنة والعلامات الشاحصة على معانيه والكشف عن أمهات المعارف الالهية؟!.

ولاجل ذلك كله يتعيّن الأخذ بمنهج تفسير القرآن بالقرآن، وانه لا ينبغي الاغفال عنه، وأنه لا يقع في عرضه منهج آخر؛ يقول العلامة الطباطبائي: (... فالحق أنّ الطريق الى فهم القرآن الكريم غير مسدود، وأنّ البيان الالهي والذكر الحكيم بنفسه هو الطريق الهادي الى نفسه، أي: أنه لا يحتاج في تبين مقاصده إلى طريق، فكيف يُتصوّر أن يكون الكتاب الذي عرفه الله تعالى بأنه هدى وأنه نور وأنه تبيان لكل شيء مفتقراً الى هادٍ غيره، ومستنيراً بنور غيره، ومبيناً بأمر غيره؟) (١٦).

(١٦) الميزان في تفسير القرآن، للسيد العلامة محمد حسين الطباطبائي: ج ٣ ص ٨٦، نشر مؤسسة إسماعيليان، قم.



ولكن الالتزام بهذا المنهج دون غيره من المناهج الأخرى دعوى يصعب الالتزام بها، وإن ما ذكر في اثباتها من أدلة مختلفة لا تُوجب القطع أو الاطمئنان بذلك، فهي أدلة تمثل فهماً وقراءة لبعض النصوص القرآنية المصحوبة ببعض المقدمات العقلية التي حصل فيها -بحس فهمنا- بعض الخلط بين مسألة الهداية ومسألة التفسير، فضلاً عن امكان سوق جملة من الاعتراضات والاشكالات والنقوض -كما سيأتي- حول هذا المنهج اذا ما أخذ بمعزل عن المناهج الأخرى وألترم به، لاسيما وأن من لوازم هذا المنهج تفيد بأن النبي الاكرم ﷺ وأهل بيته (عليه السلام) -فضلاً عن العلماء والمتعلمين- ليسوا بمفسرين للقرآن الكريم؛ وإنما هم مجرد معلمين للقرآن، لأن القرآن الكريم لا يحتاج الى مفسر، فهو يُفسر بعضه بعضاً، وفقاً لما يراه أصحاب هذا المنهج.

إن دعوى كون القرآن يُفسر بعضه بعضاً لا يُوجد عليها أي دليل نقلي البتة، فما تقدّم من أقوالهم (عليه السلام) إنما تفيد رفع توهم وقوع التناقض والتكاذب بين آيات القرآن،

وأين هذا من كونه يُفسر بعضه بعضاً؟! إن هذه الكلمة المأثورة، وهي: (إنّ القرآن يُفسر بعضه بعضاً) مجرد كلمة علمائية ظنها البعض كلمة معصومة، ولكنها بحسب التحقيق ليست كذلك، اخذت صدى ورواجاً كبيراً، ولكنه سيبقى -بحسب التحقيق- مجرد صدى فارغ، ﴿لَا يُسِينُ وَلَا يَغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ [سورة الغاشية: ٧]، غير مأمورين بالاخذ به، حيث لا توجد رواية واحدة -تنتهي للمعصوم- تصرّح بأن القرآن يُفسر بعضه بعضاً، بل ولا تُوجد رواية واحدة مُشيرة الى ذلك، وإما قوله (عليه السلام): (... وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض) (١٧) فهو واضح في دفع وقوع التناقض والاختلاف والتناقض في القرآن، فكل ما فيه يحكي وحدة القائل وحكمته؛ وأما دعوى أنّ القرآن لا يأتيه الباطل، وأنه لا يوجد اختلاف فيه وأنه نور وهدى وتبيان لكل شيء، وأنه غني وغير مفتقر للغير في بيانه وتفسيره، فهذا صحيح جملة وتفصيلاً، إلا

(١٧) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٧ خطبة: «١٣٣».



أوجد شبهة انطلت على القائلين بحصر التفسير بمنهج تفسير القرآن به.

ومفاد الشبهة هو انهم ظنوا انه بدون القول باستغناء القرآن عن المُفسّر سوف يفقد القرآن خاصية كونه كتاب هدى، لأنه بمعية ذلك المُفسّر سوف يحتاج الى مُهدٍ، وانه سوف يبطل كونه مُعجزاً، لعدم فهم الذين تحدّاهم القرآن ما تحدّاهم به، ولست ادري كيف بمثل الطباطبائي المتمرس ان يمرّ عليه ذلك، بل ويستحکم ايضاً، فلا تكاد تُفارقه الشبهة، حتى عَجّ تفسيره بذكرها أو التئويه بها؛ والحال هو أنّ الهداية والإعجاز غريبان أجنيان عن المقام، فما ربط ذلك بضرورة كون القرآن يُفسر بعضه بعضاً؟.

ان غاية ما يدلّ عليه هو أن القرآن واضح بيّن بنفسه لمن اراد هدايتهم أو لمن تحدّاهم، فأولئك الذين أراد القرآن هدايتهم أو تحدّاهم لم يشغلوا أنفسهم بمراجعة النصوص القرآنية لكي يُوضّح بعضها البعض، وإنما تلقّوا النصوص وفهموها كما أُلقيت عليهم، فمنهم من آمن ومنهم من كفر.

وهذا لا يعني أنّ القرآن لا يحتاج الى تفسير، فما تُريد ان نخلص اليه هو أنّ القرآن الكريم فيه مستويات معرفية كثيرة، منها المستوى البدائي الأولي الذي يفهمه الجميع بلا استثناء؛ ومن الطافه تعالى هو أنه جلّت قدرته قد جعل هذا المستوى الاول كافياً وكفيلاً بتحقيق الهداية لمن طلبها، فهو لم يُوقف الهداية على دراسة المنطق او بداية الحكمة ونهايتها (١٨)، وانما علّقها بلطفه وعنايته باول مستويات القرآن المعرفية، وحسبك بأنّ هذا من اعظم موارد الاعجاز القرآني وحقّانيته وكونه من الله جلّت قدرته.

وعلى اية حال، فإنه ينبغي مناقشة

(١٨) يُذكر أن السيد العلامة الطباطبائي قد أوقف فهم تفسير الميزان على مجموعة مقدمات منها ان يكون القارئ له قد انتهى دراسة البداية والنهاية في الفلسفة، مع ان التفسير بحسب الفرض هدفه تبيين ما هو غامض ومبهم، فإذا كان المُفسّر يحتاج الى دراسة البداية والنهاية في الفلسفة فكيف بالمُفسّر، وبعد كل هذا يُقال بان القرآن لا يحتاج الى مُفسّر، لانه يُفسر بعضه بعضاً، فإذا كان الامر كذلك -وهو ليس كذلك- فليَم الميزان، ولم كل هذه التفاسير التي تملأ الخافقين؟!.



منهج تفسير القرآن بالقرآن بأمور هي اعمق مما تقدم، ومن هنا اود ان اسوق بعض الادلة النقلية والعقلية التي ستسقط هذا المنهج عن الاعتبار، فيما إذا أخذ على نحو الموجبة الكلية الطاردة لكل منهج تفسيري آخر، فما نرمي إليه من خلال هذه المناقشات هو إسقاط دعوى الكلية لا أصل المنهج.

الدليل الاول: قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا

إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾

[سورة النحل: ٤٤]، وهو خطاب موجه للرسول الاكرم ﷺ يُحدّد له فيه وظيفته الالهية فيما يتعلّق بالقرآن الكريم، ومعنى كونه مبيناً هو أنّه ﷺ مُفسّر للقرآن الكريم، فالتفسير في اللغة هو بمعنى: الايضاح والتبيين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ

بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾

[سورة الفرقان: ٣٣]، أي بياناً وتفصيلاً، وهو مأخوذ من الفسر بمعنى الابانة

والكشف<sup>(١٩)</sup>، ولذا يقال: أسفرت المرأة

(١٩) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير

الثعالبي) لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد

الثعالبي المالكي: ج ١ ص ٤٠، نشر دار إحياء

التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

عنه وجهها إذا كشفته؛ فإذا كان القرآن مُبَيَّنًا ومُفَسَّرًا لكان ينبغي أن يقول له: لتبلغ للناس، اللهم الا اذا كان التبيين بمعنى التبليغ، وهذا ما لا سبيل اليه، فنحن ابناء اللغة العربية لا يتبادر الى أذهاننا غير معنى التفسير المرادف للتبيين والتوضيح والكشف ومحاوله إزالة الخفاء عن دلالة الكلام؛ ولا ينقضي العجب من وصف البعض للسيد العلامة الطباطبائي رحمته بالمفسر العظيم

والكبير<sup>(٢٠)</sup> ثمّ يردف قوله بأنّ القرآن يُفسَّر بعضه بعضاً، فهو يُنكر على رسول الله ﷺ وعلى اهل بيته عليهم السلام أن يكونوا مُفسِّرين للقرآن، وان القرآن غني عنهم عليهم السلام، لكنه يغفل عن ان وصفه للطباطبائي بذلك مفاده حاجة القرآن له !.

هذا، وللشيخ المحقّق معرفة (رحمه

الله) كلمة تختصر لنا الطريق لبيان وظيفة

الرسول ﷺ حيث يقول: (... قد نزل

(٢٠) وهو ما نعتقده ايضاً، بل ما نعتقده فيه

أعظم من ذلك، حيث لم تقع عيني على

تفسير أعظم من الميزان، ولا على مفسّر

أعظم من السيد العلامة الطباطبائي



القرآن بلغتهم وعلى اساليب كلامهم المعروف، ولئن كاد قد يُوقف بهم إجمال لفظ أو إبهام معنى، فإنّ الوقفة لم تكن تطول بهم، والنبى ﷺ بين اظهرهم وفي متناولهم القريب، فكان اذ اذاك يُزجح علّتهم ويكشف النقاب عن وجه الاشكال، اذ كان عليه البيان كما كان عليه البلاغ، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (٢١)، ويقول (رحمه الله) في مورد آخر: (نعم، انزل الله الكتاب ليكون بذاته بياناً للناس عامة وتفصيلاً لكل شيء، غير ان بواعث الابهام امر عارض، ولعله كان من طبيعة البيان القرآني، جاء تشريعاً للأصول والمباني، وأجمل في البيان ايكالاً الى تبين النبي ﷺ ليبيّن للناس تفاصيل ما أنزل اليهم... وجانب آخر اهمّ: احتواء القرآن على معانٍ دقيقة ومفاهيم رقيقة، تُنبؤك عن كمون الخليقة وأسرار الوجود، هي تعاليم راقية جاء بها القرآن، وكانت فوق

(٢١) التفسير الاثري الجامع، للشيخ محمد هادي معرفة: ج ١ ص ٢٥، تحقيق ونشر مؤسسة التمهيدي، الطبعة الاولى، ١٤٢٥ هـ، قم المقدسة.

مستوى البشرية آنذاك؛ ليقوم النبي ﷺ بتبيينها وشرح تفاصيلها... (٢٢)، واخيراً فهو (رحمه الله) يُصرح بمُفسّرية الرسول للقرآن الكريم ومرجعته الأولى، حيث يقول: (كان الرسول ﷺ هو المرجع الاول لفهم غوامض الآيات وحلّ مشاكلها، مدّة حياته... (٢٣)، ومن قبله صرح الكاشاني بذلك، بقوله: (... وهاذا الى كتابه ومفسراً ومؤولاً، فهو أول مفسّر للقرآن الكريم، يتلو عليهم آياته، ويُعلّمهم الكتاب والحكم، يبين محكمه، ويفسر غوامضه، ويؤول متشابهه) (٢٤).

الدليل الثاني: حديث الثقلين المروي عن النبي ﷺ في كتب الفريقين معاً، فقد ورد عنه ﷺ إنه قال: (أما بعد، الا أيها الناس فانما أنا بشر يوشك ان يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب

(٢٢) التفسير والمفسرون، للشيخ محمد هادي معرفة: ج ١ ص ١٨-١٩، نشر الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية، مشهد، الطبعة الثانية، ١٤٢٥ هـ.

(٢٣) المصدر السابق: ج ١ ص ١٥٨.

(٢٤) التفسير الصافي، للفيض الكاشاني: ج ١ ص ٣.



الله واستمسكوا به- فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال- وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي) (٢٥).

ووجه الاستدلال هو أن الأمة لم تتفق على تفسير القرآن فضلاً عن تأويله، وهذا واضح بيّن لكل ذي عينين، فلزم الرجوع الى وصية الرسول ﷺ في كل ماختلف فيه، بل لا بدّ من الرجوع لوصيته في كل شيء، وقد أوصى الرسول ﷺ بالرجوع الى الثقلين معاً، دفعاً للوقوع في الضلالة، فمن تمسك باحدهما دون الآخر فقد عرض نفسه للوقوع في الضلالة، فالحق لا يؤخذ الا منهما معاً، وقد قال سبحانه: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالَةُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [سورة يونس: ٣٢]، وبذلك نخلص الى ان الالتزام بتلك الكلية-الدالة على ان القرآن لا يُفسر الا بالقرآن- هو مصداق من مصاديق الضلال.

وليس لمن التزم بمفاد حديث الثقلين التنصّل عن الأخذ بأقوالهم وتفسيرهم ﷺ،

(٢٥) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٢، نشر دار الفكر، بيروت.

والالحق به الضلال، ولك من راجع ودقق في كلمات الطباطبائي سوف يخرج بنتيجة مفادها هو عدم التزامه بالمرجعية الواحدة للتفسير، فهو ليس من القائلين بالنظرية الأولى كما أسلفناه، ولذلك نجده يُعلّق على حديث الثقلين بقوله: (والحديث دال على حجية قول اهل البيت ﷺ في القرآن ووجوب إتباع ما ورد عنهم في تفسيره والاقتنار على ذلك والا لزم التفرقة بينهم وبينه) (٢٦)؛ فنحن مُلزمون بالاخذ بتفسيرهم عملاً بالحديث، ومن هنا قلنا بأنهم هو المُفسِّرون الاوائل، بل هم سادة المُفسِّرين واقطابهم، من أخذ عنهم اهتدى، ومن تجاوزهم ضلّ.

الدليل الثالث: من خطبة لأмир المؤمنين علي عليه السلام قال فيها: (ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن أخبركم عنه) (٢٧)، ولا ريب بأن تفسير القرآن بالقرآن هو نوع من الاستنطاق للقرآن والسؤال هو: هل هذا الاستنطاق مجيد (٢٦) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٣ ص ٨٦.

(٢٧) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٢ ص ٥٣، خطبة: ١٥٨.



بدون العترة الطاهرة؟.

هنا يُجيب أمير المؤمنين عليه السلام: (ولن ينطق، ولكن أخبركم عنه)، ولا يخفى أن كلمة: «لن» تُفيد التأييد، ثم يُعرّف عليه السلام بالناطق الحقيقي الذي لا بديل له، بقوله: (ولكن أخبركم عنه)، فلمَ لم يقل عليه السلام لهم: بأن القرآن يُفسر بعضه بعضاً؟! وأي عجب أكبر من ردّ كلمة الامام عليه السلام بدعوى أنّ القرآن غني عن ذلك، وانه يُفسر بعضه بعضاً، فهو عليه السلام يُنادي فينا بأنه يُخبرنا عنه ونحن نشيح بوجهنا عنه، وكاننا نقول له: لا حاجة لنا بإخبارك يا ابن عم الرسول فالقرآن قد أغنانا عنك!!! (٢٨)؛ ومن كلام له عليه السلام: (وهذا القرآن إنما هو خط مستور بين الدفتين لا ينطق بلسان، ولا بدّ له من

(٢٨) يروى ان ابن عباس كان يُحدث المسلمين في قضية شرعية يرويها عن النبي صلى الله عليه وآله، في جواز المتعة، فقال له عروة بن الزبير: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة، فقال ابن عباس: ما يقول عروة! قال: يقول نهى ابو بكر وعمر عن المتعة، فقال ابن عباس: اراهم سيهلكون، أقول قال النبي صلى الله عليه وآله ويقول نهى أبو بكر وعمر!. «انظر: مسند أحمد، للأمام احمد بن حنبل: ج ١ ص ٣٣٧، نشر دار صادر، بيروت». والكلام هو الكلام.

ترجمان) (٢٩)، والكلام هو الكلام؛ ولو شئنا استقراء كلماتهم عليهم السلام في هذا المضمار لملاًنا بها السطور، ولكننا وجدنا الكفاية فيما ذكرنا لكل ذي عينين.

الدليل الرابع: إنّ القرآن الكريم يتوقف فهمه بصورة صحيحة على مقدمات علمية واجتهادية كثيرة، منها ما يتعلّق بعلوم اللغة، ومنها ما يتعلّق بالمقدمات العقلية، ومنها ما يتعلّق بالعلوم الشرعية، بل إنّ مجموع ما يُدرس في علوم القرآن لا بدّ من التوفّر عليه لفهم القرآن وتفسيره، ومن ذلك علم الناسخ والمنسوخ، وعلم المحكم والمتشابه، وعلم المكّي والمدني، وعلم أسباب النزول، وعلم الظاهر والباطن، و... الخ؛ فكيف يتسنّى لنا أخذ هذه الأمور من القرآن بُغية تفسيره بالقرآن نفسه، أو ليس الرجوع للغة هو رجوع لغير القرآن؟، أو ليس الرجوع لفهم النص اعتماداً على اسباب نزوله هو رجوع القرآن؟، أو ليس تحديد الناسخ من المنسوخ هو من قبل غير القرآن؟.

(٢٩) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٢ ص ٥ ح ١٢٥.



الوارد عن الامام الصادق عليه السلام عندما سمع بأن قتادة كان يُفسّر القرآن (٣٠)؟، ولم لم يحتج قتادة مدافعاً عن نفسه بان القرآن يُفسّر بعضه بعضاً؟، ولو كان الامر كما يقولون ما هو وجه الحاجة للمفسرين؟، أو ليس القرآن يُفسّر بعضه بعضاً؟، ولم كل تلك الضوابط والشرائط التي يجب توفرها في المفسر؟. وعلى اية حال، فإن الردّ على هذه الدعوى ومناقشة أدلتها يحتاج منا الى إفراد مساحة ليست قليلة يقصر المقام بها، بل يحتاج الامر الى افراد رسالة منفصلة لبيان ما عليه الموقف والحال في حقيقة اصل المناهج وما ينبغي الالتزام به وكيفية تحديد المنهج التفسيري، وفي أيّ مرحلة من مراحل العملية التفسيرية يتمّ تصويب المنهج، وما هي الاطراف المصوّبة له، هذا ما نأمل الوقوف عنده في بحث لاحق ان شاء الله تعالى.

موقع الرواية في منهج العلامة

(٣٠) روى الكليني في الكافي: ج ٨ ص ٣١١، ح ٤٨٥، المقابلة التي وقعت بين الامام الصادق عليه السلام وبين قتادة الذي كان من فقهاء ومُفسري العراق، فنهاء الامام عن ذلك بعدما احتجّ عليه وأبطل طريقته.

الدليل الخامس: لو سلّمنا بأنّ القرآن يُفسّر بعضه بعضاً للزم عدم إمكان تفسير آية واحدة منه، فنزول الآيات الأولى منه إما أن لا تكون بها حاجة الى تفسير، وإما أن تكون بها حاجة لذلك، فإن تكن بها حاجة بطلت مقولتهم بأنّ القرآن يُفسّر بعضه بعضاً لان جاء مُفسراً، ولا تحتاج أيّ آية منه الى آية أُخرى، ولازَم ذلك الغاء وابطال كل المصنّفات التفسيرية، فهي مُجرّد لغو وعبث وتحصيل للحاصل؛ وان قلنا ان بها حاجة للتفسير، وان المُفسر لها هو القرآن نفسه للزم العبث من نزولها وتبليغها، لانها نزلت بدون المُفسّر لها الذي يُفترض مجيؤه بعد ذلك، ثم إنّ الآيات المفسّرة هي الأخرى تحتاج الى تفسير للنكتة نفسها ومن الواضح ان التبليغ بالقرآن لم يبدأ بعد اكتمال تنزيله، وانما كان عليه السلام يُبلِّغ الناس بكل ما يُنزل عليه أنّاً فأن، وقد استمرّ ذلك لأكثر من عقدين.

الدليل السادس: لو كان الصحابة يُدركون أن القرآن يُفسّر بعضه بعضاً فلم نجد مراجعتهم في كل صغيرة وكبيرة فيما يتعلّق بفهم القرآن؟، ولم النهي الشديد



### الطبائبي

وهنا نودُّ التأكيد على أن منهج السيد العلامة الطبائبي بعيد عن النظرية الأولى، وإنه كان مُلتزماً بالنظرية الرابعة، وهي محورية القرآن ومدارية السنة، وذلك من خلال إبرازه لدور السنة في البيانات القرآنية؛ إنه **تتلى** يُحدد دور المآثور عن النبي **ﷺ** وعترته الطاهرة **ﷺ** بدور الاضاءة، وهو نفس الدور الذي ينهض به العقل، حيث يُضيء الطريق أمامنا في فهم القرآن، يقول **تتلى** : (... فللقُرآن الدلالة على معانيه والكشف عن المعارف الإلهية، ولأهل البيت الدلالة على الطريق وهداية الناس الى أغراضه ومقاصده) (٣١).

ويقول في مورد آخر: (إنَّ المتعين في التفسير الاستمداد بالقرآن على فهمه، وتفسير الآية بالآية، وذلك بالتدرب بالآثار المنقولة عن النبي وأهل بيته **ﷺ** وتمهئة ذوق مكتسب منها، ثمَّ السورود) (٣٢)، فهو **تتلى** رغم تصريحه بأن الآية تُفسَّر بآية أُخرى إلا

(٣١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٣ ص ٨٦.

(٣٢) المصدر السابق: ج ٣ ص ٨٧.

أنه يُسلم بان ذلك لا ينال الا من خلال اهل البيت **ﷺ** والتدرب على أيديهم، وكأنه أراد القول بأنَّ القرآن يُفسَّر بعضه بعضاً بواسطة أهل البيت **ﷺ**، وهذا هو معنى مدارية السنة فيما يتبناه السيد العلامة **تتلى** ؛ وهذا الدور رغم بؤسه ومحدوديته الا أنه كافٍ في نسبة العلامة الطبائبي للنظرية الرابعة وإخلاء ساحته التفسيرية من النظرية الأولى وما يُلازمها من مقولة تنطق بالكفر وهي قول البعض: حسبنا كتاب الله.

مقدار الاستفاد من منهج العلامة:

اتضح لنا ان المنهج التفسيري للسيد العلامة لا يُمكن القبول به فيما إذا أخذ بنحو الموجبة الكلية الطاردة لكل منهج آخر، فهو قول شعائري- إذا صحَّ التعبير- يفتقد الدليل عليه، وقد عرفت بأنَّ مجموعة الخطابات التي انطلق منها السيد العلامة **تتلى** في التفرد بمنهجه في العملية التفسيرية لا تعدو مجالها الخطابي، حيث تملأ المتلقِّي لها بالحماسة والانفعال، ولكنها سرعان ما تذوي امام صحرة الحق التي حملها ائمة الحق- الرسول الاكرم وعترته الطاهرة **ﷺ** على أكتافهم الشريفة،



من دون الاكتفاء به، فنأخذ به بقدر ما يخدم العملية التفسيرية، كما هو الحال بالنسبة للمناهج الصحيحة الأخرى؛ وعليه فعلى المفسر ان يكون ذا دراية وفهم بهذا المنهج لانه سوف يحتاج اليه في إبراز المعطى القرآني.

فهم الحق المبين، ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾  
فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٤﴾.

ولكن يبقى السؤال عن مقدار الحاجة والاستفادة من هذا المنهج الصحيح في أصله، والحق هو أن هذا المنهج تبقى له الصدارة والاولية، ولكن

### التائج العملية والعملية للبحث

المسماة بنظرية محورية القرآن ومدارية السنة، وأن النظرية التي تلتزمها هي النظرية الخامسة، التي تُطلق عليها: نظرية محورية القرينة المعتمد عليها، وأما بخصوص النظريات الأربع فما نستقره منها هو النظرية الثالثة، وهي محورية القرآن والسنة معاً، وما نستبعده منها هو خصوص النظرية الأولى، وهي محورية القرآن.

٤. إن منهج تفسير القرآن بالقرآن لا يُمكن الالتزام به البتة فيما إذا أخذت بنحو الموجبة الكلية، وإما بنحو الموجبة الجزئية فله الصدارة في الاعتماد.

٥. إن ما يُمكن الالتزام به فيما اعتمده السيد العلامة يُؤخذ على نحو الموجبة الجزئية لا غير.

يُمكن حصر النتائج العلمية والعملية بما يلي:

١. إن العملية التفسيرية لا بد ان تقوم على منهج أو عدة مناهج، فلا يصحّ خوض العملية التفسيرية بدون ذلك، وإلا فالعملية سوف لن تخرج عن كونها اتجاهًا فاقداً للشرعية والعملية معاً.

٢. هنالك فريق بين المنهج التفسيري والأسلوب التفسيري، وأن أسلوب التفسير الموضوعي عادة ما يقترن بمنهج تفسير القرآن بالقرآن، والعكس صحيح أيضاً.

٣. إن هنالك نظريات كبروية خمس، منها ما نميل الى نسبة السيد العلامة الطباطبائي اليها، وهي النظرية الرابعة،



### المصادر والمراجع

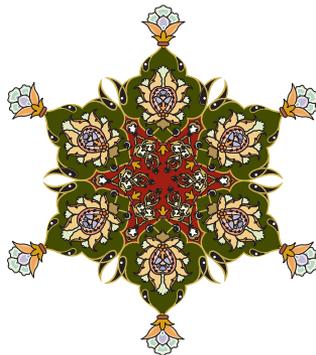
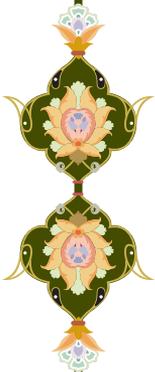
١. القرآن الكريم.
٢. الفروع من الكافي، للشيخ المحدث الثقة الكليني الرازي، نشر دار الكتب الاسلامية الطبعة السادسة.
٣. مكاتيب الرسول ﷺ، علي الاحمدي الميانجي، نشر دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ، إيران.
٤. الشمس الساطعة، للسيد محمد الحسين الحسيني الطهراني، نشر دار الأولياء، الطبعة الثانية.
٥. دروس في علم الأصول، الحلقة الثانية والثالثة، للسيد الشهيد محمد باقر الصدر، بحث حجية القطع، نشر جامعة المدرسين، قم.
٦. المدرسة القرآنية، للسيد الشهيد محمد باقر الصدر، نشر مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر.
٧. كنز العمال في سنن الاقوال والافعال للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت: ٩٧٥)، نشر مؤسسة الرسالة.
٨. شرح نهج البلاغة، تحقيق الشيخ محمد عبده، نشر دار المعرفة، بيروت.
٩. الميزان في تفسير القرآن، للسيد محمد حسين الطباطبائي، نشر مؤسسة إسماعيليان، قم.
١٠. التفسير والمفسرون، للشيخ الأستاذ المحقق محمد هادي معرفة، نشر الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية، مشهد، الطبعة الثانية، ١٤٢٥ هـ.
١١. مسند أحمد، للإمام احمد بن حنبل، نشر دار صادر، بيروت.
١٢. التفسير الصافي، للمولى محسن الفيض الكاشاني، تحقيق الشيخ حسين الاعلمي، نشر مكتبة الصدر، الطبعة الثانية، ١٤١٦ هـ، إيران.
١٣. صحيح مسلم، للمحدث مسلم بن الحجاج النيسابوري، نشر دار الفكر، بيروت.
١٤. الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي) لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي المالكي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
١٥. التفسير الاثري الجامع، للشيخ محمد هادي معرفة، تحقيق ونشر مؤسسة التمهيد، الطبعة الاولى، ١٤٢٥ هـ، قم المقدسة.



## مخلص البحث

يقرر السيد الباحث، ان الانحراف بالتفسير انما جاء نتيجة اعتماد المفسر اللغة المجردة بغض النظر عن المتلازمات اللغوية والعرفية والسياقية في القرآن الكريم. ويرى ان هذا ناتج عن ان المفسر يخرج في بعض الاحيان عن جادة الصواب ليفسر كتاب الله بما يمليه فكره أو مذهبه الفكري أو الفقهي أو السياسي.

ويقرر السيد الباحث، داعماً كلامه بالامثلة، انه كثيراً ما نجد اقوال المفسرين، جاءت انتصاراً لمذاهبهم تلك أو لمدارسهم اللغوية التي غالباً ما يسودها التنافر و التناشز، وبذلك ظهر اثر التوجيهات اللغوية واضحا في انحراف التفسير وابتعاده عن الصحيح المتعارف عليه في لغة القرآن الكريم.



# أثر التوجيهات اللغوية في انحراف التفسير

أ.م.د. أمجد كامل عبدالقادر

كلية الآداب / قسم اللغة العربية - جامعة البصرة

## المقدمة

التفسير، ليعرف المراد بالخطاب، وهذا مما لا يجوز الجهل به لمن أراد علم التفسير، وبيان معنى كلام الله الخبير، إذ لزاما عليه أن يعرف مدلولات الألفاظ، ويستشرح معانيها من مصادرها المعتمدة.

ومع كل ما بذله المفسرون من جهد في تفسير كتاب الله تعالى، فليس غريبا أو الوقوع في الزلة لكونها من خواص طبائع البشر، ومن الذي لا يخطئ؟ ومن الذي لا يزل؟ وإنما العيب كل العيب الإصرار على الخطأ والدعوة إليه بعد ظهور حقيقته وتبيان خطورته، والحق أحق أن يتبع، والصواب أحب أن يذكر، والباطل أحق أن يرد عليه، والخطأ أليق أن يحذر منه ويحتنب عنه.

الحمد لله الذي انزل الكتاب بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى اله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين وعلى عباد الله الصالحين، وبعد...

فإن من سنة الله سبحانه أن يرسل الرسول بلسان قومه، وينزل عليهم الكتاب بلسانهم، ليفهموا عن الله خطابه ومراده فيؤمنوا به ويصدقوه، ولو كان بغير لغتهم لاحتاجوا إلى ترجمان يبين لهم.

ولما كان الأمر كذلك، كانت لغة العرب من أهم المصادر وأوثقها في معرفة كلام الله تعالى، وكان من أهم ما فيها معرفة دلالات الكلام، والمراد من معاني الألفاظ التي يدور عليها كثير من علم

**والرابع:** اعتقاد التقديم والتأخير.  
**والخامس:** حمل النص القرآني على القليل من لغة العرب.

### أولاً

#### دلالة الألفاظ

دلالة اللفظ: هي ما ينصرف إليه هذا اللفظ في الذهن مع معنى مدرك أو محسوس، والتلازم بين الكلمة ودلالاتها أمر لا بد منه في اللغة لئتم التفاهم بين الناس<sup>(١)</sup> وإنما جعلت الألفاظ أدلة يستدل بها على مراد المتكلم<sup>(٢)</sup>.

وقد يكون للفظ في لغة العرب أكثر من استعمال، وله دلالات متعددة، كاليد مثلا؛ فإنها تطلق على اليد الجارحة وعلى النصر والإعانة، والقدرة... وغيرها، لذا نجد بعض المفسرين يحرفون اللفظ عن مراده ويخرجونه من سياقه ومعناه المطلوب في النص، ولا ينظرون إلى صحة إطلاقه في هذا المقام من عدمه، بل يصطنعون له أيما تصنع، مكتفين في ذلك بهذا الورود عن العرب.

(١) الترادف في اللغة: ١٣.

(٢) ينظر الخصائص: ٣/ ١٠٠.

وما من احد من العلماء الا وقد ردَّ ورُدَّ عليه، ونقد وانتقد عليه، واعترض واعترض عليه، ولم يعد ذلك انتقاصاً من بعضهم لبعض، بل الواجب هو التنبيه على الخطأ والتحذير منه، ممن كان، بالحجة والبرهان، مع أدب واحترام وإجلال لأهل العلم المخلصين ومهما بلغ الإنسان من العلم والفضل فهو معرض للوهم والغلط، وواقعا في السهو والزلل، وهذا مما طبع الله عليه البشر.

ومن خلال مطالعتي لبعض كتب التفسير على اختلاف مناهجها، وتباين اتجاهاتها، وتنوع أساليبها اتضح لي بعض الانحرافات عن التفسير الصحيح والمراد من النص القرآني المبارك، وهذه الانحرافات في التفسير كانت نتيجة بعض التوجيهات اللغوية غير الصحيحة واعتمادها في التفسير، وحاولت جاهداً حصر هذه التوجيهات في خمسة مباحث:

#### الأول: دلالة الألفاظ.

**والثاني:** دلالة الصيغ وعدم مراعاة تصريفها.

**والثالث:** التكلف في التقدير.



ومن أمثلة ذلك ما ذكره ابن قتيبة عن بعض المفسرين الذين فسروا القرآن بأعجب تفسير، يريدون بذلك نصرة أفكارهم أو مذاهبهم الكلامية أو الفقهية:

«وقالوا في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ

خَلِيلًا﴾ [سورة النساء: ١٢٥] أي

فقيراً<sup>(٣)</sup>، وجعلوه من الخلة - بفتح الخاء -

استيحاشاً من ان يكون الله تعالى خليلاً

لأحد من خلقه، واحتجوا بقول زهير:

وإن أتاه خليلٌ يومَ مسألةٍ

يقولُ لا غائبٌ مالي ولا حرمُ<sup>(٤)</sup>

أي: إن أتاه فقيرٌ<sup>(٥)</sup>.

وقد قال ابن قتيبة معقّباً على ذلك:

«فأية فضيلة في هذا لإبراهيم صلى الله عليه

وسلم؟ أما تعلمون أن الناس جميعاً فقراء

إلى الله تعالى، وهل إبراهيم في (خليل الله)

إلا كما قيل: موسى كلّم الله، وعيسى

روح الله؟!«<sup>(٦)</sup>.

(٣) جوز الزجاج هذا التفسير في معاني القران

واعرابه: ١١٢/٢-١١٣، وذكره المرتضى

في أماليه: ١٨٥/٢.

(٤) ديوان زهير: ١٩٢.

(٥) تأويل مختلف الحديث: ٨٣.

(٦) المصدر نفسه.

الخلة: كمال المحبة التي لا خلل فيها، وهي المرادة هنا، أما الخلة بمعنى الفقر فلا محل لها في هذه الآية التي هي تكريم من الله تعالى إلى عبده ونبيه إبراهيم<sup>(٧)</sup>.

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله تعالى:

﴿فِيهِ يُعَاقِبُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [سورة

يوسف: ٤٩]، إذ ذهب بعض المفسرين

إلى أن معنى (يعصرون) أي: وفيه

ينجون من الجذب والقحط بالغيث،

وهو من العَصْر، وهي العَصْرَة أيضاً

وهي المنجاة، ومن ذلك قول الشاعر:

صَادِيًا يَسْتَعِيثُ غَيْرَ مُعَاثٍ

ولقد كان عَصْرَةَ المنجود<sup>(٧)</sup>

قال الطبري معلقاً على هذا القول:

«وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف

من أهل التأويل ممن يفسر القرآن برأيه

على مذهب كلام العرب يوجّه معنى قوله

(وفيه يعصرون) إلى وفيه ينجون...»<sup>(٨)</sup>.

ثم ذكر الشاهد الشعري لأبي زيد

(٧) ينظر جامع البيان: ١٢/٢٣٣ والبيت لأبي

زيد الطائي ذكره الطبري في تفسير الآية،

وذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن: ١/٣١٣،

ولسان العرب (عصر): ٥٧٥/٤.

(٨) جامع البيان: ١٢/٢٣٣.



وقد رد الإمام الطبري على هذا التفسير اللغوي المحض فقال: «وقد زعم بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل البصرة- يعني أبا عبيدة- أن معنى قوله: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ بكتاب من الله، من قول العرب: أنشدني فلان كلمة كذا ويراد به قصيدة كذا، جهلاً منه بتأويل الكلمة، واجترأ على ترجمة القرآن برأيه» (١٢).

والأثر المنقول عن أهل البيت والصحابة والتابعين في تفسير الآية أن معنى مصدقاً بكلمة من الله، أي بعيسى ابن مريم، وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة وعكرمة ومجاهد والسدي وغيرهم (١٣).

ومن غرائب الانحراف في التفسير أننا نجد بعض المفسرين لا يلتجئ إلى دلالات الألفاظ غير المرادة في النص القرآني فحسب، بل إن لم يسعفه تعدد استعمالات اللفظ، عمد إلى تفسيره بمدلول لفظ يشابهه في الرسم والإملاء، وان اختلف عنه في الحركات، التي ينتج عنها اختلاف المدلول، وهذا الأمر وان كان قليلاً كما

الطائي وعقب قائلاً «وذلك تأويل يكف من الشهادة على خطئه، خلافه قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين» (٩). وقد ذهب المفسرون إلى أن في تفسير (يعصرون) قولين (١٠):

**الأول:** يعصرون العنب خمرًا والسمسم دهنًا والزيتون زيتاً وما أشبه ذلك.  
**والآخر:** يعصرون أي يجلبون، وهو قول ابن عباس وسياق الآيات يدل على هذين المعنيين دون معنى (ينجون).

ومن تفسيرهم- معتمدين دلالة اللفظ- قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: ٣٩]، إذ فرس بعض المفسرين من أهل اللغة معتمداً مجرد اللغة دون النظر إلى سياق الآية أو سبب نزولها أو مآثور التفسير عن الصحابة الكرام وأئمة أهل البيت العظام حيث قال: «بكلمة من الله أي بكتاب من الله، تقول العرب للرجل: أنشدني كلمة كذا وكذا أي قصيدة فلان وإن طالت» (١١).

(٩) المصدر نفسه.

(١٠) ينظر معالم التنزيل: ٤ / ٢٧٤.

(١١) مجاز القرآن: ٩١ / ١.

(١٢) جامع البيان: ٣ / ٢٥٣-٢٥٤.

(١٣) ينظر تفسير القرآن العظيم: ١ / ٣٦٩.



وجدته لكنه وارد في بعض الأمثلة واذكر من ذلك ما قيل في قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [سورة طه: ١٢١]، إن معنى (غوى): «أي بَشِمَ من أكل الشجرة، وذهبوا إلى قول العرب غوي الفصيل: إذا أكثر من اللبن حتى بَشِمَ»<sup>(١٤)</sup>. فانظر كيف حرفوا اللفظ وجعلوه من غَوِيٍّ، ونص القرآن (غَوَى)؟!

ومن أمثلة ذلك قوله عز وجل: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [سورة الكهف: ٩٩]، قالوا: الصور جمع صُورَةٍ، وهذا ما ذكره أبو عبيدة قائلاً: «واحدتها صورة، خرجت مخرج سورة المدينة، والجميع سور المدينة»<sup>(١٥)</sup>

وقد رد عليه أبو الهيثم اللغوي هذا التأويل، فقال: «وكان أبا عبيدة أراد أن يؤيد قوله في الصور انه: جمع صوره، فأخطأ في الصور والسُّور، وحرّف كلام العرب عن صيغته، وادخل فيه ما ليس منه، خذلاناً من الله لتكذيبه بأن الصور: قرُنٌ خلقه الله للنفخ فيه حتى يميت الخلق

(١٤) ينظر تأويل مشكل القرآن: ٤٠٢، والاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية

والمشبهه: ٣٦.

(١٥) مجاز القرآن: ٤١٦.

بالنفخة الأولى، ثم يحييهم بالنفخة الثانية، والله حسيبه...»<sup>(١٦)</sup>.

وذكر الأزهري في موضع آخر من التهذيب قولاً لأبي الهيثم معقبا على هذا التفسير الذي يزعمه أبو عبيدة، إذ قال: « وهذا خطأ وتحريف لكلم الله عن مواضعها، لأنّ الله جلّ وعزّ قال: ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾

[سورة غافر: ٦٤]، بفتح الواو، ولا نعلم أحدا من القراء قرأها: فأحسن صُوركم، وكذلك قال الله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [سورة الكهف: ٩٩]، فمن قرأها: ونفخ في الصُّور، أو قرأ: فأحسن صُوركم، فقد افترى الكذب وبدّل كتاب الله، وكان أبو عبيدة صاحب أخبار وغريب، ولم يكن له معرفة بالنحو»<sup>(١٧)</sup>.

وفي هذا المثال نراهم جعلوا الصُّور جمعا مفردة الصورة، والصحيح انه اسم مفرد للقرن الذي ينفخ فيه، لا جمعا للصورة التي جمعها متحرك الواو، فيقال: الصُّور، ثم لو صحّ أن الصور

(١٦) تهذيب اللغة: ١٣ / ٥٠.

(١٧) تهذيب اللغة: ١٢ / ٢٢٨.



وقال الجاحظ (ت ٢٥٥هـ): «إلا أني  
ازعم أن سخيْف الألفاظ مشاكل لسخيْف  
المعاني» (٢٠).

وللمحافظة على جمال معنى المفردة  
القرآنية نبه العلماء على بعض المعاني المغلوطة  
التي لا تناسب جمال المعنى من ناحية، ولا  
توافق الدلالة الصرفية لمادة المفردة من ناحية  
أخرى، وتعقبوا بذلك بعض الأقوال التي  
لا تعدو أن تكون صرفاً للآية عن ظاهرها،  
ولكن متكأها هو العدول بدلالاتها الصرفية  
عن الدلالة الصحيحة.

إن كلمات العربية تقوم على أبنية  
وصيغ معينة، فتجتمع في هذا البناء أو  
هذه الصيغة جملة من الألفاظ، يكون فيها  
معنى مشترك يدل دلالة معينة غير الدلالة  
المعجمية للفظ المفرد، فمن الألفاظ مثلاً  
ما يجيء على صيغة (تَفَاعَلَ)، وهي تدل  
على حدوث الأمر من اثنين متقابلين،  
كتصافح، وتحارب، وتمزح، وغيرها،  
فدلالة هذه الألفاظ متباينة وإن كانت قد  
اشتركت في مدلول هذه الصيغة (٢١).

جمع (صورة) وأن فتح الواو فيه سهّل إلى  
السكون، فإن ذلك مخالف لمعناه المراد في  
النصوص، ولذا لا يصح حمل هذا المعنى  
على الآيات الواردة في الصُّور، والله أعلم.

### ثانياً

#### دلالة الصيغ وعدم مراعاة تصريفها

لئن تكلم العلماء رحمهم الله عن جمال  
القران وبراعة نظمه واتساق مفرداته فإن  
جمال النظم والتركيب مسبوق بجمال المفردة  
القرآنية، ولقد لفت الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)  
النظر إلى جمال المفردة القرآنية، فقال: «وكل  
كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية، وفي  
الدلالة آية، فكيف إذا قارنتها أخواتها،  
وضامتها ذواتها، تجري في الحسن مجراها  
وتأخذ معناها» (١٨).

وجمال اللفظة يقارنه جمال ما انطوت  
عليه من معنى وعكسه بعكسه، قال  
الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): «وفي الرحمن من  
المبالغة ما ليس في الرحيم، لذلك قالوا: رحمان  
الدنيا والآخرة، ورحيم الدنيا، ويقولون إن  
الزيادة في البناء لزيادة المعنى» (١٩).



(٢٠) البيان والتبيين: ١ / ٨١.

(٢١) ينظر معاني الأبنية: ٦-٧.

(١٨) إعجاز القرآن: ٩٩.

(١٩) الكشف: ١ / ٤١.

وقد يكون أصل اللفظ واحداً، ولكن تختلف صيغته، فيختلف معناه، فمعنى قَبْرٍ فلانٌ فلاناً، أي باشر دفنه بنفسه، كما قال الأعشى (٢٢):

لَوْ أَسْنَدْتُ مَيْتًا إِلَى نَحْرِهَا

عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ

ومعنى أقبر فلانٌ فلاناً: أمر له بالقبر، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَانَهُ، فَأَقْبَرَهُ﴾ [سورة عبس: ٢١]، فاختلقت دلالة الفعل المشتق من مادة (قَبْر) التي تدل على ستر في الشيء وغموضه، وذلك بسبب اختلاف صيغته في النطق.

ومن انحراف بعض المفسرين في الصيغ الصرفية ودلالاتها ما ذكره بعضهم لصيغة (أَفْعَل)، حيث أحدثوا لها دلالة، وجعلوها تدل على معنى: سَمَّاهُ، وإنما ذلك في صيغة (فَعَّل)، وقد جاء ذلك عنهم في الإضلال الذي نسبته الله تعالى إلى نفسه

في قوله عز وجل ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ [سورة البقرة: ٢٦]، وقوله: ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ [سورة النساء: ٨٨]، وقوله: ﴿وَأَضَلَّهُ

اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [سورة الجاثية: ٢٣]، حيث قال بعض المفسرين في تفسير هذا النظم وأشباهه: سَمَّاهُمْ ضَلَالًا (٢٣).

وقد ردَّ ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) على القائلين بذلك فقال: «وذهب أهل القدر في قول الله عز وجل ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النحل: ٩٣] إلى أنه على جهة التسمية والحكم عليهم بالضلالة، ولهم بالهداية، وقال فريق منهم يضلهم: ينسبهم إلى الضلالة، ويهديهم: يبين لهم ويرشدهم، فخالفوا بين الحكمين، ونحن لا نعرف في اللغة أفعلتُ الرجل: نسبته، وإنما يقال إذا أردت هذا المعنى: فَعَلْتُ، تقول: شَجَّعت الرجل، وجَبَّنته، وسرَّقتَه، وخطَّأتَه، وكفَّرتَه، وفسَّقتَه، وفجَّرتَه، ولحَّنتَه،...» (٢٤).

ومن أمثلة انحراف التفسير في الصيغة الصرفية نفسها، ما ذكره بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً﴾ [سورة النساء: ١٢]، إذ وردت لفظة (كلالة) مرتين في

(٢٣) ينظر التفسير الكبير للرازي: ٢/ ١٣٠.

(٢٤) تأويل مشكل القرآن: ١٢٣-١٢٤.

(٢٢) الديوان: ١٧٩.



## أثر التوجيهات اللغوية في إنحراف التفسير..... البصباح

فاستعيرت للقراءة من غير جهة  
الولد، والوالد؛ لأنها بالإضافة إلى قرابتها  
كالةٌ ضعيفة» (٢٧).

والاحتمال الثاني: ان الكلالة من  
الإكليل، وهو ما يحيط بالرأس من جوانبه،  
فكأن هذا الميت لما عدم الوالد والولد  
أحاط به حواشيه واخذوا ارثه (٢٨).

أما القول الرابع: فهو شاهدنا هنا  
فيمن أحرف التفسير عن مراده، من ذلك  
ما روي عن عطاء بن أبي رباح (٢٩) انه  
قال: الكلالة (المال) (٣٠).

قال ابن عطية (ت ٥٤٦هـ):  
«الاشتقاق في معنى الكلالة يفسر تسمية  
المال به» (٣١).

وحكم بشذوذ أبو جعفر النحاس (٣٢)

(٢٧) الكشاف: ١ / ٥١٠.

(٢٨) ينظر تفسير القران العظيم: ١ / ٤٦٠.

(٢٩) هو عطاء بن أبي رباح أبو محمد المكي،  
تابعي فقيه مفسر، روى عن جابر وابن  
عباس (رض)، وعنه خلق كثير، ينظر  
تذكرة الحفاظ: ١ / ٩٨.

(٣٠) ينظر معاني القرآن للنحاس: ٢ / ٣٦،

والمحرر الوجيز: ٢ / ١٩.

(٣١) المحرر الوجيز: ٢ / ١٩.

(٣٢) ينظر معاني القرآن: ٢ / ٣٦.

القرآن الكريم، في هذه الآية، والثانية  
في آخر سورة النساء أيضا، وقد اختلف  
المفسرون في معنى (الكلالة)، وهم على  
أربعة أقوال (٢٥):

القول الأول: أن الكلالة من لا وَلَدَ  
له ولا والد، وهذا ما عليه الكثير من  
المفسرين.

القول الثاني: أن الكلالة من لا وَلَدَ  
له، وإن كان له أب.

القول الثالث: أن الكلالة من لا والد  
له.

وهذه الأقوال الثلاثة عمدتها دلالة  
لفظ (كلالة) التصريفية، وفي ذلك  
احتمالان:

الاحتمال الأول: قال الزمخشري  
(ت ٥٣٨هـ): «والكلالة في الأصل

مصدر بمعنى الكلال، وهو ذهاب القوة  
من الإعياء، قال الأعشى (٢٦):

**فأليت لا أرثي لها من كلالة.....**

(٢٥) ينظر جامع البيان: ٨ / ٥٧، وتفسير القران  
العظيم: ١ / ٤٦٠.

(٢٦) ينظر الديوان: ٤٦، والبيت من قصيدة  
يمدح فيها النبي (صلى الله عليه وسلم)،  
وتمامه: ولا من حفي حتى تزور محمدًا.



(ت ٣٣٨هـ)، أما ابن عربي (ت ٥٤٣هـ) فقد وصف هذا القول بأنه قول طريف، لا وجه له، ثم أردف ذلك بقوله: «حقيقة الكلاله ذهاب الطرفين، وعليه مبنى اللغة، وغير ذلك من الأقوال بعيد ضعيف وأفسدها قول من قال: انه المال، فانه غير مسموع لغة، ولا مقيس معنى» (٣٣).

### ثالثاً

### التكلف في التقدير

إن الأصل في كلام المتكلم أن تكون ألفاظه تامة ليس فيها حذف، والقول بأن الكلام على تقدير شيء ما، هو استدراك على المتكلم وذلك لا يصار إليه إلا بيئته، وكلام الله عز وجل ينبغي أن يحمل على ذلك إذ هو كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير.

ومسألة التكلف في التقدير لها علاقة بمبحث كبير، كثرت فيه أقوال العلماء، إذ القول بالتقدير فرع من القول بالتأويل وصرف الآية إلى مجازها، إذ إن من لازم التقدير أن لا تبقى الآية على ظاهرها.

وقد ركب كثير من المفسرين مركبا (٣٣) أحكام القرآن: ١ / ٣٤٧.

صعبا في التقدير، واستكثروا منه وجعلوه أنواعا وفرّعوا فيه وقسموا (٣٤)، وعند النظر في كثير منها بل في أكثرها لا تتردد في ردّها والقول بعدم صحتها، وأن من أسباب ضعفها التقدير فيها، واستقامة المعنى بدونه، إذ يلجأ هؤلاء المفسرون غفر الله لهم إلى تقدير ما لا تحتاجه الآية، فهم يتكلفون التقديرات المتعددة لقياس النص القرآني على نص لغوي آخر من منظوم العرب ومشورها، وهذا ما أفسد كثيرا من معاني النصوص القرآنية التي لا تحمل هذا التأويل أو هذا التقدير والتكلف فيه، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

- قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [سورة النساء: ٧٩].

ذهب بعض المفسرين إلى أن قوله ﴿فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ ليس خبراً على بابه، وان الآية على تقدير همزة الاستفهام، والمعنى: أفمن نفسك (٣٥)؟!

(٣٤) كما فعل العز بن عبدالسلام في كتابه مجاز القرآن.

(٣٥) ينظر الجامع لأحكام القرآن: ٥ / ٢٨٥، والبحر المحيط: ٣ / ٣١٣.



أي الحسنة والسيئة كلاهما نافذ بقضاء الله وقدره، فهما من الله تقديراً. ويصاب العبد بالسيئة من قبله وعقوبة على ذنبه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَبَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [سورة الشورى: ٣٠].

إن تقدير الاستفهام إذا دلّ عليه الكلام فلا مانع منه، وفي البيت المذكور وغيره شاهد على ذلك، بل في القرآن الكريم من ذلك أمثلة كثيرة ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلشِّرِّ مِن قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنَّ مَتَّ فَهُمْ الْخَلْدُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٤].

والممنوع من هذا أن يُقدّر استفهام لا دليل على حذفه، إذ يلزم عليه أن كل من أراد أن ينفي ما أخبر الله به يقدر في الخبر استفهاماً ويجعله إنكارياً!

وأبعد من القول السابق في الضعف قول من جعل الكلام على تقدير قول محذوف وجعل التقدير: فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك (٣٨).

(٣٨) ينظر الجامع لأحكام القرآن: ٥ / ٢٨٥،

قال الألويسي: «وزعموا انه قرئ به» (٣٦)، ويدل على ذلك قول الشاعر:  
ثم قالوا تحببها؟ قلت بهراً  
عدد النجم والحصى والتراب (٣٧)

والحامل على هذا التقدير هو توهم التعارض بين هذه الآية التي فيها التفصيل بين نسبة الحسنة والسيئة، حيث أضيفت الحسنة إلى الله، والسيئة إلى النفس وفي الآية التي قبلها، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [سورة النساء: ٧٨]، فردّ الله تعالى كلاً من الحسنة والسيئة إليه مبيناً عدم فقهه من فرق بينهما في النسبة، والاستفهام المزعوم للإنكار، فيصبح المعنى: ليست السيئة من نفسك.

والواقع انه لا تعارض بين الآيتين حتى يتكلف هذا التقدير الذي لا يسوغه الذوق اللغوي السليم، والمعنى الصحيح للآيتين أن قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾

(٣٦) روح المعاني: ٥ / ٩٠.

(٣٧) البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه: ٤٣١.



والتقدير هنا متكلف جداً فضلاً عن كونه انحرافاً بإرادة النص القرآني، فالذي يقدر قولاً محذوفاً هنا يجعل كلام الله ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ يجعل ذلك قولاً للكافرين، في حين أن مراد النص القرآني المبارك هو توبيخ للكافرين وتقريع لهم.

ومن أمثلة انحرافهم أيضاً في سوء التقدير للمواضع التي لا تحتاج إلى تقدير ما فسّروه في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾ [سورة الفجر: ٢٢]، وهذه الآية من أشهر الآيات التي سلط عليها المفسرون والنحاة أسلوب الحذف، والحذف هنا لا دليل عليه، إذ القاعدة المقررة في الحذف كما اشرنا انه لا يحذف إلا ما دل المقام عليه، وان حذفه لطلب الاختصار والبلاغة في الكلام.

وقد جعلوا قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وقدروه عدة تقديرات لا يدل عليها السياق، ومن أشهر هذه التقديرات:

جاء أمر ربك بالمحاسبة والجزاء (٣٩).  
وليس هناك سبب لهذا الحذف عندهم سوى الدلائل العقلية المزعومة التي رتبوها، قال الرازي (ت ٦٠٦ هـ): «  
وأعلم انه ثبت بالدليل أن الحركة على الله تعالى محال، لأن كل ما كان كذلك، كان جسماً، والجسم يستحيل أن يكون أزلياً، فلا بد من التأويل، وهو من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه» (٤٠).

وما نظنه هنا انه ليس ثمة حذف هنا إذ لا دليل عليه، والتقدير هنا يخالف ظاهر النص القرآني فقولنا ﴿جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ يختلف عن القول ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾، ثم أنهم التزموا الحذف مع فعل المجيء بالأدلة العقلية التي لا مسوغ لها هنا، ولم يلتزموا هذا الحذف مع الأفعال القرآنية الأخرى مثل ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾ و﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ و﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ﴾

(٣٩) ينظر التفسير الكبير للرازي: ٣١ / ١٥٨، وقد ذكر الرازي تقديرات أخرى، ومن أعجب ما ذكره في الآية الوجه السادس، إذ قال: وسادسها أن الرب هو المري ولعل ملكاً هو أعظم الملائكة هو مربٍ للنبي صلى الله عليه وسلم، جاء، فها هو المراد من قوله ﴿جَاءَ رَبُّهُ﴾.

(٤٠) المصدر نفسه.

والبحر المحيط: ٣ / ٣١٣.



## أثر التوجيهات اللغوية في إنحراف التفسير..... **التصحيح** •

والذهاب بجالية النص القرآني المبارك؟! إن لفظ القرية أو المدينة أو النهر وغيرها من الألفاظ تدل على المحل وصاحبه، فكلاهما داخل في هذا الاسم وقد يطلق اللفظ ويراد به المحل وهو المكان وقد يطلق ويراد به أصحاب المحل وهم السكان، فالنهر مثلاً يقال فيه: حفرت النهر وهو المحل، ويقال جرى النهر وهو الماء، وكذلك القرية فهي لفظة يراد بها معنيان أما المكان وأما السكان وقد ورد في الخطاب القرآني ما يوجه فيه الوصف إلى القرية والمراد أصحاب القرية أو أهلها ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [سورة النحل: ١١٢]، وقوله عز وجل: ﴿وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٤]، فلفظ القرية يراد به السكان من غير إضمار ولا حذف أو تقدير، ثم لو أراد القرآن أهل القرية لذكرهم صراحة كما ذكرهم

﴿نَادَى رَبُّكَ﴾ فهل يستقيم المعنى هنا إذا قدرنا مضافاً محذوفاً؟! وقد جرى هؤلاء المفسرون على هذا المبدأ في الآيات التي تثبت لغير العقلاء تمييزاً، كالسجود والتسبيح والقول، وغيرها، فحملوها على الحذف أو المجاز، ولم تسلم آية في هذا الموضوع من تسليط أسلوب الحذف أو المجاز عليها. ومن أمثلة التقديرات التي شاعت عند المفسرين ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [سورة يوسف: ٨٢]، إذ يكاد يجمع المفسرون على أن في الآية حذفاً للمضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، لأن الجملادات لا تسأل ولا تنطق، والتقدير عندهم واسأل أهل القرية<sup>(٤١)</sup>، ونجدهم لا يقدرّون مضافاً عند قوله عز وجل ﴿وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾، و(العير) من البهائم التي تُسأل ولا تنطق، ولو أريد أهل القرية بالسؤال لصرح بهم النص القرآني فعلام هذا التكلف في التقدير

(٤١) ينظر جامع البيان: ١٣ / ٣٧، ومعالم التنزيل: ٢ / ٤٤٣، وروح المعاني: ١٣ / ٣٨.



في آيات أخرى كقوله عز وجل: ﴿حَقَّ إِذَا أَنبَأَ أَهْلَ قَرْيَةٍ أَنَسَطَعَمَا أَهْلَهَا﴾ [سورة الكهف: ٧٧]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَنَحْنًا عَلَيْهِمْ﴾ [سورة الأعراف: ٩٦]، والتعبير بـ ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ يختلف عن (واسأل أهل القرية) فـ ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾: أي اسأل أي واحد كان فيها سواء أكان من أهلها أم غريباً جاء لحاجته ولك أن تسأل حتى جمادات القرية فهم بقولهم ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ أرادوا أن يثبتوا صدق دعواهم بأعلى طرق القول وأحسنه فجاء التعبير مناسباً لمقصدهم وتأكيداً لما حكوه، فأكدوا قولهم: ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ فالتأكيد هنا بـ (إِنَّ) ولام التأكيد أنسب مع التعبير بـ ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾، فليس في الكلام حذف أو تقدير، والله اعلم.

### رابعاً

### اعتقاد التقديم والتأخير

التقديم والتأخير ظاهرة أسلوبية بلاغية ذات شأن كبير وأهمية بالغة في (٤٢) [ومثلها: الأعراف: ٩٧ و٩٨، ويوسف: ١٠٩، والحشر: ٧].

اللغة، وهي لا تقل شأناً عن بقية الظواهر البلاغية والبيانية الأخرى، وكان ورود التقديم والتأخير في النص القرآني ذا دلالات ومعاني بلاغية سامية، فهو فن أصيل يحتاج درسه واستقصاؤه إلى صفاء ذهن وسلامة طبع ودقة ملاحظة (٤٣).

والتقديم والتأخير معروف في كلام العرب وأشعارهم، قال امرؤ القيس:  
ولو أنّ ما أسعى لأدنى معيشة  
كفاني - ولم اطلب - قليل من المال (٤٤)

والتقدير: كفاني قليل من المال ولم اطلب كثيراً.

يقول ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ): «من سنن العرب تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخر، وتأخيره وهو في المعنى مقدّم كقول ذي الرمة:

ما بال عينك منها الماء ينسكب (٤٥)

أراد: ما بالك عينك ينسكب منها

(٤٣) ينظر التقديم والتأخير في القرآن الكريم: ١٥٨.  
(٤٤) ينظر ديوان امرئ القيس: ٣٩.  
(٤٥) البيت من قصيدة يمدح بها هشام بن عبد الملك وعجز البيت: كأنه من كلى مفرية سرب، ينظر ديوان ذي الرمة: ٩، ولسان العرب (كلا) ١٥ / ٢٣٠.



الماء» (٤٦).

أكان من المقدم بنية التأخير، أو غير ذلك. ومع كون التقديم والتأخير حسناً في الكلام، وقدرة على جمال التركيب، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق (٤٨)، إلا أن الأصل عدومه فلا يلجأ إليه إلا بحجة واضحة.

قال أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) متعقباً قول من جعل قوله (بحق) من قوله تعالى على لسان عيسى **﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾** [سورة المائدة: ١١٦]، متعلقاً بقوله: **﴿فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾** والتقدير: إن كنت قلته فقد علمته بحق. قال: «وذلك خطأ، لأن التقديم والتأخير مجاز، فلا يستعمل إلا بتوقيف، أو بدليل قاطع» (٤٩). وقد وقع بعض المفسرين في المسار غير الصحيح، عند اعتقادهم التقديم والتأخير في النص القرآني المبارك، وهو لا يحتل هذا التقديم والتأخير، بل تكلفوا في ذلك وأخرجوا النصوص القرآنية عن مرادها، ونذكر من ذلك:

إن الأصل في ترتيب الكلام أن يوضع كل لفظ في موضعه تقديمياً وتأخيراً وكل تقديم وتأخير في الكلام هو خلاف الأصل. غير أن العرب كانت تتفنن في كلامها، ولها أساليب في عرضه حسب ما تملي به مقتضيات الأحوال، ومقاصد المتكلم، ومن هذه الأساليب التي تستخدمها أحياناً حسب الأغراض أسلوب التقديم والتأخير، وقد نزل القرآن الكريم على هذا اللسان العربي فجاء الأسلوب فيه، فنجد بعض الألفاظ قدمت في موضع وأخرت في موضع آخر.

ولم يختلف أهل التفسير في بعض الآيات على أنها من باب المقدم والمؤخر، وهذا التقديم والتأخير الذي جاء في القرآن لا يخل بأصل المعنى، ولا يقدرح في البيان ولا يلتبس على السامع، وذلك لوجود قرينة ودليل في الكلام عليه، فجواز التقديم والتأخير مشروط بوجود القرينة، أما مع اللبس فلا يجوز (٤٧)، سواء



(٤٨) ينظر البرهان في علوم القرآن: ٣ / ٢٣٣.

(٤٩) المكتفى في الوقف والابتداء: ٢٤٥.

(٤٦) الصاحبى في فقه اللغة: ٤١٢.

(٤٧) ينظر جامع البيان: ١٣ / ٦٦.

قوله تعالى: ﴿فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [سورة البقرة: ١٩٦]، استشكل كثير من المفسرين المراد من قوله عز وجل: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ مع كونه معلوماً مما سبق، إذ الثلاثة والسبعة تساوي عشرة، فمما قيل في توجيه هذه الآية المباركة: إن الكلام فيه تقديم وتأخير، والأصل: فصيام عشرة أيام، ثلاثة أيام في الحج وسبعة أيام إذا رجعتكم<sup>(٥٠)</sup>، إلا أن هذا القول ضعيف لكونه خلاف الأصل في تركيب الكلام، وقد ذكر أبو حيان (ت ٧٤٥هـ) ذلك بقوله: «وعُزِّي هذا القول إلى أبي العباس المبرد، ولا يصح مثل هذا القول عنه، ونزه القرآن عن مثله»<sup>(٥١)</sup> والعجب من الزركشي (ت ٧٩٤هـ) إذ ذكر أحد عشر وجهاً في توجيه معنى الآية، ولما أتى إلى القول بالتقديم والتأخير وهو الوجه السادس عنده، قال عنه: «وهذا وإن كان خلاف الأصل، لكنَّ الإشكال أُلْجَأْنَا إِلَيْهِ»<sup>(٥٢)</sup>.

أقول: فكيف يُعدم وجه لا يخالف الأصل من أحد عشر وجهاً يحمل عليه كلام الله تعالى؟! ولا داعي هنا للجوء إلى التقديم والتأخير فلا دليل عليه، فضلاً عن أن الزركشي (رحمه الله) بيّن أنه خلاف الأصل، فما هو الإشكال الذي يحتم على المفسرين حمل النص القرآني على خلاف الأصل!؟

والمأمل في الآية المباركة كما أظن يجدها قريبة من وجهين:

الأول: أنها إجمال بعد تفصيل جريا على عادة العرب في ذلك، كما قال الشاعر:

**ثلاث بالغداة فذاك حسي**

**وست حين يدركني العشاء**

فذلك تسعة في اليوم ربّي وشرب المرء فوق الري داء<sup>(٥٣)</sup>

والثاني: أتى بـ (عشرة) توطئة للخبر بعدها، كما تقول: زيدٌ رجلٌ صالحٌ، فأتي بلفظ (رجل) للتوصل بها إلى وصفه بالصلاح.

ومن أمثلة اعتقادهم التقديم والتأخير

(٥٣) البيتان ذكرهما القرطبي في تفسيره، ولم

ينسبها: ٢٦٧/٢.

(٥٠) ينظر البحر المحيط: ٢/٨٨.

(٥١) المصدر نفسه.

(٥٢) البرهان: ٢/٤٨٠.



ما ورد في قوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام:  
﴿أَذْهَبَ بِكَتَبِي هَذَا فَأَلْفَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ  
فَأَنْظَرَ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [سورة النمل: ٢٨].

تأتي هذه الآية من جملة المحاوراة بين  
نبي الله سليمان عليه السلام والهدهد، حيث كلفه  
بكتاب يحملهُ إلى ملكة سبأ، ثم أمرهُ أن  
يبتحنى عنهم لينظر جوابها عن خطابه  
فكان هذا التولي بعد إلقاء الكتاب كما هو  
ظاهر ترتيب الآية، فقد أمر سليمان الهدهد  
بالتولي وذلك من حسن الأدب ليتحنى  
حسب ما يتأدب به مع الملوك <sup>(٥٤)</sup>، وذهب  
ابن زيد (ت ١٨٢ هـ) إلى أن الآية فيها تقديم  
وتأخير، قال: أمره بالتولي بمعنى الرجوع  
إليه، أي ألقه، وارجع، ويكون نظره ماذا  
ترجع المرأة بعد إلقاءه الكتاب وقبل توليه  
(بمعنى انصرافه إلى سليمان) <sup>(٥٥)</sup>.

وعزا أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) هذا القول  
أيضاً إلى أبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ)،  
ثم قال: «ولا ضرورة تدعو إلى التقديم  
والتأخير، بل الظاهر أن النظر متعقب

التولي عنهم» <sup>(٥٦)</sup>.

وقال السمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ):  
«ولا حاجة إلى هذا؛ لأن المعنى بدونه  
صحيح» <sup>(٥٧)</sup>.

وذكر الآلوسي (ت ١٢٧٠ هـ) القول  
ونسبه لابن زيد وأبي علي الفارسي، ثم  
قال: «وهو غير مناسب» <sup>(٥٨)</sup>.

وأظن أن عمدة هذا القول كما يظهر  
هو توهم أن التولي هو التولي الكلي بحيث  
يرجع إلى سليمان عليه السلام، ولا مانع أن يكون  
تولياً جزئياً، وهو التنحي، وان ذلك من  
كمال الأدب والاحترام.

### خامساً

### حمل النص القرآني على القليل من لغة

### العرب

ومما ينبغي أن يعلم أنه لا يصح حمل  
نصوص القرآن الكريم على الوجوه  
اللغوية الشاذة، والمحمل الضعيفة  
المنكرة في كلام العرب، والمصطلحات  
والمعاني الحادثة المستجدة التي ظهرت بعد

(٥٦) البحر المحيط: ٦٨ / ٧.

(٥٧) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون.

(٥٨) روح المعاني: ١٩ / ١٩٣.

(٥٤) ينظر الجامع لأحكام القرآن: ١٣ / ١٩١.

(٥٥) ينظر جامع البيان: ١٩ / ١٥١، والجامع

لأحكام القرآن: ١٣ / ١٩١.



عصر التنزيل، ولا يسوغ لأحد أن يحمل الآيات القرآنية على المعنى الذي وجد عند المتأخرين، وإنما تفسر ألفاظ القرآن بما كان متعارفاً لدى الجيل الأول الذي شهد تنزيل القرآن الكريم، ويجب أن تحمل تلك النصوص على المعروف عند العرب من الأوجه المطردة وعاداتهم وقت نزول القرآن، وتحمل على الأكثر استعمالاً دون القليل والنادر، وعلى الأشهر فصاحة، وعلى الأغلب بلاغة، وعلى الأتقن رصانة، وذلك لأن القرآن أفصح الكلام وابلغ البيان، ونزل على أتقن اللغات وأفصحها وأشهرها، والذي نزل عليه هو رسول الله ﷺ أفصح العرب، فلا يعدل به عن ذلك كله.

وقد وصف الله تعالى كتابه العزيز بالتيان والهدى والرحمة والبشرى، فقال عز وجل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة النحل: ٨٩]، وبين سبحانه أنه ميسر للذاكرين، فقال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [سورة القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠].

إن تدبر القرآن لا يكون إلا بفهم معانيه، ومن تيسير الله تعالى له أن تفهمه الأمة ثم تعمل به، وفهمه والعمل به لا بد لهما من العلم بمعانيه التي يحمل عليها، وهذا خطاب عام للأمة جميعاً ولا يكون لجمهور الأمة تدبر وتفهم لمعانيه إلا إذا كانت تلك المعاني هي المعروفة والمشهورة من لسان العرب، لا ما قل استعماله وندر، وإن حمله على المعاني الغريبة، أو النادرة، أو القليلة الاستعمال ينافي التيسير الذي امتن الله به على هذه الأمة في فهم كتابه والادّكار به، فليس كل مخاطب بهذه الآيات يعلم ما قل وندر في استعمال العرب، فضلاً عن كون العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لا يعرفون هذا المعنى؛ «لأن الله -جل شأنه- إنما خاطبهم بما خاطبهم به، لإفهامهم معنى ما خاطبهم به» (٥٩).

يقول ابن القيم (ت ٧٥١هـ):  
«للقرآن عُرْفٌ خاص ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عُرْفِهِ والمعهود من معانيه.... فتدبر هذه القاعدة ولتكن منك على بال فإنك

(٥٩) جامع البيان: ١٢ / ٤٠.



## أثر التوجيهات اللغوية في إنحراف التفسير..... البصباح

قال الطبري بعد ذكره هذه الأقوال مسندة إلى من قال بها: «وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله (التنور) قول من قال: هو التنور الذي يجذب فيه، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجّه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب، إلا أن تقوم حجة على شيء منه بخلاف ذلك، فيسلم لها» (٦٢).

ورجح أبو حيان أيضاً هذا القول قائلاً: «والظاهر من هذه الأقوال حمله على التنور الذي هو مستوقد بالنار» (٦٣).

ومن أمثلة حملهم على القليل من لغة العرب دون ما صح وفصح ما ذكروه في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرًا تُهْدِيهِمْ فَأَيُّمَّةٌ فَضَحِكْت﴾ [سورة هود: ٧١].

إذ روي عن ابن عباس وعكرمة وغيرهما أنهم فسّروا (ضحكت) بمعنى (حاضت) (٦٤)، قال الطبري: «وذكر بعض أهل العربية من البصريين أن بعض

تنتفع بها في معرفة ضعف كثير من أقوال المفسرين وزيفها وتقطع أنها ليست مراد المتكلم تعالى بكلامه» (٦٠).

ومن أمثلة انحراف بعض التفاسير بحمل النص القرآني على القليل من لغة العرب ما ذكروه في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ [سورة هود: ٤٠]، إذ قالوا في معنى ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ عدة أقوال:

فقال بعضهم: معناه: انبجس الماء من وجه الأرض، و﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ وهو وجه الأرض، والعرب تسمي وجه الأرض (تنور الأرض).

وقال آخرون: هو تنوير الصبح بمعنى طلوع الفجر وظهوره، من قولهم: (نور الصبح تنويراً).

وقال آخرون: معنى ذلك: وفار أعلى الأرض واشرف مكان فيها بالماء، وقال التنور: اشرف الأرض.

وقال آخرون: هو التنور الذي يُجْتَبَز فيه. وقيل: غير ذلك (٦١).

لأحكام القرآن: ٩ / ٢٤، والبحر المحيط: ٢٢٢-٢٢٣.

(٦٢) جامع البيان: ٧ / ٤٠.

(٦٣) البحر المحيط: ٥ / ٢٢٣.

(٦٤) ينظر الدر المنثور: ٤ / ٤٥١.

(٦٠) بدائع الفوائد: ٣ / ٥٣٨.

(٦١) ينظر جامع البيان: ٧ / ٣٨، والجامع



أهل الحجاز اخبره عن بعضهم: أن العرب تقول: ضحكت المرأة، حاضت ثم ذكر شاهدهم على ذلك في قول الشاعر:

وَضِحْكُ الْأَرَانِبِ فَوْقَ الصَّفَا

كَمَثَلِ دَمِ الْجَوْفِ يَوْمَ اللَّقَا (٦٥)

وقال الكميت:

فَأَضْحَكْتُ الضَّبَاعَ سَيْوْفُ

سَعْدٍ بَقْتَلِي مَا دَفِنَ وَلَا وُدَيْنَا (٦٦).

وقد أنكر أئمة اللغة كالفرء (ت ٢٠٧هـ)، والزجاج (ت ٣١١هـ)،

والنحاس (ت ٣٨٨هـ)، وابن عطية (٦٧) (ت ٥٤٦هـ)، مجيء (ضحكت) بمعنى

حاضت، قال الفرء: «لم نسمعه من ثقة» (٦٨).

أقول: وهذا جيد في إثبات الضحك بمعنى الحيض، وأما تفسير الآية به فلا يصح، ولعل مراد من نفى ذلك ممن تقدم ذكرهم هو في تفسير الآية لا في اللغة.

(٦٥) لم أقف على من نسبه، وذكر في اللسان (ضحك): ٤٦٠ / ١٠.

(٦٦) جامع البيان: ٧٣ / ١١.

(٦٧) ينظر معاني القرآن للزجاج: ٦٢ / ٣،

ومعاني القرآن للنحاس: ٣ / ٣٦٤، والمحور

الوجيز: ١٧٩ / ٣.

(٦٨) معاني القرآن للفرء: ٢٢ / ٢.

قال الراغب (ت ٥٠٢هـ): «وقول من قال: حاضت، فليس تفسيراً لقوله (ضحكت)، كما تصوره بعض المفسرين، فقال: ضحكت بمعنى: حاضت، وإنما ذكر ذلك تنصيهاً لحالها، وإن الله تعالى جعل ذلك أمانة لما بشرت به، فحاضت في الوقت ليعلم أن حملها ليس بمنكر، إذ كانت المرأة ما دامت تحيض فإنها تحبل» (٦٩).

وما قاله الراغب لا يفهم البتة من كلام المفسرين بل صريح كلامهم، وكلام من نقلوا عنه أن الضحك هو الحيض، ولأجل ذلك ذكروا شواهد من اللغة.

وأما كونهم ذكروه أمانة للحمل فهذه دعوى تحتاج إلى نقل صحيح، والصواب في معنى الآية أن الضحك على بابه المتبادر المعروف، ويبقى السؤال لم ضحكت؟

فأقول المفسرين في سبب ذلك كثيرة وأقربها لسياق الآيات أنها ضحكت لما قالوا:

لا تخف، وخبروه أنهم رسل من الله أرسلوا إلى قوم لوط، قاله الفرء (٧٠)، وأشار إليه

(٦٩) المفردات في غريب القرآن: ٢٩٢.

(٧٠) معاني القرآن: ٢٢ / ٢.



## أثر التوجيهات اللغوية في إنحراف التفسير..... المصباح

الزمخشري<sup>(٧١)</sup>، واستظهره أبو حيان<sup>(٧٢)</sup>. له<sup>(٧٤)</sup>.  
 وقابل الأزهري<sup>(ت ٣٧٠هـ)</sup> بعد ذكره  
 قول ابن عباس: «فإن صحّت هذه الرواية  
 عن ابن عباس سلّمنا له، وجعلنا الهاء في  
 قوله: (أكبرنه) هاء وقف، لا هاء كناية،  
 والله أعلم بما أراد»<sup>(٧٥)</sup>.  
 والصحيح - والله أعلم - عدم صحة  
 هذا التفسير، قال ابن عطية: «وهذا قول  
 ضعيف من معناه منكور»<sup>(٧٦)</sup>.

(٧٤) المصدر نفسه.

(٧٥) تهذيب اللغة: ١٠ / ٢١٢.

(٧٦) المحرر الوجيز: ٣ / ٢٣٩.

وقريب من هذا التفسير (أكبرن)  
 الوارد في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أُكْبِرْتَهُ﴾  
 [سورة يوسف: ٣١]، قال ابن عباس:  
 أكبرنه: حَضَنَ<sup>(٧٣)</sup>، قال الطبري: «إن  
 كان الخبر صحيحاً عن ابن عباس على  
 ما روي، فالمراد أنهم حَضَنَ من إجلالهنَّ  
 ليوسف وإعظامهنَّ، لما كان الله قَسَمَ له  
 من البهاء والجمال، وإلا فقول لا معنى

(٧١) ينظر الكشاف: ٢ / ٢٨١.

(٧٢) ينظر البحر المحيط: ٥ / ٢٤٣.

(٧٣) جامع البيان: ١٦ / ٧٦.

### الخاتمة

وبعد...  
 فممن خلال هذه المباحث يتبين لنا  
 أن هناك ثلة من المفسرين قد جانبوا  
 الصواب وانحرفت تفسيراتهم عن مراد  
 النص القرآني، وإن الأمة اليوم بأمس  
 الحاجة إلى تنقية هذه التفاسير وغربلتها  
 ليتبين صحيحها من سقيمها، وصالحها  
 من فاسدها، لأنها تتعلق بأجلّ نص في  
 الوجود، هو كتاب الله تعالى.  
 وكما أن اللغة هي الأداة الرئيسة في

فهم النص القرآني وتفسيره فهي كذلك قد  
 تكون عاملاً في انحراف التفسير، إذ ليس  
 كل ما ثبت في اللغة صح حمل آيات التنزيل  
 عليه، بل يجب حمل كلام الله على الأوجه  
 اللغوية والإعرابية القوية والمشهورة،  
 اللائقة بالسياق والموافقة للأدلة الشرعية،  
 دون الضعيفة والشاذة أو الغريبة منها.  
 إذ ينبغي لكل مفسر يفسر كلام الله  
 تعالى أن لا ينظر إلى ثبوت تفسيره في اللغة  
 فحسب، بل لا بدّ مع ذلك مراعاة السياق



القرآني، وأسباب النزول، والقرائن التي حفت بالخطاب حال التنزيل، فلكل كلمة معنى في سياق قد لا يصلح في سياق آخر. إن اللغة العربية تمتاز بسعة ألفاظها وتعدد معانيها ولما كان هذا حال اللغة العربية فإن الجملة القرآنية تكون محتملة للعديد من الدلالات والمعاني، وظهر اثر ذلك واضحاً في اختلاف المفسرين وتعدد كتب التفسير، وبهذا تكون سعة اللغة سلاحاً ذا حدين، لذا فإن الأمر يحتاج إلى ضوابط يتبين بها معرفة الصحيح من السقيم من هذه الاحتمالات اللغوية، واللغة هي الأداة الرئيسة لدى المفسرين لكن ليس كل ما ورد في اللغة يلزم وروده في القرآن الكريم.

لقد جاءت الانحرافات بالتفسير نتيجة اعتماد المفسر اللغة المجردة، من

غير النظر إلى المتلازمات اللغوية والعرفية والسياقية في القرآن الكريم، وهذا ناتج عن أن المفسر يخرج في بعض الأحيان عن جادة الصواب ليفسر كتاب الله عز وجل لما يميله عليه فكره أو مذهبه الفكري أو الفقهي أو السياسي، فكثيراً ما نجد أقوال المفسرين -غفر الله لهم- جاءت للانتصار إلى مذاهبهم المختلفة، أو لمدارسهم اللغوية، فحاولوا أن يجدوا ثغرة لغوية تخدم ما يرمون إليه فيجعلونها في المقام الأول من التفسير ويننون عليها التشريعات والأحكام، وبذلك ظهر أثر التوجيهات اللغوية واضحاً في انحراف التفسير وابتعاده عن الصحيح المتعارف عليه في لغة البيان العالية التي جاء بها كتاب الله تعالى. والحمد لله رب العالمين.

### مصادر البحث

- القرآن الكريم.
- أحكام القرآن، لأبي بكر بن عربي، تحقيق: علي محمد البجادي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، لابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، ط ٣، ١٤٠١هـ.
- إعجاز القرآن، للقاضي الباقلاني، تحقيق: د. أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط ١.
- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود وآخرين، دار الكتب العلمية،



أثر التوجيهات اللغوية في إنحراف التفسير ..... المصباح

- ط ١، بيروت، لبنان، ١٩٨٥/هـ ١٤٠٥ م.
- بدائع الفوائد، لابن القيم الجوزية، تحقيق: هشام عبدالعزيز عطا وآخرين، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط ١، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦ م.
- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت.
- البيان والتبيين، للجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، تحقيق: عبدالقادر عطا، نشر دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط ١، ١٤٠٢هـ.
- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، ط ٣، ١٤٠١هـ.
- تذكرة الحفاظ، للذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الترادف في اللغة، لحاكم مالك الزيايدي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية.
- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، ط ٢، ١٤٢٠هـ.
- التفسير الكبير، للرازي، المكتبة العلمية، ط ١، بيروت، لبنان.
- التقديم والتأخير في القرآن الكريم، لحميد أحمد عيسى العامري، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٦ م.
- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: عبدالسلام هارون وآخرين، الدار المصرية للتأليف والنشر.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود شاكر، دار المعارف بمصر، ط ٢.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥ م.
- الخصائص، لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق: علي محمد معوض وآخرين، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة.
- الدر المنثور في التفسير المأثور، للسيوطي، دار الفكر.
- ديوان الأعشى الكبير، تحقيق: حنانصر، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤١٢هـ.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٩ م.
- ديوان ذي الرمة، تحقيق: سيف الدين



العدد السابع - خريف (٢٠١١م - ١٤٣٣هـ)



٢٤٦



- الكاتب وأحمد عصام، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
- ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: حنانصر، دار المعارف بمصر.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة، تح / محمد محي الدين عبد الحميد - ط ٢ - بيروت ١٩٨٢.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل الألويسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الصحابي في فقه اللغة، لابن فارس، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي، القاهرة.
- غرر الفوائد ودرر القلائد، لعلي بن الحسين الموسوي المعروف بالشريف المرتضى، نشر مكتبة البابي الحلبي، ط ١، ١٤١٦هـ.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، دار المعرفة، بيروت.
- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت.
- مجاز القرآن، لأبي عبيدة، تحقيق: فؤاد سركين، نشر مؤسسة الرسالة، ط ٢،
- ١٤٠١هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد بن عطية، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- معالم التنزيل، لأبي محمد البغوي، تحقيق: محمد عبدالله النمر وآخرين، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- معاني الأبنية، للدكتور فاضل صالح السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره.
- معاني القرآن، للفراء، تحقيق: محمد علي النجار، دار السرور.
- معاني القرآن، للنحاس، تحقيق: علي الصابوني، جامعة أم القرى.
- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق: عبدالجليل عبده شبلي، نشر عالم الكتب، بيروت، ط ٣، ١٤٠١هـ.
- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، دار الباز، مكة المكرمة.
- المكتفى في الوقف والابتداء، لأبي عمرو الداني، تحقيق: يوسف المرعشلي، مؤسسة الرسالة.

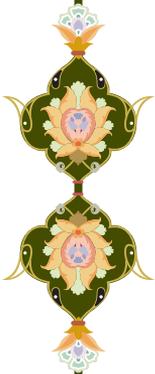


## ملخص البحث

في هذا الجزء يكون الباحث قد ترجم ثلاثة بحوث اخرى للعلامة الهندي عبد الله يوسف علي وهي كملاحق لترجمته الانجليزية للقرآن الكريم حيث ان المجلة قد نشرت بعضاً منها سابقاً.

يتحدث البحث الاول عن تحديد التواريخ وترتيبها زمنياً في مصر. فيما يتحدث الثاني عن (الديانة المصرية وخطواتها نحو الاسلام). ويجب ان يُقرأ هذان البحثان معاً لانهما مترابطان تاريخياً. بينما يتحدث البحث الثالث عن مقارنة السنين الاولى للاسلام وما يقابلها في التقويم الميلادي.

وسوف تنشر بقية البحوث في الاعداد اللاحقة ان شاء الله.



# بُحُوثُ الْعَلَامَةِ الْهِنْدِيَّةِ

## عَبْدُ اللَّهِ يُوسُفَ عَالِي عَلَى هَامِشِ تَرْجُمَةِ الْقُرْآنِ

### الجزء الثالث

ترجمة سعد شريف طاهر

#### المبحث الأول

في عمق الزمن. ونولي اهتمامنا الأكبر لمصر لتوسطها في الموقع الجغرافي هذا من جهة ومن جهة أخرى لكونها أثرت وتأثرت بكل حركة حضارية مهمة في آسيا وأفريقيا وأوربا. فلم يحدث شيء في تاريخ البحر الأبيض المتوسط إلا وله نقاط التقاء مع مصر. وأول تقسيم لافت للنظر في تسلسل الأحداث المصرية هو ما بين عصور الأسر الحاكمة وما قبلها. فعصر ما قبل الأسر كان ما قبل التاريخ، ولكن البحوث الحديثة سلطت الكثير من الأضواء على حضارة تلك الفترة فبدأنا نعرف التفاصيل عن فنون وأدوات تلك الفترة في مصر أكثر مما نعرفه عن الفترات المماثلة لما قبل التاريخ في الأقطار الأخرى.

الترتيب الزمني للأحداث بين مصر وبني إسرائيل عند مقارنة الترتيب الزمني للأحداث بين مصر وبني إسرائيل علينا أولاً أن نأخذ بعين الاعتبار معلوماتنا عن تعيين التواريخ الدقيقة للأحداث وترتيبها وفقاً للتسلسل الزمني في مصر والمدونات الإسرائيلية الباقية على قيد الحياة تعود إلى قرون متأخرة لما بعد الاتصال بين بني إسرائيل ومصر. ومن ناحية أخرى فإن المدونات المصرية في النُصب التذكارية والنقوش والقبور وغيرها ثرية بحيث يمكن الاعتماد عليها لقدمها.

ومن الحضارات القديمة التي لا تزال حيّة هي المصرية والصينية التي تغور

بطليموس الأول والثاني ومن ورثة الحصة المصرية من إمبراطورية الإسكندر عام ٣١٣-٤٢٦ ق.م وهو الذي ادخل اللغة الإغريقية الى تاريخه المصري وفي المدونات المصرية. ويعطي تخطيطه للأسر الحاكمة أطواراً لمسودة الخطوط الرئيسية للترتيب الزمني للأحداث والذي يمكن من خلاله تثبيت المعلومات المفصلة المتزايدة المأخوذة من النُصب التذكارية والقبور والنقوش المصرية. واستناداً إليه فإن الأسرة الأولى تبدأ بتوحيد مصر العليا والسفلى بينما التاريخ الحقيقي يوضع بين ٥٥٠٠ ق.م و ٣٣٠٠ ق.م.

وربما كان تقسيم مصر إلى عليا وسفلى جاء على أساس عرقي أو جغرافي ولكن عندما تتحد برغم خصائصها ومظاهرها الخارجية المختلفة يكون التقسيم سياسياً. فقد كانت مصر السفلى تحاذي البحر الأبيض المتوسط وشعبها متنوع يشتمل كل العناصر العربية والأوسطية بينما كانت مصر العليا تحاذي داخل أفريقيا (النوبة والسودان والحبشة... الخ) وسكانها يميلون إلى امتلاك خصائص

ويبدأ عصر الأسر الحاكمة بحكام الأسرة المصرية الأولى. فما هي الأسر المصرية؟ ولماذا أعطيت لها أهمية أكبر في تسلسل الأحداث الزمني في مصر؟ فيكون الجواب انه بالرغم من إن بمقدورنا أن نكوّن فكرة مفصلة عن تسلسل الأحداث عن الفنون والحرف والسلوك والتقاليد والعبادات والطقوس والأحوال الاجتماعية والاقتصادية في عصر الأسر، فأنا لا نستطيع إعطاء أرقام دقيقة لتواريخ مبكرة لربطها مع تسلسلنا للأحداث قبل الميلاد ما عدا مناسبات أو لمحات مفصلة. ومن ناحية أخرى فإن لدينا الكم الهائل من المواد لتبرير وضعنا للأحداث أو شخصيات أو أفكار معينة في الرسم البياني للأسرة الحاكمة فيمكننا القول مثلاً إن تلك الأفكار تتراوح في عهد الأسرة الثامنة عشرة أو إن غزواً خارجياً أو من الداخل حدث في حدود الأسرة الرابعة عشرة.

وتكمن صورة الأسرة بصورة رئيسة في قوائم ورُقْم (مانثو ٣١٣-٢٤٦ ق.م) وهو راهب ومؤرخ مصري كان يدوّن الأحداث كل عام والذي عاش في عصر



افريقية أكثر وأكثر. وكان البناء في عموم مصر شريطياً (أي تلاصق المباني على طول الشارع) حيث اقتصرت الزراعة والسكان على ضفاف النيل، وبدون النيل تصبح مصر مجرد صحراء مكونة صلة وصل بين سلسلة الصحاري الاستوائية وشبه الاستوائية الممتدة من الصحراء الكبرى والصحراء الليبية وصحراء الجزيرة العربية إلى صحراء بلاد فارس وبلوشستان والهند والسند إلى الصحراء التركية والغوية في أواسط آسيا.

ثم إن مصر العليا كانت تشكل خطأً غير منتظم على امتداد ضفاف نهر النيل. وفي مصر السفلى دلتا تشبه المروحة الواسعة فيها مصبات نهر النيل تجري في خط ساحلي غير منتظم يمتد لأكثر من ٢٠٠ ميل. وتضم أراضي مصر السفلى أهواراً كثيرة وكان شكلها المنبسط سبباً لكثير من التغيرات الخارجية وللغزوات والهجرات الأجنبية مما أضفى على سكانها ومدنها، مثل الصعيد وأسوان، ميزة الأقل استقراراً.

أما ممفيس (قرب الموقع الحالي للقاهرة) فكانت بالضبط فوق الدلتا.

ومن جهة أخرى فإن العواصم في مصر العليا مثل (ثيبس) بمعايها وقبورها الضخمة كانت بمأمن من فيضانات نهر النيل إلى أن شيد سد لاحقاً على بعد عدة أميال عنها<sup>(١)</sup> وحتى بعد توحيد مصر العليا والسفلى فقد كان الملك يضع تاجاً مزدوجاً، ولم تكن الحدود بينها واضحة المعالم. فوجود مصر مع النيل جعل وحدة مصر ضرورة سياسية واقتصادية رغم التصدعات المتتالية في وحدة البلاد. وتقع الحدود الحالية لمصر السفلى جنوب القاهرة مما يجعل مصر السفلى تضم الدلتا فقط. إن الأرض الواقعة بين القاهرة وأسيوط المسماة أحياناً بمصر الوسطى فيمكن تمييزها عن بقية أرض مصر العليا بامتدادها المرتفع عن النهر.

ونظراً لوجود اختلاف كبير في تخمين التواريخ القديمة فإن السبيل العملي الوحيد هو الإشارة إلى أحداث قديمة أبان عصور الأسر الحاكمة بموجب مخطط مانيتو. وفي التواريخ اللاحقة يمكن

(١) لم يقصد السد العالي لأنه افتتح عام ١٩٦٥ في عهد جمال عبد الناصر (المترجم).



الأسرة الثانية عشرة شيدت الكثير من النُصب العظيمة قرب ثيبس (طيبة) (الكرنك والأقصر... الخ) وربما كان النزوح إلى أعلى النهر حتماً بسبب الغزوات الأجنبية لمصر السفلى. أما الأسرة الخامسة عشرة والسابعة عشرة فتسمى فترة الهكسوس عندما بسطت أسرة سورية (الهكسوس) في مصر السفلى نوعاً من السيادة على اسر مصر العليا المحلية وأقامت روابط دولية مع أقطار البحر المتوسط الأخرى. وستتكمّل الآن عن فراعنة (ملوك) الهكسوس الذين حكموا في القرن السابع عشر والثامن عشر حتى السادس والعشرين قبل الميلاد.

٣- الإمبراطورية الجديدة، من الأسرة الثامنة عشرة إلى العشرين، وقد ازدهمت بالأحداث وأصبحت التواريخ في تلك الفترة أكثر وضوحاً. ويمكن وضع تلك الفترة بين حوالي ١٥٨٠ ق.م إلى ١٢٠٠ ق.م حيث طُرد الهكسوس الغرباء وامتدت الإمبراطورية إلى سوريا وبلاد

التعبير بأرقام تقريبية لعصور ما قبل الميلاد ولكن تلك الأرقام غير أكيدة. بينما يؤخذ تسلسل الأسر على انه حقيقة ثابتة في التاريخ المصري بالرغم من إن التحقيقات في بعض مواد مانيثو أثبتت إنها غير دقيقة، وربما يكون عدم الدقة بسبب الناقلين وليس مانيثو شخصياً. ويُقدر عدد الأسر الحاكمة بإحدى وثلاثين أسرة ويمكن تصنيفها إلى فترات كما يلي:

١- المملكة القديمة (الأولى) من الأسرة الأولى إلى الثامنة وتتضمن:

أ- الأسر الثلاث الأولى.

ب- الأسرة الرابعة إلى السادسة (فترة الأهرامات التي بُني فيها الهرم الأكبر وهرم الجيزة الثاني والثالث). وأصبحت العاصمة في ذلك الحين في مصر السفلى في موقع (مفيس) قرب القاهرة الحالية.

٢- المملكة الوسطى من الأسرة التاسعة إلى الأسرة السابعة عشرة. وفي عهد الأسرتين التاسعة والعاشره تحوّل مركز الجذب من (مفيس) في مصر السفلى إلى ١ مصر الوسطى. وفي



النوبة وربما وصلت إلى نهر الفرات.  
وتواريخ تلك الفترة ضمت عجائب  
الفن المصري.

٤- اسر الدلتا، من الأسرة الحادية  
والعشرين إلى الحادية والثلاثين  
وتتضمن سلالة سايس (احد فروع  
المنطقة الغربية لدلتا النيل). وفي تلك  
الفترة أضعفت الغزوات الآشورية  
والفارسية قوة مصر وحينها  
أصبحت التواريخ مؤكدة أكثر.  
فالأسرة الحادية عشرة تقريباً في  
١١٠٠ ق.م والأسرة السابعة عشرة  
انتهت بغزو الفرس بقيادة قمبيز في  
٥٢٥ ق.م وتأرجحت سيطرة الفرس  
(والأسر المحلية تحت سيطرتهم)  
إلى الأسرة الحادية والثلاثين عندما  
هرب آخر فرعون إلى إثيوبيا حوالي  
٣٤٠ ق.م.

٥- وعند انتهاء الأسر المصرية حل  
العهد المقدوني بعد فتح الاسكندر  
سنة ٣٣٢ ق.م وأسرة بطليموس  
في ٣٢٣ ق.م الى ٣٠ ق.م. والعهد  
الروماني من ٣٠ ق.م الى ٦٣٩ م الذي

جاءت بعده الفتوحات الإسلامية  
والعثمانية التي طورت مصر الحديثة.  
وبعد إن أوضحنا خلفية التسلسل  
التاريخي نكون في موقف تدقيق المعلومات  
حول بقاء بني إسرائيل في مصر لذا  
فيما لو كان بإمكاننا اخذ فكرة ما عن  
الوقت في التاريخ المصري عندما حدث  
الاحتكاك، فقد رأينا إن الأسر الخامسة  
عشرة إلى السابعة عشرة كانت مهتمة  
بشأن الهكسوس أو الملوك (الرعاة)  
الغرباء الذين قدموا من آسيا. ولكن لم  
يتضح تماماً إلى أي عرق ينتمون. افترض  
يوسيفوس بأنهم بنو إسرائيل إلا إن تلك  
النظرية يتعذر الدفاع عنها. ويُجتمل بأنهم  
كانوا من الفينيقيين أو العمالقة أو الحِيثيين.  
وسواء أكان انتماؤهم لبني إسرائيل أو  
الفينيقيين فقد كانوا ساميين وعلى علاقة  
وطيدة بمدينة (الخليل) الحِيثية في جنوب  
فلسطين وأسسوا مدينة على احد الفروع  
الشرقية لدلتا النيل أطلق عليها (زوان  
تانيس). ولعلها كانت تلك مدينتهم  
ولكن عاصمتهم هي العاصمة المصرية  
في ممفيس. ويعزى لهم اختراع الحروف



عن الحقيقة عندما حدد احتلال الهكسوس بحوالي ٢٠٠٠ ق.م ومن الممكن أن يكون التاريخ بين ٢٠٠٠ ق.م و١٦٠٠ ق.م قريباً للملاحظة. ولو نفترض إن يوسف أصبح وزيراً لأحد الفراعنة الهكسوس في الدلتا فمن المحتمل إن يوسف والهكسوس كانوا من أصل واحد حيثُذ يقع تاريخ يوسف ما بين القرنين التاسع عشر والسابع عشر قبل الميلاد.

ولم يُعثر في المدونات على إشارة ليوسف أو موسى. وكانت الإشارة الوحيدة لبني إسرائيل هي (اسراير، الرء = اللام) تلك التي وجدت على بلاطة عمودية تحمل نقشاً تذكاريّاً ل منيتح أو مير-إن-بتح (حوالي ١٢٢٥ ق.م) وتبدو إنها تشير إلى بني إسرائيل في فلسطين أكثر من بني إسرائيل في مصر.

والى هنا لا عجب من كون الفرعون الذي أضفى شرفاً على يوسف أجنبياً. وعندما حدث رد الفعل ضد الهكسوس وتم طردهم، ربما لم يكن المصريون تواقين لتذكر تلك الفترة الطارئة المقتطعة من تاريخهم أو للاحتفاظ بذكرها. أما

الأبجدية السامية الاثني والعشرين وهي أصل الأبجديات الحديثة عن طريق الفينيقيين.

إن اختراعهم هذا، ربما ساعد في تحويل الكتابة المصرية الهيروغليفية القديمة من الكتابة الصورية إلى الكتابة الصوتية. وبما إن الهكسوس كانوا على صلات وثيقة بالخليل في فلسطين وان إبراهيم وبني إسرائيل استوطنوا ارض فلسطين فمن المحتمل إن هناك رابطة قد نشأت وساعدت على جذب بني إسرائيل الأوائل ل زوان في مصر. ويجب أن نتذكر إن فلسطين كانت بلداً فقيراً وتعرضت لمجاعات متتالية بينما كانت مصر ذات الدلتا تروى من النيل باستمرار ولم تعانٍ من المجاعات إلا في ظروف نادرة حين عجز النيل عن غمر أراضيها لذا فقد كان جذب مصر للأقوام المجاورة التي تصيبها المجاعات قوياً وهذا ما أثبتته قصة يوسف واخوته.

من هنا هل يمكن أن نكون فكرة تقريبية عن تواريخ احتلال الهكسوس؟ إن حقبة الهكسوس المتأخرة انتهت في حوالي ١٦٠٠ ق.م، لذلك لم يتعد رينان كثيراً



الفرعون الذي لم يكن يعرف يوسف فقد كان ينظر إلى بني إسرائيل على أنهم عبيد محتقرون لا يستحقون التفكير بهم وعندما ثاروا عوملوا كجنس محتقر يستحق العقوبة وان يوضع في مكانه. ويلاحظ إن الأرض التي سكنها بنو إسرائيل وتكاثروا فيها بين عصر يوسف وعصر الخروج كانت ارض حدود لمصر مع جارتها مدينة الهكسوس (زوان) في الدلتا.

وإذا أردنا البحث عن التاريخ المحدد لموسى فيجب أن نتحرى احتمالات التاريخ المصري. فقد كانت الفكرة المقبولة سابقاً هي إن رمسيس (حوالي ١٢٥٠ ق.م) هو الفرعون الذي اضطهد بني إسرائيل في مصر وان الخروج ربما حدث في عهد خليفته منيبتح (حوالي ١٢٢٥ ق.م). فسياسة رميس الثاني الشديدة وروح عصره قد تكون منسجمة مع هذه النظرة. ولكن المؤكد إن هذا التاريخ متأخر جداً. وهناك دلائل تشير إلى ان بني إسرائيل كانوا قد استوطنوا ارض كنعان في هذا الوقت في حين إن الهكسوس طردتهم الأسرة الثامنة عشرة التي أنشأت الإمبراطورية الجديدة

في القرن السادس عشر قبل الميلاد. وربما كان (تحتمس الأول) (حوالي ١٤٥٠ ق.م) في الفترة الأولى لحملة القومية لاضطهاد بني إسرائيل سبباً في خروجهم. وحُدّد تاريخه بدقة حيث تتوافق شخصيته مع الوصف في التاريخ المقدس فقد جعل مملكته مركزية عسكرية مستبدة. وتماشى الحكم العسكري مع شهوة الحرب والغزو الأجنبي حيث حمل سلاحه إلى حدود الفرات وجعلت الإتاوات والغنائم والعبيد مصر بلداً غنياً ومتغظراً. وأضاف الكثير من النُصب إلى طيبة. ويمكن أن نتخيله في بلاطه الفخم نادراً ما يعير اهتماماً لموسى وينظر لشكاواه بمتعة ممزوجة باحتقار وبنفاذ صبر. ولكن الجزء الموعود كان لا بد أن يقع. فأصبح المؤمنون برسالة الله أسياداً فيما بعد ومنهم بنو إسرائيل في زمن سليمان بعد سنة ١٠٠٠ ق.م ومنهم المسلمون الذين أصبحوا أسياد الشرق والغرب في زمن الخليفة عمر بن الخطاب ومن بعده بينما أصبحت أمجاد مصر في آخر الأمر دفينه في الرمال.

والفرعون (تحتمس) هو الذي



- كانت ابنته حشيشوت شريكة له في العرش. ولو كان هو نفس الفرعون في قصة موسى فيمكن أن نفترض بأنها نفس السيدة المشهورة ذات العقل الراجح التي عثرت على الطفل موسى (سفر الخروج الإصحاح الثاني الآية ١٠) وجاءت به الى أمها لتتبناه العائلة. وكانت مثل أبيها خير عون للطوائف الدينية القومية. تربي موسى في القصر وتعلمه كل حكمة المصريين فأشتهر بأنه الأكثر حكمة بين كل الأمم. وبرغم حكمتهم ومعرفتهم فقد أحببهم. وهكذا نفذ مكر الله في ان أعداء الله وأعداء بني إسرائيل هم الذين استعملوا
- كأدوات لإنقاذ بني إسرائيل.  
المصادر:
١. أي بي: مصر بعد الميلاد.
  ٢. رينان: تاريخ شعب بني إسرائيل المجلد ٣.
  ٣. دي. أي مكنزي: الأساطير والخرافات المصرية.
  ٤. يوسف قطاني باشا: التسلسل التاريخي للأمة المصرية بالفرنسية باريس ١٩٣١.
  ٥. السير دبليو أم فلندرز: تاريخ مصر المجلد ٣.
  ٦. كامبرج: التاريخ القديم المجلد ١ الفصل الرابع.

### البحث الثاني

الديانة المصرية وخطواتها نحو الإسلام  
هذا (البحث) يجب أن يقرأ مع البحث السابق (الترتيب الزمني للأحداث بين مصر وبني إسرائيل). الذي يحتوي على مناقشة الترتيب الزمني في مصر. إن مشيئة الله تعمل بصمت بين كل الأمم وفي كل العصور. وتظهر ومضات نور توحيده حتى في الأديان الأكثر غرابة وهي تدعو بصورة غير مباشرة إلى الإسلام (أي خضوع إرادة الإنسان لإرادة الكونية الشاملة). وإذا قارنا التاريخ الديني المصري منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا مع ما لدينا من مدونات وأفكار وتطور التاريخ الديني



لأي بلد آخر حسب وجهة النظر تلك يبقى التاريخ المصري أكثر أمتاعاً.

ومع إن التاريخ الهندي يمسننا كثيرا إلا انه ليس له صلة وثيقة مباشرة بترجمة وتفسير القرآن، في حين إن التاريخ الديني لبني إسرائيل يعتبر الفصل المبكر لتاريخ الإسلام، فقد كتب عنه علماءنا ومفسرنا بكثير من التفصيل. واعتقد أحيانا إنهم أعطوه أهمية مبالغاً فيها دون أن يعطي أي منهم اهتماماً أكبر لمصر. ولذلك لا يعرف شعبنا عن مصر القديمة إلا النزر القليل فلم يبد اهتماماً بها. وأنه من حُسن الطالع أن يظهرها اهتماماً أكثر لمصر المعاصرة. وأمل انه بمرور الزمن، سوف يتميز احتضان ونشر الأفكار الدينية القيمة التي توجه الحديث تدريجياً نحو الإسلام. إن حقل علم الآثار المصرية واسع، ويتوسع كل يوم عن طريق البحوث الدؤوبة لعلماء الدين وعلماء الآثار الأكفاء.

وفي الحقيقة، فاني انوي كتابة مقال عن الديانة المصرية ولكني أرغب في طرح اعتبارات، ابين فيها كيف عملت مشيئة الله وأرادته بجلاء في مصر وفي أي مكان

لتثير إعجاب الناس المتزايد بذات الله الحقيقية والغرض الحقيقي للدين.

إن نور التوحيد الأبدي والإسلام يشعان بطرق عديدة وتير إشعاعاتها الطموحات الروحية للبشر في أحلك الظروف. فالشعور الديني عند شعب موهوب وغني كالشعب المصري كان يُعاد تدريجياً، على الرغم من شدة الاعتراض، إلى مفهوم أنقى وأنقى للمصير الخالد للإنسان. وكان التبشير والوعظ برسالة النبي محمد ﷺ باللغة العربية وهي نفسها اللغة التي تم التبشير بها أصلاً في الجزيرة العربية فأصبحت لغة الشعب المصري ولم تزل لغته الى الآن.

كان لا بد من وجود تطور في المفاهيم الدينية التي ظهرت في مصر قبل الأسر الحاكمة وبعدها ولكن بحيوية. وتبين في المملكة القديمة (بما فيها فترة الأهرامات) إن العقل المصري كان مهوساً بفكرة الحياة بعد الموت. وكانت أفكار العظمة والنظام والدقة في الكون تستحوذ على تفكيره. فالأفكار التي وجدت تعبيراً بليغاً للتصورات الكبيرة والتماثل في الرياضيات



وتنقلنا المملكة الوسطى وجهاً لوجه إلى أفكار جديدة. ولا نعرف تأثير العبادات والأفكار الأجنبية في ذلك الوقت. ولأننا نعرف ماذا فعلت مصر لجذب العالم أجمع وكم من نقاط التقاء بين حضارات بلاد ما بين النهرين وحضارات وادي النيل. فنفترض ان الحضارة والثقافة المصريتين كانتا في اتساع متواصل وربما تَمَّصَرَ الهكسوس في مصر ولكنهم فشلوا بالمقابل في الإسهام في نقل الأفكار السورية والسامية إلى مصر. ومن بين تلك النقاط التوحيد (الإيمان بالإله الواحد) والنظام الاجتماعي الذي يتميز بسلطة الأب على العائلة أو العشيرة ونفاد الصبر من سيطرة الرهبان والطبقة المتنفذة. حيث كانت تتناقض بشكل غريب مع طبيعة مجتمع يتسم بفوضى تعدد الآلهة والعبيد الذين يعيشون محتشدين في المدن ويُضربون بالسياط بينما يعيش الكهنة وهم القلة المرفهة على عَرَاق جبين الكثير من المحرومين ومن واردات المعابد التي يوقف لها ببذخ.

وكانت الإمبراطورية الجديدة عصر

وبساطة العمران لها منزلتها الكبيرة حيث انعكست أيضاً في وجوه وأوضاع الشخصيات في التماثيل والرسوم المصرية. ويبدو إن الامتداد اللانهائي والغموض في الصحراء أبدت فعلها في الذهن المصري مثل المخدر وجعلته أقل نشاطاً في الشؤون الدنيوية وأقل عملياً في التأمل مقارنة ببعض الأجناس الأخرى ذات المواهب المتشابهة. وربما لا يمكننا معرفة الألباز المطبوعة في أقسام الأهرامات وقاعتها الداخلية وغرفها الغامضة بصورة مؤكدة، لكن الشعور الملازم للموت والعالم الآخر يجزنا في أجوائه كما يدور في المشاهد المروعة في "كتاب الأموات" وكما يقول البروفيسور (في آي بيت) في "تاريخ كمبرج القديم" ج ١ ص ٣٥٤ "إن العقلية المصرية ربطت بدقة بين الناس والآلهة والأموات كثلاثة عناصر لجنس واحد". واعتبرت كل واحد منها موضوعاً لقوة لا يمكن مقاومتها تسمى "هيكاً" أو "هايك". ولهذا السبب فأن قوة السحر وتعويذه للأموات والطقوس والشعائر والصيغ الدينية موجودة في الحياة اليومية.



ازدهار العبقريّة المصريّة. وشهدت فوضى تعدد الآلهة قبل الأسر الحاكمة تآكلاً بمرور القرون، حيث كانت الغاية من الآلهة المحليّة الاستغراق في الآلهة العامّة. وساد نوع من العقلانيّة والروحانيّة طوال فترة الأسر الحاكمة ظهر فيها بعد عامل الشعور بالتنظيم والتوحيد. فتحوّلت العبادة البدائيّة للحيوانات تدريجياً إلى نظام (الآلهة الحيوانات: أجساد بشريّة برؤوس حيوانيّة). فالأجساد البشريّة كانت تمثّل تجسيم النزاعات بينما أصبحت رؤوس الحيوانات أشكالاً للنوعيات، فمثلاً، أنوبيس كان الكلب الذي يرمز لحارس الباب أو الساعي أو خادم الأموات. وكان أيبيس أو هيبيس الثور المقدس في ممفيس و كان يرمز لتجديد الحياة ويمثّل أوزيريس. وعندما يُعثر على جلد عجل أسود كانت تقام له الأفراح الكبيرة ويُنصب عزاء فخّم مصحوب بنواح عند موت ودفن عجل أسود. و (توت) إله الحكمة والسحر كان يرمز له بـ أيبيس ذلك الطير الضخم الصامت في ممر وادي النيل.

وبالإضافة إلى رمزية الحيوانات كانت

هناك عبادة الظواهر الطبيعيّة العظيمة مثل: النيل واهب محصول الزراعة في مصر، والآله رع أصبح الإله الأعظم في مصر. وهناك أسطورة أوزيريس الطيب الذي جاء إلى الأرض لمنفعة البشريّة وكيف قتله (سيت) الشرير الحاقد وحكم كقاضي الأموات في العالم السفلي. وصوّرت زوجته المخلصة أيزيس وأبنة حورس بعيون صقر في الحكايات الغامضة. ويُتمثّل إن أسطورة أوزيريس نفسها نشأت من أسطورة النيل والشمس. وكان هناك مفهوم تدريجي للتوحيد من خلال إدراك أن الله واحد وفوق المسميات إلى جانب بقاء الأشكال الحيّة والمهرجانات والصور. وبقي الناس جهلاء يُستغلون ويُستخدمون من قبل الكهنة وهم ينعمون بنوع خاص من الامتيازات محتكرين المعرفة والتعليم. وفي وسط تلك الأجواء جاء موسى عليه السلام لينقذ شعبه من استرقاق المصريين في مهمّة وجهت أيضاً إلى ملك وشعب مصر. وبذر هناك البذرة الأولى لكنه لم يحصد الثمر.

وكان الشعب ينظر إلى الملك أو



الفرعون على أنه إله وهو أيضاً يرى نفسه إلهاً يجب على الجميع أن يتذلل له، وقد حصل ذلك التذلل فعلاً ولكن إرادة الله تعالى لم تكن لتحررهم من الخنوع وحسب وإنما ليخرجهم من الظلمات إلى النور.

وإذا كان احد الفراعنة قاسي القلب في الاستجابة للدعوة فأن حفيده في الجيل الخامس أو السادس أعترف علناً أمام الملأ بالله الحقيقي الواحد الأحد كما سنرى بعد قليل.

وماذا بشأن الشعب؟ فقد حكى القرآن الكريم إن حكماء مصر واجهوا موسى ولكنهم ندموا على خداعهم ورأوا النور بفضل النعمة الالهية. وبرغم إنهم تعرضوا للتهديد وربما للاستشهاد فأن قدرهم فتح عيون الناس وهياهم للثورة الدينية الرائعة التي سنشرح بوصفها الآن.

إن الفرعون في زمن الخروج ربما كان تحتتمس الأول (حوالي ١٤٥٠ ق.م) أما الفرعون منوفس الرابع (حوالي ١٣٥٠ ق.م) فهو الذي تبنى عبادة الله الواحد العظيم الأعلى كدين رسمي للدولة، فقد كان الكاهن الأكبر لآله

الشمس في هيلوبوليس لكن تعدد الآلهة في نظر باثيون المصري وصمة على الديانة المصرية. كان اسمه الأصلي أمنحوتب أي (أمون مقتنع) لأنه مكرس إلى أمون آله العظيم في دين الدولة في طيبة وقد غير اسمه إلى اخناتون أي (التقي إلى آتون) وعبد الله العظيم بأسم آتون وهجر مدينة طيبة لأنها مكرسة لأمون وشيد مدينة جديدة قرب الموقع الذي يعرف الآن ب (تل العمارنة) بين طيبة وممفيس وخصصها إلى آتون الله العظيم. وقد ألفت الألواح الطينية المكتشفة في تل العمارنة عام ١٨٨٧م الكثير من الضوء على العلاقة بين مصر وتوابعها في سوريا حيث كانت الحروف الهجائية على الألواح بالخط المسامري الآشوري، واللغة سامية وقرية جداً في النسب من العبرية.

ولسوء الحظ، لم تستمر الثورة الدينية لامنوفس الرابع طويلاً فالمدينة استوطنت مدة ٢٠ سنة. في حين أن صهره وخليفته توت عنخ آتون نفذ ثورة مضادة فقد عاد من آتون إلى أمون وغير اسمه إلى توت عنخ أمون. وأعاد ترميم المعابد في الكرنك



وعبادة آمون. وتُظهر النفائس المكتشفة حديثاً في قبره المهارات الرفيعة التي بلغها الفنانون والصناع المهرة المصريون آنذاك. أما الدين النقي فلم يبقَ على العرش سوى جيلين فقط وعليه فلسنا بحاجة إلى الافتراض بأنه استُؤصل من أذهان الناس. كانت الأسر اللاحقة من الحادية والعشرين إلى الحادية والثلاثين ترى في اضمحلال مصر قوة حيث خنقت الغزوات الأشورية والفارسية حرية مصر في نهاية المطاف. وبزغت مرحلة جديدة من الحضارة المصرية بمجيء الاسكندر الأكبر في ٣٣٢ ق.م وإنشاء مدينة الإسكندرية حيث امتزجت بالأفكار الإغريقية غيرها وأصبحت عالمية في طبيعتها. تأثرت العقلية الإغريقية الحساسة في زمن هيرودتس بحكمة وغموض مصر. وأصبحت مصر عالمية في الدين والثقافة والفلسفة وتبنت سلالة بطليموس موقفاً متسامحاً عاماً حتى إنها استوردت شعائر سيرابيس<sup>(٢)</sup> من البحر الأسود ودمجوه بايبس ثور ممفيس. وقد انتشرت تلك الشعائر بشكل

(٢) اله مصري عبده اليونان والرومان.

واسع في الشرق وفي مصر فيما بعد عندما أصبحت قلب الإمبراطورية الرومانية سنة ٣٠ ق.م بعد احتلالها. وأصبحت إسكندرية سيرابيس ذات المكتبة الشهيرة المركز الفكري الحقيقي للعالم بعد قرون قليلة. وتشير الصورة المرسومة عن الديانة المصرية في كتاب لايتون (الأيام الأخيرة لبومباي) إلى الديانة الهجينة لإيزيس حيث مورست في الأراضي الأجنبية أكثر مما هي في الديانة المصرية بشكل عام. والسؤال المطروح: أي طريق سلكته الديانة المصرية الحقيقية في تلك الفترة؟ ليس لدينا وسائل حكم دقيقة.

وفي ضوء الأحداث السابقة واللاحقة يمكننا الافتراض بأن الناس والفلاحين الكادحين الشرفاء ذوي العزيمة الراسخة استمروا بمتابعة أغانيهم في العمل وهم يتوقون برغبة صوفية شديدة إلى دين عملي يهيئهم إلى أشكال أكثر نقاوة للعبادة وتوزيع أكثر عدلاً لثمرات الجهود المبذولة.

كانت الإسكندرية في فترة القرون المسيحية الأولى تعج بصيحات كل نوع



اهتمامنا بمصر في القرون السبعة الأولى للمسيحية ينصبُّ على تطور المسيحية ذاتها. ومن الصعب القول متى بدأت المسيحية بالضبط لتحل محل الديانات المصرية القديمة، ولكن عندما تُبَتَّت دعائم المسيحية نجد إن مصر أصبحت واحدة من أهم مراكزها. أما المسيحية الجديدة التي انطلقت من بقايا تعاليم المسيح البسيطة فكان لها أربع مواقف بارزة من التنظيم والمذهب التأملي والزهد والتصوف وهي:

- ١- الكنيسة المحلية المصرية أو القبطية وهي تأملية وزهدية وصوفية تفتت فيها الرهبانية بشكل كبير حيث إنها أثرت بنمو السكان وحطت من قدر المرأة.
- ٢- مدرسة الإسكندرية التي تطورت على الخطوط الإغريقية السياسية والتأملية والفلسفية وتعرضت إلى الانقسام إلى مذاهب كبيرة وبدوَع وكل طرف يحاول السيطرة وهزيمة الآخرين كهرطقة بقوة يد القانون القوية.

- ٣- عندما تحولت عاصمة الإمبراطورية إلى القسطنطينية عام ٣٣٠م تطور أسقف روما تدريجياً إلى قوة سياسية

من أنواع الفلسفة وتعاليم كل نوع من الطوائف الدينية من الشرق والغرب والشمال والجنوب وخصوصاً من الشرق حاضنة الأفكار الدينية. وقد حُصص حيٌّ لليهود في المدينة. وأصبحت مركزاً لليهودية الهيلينية (ذات الطابع الإغريقي) التي ادعت بأن يوسف هو أحد حواريينها. وقد وجدت الفيثاغورية الجديدة<sup>(٣)</sup> (الأيان بالتناسخ في مذهب فيثاغورس) والأفلاطونية الجديدة والغنوسية<sup>(٤)</sup> والمناوية<sup>(٥)</sup> مكاناً لها هناك. أما الميثرازم<sup>(٦)</sup> التي كانت منتشرة بشكل واسع في الإمبراطورية الرومانية وخصوصاً في الجيش في القرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد ربما كانت متمثلة بجانبها الفلسفي في الإسكندرية. وقد كوّن تداخل وتمازج الأعراق والعقائد المسيحية والفلسفات والأديان جواً من الفوضى لم يَصْفُ إلاً بوصول الإسلام.

وتعريجاً على وجهة النظر الدينية فأن

- (٣) الأيان بالتناسخ في مذهب فيثاغورس.
- (٤) مذهب العرفان.
- (٥) الأيان الفارسي بالثناوية.
- (٦) عقيدة الأيان بأله النور عند الفرس.



في ايطاليا حيث ورث النزعة الرومانية في التنظيم وأعطته هجمات القبائل الجرمانية الفرصة ليس في توسيع الكنيسة الكاثوليكية الرمانية في عموم وسط وغرب أوروبا فقط بل في جعل الكنيسة على إنها الأرفع مقاماً في الدولة عندها أصبحت البابوية قوة سياسية.

٤- أما الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية وجميع الطوائف التي حاربتها في الشرق، فقد آلت إلى التلاشي نهائياً قبل تقدم الإسلام. ولو لم تتوسع تلك الكنيسة إلى تخوم سلوفاكيا وتقيم سلطتها عليها وحول روسيا وفي سيبيريا فيما بعد لما نزلت إلى درجة الإهمال مثل الكنيسة القبطية في مصر. وبذرائع حكم البلاد أصبح العبيد الموظفون برواتب في الإمبراطورية يشاركون في كل فسادها، كما أشار لها كنكسلي في كتابه (الهاوية).

ولكي لا نستبق الأحداث، فقبل أن تنفصل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية عن الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية حاربت

الكنيسة ما تسمى (البدع) وقمعتها وكان بعضها يمثل وجهات النظر المسيحية البدائية. وكانت مصر مسرح الكثير من هذه الحروب الدينية. وما يثير اهتمامنا أكثر هي الأريوسية<sup>(٧)</sup> لأن أريوس ناضل بشدة في سبيل عقيدة التوحيد وهي المفهوم البسيط لله السرمدى الخالد ضد كل عقائد فلق الشعرة والطبقات اللاعقلانية في الطبيعة والربوبية التي تبلورت في النهاية إلى عقيدة الثالوث المقدس (ثلاثة في واحد وواحد في ثلاثة). وحتى القرن الثالث الميلادى كانت أعداد الموحدين في الكنيسة كبيرة رغم شروع الميتافيزيقيين المهذبين بمجادلاتهم حول معنى (الله يصبح أنساناً) أي المسيح كلمة الله أو الكلمة وقوة الله، وفيما لو أن الأب والابن من عنصر واحد أو من عنصر مشابه، أو يمكن القول بأن الابن مخلوق الأب وأستلة كثيرة من هذا النوع. ورغم إنهم لا يثيرون اهتمامنا الآن لكنهم مزقوا العالم المسيحي إلى مذاهب

(٧) اريوس كاهن اسكندري توفي عام ٣٣٦م وقال بأن الأبن المسيح غير مساوٍ للأب (الله) في الجوهر.



للمخط بالقوة السياسية لاحقاً. وأصبحت العقيدة المسيحية ضيقة أكثر فاكثراً وأقل عقلانية، وتميل لاستعمال أسلحة مادية لقمع حقيقة الله الأثرية. وفي سنة ٤١٥م طرد اليهود من الإسكندرية وفي نفس السنة والمدينة ذاتها ذبحت بوحشية عالمة الفلسفة والرياضيات هايباشيا الجميلة المتواضعة البليغة بإساءة مهينة للعقلانية والموقف الديني والفكري للمرأة في المجتمع الإنساني. كانت الجريمة وحشية حيث سحبت من مركبتها في الشوارع وجردت من ملابسها وعانت من موت بطيء في كنيسة مسيحية، وبعد ذلك قُطع جسدها إلى قطع وأُحرق. وأبشع صورة للجريمة كان في اشتراك بطريرك الإسكندرية الذي لم يكن فقط صاحب المقام الرفيع في الكنيسة الأرثوذكسية في مصر وإنما في الواقع مصدر القوة السياسية. بينما كان جمهور المسيحيين المحليين (الكنيسة القبطية) المتمسكين بعقيدة الطبيعة الواحدة للمسيح وهي الشكل المحرّف للوحدانية خارج نطاق ذلك الواقع، وأما أعضاؤها

متناحرة فيما بددت رسالة نبينا الكريم الضباب وأعدت تأسيس دين التوحيد على أسس عقلانية راسخة. وكما قلت إن الكنائس المسيحية في الشرق والأقوام الجرمانية التي نشأت فيها بعد التزمت بالوحدانية رغم إنها لم تكن بالشكل النقي الذي وضحه القرآن الكريم. فقد كانت المسألة ربطاً بين أريوس واثاناسيوس والمجلس العام للكنيسة المسيحية في بيتانيا عام ٣٢٥م حينما تم الإجماع ضد أريوس والوحدانية. استمر الجدال محتدماً غيظاً حتى عام ٣٨١م عندما أيد مجلس القسطنطينية الذي دعاه الإمبراطور ثيوديسيوس العظيم أيد عقيدة المسكونية للثالوث المقدس وأعلنها العقيدة الأرثوذكسية الوحيدة. وبرغم استمرار النزاعات والاحتجاجات ووسائل الاضطهاد لفترة طويلة لاحقة يمكننا القول بأن ذلك التاريخ هو بداية سقوط المسيحية. وحتى في المسيحية الغربية إلى سنة ٤٩٦م كان الملك الإفرنجي (كلوفس) الملك المسيحي الوحيد المحنك الذي لم يتبع العقيدة الثالوثية الماكرا فيما جلب الآخرين



فقد كانوا يُعاملون كطبقة منبوذة من قبل إخوانهم الأرثوذكسين وهم ينعمون بدفء الشمس الرسمية وجمعوا بين أيديهم القوة والملكية. وكما يشير كُنكسلي إلى هايباشيا فأن الكنيسة المصرية (انتهت كمجرد طوائف وثنية فوضوية يضايق بعضها البعض كمسائل ميتافيزيقية، إن صحت أو أخطأت، كانت متساوية في هرطقتها في أفواههم لأنهم استخدموها كشعارات للانقسام). وقد أنتجت الأوضاع الاجتماعية سخطاً كبيراً عُوِّض فقط بمجيء الإسلام.

ولهذا السبب رحب الأقباط والقاطنون في مصر بالقوات الإسلامية بقيادة عمرو بن العاص عام ٦٣٩م كمنقذين. وصارت الغلبة للجيش الإسلامي المنتصر وأنتزعت القوة من سايروس (المقوقس بالعربية) بطريك الإسكندرية على مرأى من الأقباط ولكن جيش الإنقاذ استخدمها ليوسع حريات المصريين ويمنحهم حق الدخول في الأخوة العالمية للإسلام وليطور إمكانيات البلاد لمصلحة الشعب. وتقبل المصريون الإسلام ديناً ولغَةً وتقبلوا

مؤسسات العرب ما عدا بقية ضئيلة من المحافظين. وركبت مصر حقبة جديدة من التاريخ ليس من الضروري متابعتها أكثر في هذا البحث.

ومع هذا تجب الإشارة إلى إن ما حدث في مصر حصل في عموم غرب آسيا فقد استسلمت أديان الطوائف اللاعقلانية القلقة المتناثرة أمام دين الوحدة والأخوة المنتصر. أما الإمبراطورية البيزنطية فقد تقهقرت وتقهقرت حتى أُزيلت من الوجود. وما الجهود الواهنة التي قام بها الإمبراطور (ليو) اليسوعي عام ٧٢٦-٧٣١م لتقييد استعمال الصور إلا انعكاساً لحماسة الإسلام التطهيرية. ولكنها لم تنجح في نطاق سلطته وتم عزل البابوية تماماً عن الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية.

وكان أسقف روما يعزز قوته في شخص جريجوري الأول ٥٩٠-٦٠٤م الذي تولى السيطرة على إيطاليا وكان يبحث عن مساعدة وعون الغزاة البرابرة ممن أصبحوا في النهاية أعمدة البابوية. وفي عام ١٠٥٤م حدثت القطيعة النهائية بين الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية والكنيسة



المصادر:

١. الأساطير والخرافات المصرية: رينان.
٢. تاريخ شعب إسرائيل ج ٣: يوسف كتاني باشا.
٣. تاريخ مصر ج ٣: التاريخ القديم كمبرج ج ١ الفصل الرابع.
٤. آلهة المصريين للسير إي أي واليس وكتابه الأخير من الفتشية إلى الله في مصر القديمة (أكسفورد عام ١٩٣٤م).
٥. كتاب الأموات: بودج.
٦. مقدمة في التاريخ المصري: أي دبليو شورتر (١٩٣١م).
٧. تاريخ الدوغاتية ج ٧.
٨. نشأت وتطور المسيحية: او دبليو مكاي (١٨٥٤م).
٩. هيباشيا رواية لـ سي كنعك سلي حيث تعطي صورة جيدة للاحوال الاجتماعية والدينية في مصر المسيحية في القرن الخامس الميلادي.
- في التطابق بين المقوقس بكاشيوس وسيروس. لاحظ (الغزو العربي لمصر: الدكتور أي جي بلتر (أكسفورد ١٩٠٢م) ص ٥٠٨-٥٦٢.

الرومانية الكاثوليكية.

بدأتمزق الكنيسة المسيحية الأرثوذكسية بعد ولادة نبي الإسلام الكريم ﷺ وأصبحت الآن من المفارقات التاريخية. وعندما كان الإسلام يصنع مسيرته المتصرة في القرن الثامن الميلادي بدأت الكنيسة الإغريقية الأصلية بخطوات بإعادة ترتيب بيتها. ولكنها خسرت (رسالتها التبشيرية) في حين حل محلها المسلمون الجدد.

أما الكنيسة الغربية فقد تأثرت شعورياً أو لا شعورياً بالمبادئ المطلقة للإسلام. أما كيف سيكون سياق الدين المستقبلي أو كيف ستغلب إرادة الله الحكيمة؟ هذا ما لا نعرفه لأنها من خصائص الله تعالى مما لا يمكن لعقلية البشر المحدودة معرفتها. لقد حدثت ولا تزال تغيرات كثيرة في الأخوة الإسلامية. وبرغم التقلبات الكثيرة في مصر في العهد الإسلامي فإنها في الطليعة الفكرية بين الأمم الإسلامية الناطقة باللغة العربية. ونبتهل الى الباري عز وجل أن يهدي شعبها للعمل بروحية جديدة من خلال قنواتهم التعليمية والثقافية والدينية على تقدم الإسلام وتمجيد الله سبحانه وتعالى.



## مقارنة التواريخ الدقيقة للأحداث وترتيبها وفق التسلسل الزمني لسني

### الإسلام الأولى

عندما تؤرخ الأحداث بعد الهجرة (النبوية) حسب التقويم العربي فإنها عادة ما تحسب بما يطابقها تماما مع التقاويم الأخرى، ولكن من غير الممكن أن تتزامن التواريخ الأولى للتقويم العربي تماما مع تواريخ التقويم الميلادي وذلك لسببين: الأول الاختلاف بين التقاويم المعتمدة في مكة وفي المدينة. والثاني أن التقويم العربي كان شمسيا-قمريا قبل سني حجة الوداع (في ذي الحجة عام ١٠ هـ الموافق آذار ٦٣٢م).

وكان العرب الوثنيون عادة يعدون الشهور بظهور القمر (الهلال) ولكنهم كانوا يقحمون شهرا مرة كل ثلاث سنين (بصورة غير منتظمة) حتى يجعلوا التقويم مطابقا للفصول من دون الاعتماد على أية حسابات فلكية أو أي نظام آخر بل بما يناسب أغراضهم الاجتماعية. ونتيجة لذلك فكثيرا ما كانت أشهر السلام والأمان تختلط بأشهر الحرب وفق الموثيق المعقودة مسبقا فيحصل ذوو القوة من

أعدائهم على غنائم منافية لتلك الموثيق لعدم تطبيق الحسابات الدقيقة.

وبعد اعتماد الرسول الكريم التقويم القمري الدقيق لأغراض عبادية لم يعد هناك إرباك في الحسابات. فكل عملية تاريخ لحدث معين بعد السنة العاشرة للهجرة يمكن مطابقته مع أي تقويم دقيق آخر. وعليه فقد يمكن الاعتماد على جداول زمنية إسلامية وميلادية متطابقة لأحداث ما بعد السنة العاشرة للهجرة، ولكن يجب اخذ الحيطه عند مطابقة تواريخ مبكرة سبقت هذا التاريخ.

وقد اقر السيد شبلي في كتابه (سيرة النبي) (٨) العشرين من نيسان سنة ٥٧١م تاريخا لميلاد النبي ﷺ متبعا محمود باشا الذي سبقه بذلك، فعند ذكر وفاة إبراهيم ابن النبي محمد ﷺ أشارا إلى حدث فلكي وهو الكسوف الكلي للشمس الذي شاهده كل أهل المدينة في ذلك اليوم. ومع ذلك فلم يكن هناك اتفاق في الأسانيد على تحديد تاريخ معين للوفاة في التقويم العربي

(٨) السيرة النبوية ج١ ص ١٢٤ طبعة سنة ١٩١٨/١٣٣٥م.



اشعر عند مراجعة جميع الأسانيد بأني أميل إلى قبول تاريخ الكسوف ووفاة إبراهيم في ٢٨ أو ٢٩ ربيع الأول سنة ١٠ هجرية الموافق الرابع أو الخامس من تموز سنة ٦٣١م، ولكن هذا لا يمكن الجزم به يقيناً، فيما يؤرخ المستند الفرنسي للتواريخ<sup>(١٠)</sup> كسوف الشمس في الثالث من آب سنة ٦٣١م الساعة ٢،٣٠ بعد الظهر وبموجب النظام المتبع في ذلك الكتاب فأن التاريخ الهجري المطابق يكون ٢٨ ربيع الثاني سنة ١١ هجرية.

وحتى لو كان هذا التاريخ المحدد مؤكداً ودقيقاً فيبقى شيء من عدم التأكد في حساب التواريخ قبل ذلك. وتفترض معظم المراجع إن السنة القمرية تتكون من ٣٥٤ يوم عند تحديد التواريخ السابقة، وعلى هذا الأساس ربما حسب المسلمون في المدينة المنورة (حتى قبل تحديد السنة القمرية بدقة) على إنها السنة العاشرة للهجرة. وكما ذكرنا سابقاً فأن معظم العرب الوثنيين في مكة وأماكن أخرى

(١٠) المستند الفرنسي للتواريخ ج ١ ص ٣١٠ باريس ١٨١٨م.

أو الميلادي في حين يتفق شبلي مع محمود باشا على تحديد السابع من تشرين الثاني سنة ٦٣٢م موعداً للكسوف. بينما يفترض موير<sup>(٩)</sup> تاريخ الوفاة أما في حزيران أو تموز سنة ٦٣١م، ويحدد القبطاني تاريخ الكسوف بالربيع أو الخامس من تموز سنة ٦٣١م والذي يصادف عنده مع الثامن والعشرين أو التاسع والعشرين من ربيع الأول سنة ١٠هـ في حين يقتبس من الروايات إن وفاة إبراهيم حدثت في السادس عشر من حزيران سنة ٦٣١م الذي يتزامن مع العاشر من ربيع الأول سنة ١٠ هجرية. وهناك خطأ في ذلك فالوفاة والكسوف حدثتا في اليوم نفسه.

أما الواقدي فيحدد الشهر بربيع الأول سنة ١٠ هجرية ويعطي إبراهيم عمراً ناهز ١٥ شهراً. وإذا كان أبو داود والبيهقي صحيحين فأن إبراهيم عاش شهرين وعشرة أيام فقط وبما إن تاريخ ولادته في ذي الحجة سنة ٨ هجرية فيكون تاريخ وفاته حسب هذه الأسانيد في ربيع الأول سنة ٩ هجرية.

(٩) الحياة ميوير ص ٤٢٩ طبعة ١٩٢٣م.



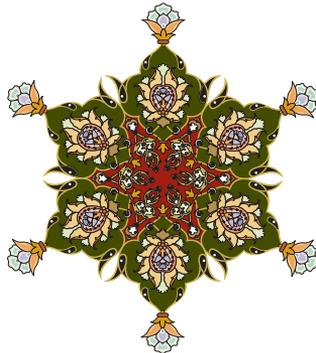
كانوا يقحمون شهرا تقريبا مرة كل ثلاث سنين إلى أن دُمّرت سطوتهم تماما في فتح مكة. ولذلك لا يمكن تحري الدقة في تواريخ قبل الفتح أو في حساب أعمار الناس قبل سنة ٨ أو ٩ هجرية<sup>(١١)</sup>.

أما تاريخ الهجرة الحقيقي (كما ذكر في كتاب القاطوني) فيمكن قبوله على انه في أيلول أو تشرين الأول عام ٦٢٢م الذي صادف في ربيع الأول. وإذا كان قبول التاسع من ذلك الشهر على انه يوم المغادرة من غار حراء في جبل ثور، فإن التاريخ المتزامن يكون ٢٢ أيلول سنة

(١١) راجع الملاحظة حول هذا الموضوع في كتاب ماركليوت «حياة النبي ﷺ» والحياة لميوير طبعة ١٩٢٣م.

٦٢٢م. ولكن بما إن محرم كان ولا يزال الشهر الأول في السنة العربية فأن الأول من محرم سنة ١ هجرية يمكن تحديده في ١٥ أو ١٦ تموز عام ٦٢٢م. واستنادا إلى الطبري فيمكن تحديد بداية أقرار التاريخ الهجري في الوثائق الرسمية في خلافة عمر بن الخطاب في سنة ١٧ أو ١٨ هجرية.

ويطرح السير ولسيلي هيك في كتابه "مقارنة الجداول التاريخية الهجرية بالميلادية (لندن ١٩٣٢)، ثلاث جداول للمقارنة يحدد فيها السنين الهجرية من سنة ١ هجرية إلى سنة ١٤٢١. وقد طبع الجدول الرئيسي لهذه السنين في نهاية قاموس حاييم "القاموس الانجليزي-الفارسي الحديث" (طبعة طهران ١٩٣١).

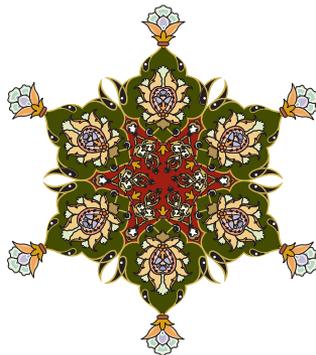
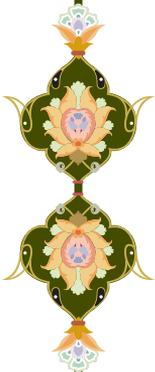


## ملخص البحث

يقدم السيد الباحث لبحثه بمقدمة مقتضية يقرر فيها ان الامم تعيش حياتها على وفق ما اكتسبه من الثقافة والعرفان وان (الماوردي) هو احد العلماء الذين كانت لهم اليد الطولى في تفسير كتاب الله (جلا وعلا).

ثم يعرّف السيد الباحث بالماوردي ويعرض لمحة من سيرته الذاتية وحياته العلمية.

بعد ذلك يبسط القول في مصادر تفسيره و هي:  
اللغوية والتفسيرية والقراءات والفقهاء ويضرب على ذلك امثلة اقتبسها من تفسيره واسند الاخرى الى مصادر اخرى سبقته في هذا الميدان.



# مصادر الماوردي في التفسير

أ.م.د. عامر عمران الحفاجي  
جامعة بابل - العراق

## المقدمة

الشرية الطاهرة، وجعلوا من علمهم وعملهم معالم هدى للسالكين ومنار خير للسائرين على الطريق.

ومن هولاء العلماء الذين كانت لهم اليد الطولى في تفسير كتاب الله تعالى أبو الحسن الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ ولقد آثرت أن اكتب عن مصادره في التفسير.

## سيرته الذاتية

### اسمه

علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي<sup>(١)</sup> وأما لقبه الماوردي، فهي نسبة إلى بيع ماء الورد أو نسبة إلى

(١) انظر: طبقات المفسرين، للدواودي ٤٢٣/١، معجم الأدباء، ياقوت الحموي ٥٢/١٥، الأعلام، الزركلي ١٤٦/٥.

تعيش الأمم حياتها السلوكية على وفق ما تدين به وما اكتسبته من الثقافة والعرفان، وتسير في منهجها على ذلك الخط الذي استوحته من عقيدتها، وتختلف النتائج باختلاف المصادر التي تستقى منها الثقافة والأمة الإسلامية لديها من الرصيد الثقافي المقدار الضخم الذي تحتاج معه إلى أن تستورد من خلف السهوب ومن وراء البحار مفاهيم جديدة وأفكار دخيلة، فإنها في هذا الميزان إلى يومنا هذا وإلى المستقبل القريب والبعيد ستظل مبعث النور الذي لا منقذ للبشرية سواه ولقد أدرك علماءنا (عليهم من الله الرحمة) مدى ما لثقافتهم ومعارفهم من العظمة فخدموا هذه

بها في مجال المعرفة وفنون العلم فقد ألف الماوردي في العقيدة كتاب (أعلام النبوة) وفي الأخلاق كتاب (أدب الدنيا والدين)، وهو كتاب يبحث في الآداب التي ينبغي على الإنسان أن يتمسك بها، وفي الفقه كتاب (الحاوي الكبير والخاص بالفقه الشافعي)، وفي السياسة كتاب (الأحكام السلطانية والولايات الدينية) وغير ذلك من الكتب. ولو قدر لهذا الرجل أن يتفرغ للبحث والتأليف فقط لترك تراثا علميا أكثر، وقد سبقني إلى ذكر مؤلفاته المخطوطة والمطبوعة والمنسوبة إليه الدكتور محي هلال السرحان (٥).

### مصادر تفسير الماوردي

#### مدخل

يعرف تفسير الماوردي (رحمه الله) وهو موضوع بحثنا ب (النكت والعيون) وهو تفسير كامل للقران يقع في أربع مجلدات متوسطة الحجم. جمع بين الرواية والدراية من علم التفسير ومن خلال كثرة مصادره وتنوعها تبرز حقيقة الماوردي وفكره الموسوعي في العلوم الثقيلة والعقلية (٥) انظر: أدب القاضي، ١/ ٥٦ وما بعدها.

المورد نفسه، لان أباه كان يعمل ماء الورد ويبيعه (٢).

#### مولده

ولد الماوردي في البصرة سنة ٣٦٤هـ وتوفي سنة ٤٥٠ هـ ببغداد، أي انه عاش ستا وثمانين سنة (٣). ولم تسعفنا المصادر عن أسرته وأفراد عائلته، إلا أنها ذكرت أخاه، وان ذلك الأخ كان يكتب الشعر، فقد ذكر الخطيب البغدادي في تاريخه أن الماوردي عندما كان ببغداد قال (كتب لي أخي من البصرة، وقد اشتد شوقه إلى مقامي ببغداد شعرا قال فيه:

طيب الهواء ببغداد يشوقني

قدما إليها وان عاقت مقاديري (٤).

#### حياته العلمية

على الرغم من اشتغال الماوردي بالإفتاء والقضاء فان إنتاجه في حقل التأليف لم يتوقف، ولا تزال كتبه ينتفع (٢) انظر: الإعلام ٥/ ٤٦، روضات الجنات، الخوانساري، ٣/ ٤٦٢. (٣) انظر: البداية والنهاية، لبن كثير ١٣/ ٤٣، تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ١٢/ ١٠٢.

(٤) أدب القاضي، الماوردي، ٢١.



والإحاطة الكبيرة بهما.

وكان توسع الماوردي فيما استقاه من  
موارده، قد جعلني أقسم مصادر تفسيره  
على:

مصادره اللغوية.

مصادره التفسيرية.

مصادره في القراءات القرآنية.

مصادره الفقهية.

مصادره اللغوية.

يكثر الماوردي النقل عن المصادر  
اللغوية والنحوية في تفسيره، فقد وضع  
لها جانبا مهماً جعله بداية تفسيره للآيات،  
وهي وسيلة لفهم معاني القرآن الكريم،  
ولقد آثرنا هنا أن نتكلم عن أهم مصادره  
من كتب اللغة والنحو التي اعتمدها في  
تطبيق قواعدها على الآيات القرآنية، والتي  
لا يستغني المفسر عنها. وأهم مصادره  
اللغوية، نوردها على سبيل الإيجاز وهي:

١. معاني القرآن، للفراء (ت ٢٠٧هـ): هو

أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن  
منظور الدليمي المعروف بالفراء، كان  
اعلم الكوفيين بالنحو بعد ألكسائي

توفي في طريق مكة سنة ٢٠٧هـ (٦).

نقل الماوردي عن الفراء الكثير من  
أقواله في اللغة والإعراب والقراءات  
والتفسير والنحو وغيرها (٧).

وقد استشهد الماوردي بأرائه  
مصرحا بلقبه دون الإشارة إلى كتاب  
معاني القرآن بلفظه (قال، ذهب، زعم،  
رجح، ذكر، أشار).

وكثيرا ما يستعين الماوردي بأقوال  
الفراء ويذهب مذهبه حيث قال الماوردي  
في تفسير قوله تعالى:

﴿إِلَّا كَبَسِطَ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ  
بِيَبْلُغُهُ﴾ [سورة الرعد: ١٤].

زعم الفراء إن المراد بالماء هنا البئر  
لأنها معدن الماء وان المثل كمن مديده إلى  
البئر بغير رشاء وشاهده قول الشاعر:

فإنَّ الماءَ ماءً أبي وجَدِّي

وَبَثْرِي ذَوْ حَفْرَتٍ وَذَوْ طَوَيْتٍ (٨).

(٦) انظر: طبقات المفسرين ٢/ ٣٦٦، طبقات  
النحويين واللغويين ١٤٣.

(٧) انظر: تفسير الماوردي ٢/ ٨، ٩، ٢٠، ٢٧،  
٤١٨، ٢٠٤.

(٨) انظر: تفسير الماوردي ٢/ ٣٢٥، وقارنه  
بمعاني القرآن ٢/ ٦١.



﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ

وَأَلْقَمَلَّ﴾ [سورة الأعراف: ١٣٣].

قال الماوردي وفي (القمل) خمسة

أقاويل... الرابع:

القردان، قاله أبو عبيدة (١١).

ونقل عنه معنى كلمة (الدخان) حيث

قال الماوردي في قوله تعالى:

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ

مُيِّنٍ﴾ [سورة الدخان: ١٠].

قال أبو عبيد (والدخان الجذب) (١٢).

١- معاني القران، للاخفش (ت ٢١٥

هـ) لأبي الحسن سعيد بن مسعدة البلخي

المجاشعي الاخفش مولده في العقد الثالث

من القرن الثاني للهجرة وكانت وفاته بعد

سنة سبع ومائتين أو في سنة عشر ومائتين

أو خمس عشرة ومائتين (١٣).

(١١) انظر: تفسير الماوردي ٥٠/٢ وقارنه

بمجاز القران ١/٢٢٦.

(١٢) انظر: تفسير الماوردي ٩/٤ وقارنه بمجاز

القران ٢/٢٠٨.

(١٣) انظر: طبقات المفسرين ١/١٨٥، معاني

القران للاخفش، تحقيق عبد الأمير أمين

الورد، رسالة دكتوراه من جامعة بغداد

١٩٧٨ م، ٦ نقلا عن مجموعة كبيرة من

المصادر.

ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله

تعالى: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [سورة

طه: ١٠٦].

قال الماوردي: هنالك ثلاثة أقاويل...

الثالث: مستنقع الماء قاله الفراء (٩).

٢. مجاز القران، لأبي عبيدة (ت ٢٠٩ هـ)

لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي تيم

قريش، أو تيم بني مرة على خلاف

بينهم، ولد سنة ١١٠ هـ وهي سنة وفاة

الحسن البصري، ارتحل إلى بغداد سنة

١٨٨ هـ وتوفي ما بين سنتي ٢٠٩-

٢١٣ هـ وقارب المائة وكان صدوقا

روى له البخاري تعليقا (١٠).

وقد استشهد بأقواله في مواضع

متفرقة من تفسيره مصرحا بكنيته دون

الإشارة إلى كتابه (مجاز القران) ويذكره

بلفظه (قال، ذكر، رجح، عن، أشار).

ومن أمثلة ما نقل عن معاني الكلمات

من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى:

(٩) انظر: تفسير الماوردي ٣/٣٠ وقارنه بمعاني

القران ٢/١٩١.

(١٠) انظر: طبقات المفسرين ٢/٣٢٦ وما

بعدها، مقدمة تفسيره (مجاز القران) ٩ وما

بعدها.



وقد استشهد الماوردي بأرائه في مواضع مختلفة من تفسيره.

الماوردي يكتفي بقوله: قال الاخفش أو هو قول الاخفش دون أن يشير إلى معاني القرآن.

ومن أمثلة ما نقله عنه، قال الماوردي في تفسير قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبًا مَثَلًا فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [سورة الحج: ٧٣].

وفي المثل المضروب وجهان، احدهما، انه ليس هنا مثل، ومعنى الكلام أنهم ضربوا لله مثلاً في عبادة غيره، قاله الاخفش (١٤) ومن ذلك أيضاً، قال الماوردي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ﴾ قال الاخفش، أصله المتزمل فادغم التاء في الزاي (١٥).

٢- معاني القرآن وأعرابه للزجاج (٣١١ هـ) هو انو إسحاق إبراهيم بن سري بن سهل، ولد سنة ٣٢٢ هـ (١٦).

وقد استشهد الماوردي بأقواله مصرحاً

(١٤) انظر: تفسير الماوردي ٨٩/٣ وقارنه بمعاني القرآن، ٥٤٩.

(١٥) انظر: تفسير الماوردي ٣٣١/٤ وقارنه بمعاني القرآن، ٦١٤.

(١٦) انظر: طبقات المفسرين ١/١٠، طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي ١٢١.

بلقبه، دون الإشارة إلى كتابه ويذكره بلفظة (قال، ذهب، ذكر، رجح، أشار، عن).

فمن أمثلة ما نقل عنه ما جاء في تفسير قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ يَقِضُ وَيَبْصُطُ﴾ [سورة

البقرة: ٢٤٥].

قال الماوردي، فيه تأويلان... والثاني يقبض الصدقات ويبسط الجزاء، وهو قول الزجاج (١٧).

ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله:

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ

الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ [سورة النساء: ٨٣].

قال الماوردي وفي المعنى قولان... والثاني: أنهم ضعفة المسلمين وهو قول الزجاج (١٨).

والى جانب هولاء الأعلام فان الماوردي يستشهد بأراء غيرهم من أهل اللغة والنحو والقراءات بصريين وكوفيين على اختلاف مناهجهم وعلى اختلاف نقله عنهم كثرة وقلة في مواطن

(١٧) انظر: تفسير الماوردي ١/٢٢٠ وقارنه بمعاني القرآن وإعرابه، ٣٢٥.

(١٨) انظر: تفسير الماوردي ١/٤٠٩ وقارنه بمعاني القرآن وإعرابه، ٨٣/٢.



متفرقة من تفسيره مصرحا بألقابهم أو كناههم. ونوردهم على سبيل الأجمال وهم ألكسائي (ت ١٨٩هـ)، ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ويحيى بن سلام وأبو العالية ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم كثير.

## مصادره التفسيرية

١- جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري صاحب التصانيف المشهورة وهو من أهل طبرستان، ولد سنة ٢٢٤ هـ وتوفي سنة ٣١٠ هـ (١٩).

أفاد الماوردي من تفسيره الكثير من أقواله في معاني الكلمات والنحو والإعراب والتفسير وأسباب النزول والقراءات والمكي والمدني فضائل السور والنسخ والقصص التاريخية وما إلى ذلك. واستشهد الماوردي بأرائه مصرحا بلبقه تارة أو بكنيته تارة أخرى، واليك نماذج توضح طريقة أخذه من تفسير الطبري من ذلك.

قال الماوردي في تفسير قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا

(١٩) انظر: طبقات المفسرين ٢/١٠٦، لسان الميزان، ابن حجر، ٥/١٠٠.

خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [سورة التوبة: ٤١].

فيه عشرة تاويلات... التاسع... على خفة البعير وثقله، قاله الطبري (٢٠).

ومن أمثلة ما نقله عنه ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَهْجُرُوهُمْ فِي أَمْصَاجٍ﴾

[سورة النساء: ٣٤].

قال الماوردي فيه خمسة أقوال... والخامس. هو أن يربطها بالهजार، وهو حبل يربط به البعير، ليقرأها على الجماع وهو قول أبي جعفر الطبري (٢١).

وكثيرا ما يستعين الماوردي بأقواله، ويذهب مذهبه ففي قوله تعالى:

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ

فَأَمَّنَ وَاسْتَكْبَرْتَ﴾ [سورة الاحقاف: ١٠].

فقد نقل الماوردي عن بعض المفسرين بان هذا الشاهد عبد الله بن سلام وعزا هذا القول إلى الحسن ومجاهد وقتادة وغيرهم وعقب على ذلك بقوله: (وفي هذا نظر فان السورة مكية بالإجماع، وعبد الله بن سلام

(٢٠) انظر: تفسير الماوردي ٢/١٣٩ وقارنه بتفسير الطبري ١٠/٩٧.

(٢١) انظر: تفسير الماوردي ١/٣٨٧ وقارنه بتفسير الطبري ٥/٤٣.



كان إسلامه بعد الهجرة، فيكون المراد بالشاهد رجلاً من أهل الكتاب قدامن بالقران في مكة وصدقه، واختار هذا ابن جرير (٢٢).

ووجدت أن الماوردي ينقل عن أئمة الصحابة أمثال الخليفة عمر بن الخطاب (ت ٢٣ هـ) وأبي بن كعب (ت ٢٢ هـ) وحذيفة بن اليمان (ت ٣٦ هـ) والإمام علي (عليه السلام) (ت ٤٠ هـ) وغيرهم، وكما نقل عن أئمة الصحابة فانه نقل عن أئمة التابعين وتابعيهم أمثال مجاهد بن جبر (ت ١٠٣ هـ) والحسن البصري (ت ١١٠ هـ) وقتادة السدوسي (ت ١١٧ هـ) وعطاء بن أبي رباح (ت ١١٧ هـ) والكلبي (ت ١٤٦ هـ) ومقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ) وسفيان الثوري (ت ١٦١ هـ) وغيرهم.

٢- تفسير مجاهد هو مجاهد بن جبر المكي المخزومي المقرئ المفسر اللغوي الحافظ ولد سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب (٢٣).

أفاد الماوردي من تفسيره الكثير من (٢٢) انظر: تفسير الماوردي ٤/٤٢٠ وقارنه بتفسير الطبري ٢٦/٣٣. (٢٣) انظر: التاريخ الكبير، للبخاري ٢/٢، ٩٣، التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي ١/١٠٩.

أقواله بالنص أو بالمعنى من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ [سورة الحج: ٢٠] قال الماوردي... والرابع. يذاب به، وهو قول مجاهد (٢٤).

ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْقَنْطَرِ الْأَمْقَطَرِ﴾ [سورة آل عمران: ١٤].

قال الماوردي... والخامس انه سبعون ألفاً قاله مجاهد (٢٥) ومن ذلك أيضاً ما جاء في قوله تعالى:

﴿غَيْرِ ذِي عِوَجٍ﴾ [سورة الزمر: ٢٨]. قال الماوردي: غير ذي لبس (٢٦).

٣- تفسير سفيان الثوري هو سفيان بن سعد بن مسروق بن رافع الثوري الكوفي، ولد سنة ٩٧ هـ وتوفي سنة ١٦١ هـ (٢٧).

أفاد الماوردي من تفسيره الكثير من (٢٤) انظر: تفسير الماوردي ٣/٧٢ وقارنه بتفسير مجاهد ٢/٤٢١.

(٢٥) انظر: تفسير الماوردي ١/٣١٠ وقارنه بتفسير مجاهد ١/١٢٣٠.

(٢٦) انظر: تفسير الماوردي ٢/٤٦٧ وقارنه بتفسير مجاهد ٢/٥٥٧.

(٢٧) انظر: تاريخ بغداد ٩/١٥٢، التاريخ الكبير ٢/١٩٤.



وقلة منهم الكلبي (٣٠) والرماني (٣١)  
ومقاتل (٣٢) وغيرهم.

### مصادره في القراءات القرآنية

عنى الماوردي بالقراءات القرآنية،  
كما عنى غيرها من علوم، كأساس لفهم  
النص القرآني.

لقد تقدم أبو بكر بن مجاهد (ت  
٣٢٤ هـ) أهل عصره في علوم القراءات،  
وأطبق العلماء على قراءته وشهرته وعرف  
بالأمانة، فصنف كتاباً في القراءات اقتصر  
على سبعة قراء لم يسبق إليه احد في  
السبعة (٣٣) ثم اتبعه الناس على ذلك إلى  
إن جاء ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) فألف

(٣٠) هو أبو النضر محمد بن السائب الكلبي،  
توفي سنة ١٤٦. انظر: طبقات المفسرين  
١٤٤/٢، ميزان الاعتدال، للذهبي  
٥٥٦/٣.

(٣١) هو أبو الحسن علي بن عيسى بن عبد الله  
الرماني النحوي، ولد سنة ٢٩٦ هـ وتوفي  
سنة ٣٨٤ هـ. انظر: طبقات المفسرين،  
٤٢٠/١.

(٣٢) هو مقاتل بن حيان ويكنى أبا بسطام  
توفي سنة ١٥٠ هـ. انظر طبقات المفسرين  
٣٢٩/٢، ميزان الاعتدال ١٧١/٤.

(٣٣) انظر: أصول التفسير وقواعده، خالد عبد  
الرحمن، ٤٣٩.

أقواله بالنص تارة والمعنى تارة أخرى،  
من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾

[سورة البقرة: ٢٣٣].

قال الماوردي، واختلف أهل التفسير  
فيها دلت عليه هذه الآية من رضاع حولين  
كاملين، وهذا قول الثوري (٢٨).

وينقل الماوردي أقوال لم اعثر عليها في  
تفسير الثوري ولا في تفسير الطبري، وما  
تحت يدي من كتب التفسير التي اعتمدها  
الماوردي من ذلك ما جاء في تفسير قوله  
تعالى: ﴿أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوُا﴾  
[سورة هود: ٨٧].

قال الماوردي فيها ثلاثة تاويلات...  
الثاني. الزكاة، كان يأمرهم بها فيمتنعون  
منها، قاله سفيان الثوري (٢٩).

وما عدا هؤلاء فان الماوردي ينقل  
عن الآخرين من المفسرين على اختلاف  
مناهجهم وعلى اختلاف نقله عنهم كثرة

(٢٨) انظر: تفسير الماوردي ٢٥٠/١ وقارنه  
بتفسير سفيان الثوري، ٦٨.

(٢٩) انظر: تفسير الماوردي ٢٣٢/١ وانظر  
تفسير سفيان الثوري ١٣٢٠.



فمن الأمثلة على ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغَلَّ﴾ [سورة آل عمران: ١٦١].

حيث قال الماوردي: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وفتح الياء وضم الغين، وقرأ الباقر يغل بضم الياء وفتح الغين. ففي تأويل من قرأ بفتح الياء وضم الغين ثلاثة أقاويل:

**أحدها**، إن قטיפعة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض الناس أخذها رسول الله ﷺ فانزل الله تعالى هذه الآية.

وهذا قول عكرمة وسعيد بن جبير. **الثاني**، أنها نزلت في طلائع كان رسول الله ﷺ وجههم في وجهه، ثم غنم الرسول ﷺ فلم يقسم للطلائع فانزل الله تعالى قوله. أي يقسم لطائفة من المسلمين ويترك طائفة. وهذا قول ابن عباس والضحاك.

**الثالث**، أن معناه وما كان لنبي أن يكتم الناس ما بعثه الله أليهم لرهبة منه ولا رغبة فيهم وهذا قول ابن إسحاق.

وأما قراءة من قرأ يغل بضم الياء وفتح الغين، ففيها قولان:

كتابه (النشر في القراءات العشر) إذ ضم إلى السبع ثلاث (٣٤).

والقراءات تعتبر من أقدم العلوم المتعلقة بالقران الكريم إذ أنها رافقت نزوله كما رافقت علم التفسير (٣٥). ومما يجدر بالإشارة أن الماوردي اعتمد القراءات المتواترة والمشهورة والشاذة.

يذكر الماوردي القراءات وينسبها إلى أصحابها فيقول قرأ ابن كثير وحمة والكسائي وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وغيرهم.

المتبع لتفسير الماوردي يجده يذكر أسماء القراء فلا بد أنه نقلها من كتب القراءات التي كانت منتشرة في عصره من ذلك: (كتاب السبعة) لأبي بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ). و (كتاب الإرشاد) لابن غلبون (ت ٣٨٩ هـ). و (كتاب التبصرة) لمكي بن أبي طالب (ت ٣٩١ هـ). و (كتاب حجة القراءات) لأبي زرعه الذي ألفه قبل عام ٤٠٣ هـ.

(٣٤) انظر: المصدر نفسه ٤٣٩.

(٣٥) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القران



**أحدهما**، يعني وما كان لنبي أن يتهمه أصحابه، ويخونوه.

**والثاني** معناه وما كان لنبي أن يغلب أصحابه ويخونهم، وهذا قول الحسن وقتادة (٣٦).

### مصادره الفقهية

يتوسع الماوردي في الفقه الإسلامي عند تعرضه لتقسيم آيات الأحكام وينقل جملة كثيرة من أقوال الفقهاء من الصحابة والتابعين لا سيما رأي الفقيه الشافعي الذي ينتسب إليه، ووجدته أمينا في عرضه المذاهب الفقهية.

ولقد اصطفيت ثلثة من الآيات القرآنية التي فسرهما الماوردي. من ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [سورة البقرة: ١٥٨].

قال الماوردي. ورفع الجُنَاح من أحكام المباحات الواجبات، فذهب ابو حنيفة إلى إن السعي بين الصفا والمروة غير واجب في

الحج والعمرة منسكا بأمرين:

**أحدهما**، قوله تعالى. فلا جناح عليه أن يطَّوَّفَ بهما ورفع الجُنَاح من أحكام المباحات دون الواجبات.

**والثاني**، إن ابن عباس وابن مسعود قراء. فلا جناح عليه أن لا يطَّوَّفَ بهما.

وذهب الشافعي ومالك وفقهاء الحرمين إلى وجوب السعي في النسكين تمسكا بفحوى الخطاب ونص السنة، وليس في قوله. فلا جناح دليل على إباحته دون وجوبه، لخروجه على سبب، وهو أن الصفا كان عليه في الجاهلية صنم اسمه اساف وعلى المروة صنم اسمه نائلة، فكانت الجاهلية إذا سعت بين الصفا والمروة طافوا حول الصفا والمروة تعظيما لاساف ونائلة، فلما جاء الإسلام والغيت الأصنام كره المسلمون أن يوافقوا الجاهلية في الطواف حول الصفا والمروة، مجانية لما كانوا عليه من تعظيم اساف ونائلة، فأباح الله تعالى ذلك لهم في الإسلام لاختلاف القصد فقال ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ وأما قراءة ابن مسعود وابن عباس. فلا جناح عليه أن لا يطَّوَّفَ بهما، فلا حجة فيها على



(٣٦) انظر: تفسير الماوردي ١/ ٣٥٠، وقارنه بكتاب حجة القراءات، أبو زرعة، ١٧٩ وما بعدها.

(ومشهور مذهب مالك انه ركن) (٤٠).  
ومن ذلك ايضاً ما جاء في تفسير قوله  
تعالى: ﴿وَالْمُطَلَقَاتُ يَرْبِّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ  
ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨].

قال الماوردي: اختلفوا في الأقرء على  
قولين:

**احدهما**، هي الحيض، وهو قول عمر  
وعلي وابن مسعود وأبي موسى ومجاهد  
وقتادة والضحاك وعكرمة والسدي  
ومالك وأبي حنيفة وأهل العراق.

**والثاني**، هي الأطهار، وهو قول  
عائشة وابن عمر وزيد بن ثابت والزهري  
والشافعي وأهل الحجاز (٤١).

(٤٠) أحكام القرآن ١/ ٤٨.

(٤١) انظر تفسير الماوردي ١/ ٢٤٢.

سقوط فرض السعي بينها، لان (لا) صلة  
في الكلام إذا تقدمها جحد، كقوله تعالى ﴿  
مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [سورة الأعراف:  
١٢]. بمعنى ما منعك أن تسجد (٣٧).

ولو قمنا بالرجوع إلى آراء المذاهب في  
هذه الآية الكريمة لوجدنا إن السيوري  
من الإمامية يقول: (السعي عندنا واجب  
وركن، من تركه عمدا بطل حجه) (٣٨).

ومن الحنفية قال الجصاص: (فقد  
دلت الآية بفحواها على أن السعي بينها  
قربة إلى الله تعالى) (٣٩).

وقال ابن العربي من المالكية:

(٣٧) انظر: تفسير الماوردي ١/ ١٧٧.

(٣٨) كنز العرفان في فقه القرآن ١/ ٢٥٣.

(٣٩) أحكام القرآن ١/ ٩٨.

### الخاتمة

١. يعتمد في تفسيره للآيات الكتاب  
والسنة فهو تفسير القرآن بالقران  
والقران بالسنة كما انه يهتم ببيان لغة  
القران والجوانب النحوية بالاعتماد  
على معاني القران للفراء والزجاج  
الاخفش وغريب إعراب القران.

٢. اعتماده على القراءات القرآنية في تفسيره

بعد أن استكملت خيوط البحث،  
والحمد لله يمكن أن أدون النتائج التي  
توصلت إليها بعد مصاحبتي لتفسير  
الماوردي اذ توصلت إلى:

اعتماده كتب التفسير التي سبقته  
كتفسير الطبري ومجاهد ومقاتل وسفيان  
الثوري وغيرهم.

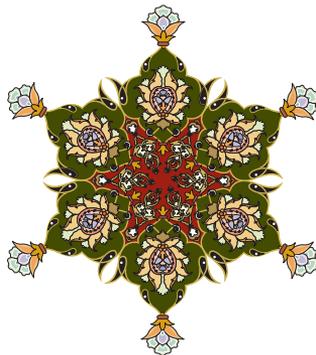


## المصادر والمراجع

١. أحكام القرآن، لأبي بكر احمد بن علي الجصاص الحنفي ن بيروت، دار الكتاب العربي.
٢. أدب القاضي، لأبي الحسن الماوردي، تحقيق د. محي هلال سرحان، بغداد، ١٩٧٢ م.
٣. أصول التفسير لكتاب الله المنير، خالد عبد الرحمن، دمشق، ط ١، ١٩٦٨ م.
٤. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ١٩٨٤ م.
٥. البداية والنهاية في التاريخ، لإسماعيل بن كثير الدمشقي، ط ١ مطبعة السعادة، ١٩٣٢ م.
٦. تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت.
٧. التاريخ الكبير، لمحمد إسماعيل البخاري.
٨. التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مصر ط ٢.
٩. تفسير سفيان الثوري، تحقيق امتياز علي عرشي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٣ م.
١٠. تفسير مجاهد بن جبر، تحقيق، عبد الرحمن الطاهر، باكستان.
١١. جامع البيان في تفسير القرآن، لابن جرير الطبري، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٢ م.
١٢. حجة القراءات، لأبي زرعه، تحقيق سعيد الأفغاني، بيروت ط ٤، ١٩٨٤ م.
١٣. روضات الجنات في أحوال الصلحاء والسادات، الخوانساري الموسوي، ط ٢.



١٤. طبقات المفسرين، لمحمد بن علي الدودي، تحقيق، علي محمد عمر، ط ١، مصر ١٩٧٢ م.
١٥. كنز العرفان في فقه القرآن، لأبي عبد الله المقداد بن عبد الله ألسيوري، مطبعة القضاء-النجف.
١٦. لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، الهند، مطبعة دار المعارف.
١٧. مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن مثنى التيمي، تحقيق محمد فؤاد سزكين، بيروت، ط ٢، ١٩٨١ م.
١٨. معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق محمد علي النجار، الدار المصرية، ١٩٧٣ م.
١٩. معاني القرآن، للاخفش، تحقيق، عبد الأمير محمد أمين الورد، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، ١٩٧٨ م.
٢٠. معاني القرآن، للزجاج، شرح وتحقيق، عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٩٨٨ م.
٢١. معجم الأدباء، ياقوت الحموي، وزارة المعارف، مطبعة دار المأمون ١٩٣٦ م.
٢٢. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، تحقيق علي محمد البخاري، دار أحياء الكتب العربية، ١٩٦٣ م.
٢٣. النكت والعيون، أبو الحسن بن علي بن حبيب الماوردي، تحقيق خضر محمد خضر، مطابع مقهوي، الكويت، ط ١، ١٩٨٢ م.



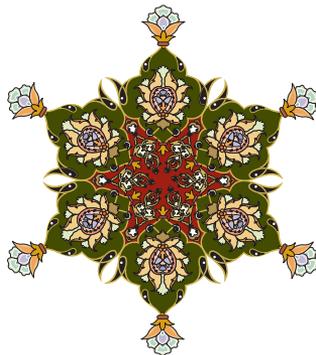
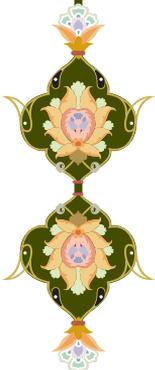
## مخلص البحث

قدمت السيد الباحثة لبحثها بمقدمة مستفيضة قررت فيها ان اللغة العربية لغة موسيقية بما تتالف فيها من العناصر الصوتية المتنوعة. ثم تحدثت عن اثر ذلك التنعيم في النفس البشرية منذ طفولة الانسان.

ثم تحدثت عن أهمية التنعيم في الفاظ القرآن الكريم وكيف أن العربي ادرك ذلك السر الكامن في اللغة العربية فكان السجع مظهراً من مظاهره

وعن (روافد التنعيم في القرآن الكريم) جعلت السيدة الباحثة: جرس الالفاظ، والتكرار، والمقاطع الصوتية، وتوازن الايقاع، ونغم الفواصل؛ اهم تلك الروافد. وقد وقفت طويلاً عند هذه الاخيرة حين ضربت المزيد من الامثلة القرآنية التي تجلو صورة هذا الجانب في اللفظ القرآني.

وخلصت السيدة الباحثة الى أن اسرار القرآن وعجائبه لا تنتهي فكلما تدبرنا القرآن وجدنا فيه سرّاً من أسرار إعجازه.



# التنغيم في لغة القرآن الكريم وألفاظه

د. سناء عميد البياتي

جامعته بغداد / مركز إحياء التراث العلمي العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

اللغة العربية لغة موسيقية

معلوم إن اللغة تتألف من عناصر صوتية متنوعة، ومعلوم أيضاً أن الموسيقى تصدر عن أصوات ذات نغمات متنوعة، وبهذا فإن اللغة تشترك مع الموسيقى في الوحدات الجزئية المكوّنة لكل منهما، وهذه الوحدات المشتركة هي (الأصوات) لذلك يمكننا القول إن كل لغة تحمل صفة تنغيمية أو موسيقية خاصة بها، وربما تتفوق لغة من اللغات في هذه الصفة التنغيمية كما هو الحال في اللغة العربية عندما تنتظم كلماتها بطريقة خاصة يقصد منها التأثير في السامعين وليس الإفهام فحسب.

وللتنغيم أثر عجيب في النفس البشرية،

وكان العربي بطبيعته ميالاً إلى النغم والإيقاع فشغف بحسن التوزيع، توزيع الأصوات في الكلمات، وتوزيع الكلمات في الجمل وتوزيع الجمل في سياق كلامه، ذلك التوزيع المتقن على فترات زمنية متساوية في أغلب الأحيان، مستجيباً بذلك لكل ما يتحسس في حياته من إيقاعات سببها الانتظام أو التعاقب على فترات زمنية محددة، فضربات القلب تشكل إيقاعاً متعاقباً منتظماً، ووحدة التنفس تتعاقب بانتظام، والليل والنهار يشكلان إيقاعاً ثنائياً، والفصول الأربعة تشكل إيقاعاً رباعياً منتظماً وتحسس العربي كل هذا فتمت عنده الحاسة الإيقاعية، وولع بها، وأخذ يدرّب الأبناء عليها فقد سئل الخليل

لتملاً الكون نوراً وبهاء، وتتناثر النجوم ليلاً كالجواهر وسط الظلام وفي هذه الأجواء عشق العربي النغم والإيقاع، وتفاعلت نفسه مع تفاصيل الحياة وإيقاعاتها.. حتى مع خطوات الجمل السريعة حيناً والبطيئة أحياناً أخرى فعمدت إلى تنسيق بعض العبارات ومنحتها صفة إيقاعية اتضحت في المراحل الأولى لنظم الشعر.

وقد حاول بعض الباحثين توضيح الجوانب الموسيقية في اللغة العربية فأشاروا إلى أمثلة كثيرة تدل على التناسب الصوتي والتقابل الموسيقي في تركيب الكلمات وترتيب الحروف.. فالأصوات في اللغة العربية واسعة الأفق، كاملة في مدرجها الصوتي، حسنة التوزيع في هذا المدرج متميزة المخارج، ثابتة الصفات عبر القرون، يتوارثها جيل بعد جيل، متنوعة الوظائف في بنية الكلمة مع تناسق بين أصوات اللغة، وأصوات الطبيعة، وتوافق بين الصورة اللفظية والصورة المعنوية المقصودة مما يدل على أن العربية ابنة فطرة الطبيعة لما بينها وبين الطبيعة من تقابل صوتي وتوافق في الجرس حكى عنه ابن جني في كتابه (الخصائص)،

بن أحمد الفراهيدي، رحمه الله تعالى: "هل للعروض أصل عند العرب؟ قال نعم، مررت بالمدينة حاجاً، فرأيت شيخاً يعلم غلامه، يقول له: قل: (نعم لا. نعم لا لا. نعم لا. نعم لا لا. نعم لا لا. نعم لا لا. نعم لا لا) فقلت له: ما هذا الذي تقوله للصبي؟ فقال: علم يتوارثونه عن سلفهم يسمونه (التنغيم) لقولهم فيه: نعم قال الخليل فرجعت بعد الحج. فأحكمتها"<sup>(١)</sup>. وفي رواية أخرى وردت هذه الكلمة (التنغيم) بالعين المهملة أي (التنغيم)<sup>(٢)</sup> وسواء أ كانت الكلمة (التنغيم) أو (التنغيم) فلا يخفى ما في ذلك الحدث من إشارة إلى التدريب المبكر للأبناء على الإحساس بالإيقاع.

وإذا وضعنا نصب أعيننا أن العربي يعيش في بيئة خاصة شحذت خياله لحب التنغيم والترنم، فصحراؤه واسعة مترامية الأطراف، والطبيعة جميلة أخّاذة بمنظرها الساحرة، تمد الشمسُ خيوطها الذهبية نهاراً

(١) دراسات في علم العروض والقافية-ص ١٣.  
(٢) ينظر: العروض والقافية-دراسة في التأسيس والاستدراك-ص ٣٨.



كما نستطيع القول من غير تردد إن للأصوات في اللغة العربية إيحاءً خاصاً، فهي إن لم تدل دلالة قاطعة على المعنى، تدل دلالة اتجاه وإيحاء، وتثير في النفس جواً يهيئ لقبول المعنى ويوجه إليه ويوحى به.

والعربية لم تكتسب هذه الخصائص إلا لكون جميع ألفاظها ترجع الى نماذج من الأوزان الموسيقية في وحدتها الصوتية والتركيبية ووحدة الانسجام، والتوفيق في الجرس والنغمة والإيقاع وما يلائمها من تأليف وحدة فنية ونفسية<sup>(٣)</sup> وقد أشار الجاحظ إلى ذلك -أي إلى الموسيقى في اللغة العربية- عند تعليقه لصعوبة ترجمة حكمة العرب في قوله: «لو حوّلت حكمة العرب لبطل ذلك المعجز الذي هو الوزن»<sup>(٤)</sup>

ومما يدل على موسيقية اللغة العربية ما روي لنا من مآثر الجاهليين في صورة حُطْب ووصايا بُنيت على موسيقى اللفظ ووجهت كل العناية إلى الأصوات والسجع فغمرت المعاني، وأصبح من المؤلف التعبير عن المعنى القليل بألفاظ كثيرة استدلالاً للموسيقى

(٣) ينظر: خصائص العربية - ص ٢٥.

(٤) الحيوان - ج ١ / ٧٥.

كما في نصيحة ذي الإصبع العدواني لأبنة: «ألنْ جانبك لقومكْ يجبوكْ، وتواضع لهم يرفعوكْ، وابسط لهم وجهك يطيعوكْ» فهذه وأمثالها من العبارات المتقاربة في المعنى تفيد في خلق جو نَعْمِي يؤثر في السامعين ويهيئ نفوسهم لتقبل المعاني.

«ومن مظاهر الموسيقية في نثر اللغة العربية تلك العبارات الكثيرة التي تشتمل على ما يُسمى بالازدواج أو المزوجة مثل: (حسن بسن)، (شيطان نيطان)، (عفريت نفريت) ونحو هذا من عبارات تنتهي بكلمات لا معنى لها ولا تستعمل مستقلة وإنما جرى بها لتقوية البنية فيما يسبقها من كلمات بتريد الأصوات المتماثلة، وإن لم تفد معنى جديداً في غالب الأحيان وقد جمع ابن فارس في كتيب صغير أمثال تلك العبارات وسمى كتابه بالإتباع والمزوجة»<sup>(٥)</sup> نخلص من ذلك كله إلى أن خصائص الأصوات والألفاظ والعبارات في العربية جعلتها تتمتع بجرس وتنغيم وإيقاع موسيقي مضافاً إلى ذلك حركة اللغة الذاتية ومرورها المتمثلة في طواعية مفرداتها طواعية تدرج

(٥) دلالة الألفاظ - ص ٢٠٤.



الأفكار المعبر عنها من جهة أخرى.

### أهمية التنغيم في القرآن

قيل في الموسيقى: إنها غذاء النفس، تبتهج النفس لسماعها، وتحن إلى تأليف أوضاعها وقد نطقت الحكمة بعلو منزلة الموسيقى بين الفنون، وقيل أيضاً: من فهم الألحان استغنى عن سائر اللذات (٩).

وماهية الإيقاع، ودقائق تموجاته يُترك للنفس ومدى إدراكها لحفاياه، ويُترك أيضاً للحس النفسي بالموسيقى، فأهل هذا الفن يصرون على أن هناك حاسة سادسة تولد مع الطفل بها يدرك ما في الصورة من جمال، وما في الموسيقى من سحر، كما يتذوق بها ما في الشعر من حسن الخيال وجودة التصوير، وقد تساعد البيئة على نمو هذه الحاسة وإرهافها، او قد تعمل على ذوبها وانكماشها، فالطفل الذي يولد في بيئة تُعنى بالموسيقى ينشأ وهو أكثر استعداداً لتذوق الموسيقى وفهم جمال الإيقاع فيها من طفل آخر لم تتح له الظروف نفسها (١٠).

وليس أدل على تأثير الموسيقى في

(٩) ينظر: محيط الفنون (الموسيقى العربية) ص ١١.

(١٠) موسيقى الشعر - ص ٥.

بها تحت قوانين صوتية مطردة وتنطوي بها تحت قياسات منتظمة تناسب مقاصد التعبير، وتجابو اتجاهات المعنى (٦) ... كل هذا وغيره يضعنا أمام حقيقة: هي إن اللغة العربية لغة موسيقية، وتتميز من غيرها من اللغات بصفتها التنغيمية العالية، ويقول في ذلك أحد المستشرقين «التركيب العربي غني بالوقع الموسيقي» (٧)، ومن الباحثين من يذهب إلى أنك لو حاولت نقل أي كلام عربي أو صفحة من كتاب إلى رموز موسيقية وأوزان لوجدته يتركب من وحدات تتشابه وتختلف وتتكسر وتتناظر، ويتألف من مجموعها قطعة موسيقية (٨).

ولقد استثمر الأدباء هذه الخصائص الموسيقية في اللغة العربية وساعدتهم على الإبداع إذ يتفق لهم ما لا يتفق لغيرهم من الموازنة بين جرس الكلمات ونغمة المفردات من جهة والأحداث المصورة أو

(٦) ينظر: مقال (البيئة التي نشأ فيها الشعر الجاهلي وتياراته الكبرى) د. نجيب محمد البهيتي - مجلة كلية الآداب - جامعة فؤاد الأول المجلد الرابع عشر - الجزء الأول - مايو ١٩٥٢ ص ٩٠.

(٧) آراء في العربية - ص ٣٧.

(٨) خصائص العربية، ص ٣٨.



النفس من استجابة الطفل للإيقاع، تلك الاستجابة التي تتمثل في نوع من التمايل أو الرقص البسيط على إيقاع الأنغام<sup>(١١)</sup>. وإذا كانت الموسيقى في حد ذاتها تؤثر في نفس الإنسان فيظهر تأثير الإيقاع على حركاته، وتأثير النغمات على إطلاق خياله، فإن اللغة الغنية بالموسيقى يفوق سحرها وتأثيرها سحر الموسيقى وتأثيرها، لأن اللغة معانٍ مؤثرة أو لا فإذا انتظمت بطريقة تنغيمية أو موسيقية صار التأثير مضاعفاً لوجود عاملين مؤثرين: المعاني أولاً، والتنغيم ثانياً، والكلام الذي يتوافر فيه الإيقاع والتنغيم يثير في السامع انتباهاً عجباً لما فيه من توقع لمقاطع تنسجم مع ما سبق سماعه، فتتحفز النفس، وتتهيأ لاستقبال المعاني والاستجابة لها أيضاً كانت تلك المعاني.

وقد أدرك العربي ذلك السر الكامن في اللغة، فعمد إلى السجع في كلامه، وعمد إلى الأوزان والقوافي في شعره، وأظهر تفوقاً وبراعة في حسن استخدام اللغة، واستغل إمكانات اللغة كافة في الإيقاع والتنغيم، ونستطيع القول إن السبب في هذا الاهتمام (١١) التعبير الموسيقي - ص ٢٠-٢١.

الكبير بموسيقى اللغة يعود إلى أن العرب لم يكونوا أهل كتابة وقراءة بل أهل سماع وإنشاد وأدهم أدب أذن لا أدب عين، فلجأوا إلى الأصوات، والأنغام، والإيقاع، في إظهار البراعة، واعتمدوا مسامعهم في الحكم على النص اللغوي، وبمرور الزمن اكتسبت تلك الأذان المران، والتميز بين الفروق الصوتية الدقيقة، وأصبحت مرهفة تستريح إلى كلام لحسن وقعه وإيقاعه، وتأبى آخر لئبوه، وكما تمرن الأذان في بيئة كهذه، تمرن الألسنة أيضاً، فتنتقل من عقالها وقد اكتسبت صفة الذلاقة، فلا تتعثر ولا تنزل أثناء النطق، وتتعاون الأذن مع اللسان في مثل تلك البيئة على إثارة العناصر الموسيقية في اللغة، ونفي العناصر النابية والتخلص منها<sup>(١٢)</sup>.

وفي تلك البيئة نزل القرآن الكريم فاندشت نفوس العرب وبهتت عقولهم، لأنهم إنما سمعوا من خلاله ضرباً من الموسيقى اللغوية لا قبل لهم بها، لانسجامه واطراد نسقه، وجمال ألفاظه، وسمو معانيه، وائتلاف حركاته وسكناته، ومداته وغناته، واتصالاته وسكناته ونغماته الصادرة عن (١٢) ينظر: دلالة الألفاظ - ص ١٩٥-١٩٦.



الموسيقى.. وموسيقى الروح حيث النشوة الهادئة النابعة من مجموع أنواع الموسيقى التي سبق ذكرها، فالقرآن اكتمال لنماذج موسيقية حيّة في تراكيب خالدة للغة العربية<sup>(١٤)</sup>.

لهذا رأينا الخشوع يغمر من يقرأ القرآن أو يستمع إليه يوم سرت تلاوة القرآن الكريم بالصوت الجميل سريان العافية في الجسم السليم، ومن إعجاز القرآن نظمه الموسيقى الرائع الذي يسيطر على مستمعيه ولو كانوا غير مسلمين حتى قيل فيه: «قوانين الموسيقى قد لحظت في القرآن تامة كاملة»<sup>(١٥)</sup>.

كل هذه الأمور، وأمور أخرى كثيرة، جعلت القرآن الكريم معجزة فقال الله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [سورة الإسراء: ٨٨].

وليس أدل على إعجاز القرآن في أسلوبه وانبهار العرب ودهشتهم لذلك التنغيم في التنظيم، أي تنظيم الأصوات والكلمات

(١٤) ينظر: الإعجاز الفني في القرآن- ص ٢٢٢.

(١٥) ينظر: محيط الفنون- الموسيقى العربية- ص ٦٢.

فواصله، واتزانه على أجزاء النفس مقطعاً مقطعاً، ونبرة نبرة.. فأسترعى الأسماع، واستهوى القلوب والنفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام منظوم أو مثور ويرى دارسو الموسيقى أن «الرسالة الأولى للدين هي السمو بالروح والنزوع بالحياة البشرية إلى تخليصها من النزوات الجسدية والارتفاع بها إلى النور السماوي بما يسمو بها من عالم المادة إلى عالم الروح، وما مهمة الموسيقى- في أسمى مناحيها- إلا أداء هذه الرسالة والتعبير عنها بإيقاظ المشاعر وإرهاف الحس والسمو بالعاطفة، وانتزاع النفس انتزاعاً من محيطها الدنيوي المليء بالمطامع والدنيا للانطلاق في فضاء اللانهاية والتخلص من شوائب المادة»<sup>(١٣)</sup>.

وقد جمع القرآن الكريم بين موسيقى الشعر حيث نغمة الوزن والاهتزاز النفسي لها- وما هو بشعر- وموسيقى النثر حيث الإيقاع العميق الذي يحدّثه حسن التوزيع بين الحروف ذاتها، والكلمات والعبارات.. وموسيقى الحس حيث مشاركة الحواس لاهتزازات النفس من تأثير تموجات

(١٣) محيط الفنون- الموسيقى العربية- ص ٦٢.



والعبارات أن من عارضه كمسيلمّة الكذاب جنح في خرافاته إلى حسبه نظماً موسيقياً أو باباً منه، فصبّ اهتمامه على موسيقى العبارة، وطوى عما وراء ذلك من التصرف في اللغة وأساليبها ومحاسنها، ودقائق التركيب البياني، وكأنه فطن إلى أن الصدمة الأولى للنفس العربية، إنما هي في موسيقى القرآن، في أوزان الكلمات وأجراس الحروف، دون ما عداها<sup>(١٦)</sup>.

ودليل آخر على ما في القرآن من تنعيم معجز ذلك الأثر الذي أوقعه في نفوس القاسية قلوبهم من أهل الزيغ والإلحاد، ومن لا يعرفون الله آية في الآفاق، ولا في نفوسهم فلانت قلوبهم، واهتزت عند سماعه، لأن فيهم طبيعة إنسانية تتأثر للتنعيم، وكان الوليد بن المغيرة واحداً من الذين لانوا للقرآن ورقّوا له بعد مكابرة وعناد، فقال فيه قولته المشهورة يرد على الكفار من قومه: «فو الله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، لا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يُشبهه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي

(١٦) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية- ص ٢١٤.

يقوله لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مُغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلَى، وإنه ليحطم ما تحته».

فالحلاوة التي يقصدها الوليد هي: الموسيقى التي نتحدث عنها، فقد أعطيت الألفاظ أوصاف المياه والطعوم من حلاوة أو مرارة، وجرى ذلك على السنة النقاد فيما بعد فقد قال ابن الأثير: «ومن له أدني بصيرة يعلم أن للألفاظ في الأذن نغمة أوتار.. وأن لها في الفم أيضاً حلاوة كحلاوة العسل، ومرارة كمرارة الحنظل، وهي على ذلك تجري مجرى النغمات والطعوم»<sup>(١٧)</sup>.

إن تلك الحاسة المرهفة التي امتلكها العربي في تذوق اللغة تجعلنا نقول من غير تردد: إن للتنعيم في القرآن الكريم دوراً كبيراً في تكييف عقل السامع، وتهيئته لتلقي الدعوة واستقبال ما جاء به من معانٍ سامية، وإن التنعيم في القرآن يقع في مقدمة ما جذب العرب إلى القرآن.

ولذلك عدّ الرافعي في كتابه تاريخ آداب العرب التجويد والترتيل الإيقاعي من مظاهر الإعجاز الموسيقي

(١٧) المثل السائر ج ١ / ١٥.



التنغيم كافة في القرآن الكريم، لأنها متنوعة تنوع موسيقى الوجود في أنغامه وألحانه، إلا أنني سأحاول الوقوف عند بعض الروافد التنغيمية البارزة في القرآن الكريم، وأهمها:

### أولاً: جرس الألفاظ

الجرس هو الصوت المترنم به، وبما أن الألفاظ تبنى من الأصوات، فهي إذن تمتلك جرساً، وتتصف بصفة نغمية، وكل لفظة لها جرسها الخاص الذي تحدده صفات الأصوات المؤلفة منها ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن كل لفظة لها وجهان: وجه الصوت أي الجرس، ووجه الدلالة، ولا يمكن استعمال اللفظة بإحدى الصفتين دون الأخرى، كما لا يمكن فصل وجهي الورقة عن بعضهما.

وقبل أن نتطرق إلى علاقة أصوات الألفاظ بمعانيها لابد من ذكر تقسيمات علماء اللغة للأصوات فقد قُسمت أصوات اللغة على قسمين رئيسيين هما: الصوامت، والصوائت.

وأساس هذا التقسيم هو الطبيعة الصوتية لكل قسم فالصفة الصوتية الجامعة

في القرآن الكريم (١٨)

### روافد التنغيم في القرآن الكريم

ليس بجديد قولنا: إنَّ في القرآن إيقاعاً موسيقياً متعدد الأنواع، يتناسق مع الجو الدلالي، ويؤدي وظيفة أساسية في البيان، وإن الموسيقى القرآنية إشعاع للنظم الخاص في كل موضع.

وتتحسس التنغيم في القرآن في كل مشهد وقصة، وفي كل مطلع وختام، فأسلوبه إيقاعي غني بالموسيقى، مليء بالنغم المنحدر من الحركة، ومن الحروف، ومن اللفظ المفرد، ومن التركيب، فتلقي كل آية ظلها بجرسها وبنغمها حتى لنكاد عند قراءته أو تلاوته نسمع أصوات الأحداث غير المسموعة، ونرى المشاهد غير المنظورة (١٩).

ولا تفاضل بين السور والآيات في هذه الظاهرة، وعندما نشير إلى التنغيم في نظم معين، إنما نقرر من خلاله ظاهرة تنغيمية بارزة نؤيدها بالشاهد.

وعلى الرغم من صعوبة احتواء روافد

(١٨) ينظر: تاريخ آداب العرب ج ٢/ ٢٢، ٢٢٧.

(١٩) ينظر: مباحث في علوم القرآن الكريم - ص ٣٣٤.



للقسم الأول إن مجرى الهوى يعترض في حالة النطق بالأصوات الصامتة كلياً أو جزئياً أما الصفة الصوتية الجامعة للقسم الثاني هو أن الهواء يندفع حالة النطق بالصوائت في مجرى مستمر، خلال الحلق والفم والأنف دون أن يكون ثمة عائق يعترض مجرى الهواء اعتراضاً كلياً أو جزئياً. والصوائت في العربية أنواع:

١. الصوائت الانفجارية وهي: الباء، التاء، الدال، الطاء، الضاد، الكاف، القاف، همزة القطع.

٢. الصوائت الغناء أو الأنفية وهي:

الميم، النون.

٣. الصوائت المنحرفة ويمثلها: حرف اللام.

٤. الصوائت المكررة وتتمثل في: حرف الراء.

٥. الصوائت الاحتكاكية وهي: الفاء، الثاء، السين، الصاد، الشين، الخاء، الحاء، الهاء، وكلها مهموسة، الذال، الظاء، الزاي، الغين وكلها مجهورة.

٦. الصوائت الانفجارية الاحتكاكية أو (المركبة) وهو: حرف الجيم الفصيح.

٧. أشباه الصوائت وهما صوتان: الواو، المراد بها واو (وَجَد) وأمثالها والياء المراد بها ياء (يَزِن) وأمثالها. أما الصوائت في الفصحى فنوعان:

١. صوائت قصيرة وهي: الفتحة والكسرة والضممة.

٢. صوائت طويلة وهي: الألف الممدودة في مثل: (قال)، والياء الممدودة في مثل (بديع) والواو الممدودة في مثل: (روح) (٢٠).

وُصّفت الأصوات تصنيفاً آخر يتخذ الوترين الصوتيين أساساً له:

١. المجهور: هو الصوت الذي تصحب نطقه ذبذبة في الأوتار الصوتية.

٢. المهموس: هو ما لا تصحب نطقه هذه الذبذبة (٢١) وفي الأصوات المهموسة

ينفرج الوتران الصوتيان مفسحين مجالاً للنفس أن يمرّ خلالها دون أن يجابه أي اعتراض وفي الأصوات

المجهورة يتضام الوتران الصوتيان بشكل يسمح للهواء المندفع خلالها

(٢٠) ينظر: علم اللغة-١٤٨، ١٨٤ باختصار.

(٢١) مناهج البحث في اللغة-ص٨٨.



بن أحمد الفراهيدي الذي مفاده «إنه موضوع شريف لطيف- تقول العرب (صرّ الجندب) و(صرّصَ البازي) كأنهم توهّموا في صوت الجندب استطالة فقالوا، (صر صريراً) وتوهّموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا: صر صر» (٢٢).

وكان سيويوه قد تطرق إلى هذا الموضوع في (الكتاب) في حديثه عن (المصادر) التي جاءت على وزن (فَعْلان)، فهي تأتي للاضطراب والحركة (الغليان) لأنه زعزعه وتحرك، ومثله (الغثيان) لأنه تجمش نفسه وتثور، ومثله (الخطران) و(اللمعان) لأنه هذا اضطراب وتحرك، بمعنى أن حركات المثال (أي البناء) توالي حركات الأفعال.

وقد تلقف ابن جني هذه الفكرة، ففصل القول فيها وذكر أن صيغة (الفَعْلان) تفيد الاضطراب كالغليان والفوران، وأن صيغة (الفعللة) تفيد التكرير مثل (القرقرة) و(الزعزعة) و(الجرجرة) ومنه (صرصر الجندب) أي كره في تصريره.

وأن صيغة (الفُعلى) تفيد السرعة مثل:

(٢٢) الخصائص - ج ٢ / ١٥٢.

أن يفتحها ويغلقها بانتظام وبسرعة فائقة. وهذا يسمى تذبذب الوترين الصوتيين، هذه الذبذبة تحدث نغمة موسيقية هذه النغمة الصوتية تسمى في الاصطلاح الصوتي (الجهر)، كما تسمى الأصوات التي تصحبها هذه النغمة، الأصوات المجهورة.

والأصوات المهموسة هي: الهاء، الحاء، الكاف، الشين، السين، التاء، الصاد، الثاء، الفاء وما تبقى من الأصوات فهي مجهورة.

إن معرفة صفات الأصوات وطبيعة جرسها قد يعين على معرفة مدى التواشج بين صوت اللفظة ومدلولها فهذه القضية شغلت علماء اللغة - وذهب بعضهم إلى القول إن الألفاظ جرت محاكية لأصوات الطبيعة - كعصف الريح، وخيرير الماء، وهدير البحر وغيرها، وما هذه الأصوات إلا لألفاظ تعبر عن معناها بجرس تحاكي به ذلك الصوت ف(القد) و(الطرق) وأمثلة أخرى، ألفاظ تحكي الصوت الذي تعبر عنه، ومثلها (العواء) و(المواء) و(الثغاء).. الخ.

ويعد ابن جني رائداً في الحديث المفصل عن هذه القضية فنقل رأي الخليل



الشبكي والجمزى، الولقى، كما ذهب إلى أن تكرير العين في البناء دليل على تكرير الفعل فقالوا: كَسَّرَ، وقَطَعَ، وفتَحَ، وغلَّقَ فقد جعلوا تكرير العين دليلاً على قوة المعنى المحدث به هو تكرير الفعل وهذا أيضاً من مساواة الصيغة للمعاني<sup>(٢٣)</sup> وقرر ابن جني أن (الزيادة في المعنى يتبعها زيادة في المبني) ومثل لذلك بصيغة (استفعل) نحو استقدم، استصرخ، استسقى... الخ.

ويتحدث ابن جني عما نريده في هذه الدراسة من ملاحظة صفات الأصوات وجرسها ومن ثم علاقة ذلك بالمعنى فيؤكد مناسبة الحروف في اللفظ لصوت الحدث، مثل (قضم) حين يُقارن بالفعل (خضم) فتجد أن الأول (قضم) يستعمل في أكل اليابس في حين أن الثاني (خضم) يستعمل في أكل الرطب ويقرر أن هناك صلة وثيقة بين القاف الشديدة والصوت الناشئ عن أكل اليابس، والخاء الرخوة والصوت الناشئ عن أكل الرطب- فكأنهم اختاروا الخاء لرخاوتها للرطب- والقاف لصلابتها لليابس حذواً لمسموع الأصوات على

(٢٣) الخصائص-ج٢/١٥٥.

محسوس الأحداث<sup>(٢٤)</sup> ومن ذلك أيضاً قولهم (النضح) للماء ونحوه، و(النضح) أقوى من (النضح) قال تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ فَضَاخَتَانِ﴾ [سورة الرحمن: ٦٦]. فجعلوا (الخاء) لرقتها للماء الضعيف، و(الخاء) لغلظها لما هو أقوى<sup>(٢٥)</sup>

ومن الأمثلة التي يضر بها ابن جني ليؤكد حجة ما ذهب إليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيْطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُؤُهُمْ أَزْأًا﴾ [سورة مريم: ٨٣].

أي تزعجهم وتقلقههم، فهذا في معنى: تهزهم هزاً والهمزة أخت (الماء) فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من (الماء) وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهمزة، لأنك قد تهز ما لا بال له، كالجدع وساق الشجرة ونحو ذلك<sup>(٢٦)</sup>

ويذهب ابن جني إلى أكثر من ذلك حين يحاول أن ينظر في ترتيب أصوات اللفظة المفردة ودلالة كل صوت على جزء من

(٢٤) ينظر: الخصائص ج٢ / ١٥٧ .. وما بعدها.

(٢٥) الخصائص ج٢ / ١٥٨.

(٢٦) الخصائص ج٢ / ١٤٦.



السياق فإنك ترى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع وتثقل عليك توحشك في موضع آخر ويضرب مثلاً لذلك لفظه (الأخدع) فهي ثقيلة موحشة في بيت أبي تمام:

**يا دهر قوم من أخذعك فقد**

**أضججت هذا الأنام من حرقك**

وهي (أي لفظة الأخدع) رائقة سائغة

في بيت الصمة بن عبد الله القشيري:

**تَلَفَّتْ نحو الحي حتى وجدنتي**

**وَجَعَتْ من الإصغاء ليتاً وأخدعا**

وفي هذه الدراسة نأخذ برأي ابن جني

عندما نظر إلى اللفظة ذاتها، إلى جرسها

ونغمها، وما في أصواتها من إيجاء بالمعنى فقد

يكون اللفظ بمفرده قادراً على أن يرسم في

الذهن صورة المعنى وذلك من خلال جرسه

الذي يلقيه في الأذان ونأخذ برأي الجرجاني

أيضاً، عندما نرى اللفظة المفردة مهيأة بجرسها

ونغمها للتعبير عن الدلالة، وعندما يحتويها

السياق وتتنظم فيه، تندفق تلك اللمحات

المضيئة وتتفجر تلك الطاقات الإيحائية الكامنة

في اللفظة ولا تقاطع بين الرأيين.

إن اختيار الألفاظ في النظم القرآني يتم

بدقة معجزة ونقل السيوطي قول (البازري)

المعنى الذي تعبر عنه اللفظة، ويقصد بترتيب

الأصوات: تقديم ما يضاهاي أول الحدث،

وتأخير ما يضاهاي آخره وتوسيط ما يضاهاي

وسطه، سوقاً للحروف على سمت المعنى

المقصود والغرض المطلوب، وذلك قولهم:

(بحث) فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة

الكف على الأرض، والحاء لصحلها تشبه

مخالب الأسد وبرائن الذئب ونحوها، إذا

غارت في الأرض، والثاء للنفث والبث في

التراب، وهذا أمر تراه محسوساً محصلاً<sup>(٢٧)</sup>.

أما عبد القاهر الجرجاني فقد كان له رأي

آخر في الألفاظ يفهم من قوله: «إن الألفاظ

لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا

من حيث هي كلم مفردة، وإن الألفاظ

تثبت لها الفضيلة وخلافها من ملاءمة معنى

اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا

تعلق له بصريح اللفظ»<sup>(٢٨)</sup> ويرى الجرجاني

أن واضع اللغة لو كان قد وضع (ربض)

مكان (ضرب) في الدلالة على الضرب

لما كان ذلك مما يؤدي إلى فساد، ويؤكد أن

النظر إلى الألفاظ ينبغي أن يكون من خلال

(٢٧) الخصائص ج ٢ / ١٦٣.

(٢٨) دلائل الإعجاز - ص ٣٨ - ٤٠.



في كتابه (أنوار التحصيل في أسرار التنزيل):  
«اعلم ان المعنى الواحد قد يجبر عنه بألفاظ بعضها أحسن بعض، وكذلك كل واحد من جزأي الجملة، وقد يعبر عنه بأفصح ما يلائم الجزء الآخر، ولا بد من استحضار معاني الجمل أو استحضار جميع ما يلائمها من الألفاظ ثم استعمال أنسبها وأفصحها، واستحضار هذا متعذر على البشر في أكثر الأحوال، وذلك عتيد حاصل في علم الله تعالى، فلذلك كان القرآن، أحسن الحديث وأفصح» (٢٩).

ولكي نلقي الضوء على بعض ألفاظ القرآن الكريم نقرأ ونتحسس أثناء القراءة قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ﴾ [سورة التوبة: ٣٨].

أناقلتم، أي تباطأتم وتقاستم.

يتصور الخيال ذلك الجسم المتثاقل، يرفعه الرافعون في جهد، فيسقط من أيديهم في ثقل ” فكأن في هذه الكلمة طناً على الأقل من الأثقال.

ولو أنك قلت: (تثاقلتم) وهي

(٢٩) الإتيان في علوم القرآن-ج ٤ / ٢٢.

متساوية للفظة القرآنية ﴿أَنْتَقَلْتُمْ﴾ في عدد الحروف، لخب جرسها ولضاع الأثر المنشود ولتوارت الصورة المطلوبة التي رسمها هذا اللفظ واستقل برسمها (٣٠).

وعندما نقرأ قوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَاهَا مَكْمُوهًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاهُونَ﴾ [سورة هود: ٢٨].

نحس أن لفظة ﴿نَلِزْ مَكْمُوهًا﴾ تصور جو الإكراه بإدماج كل هذه الضمائر وشد بعضها إلى بعض مما يسبب ثقلاً وصعوبة في النطق فالضمائر دُججت بإكراه كما يدمج الكارهون مع ما يكرهون ويشدون إليه وهم منه نافرون وبذلك تكون هذه اللفظة الثقيلة هي اللفظة الفضلى في سياقها إذ عبرت بجرسها عما لا تغني عنها أخرى- ولنتأمل قوله تعالى: ﴿فَكَبَّكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ [سورة الشعراء: ٩٤].

تُصور لنا لفظة ﴿كَبَّكِبُوا﴾ بجرسها ونغمها أولئك المجرمين وكيف يكببون على وجوههم، ويُرْمون على بعضهم مهملين، فتتخيل في هذه اللفظة جرساً يحدث صوت الحركة التي يتم بها فعل (الكبكة) وهو جرس يسمعنا صوت دفعهم وسقوطهم

(٣٠) التصوير الفني في القرآن الكريم-ص ٧٦.



مشهد الإبعاد والتنحية بكل ما يقع في هذا المشهد من أصوات: فصوت (الحاء) المكررة و(الزاي) المكررة ترسم صورة لتكرير الحدث، كما أن لفظة (زحزح) تستعمل للشيء الثقيل حتى تحركه قليلاً قليلاً، فكان حجم الذنب يجعله ثقيلاً في ميزان الله تعالى ويقرب المذنب من النار قرباً يكاد يشك معه أنه قادر على الإفلات منها وإذا برحمة الله (ترزحه) عنها وتدخله الجنة.

وليس هناك أفضل من لفظة (تحييد) في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [سورة ق: ١٩].

إذ يُحَس السامع بالرهبة في صدره حين سماعه (الذال) المنذرة المتوقعة مسبوقة بالياء المشبعة المديدة في لفظة ﴿تَحِيدُ﴾ ولا يملكنا الشعور بتلك الرهبة مع لفظة أخرى مثل (تنحرف) أو (تبتعد) إذا ما جاءت بدلاً من لفظة (تحييد) (٣٣).

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ [سورة النساء: ٧٢].

ترتسم صورة (التبطئة) من خلال جرس العبارة وبخاصة في جرس (٣٣) ينظر: مباحث في علوم القرآن-ص ٣٣٥.

بلا انتظام وقال الزمخشري في هذه الآية «إن الكبكية: تكرير الكب، جعل التكرير (في اللفظ) دليلاً على التكرير في المعنى، وكأنه إذا القي في جهنم (ينكب) كبة مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها» (٣١).

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [سورة فاطر: ٣٧]. إن لفظة ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ بجرسها الغليظ ترسم في الخيال صورة غلظ الصراخ المختلط المنبعث من كل مكان ومن حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة كما نستشف من النسق الذي انتظمت فيه هذه اللفظة ظل الإهمال لهذا الاصطراخ الذي لا يجد من يهتم به وبذلك يكون جرس هذه اللفظة قد ساعد على إيصال صورة ذلك العذاب الغليظ الذي هم فيه يصطرخون (٣٢).

ولنتأمل لفظة ﴿زُحْزِحَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٥]

فليس ثمة لفظة أنسب من لفظة ﴿زُحْزِحَ﴾ في هذا السياق فهي بجرسها تصور



(٣١) الكشف ج ٣ / ٢٥٣.

(٣٢) ينظر: التصوير الفني في القرآن

الكريم - ص ٧٣.

﴿لِبَطْنٍ﴾ فيحس القارئ أن اللسان يكاد يتعثر فيعمد إلى البطء في التلفظ حتى يصل إلى نهايتها، وبذلك تتماثل هذه الأصوات بجرسها وتتطابق مع الدلالة تطابق وجهي الورقة مع بعضهما.

وعندما نتأمل قوله تعالى: وقالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [سورة فاطر: ٣٤]. نحس أن الفتحات المتتابعة على أحرف لفظة ﴿الْحَزْنَ﴾ تضيفي على جرسها خفة وسهولة تتناسب مع الجو الحاني الرحيم الذي منحه الله تعالى لهم.

هذه الآيات الكريمة شواهد على مماثلة جرس الألفاظ ونغمها للدلالات وإيجائها بالمعاني ومناسبتها للسياق.. وهذا قليل من كثير ولكنه يدل على أن اختيار الألفاظ في النسق القرآني اختيار (معنى وجرس) مما يجعل من المحال على أية لفظة في اللغة أن تحل محل اللفظة القرآنية وأن تؤدي ما تؤديه لما تحمله من دقة في المعنى ومن إيجاء في الجرس والنغم.

### ثانياً: التكرار

التكرار ظاهرة لغوية واضحة في القرآن الكريم، وهي فيه خالية من

التكلف، تساير مقتضيات التعبير الفني وتأخذ أشكالاً متعددة، تارة في آية كاملة، وثانية في جزء من العبارة، وثالثة في الكلمة المفردة، ورابعة في حرف واحد أو أكثر من حرف على امتداد النسق، هذا فضلاً عن الجنس الذي تطرق السمع فيه أصوات مكررة ولكنها تبنى في ألفاظ مختلفة المعنى.

ويعود النغم في كل ما ذكرناه من أنواع التكرار إلى الأصوات المكررة، فعندما تتكرر الآية يصدر نغم من جراء ترديد أصواتها وإيقاع من تساوي زمن النطق بها، وعندما تتكرر الكلمة تتكرر الأصوات المؤلفة منها فتضيفي على النظم نغماً متزايداً يضاف إلى التوكيد الذي يراد من ذلك التكرار وستناول هنا نوعين من التكرار لأهميتهما:

#### ١- تكرار الصوت نفسه:

يتخذ النظم القرآني أحياناً من الصوت المتكرر وسيلة لتصوير المعنى وتجسيمه، والإيجاء بما يدل عليه، معتمداً في ذلك على ما تتمتع به الأصوات من خصائص وصفات في الجرس والنغم، فهي تشيع بجرسها الصوتي نغماً يسهم في إبراز المعنى المراد، فالصوت المفرد يختار بعناية وتصاحبه أصوات قد تكون



ولنتأمل جرس صوت (القاف) في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾<sup>(١)</sup> مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ<sup>(٢)</sup> وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ<sup>(٣)</sup> وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ<sup>(٤)</sup> وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [سورة الفلق: ١-٥].

فصوت القاف المتكرر في السورة الكريمة، صوت انفجاري شديد، وهو بجرسه اقدر على تهيئة النفس للانفجار على الشرور وعلى كل ما يؤذي في هذا الكون، ويخلق هذا الصوت بجرسه القوي نوعاً من اليقظة والتنبه، وذلك ما يستدعيه المعنى، وتساند (القاف) في الجرس أصوات أخرى تمتلك الصفة نفسها التي يمتلكها صوت القاف وهي (الباء) في (وقب)، (الدال) في (العقد) وقد انتظمت هذه الأصوات في الفواصل لتزيد من قوة الجرس ووضوح النغم.

ولنلاحظ تكرار صوت (الراء) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرُجُّفُ الرَّاجِفَةُ﴾<sup>(٦)</sup> تَبَعُهَا الرَّادِفَةُ<sup>(٧)</sup> قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [سورة النازعات: ٦-٨].

إن تكرار صوت (الراء) يساعد على تجسيم صورة الحدث المكرر، فجرس الراء

متقاربة المخارج متماثلة الصفات إن احتاج الموقف ذلك، وقد تكون متباعدة المخارج متباينة الصفات إن كان التباعد أدل على المراد وأكثر تصويراً له، لنتأمل النغم المنبعث من الجرس الصوتي لحرف (السين) في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾<sup>(١)</sup> مَلِكِ النَّاسِ<sup>(٢)</sup> إِلَهِ النَّاسِ<sup>(٣)</sup> مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ<sup>(٤)</sup> الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ<sup>(٥)</sup> مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [سورة الناس: ١-٦].

فصوت (السين) الذي تكرر عشر مرات صوت صامت مهموس احتكاكي، تلتقي الأسنان السفلى بالأسنان العليا عند النطق به ولا يمكن للإنسان أن ينطقه وهو مفتوح الفم، وهو أدل بجرسه الصوتي الاحتكاكي الهامس على تصوير حالة الهمس الخفي التي يخافت بها أهل الجرائم والمكائد، وبذلك يصور جرس الأصوات جو الوسوسة وما يفعله الشيطان حين يلقي في روع الإنسان ما يزين له ارتكاب المعاصي، وقد أسهم صوت (الصاد) الذي يشبه صوت (السين) في صفتة وجرسه على زيادة النغم الموحى بالمعنى<sup>(٣٤)</sup>.

(٣٤) ينظر: لغة القرآن الكريم في جزء عم - ص ٣٤٨.



مكرر، وفي نطقه تتابع طرقات اللسان على اللثة تتابعاً سريعاً حتى يكاد يصور بجرسه الحركة المتتابعة السريعة عند الرجفة أحسن تصوير، ويساعد تكرار صوت (الجيم) وصوت (التاء) وصوت (الفاء) على تصوير الأحداث وتأمل السامع لها، وكان تكرارها بطريقة متناوبة مما يجعلها ترسل نغماً وكأنها الموسيقى التصويرية التي تصحب المشاهد وبذلك تساعد هذه الأنغام على تثبيت الصورة في المخيلة، واستقرارها في الذهن. ثم لنقرأ ولنتحسس أيضاً تكرار الأصوات في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكَّادًا﴾ [سورة الفجر: ٢١].

إن جرس الأصوات في هذه الآية يكاد يجعل المنظر مرئياً والأصوات المنبعثة من المشهد مسموعة، وقد ساعد على رسم هذه الصورة في الخيال، صوت (الدال) المكرر، وصوت (الكاف) المكرر والمشدّد، وكلاهما صوتان انفجاريان، ينحبس معهما الهواء فترة من الزمن ثم ينفجر، وهو ما إن ينحبس وينفجر مع صوت (الدال) حتى ينحبس وينفجر مرة أخرى مع صوت (الكاف) وهذه المرة بشدة أكبر، لأنه صوت مشدّد.

إن جرس الأصوات المكررة هنا يكاد يرسم صورة حسية لإطباق قدرة الله تعالى على الأرض، والإحاطة بها، وتوالي الدك والضغط عليها، حتى لا يبقى منها شيء وتفنى.

ويمكن ملاحظة ما لجرس الأصوات المكررة في النسق القرآني من أثر في تصور المعاني وتجسم المواقف في الآيات الكريمة الآتية: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [سورة الفجر: ١٣-١٤]. ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [سورة التكويرة: ٥].

﴿الْقَارِعَةُ﴾ ١ ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ ٢ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [سورة القارعة: ١-٣]. وما على القارئ إلا أن يتحسس جرس الأصوات، والنغم المتحدّر من النسق عند تأمله في المعاني وبعدها لا يتردد في الإقرار بما لجرس الأصوات المكررة من أثر كبير في تصوّر المعاني وتجسيدها في صور محسوسة وكأنها مشاهد تنبعث منها أصوات مسموعة.

تكرار الآية أو أسلوها عند الحديث عن النغم الصادر عن تكرار الآية الكاملة



## التنغيم في لغة القرآن الكريم..... البصائر

لَجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَعْظَمْتَ أَنْ تَفْذُورَ مِنْ أَقْطَارِ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا  
بِسُلْطَنِ ﴿٣٣﴾ فَيَأْتِي ءِآلَاءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٣٤﴾ إلى  
غير ذلك من أنواع النغم والإيقاع الذي  
يحدثه التكرار في قوله تعالى ﴿فَيَأْتِي ءِآلَاءَ  
رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾.

وإذا أضفنا إلى هذا التنغيم العام  
الذي يحدثه أسلوب الاستفهام في الآية  
﴿فَيَأْتِي ءِآلَاءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾ أضفنا  
النغم الذي يصدر عن تكرار كل صوت  
فيها والإيقاع الناتج عن تساوي زمن  
النطق بها في كل مرة، أدركنا مقدار النغم  
والإيقاع الذي اشتملت عليه سورة  
الرحمن في هذا الجانب فقط فضلاً عن  
جوانب نغمية أخرى كالفاصلة وغيرها  
مما سنشير إليها في المواضع المناسبة من  
هذا البحث.

وفي سورة النمل يتكرر أسلوب  
الاستفهام بنغمته المميزة الخاصة في قوله  
تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ  
لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ  
ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا  
شَجَرَهَا أَلَمْ نَعْلَمْ مَعِ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ ﴿١٠﴾

لأبد من الإشارة إلى التنغيم الذي يكتنف  
الأساليب، لأن لكل آية أسلوباً خاصاً،  
والتنغيم في الأساليب قسمان:

**الأول:** ينتهي بنغمة هابطة، ويكثر  
استعمال النغمة الهابطة في التقرير لإفادة  
انتهاء الجملة وتمام المعنى.

**والثاني:** ينتهي بنغمة صاعدة وغالباً ما  
يكون في أسلوب الاستفهام (٣٥).

وفي سورة الرحمن تتكرر الآية ﴿فَيَأْتِي  
ءِآلَاءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾ إحدى وثلاثين  
مرة، ونغمة إيقاعها تتنوع بتنوع السياق  
ويمتاز التكرار في سورة الرحمن في أن  
جُله يأتي عقب آية قصيرة لها نغمة خاصة  
تخاطب الروح والعقل يسودها تارة تهديد  
وتخويف كما في قوله تعالى ﴿سَنْفَعُكُمْ  
أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَيَأْتِي ءِآلَاءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٣٢﴾  
وتارة تسود النغمة نبرة التأمل والتبصر  
كما في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٣٦﴾ وَيَبْقَى  
وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٣٧﴾ فَيَأْتِي ءِآلَاءَ  
رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٣٨﴾ وتارة ثالثة تسود النغمة  
روح التحدي كما في قوله تعالى: ﴿يَنْمَعَشِرَ

(٣٥) ينظر: الدلالة الصوتية في اللغة  
العربية-ص ١٤٩.



أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلْفَهَا أَنْهْرًا  
وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ  
حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِأَكْثَرِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ  
(٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ  
السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلْفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ  
مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّنْ  
يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ  
يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ  
اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّنْ  
يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ  
وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلْ هَا تَوَابُرْهُنَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ ﴿[سورة النمل: ٦٠-٦٤].

إن تكرار أسلوب الاستفهام المصدر بـ ﴿أَمَّنْ﴾ بنغمته الخاصة يحمل السامع على التدبر في السماء وما فيها، والتبصر والتأمل في الأرض وما يجري عليها، إن تكرار عبارة ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ﴾ الاستفهامية بفتح همزة الاستفهام وكسر همزة (إله) يحدث نغمة تعلو وتهبط ثم تعود لتعلو في النهاية لتُفصح النغمة عن الاستفهام الذي يقصد منه التوبيخ والتعجب ممن يجعلون مع الله إله آخر وقد وضع تعالى أمامهم كل الأدلة على أنه هو الخالق الواحد القادر الوهاب.

إن نغمة الأسلوب المتكررة في هذه الآية تثير العقل والوجدان وتدعو السامع الى التأمل في قدرة الخالق العظيم.

وفي سورة الواقعة قال تعالى: ﴿تَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (٥٧) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) تَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا تَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَيَّ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمَعْرُومُونَ (٦٦) بَلْ تَحْنُ حَمْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ السَّمَاءِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ جَلَّاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَرِيحًا لِلْمُؤْمِنِينَ (٧٣) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿[سورة الواقعة: ٥٧-٧٤].

وهكذا يتكرر أسلوب الاستفهام بنغمته الخاصة التي تثير النفس وتحرك الخيال لتساعد على رسم صور متنوعة كلها تدعو إلى كشف الغشاوة عن العيون.



اثنان هما:

١. مقطع مديد مقفل بصامتين يتكون من صامت+حركة طويلة+صامت مثل زمان، كان.

٢. مقطع مديد مقفل بصامتين يتكون من صامت+حركة قصيرة+صامتين مثل قدر، شَعْب.

ومعنى ذلك أن المقاطع في اللغة العربية إما قصيرة، وإما طويلة، وإما زائدة

الطول، واللغة العربية تشتمل على كلمات أحادية المقطع مثل (من) وثنائية المقطع

مثل (لما) وثلاثية المقطع مثل (يقاتل) ورباعية المقطع مثل (يتعلم) وخماسية

المقطع مثل (متخاصمين) وسداسية المقطع مثل (يتجاهلون) وسباعية المقطع مثل

(متحدثيهما)<sup>(٣٧)</sup> ولا يمكن للكلمة في اللغة العربية أن تزيد مقاطعها على سبعة

مقاطع مهما اتصل بها من سوابق أو لواحق. ولما كانت الكلمات تتكون من مقاطع

متتابعة، ولكل مقطع سماته الصوتية المميزة، فإن ترتيب هذه المقاطع في الكلمات

وتواليها على نسق معين، ذو أثر كبير في

(٣٧) مناهج البحث في اللغة-١٤٢.

### ثالثاً: المقاطع الصوتية

عرّف اللغويون (المقطع) تعريفات متعددة نأخذ منها قولهم بأنه (الوحدة) التي يمكن أن تحمل درجة واحدة من النبر في اللغات المنبورة، أو نغمة واحدة في اللغات النغمية<sup>(٣٦)</sup>.

إذن فالنغمة هنا هي المقصودة وسنلاحظ ما تؤديه المقاطع من دور نغمي في سياق الآيات الكريمة.

وأنواع المقاطع التي تتركب منها الكلمات في اللغة العربية هي:

١. مقطع قصير: يتكون من صامت+حركة قصيرة مثل اللام وحركتها في لَعَب.

٢. مقطع طويل مفتوح: يتكون من صامت+حركة طويلة مثل (فا) في كلمة فاهم.

٣. مقطع طويل مقفل بصامت: يتكون من صامت+حركة قصيرة+صامت

مثل لَنْ، كَمْ. وهذه المقاطع يتكون منها الكلام

المتصل، وفي حال الوقف يرد مقطعان

(٣٦) دراسة الصوت اللغوي-٢٣٨.



إحداث أنواع من الموسيقى الداخلية المنبعثة من إيقاع المقاطع ونغمها ويزداد التعبير قدرة على التأثير عندما تتناسب نغمات المقاطع وإيقاعاتها مع الأفكار التي تعبر عنها وتصورها، فالمقاطع المقفلة تستغرق في نطقها زمناً أقل من الزمن الذي تستغرقه المقاطع المفتوحة وتلائم مواقف الحزم والجزم والقوة أكثر من المقاطع المفتوحة ولذلك كان استعمال المقاطع المقفلة يناسب لوناً من التعبير لا تؤديه المقاطع المفتوحة، وكذلك فإن المقاطع المفتوحة تناسب لوناً آخر من التعبير لا يتأتى مع المقاطع المقفلة<sup>(٣٨)</sup> وعندما نلاحظ استعمال القرآن الكريم لهذه المقاطع الصوتية وترتيبها على النسق بما يلائم المعاني الواردة فيه ندرك سبباً آخر من أسباب تأثرنا به ونعرف سراً آخر من أسرار أعجازه.

ولنتأمل قوله تعالى: ﴿أَلْقَارِعَةُ ۙ مَا أَلْقَارِعَةُ ۙ وَمَا أَدرَكَ مَا أَلْقَارِعَةُ﴾ [سورة القارعة: ١-٣].

تصف الآية الكريمة يوم القيامة «وأي

(٣٨) ينظر: لغة القرآن الكريم في جزء عم-

ص ٣٥٧.

شيء هي القيامة؟ إنها في الفضاءة والفضامة بحيث لا يدركها الخيال، ولا يبلغها وهم إنسان، فهي أعظم من أن توصف أو تصوّر، ثم زاد في التفتيح والتهويل لشأنها فقال: ﴿وَمَا أَدرَكَ مَا أَلْقَارِعَةُ﴾، أي أي شيء أعلمك ما شأن القارعة في هولها على النفوس؟ إنها لا تفرغ القلوب فحسب بل تؤثر في الأجرام العظيمة، فتؤثر في السموات بالانشقاق، وفي الأرض بالزلزلة، وفي الجبال بالدك والانسف، إلى غير ذلك من معقبات هذا اليوم العظيم وقيل: سُميت القارعة قارعة لأنها تقرع القلوب والأسماع بفنون الأهوال والأفزع<sup>(٣٩)</sup>

ولو أعدنا النظر في المقاطع الصوتية التي تتألف منها هذه الآية الكريمة لوجدنا أن الغالب عليها هي المقاطع المفتوحة بنوعها القصيرة والطويلة فقد بلغت ستة عشر مقطعاً من مجموع مقاطع الآية وعدتها عشرون مقطعاً.

أل / قا / ر- / ع- / ؤ- / مل / قا / ر- / ع- / ؤ / و / ما / أذ / را / ك- / مل / قا / ر- / ع- / ؤ-

(٣٩) صفوة التفاسير- ص ٥٩٥.



## التنغيم في لغة القرآن الكريم..... المصباح

المقاطع المقفلة في هذه الآية الكريمة قليلة وسائرهما مقاطع مفتوحة ويتضح ذلك من خلال النظر إلى مقاطع الآية كاملة.

(يَوْمَ م-أ-ئ- ذِنْ ي-أ-ت- ذُكْ /  
ك-أ-رُلْ / إِنْ سَا ن-أ-و- أَنْ نِي / ل-أ-  
هَذَا ذُكْ رِي-ي-أ-قَوْل-أ-يَا لِي-ت-أ-  
نِي / قَدْ دَم-ت-أ-ل-ح-أ-يَا تِي).

تأمل كيف توالت المقاطع الطويلة المفتوحة في الكلمات: الإنسان، أنى، الذكرى، يقول يا، ليتني، لحياقي (ساء، ني، رى، قو، يا، ني، يا، تي) وكأنها نوح النادم المتحسر على ما فرط في جنب الله.. (يا / ني / يا / تي) تأمل كيف يتراوح المد بالألف مع المد بالياء ليصور حالة الندم والحسرة وما يصدر عن الإنسان النادم من أصوات نواح تعبر عن حسرته، إذ يتراخى صوت النواح وينحدر، ليعود فيرتفع ممتداً إلى أعلى ويتراخى منخفضاً إلى أسفل. وبين هذه المقاطع الطويلة المفتوحة المعبرة عن الندم والحسرة والنواح يرد مقطعان مقفلان (قد) (دم) في كلمة ﴿قَدَّمْتُ﴾ ليتحقق بصوت الدال المجهور المضغوط في هذين المقطعين المقفلين النغم المطابق لذلك الضغط المتتابع

فالمقاطع المقفلة اقتصرت على / أَلْ / مل (مرتين) / أَدْ / والباقي كله مقاطع مفتوحة.

إن كثرة المقاطع المفتوحة في هذه الآية الكريمة تفتح الأبواب أمام الخيال لتأمل الأهوال وهي تمنح المتأمل فسحة زمنية كافية لتصور الفزع والهلع الذي يحل بالبشر في ذلك اليوم الموعود وإذا أضفنا إلى ذلك ما في صوت (القاف) من جرس قوي صاعق وقد تكرر هذا الصوت ثلاث مرات، وما في صوت الراء من صفة التتابع لطرقات اللسان عند أدائه، وقد تكرر هذا الصوت في النسق أربع مرات.. ندرك مدى انسجام النغم المنحدر من هذه الآية مع المعاني وإيجائه بتلك الأهوال.

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَنْذَكَرُ  
الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَلَيْتَنِي  
قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [سورة الفجر: ٢٣-٢٤].

تعبر هذه الآية عن موقف الندم الذي يصيب الإنسان حين فوات الفرصة وكيف يكون في تلك الحالة، ينوح ويبكي ويتحسر على ما فرط وعلى ما ضاع، وقد عبّرت المقاطع عن المعاني خير تعبير ذلك أن



الذي يحز في نفسه بسبب ما كان ينبغي أن  
(يقدمه) لحياته (٤٠).

وفي القرآن الكريم آيات فيها لون من  
التعبير الهادئ المريح الذي تطرب له النفس  
وتترنم به، ولا يلائم ذلك اللون من التعبير  
غير المقاطع المفتوحة الممتدة كما في قوله تعالى:

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۗ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۗ ۙ فِي  
جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۙ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ۙ فِيهَا  
عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۗ ۙ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۗ وَأَكْوَابٌ  
مَّوْضُوعَةٌ ۗ ۙ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۗ ۙ وَزَرَائِرُ مَبْتُوثَةٌ ۗ﴾

[سورة الغاشية: ٨-١٦].

لنلاحظ المقاطع الطويلة المفتوحة  
وهي: (جو، نا، ها، را، عا، لا، ها، جا،  
فو، وا، ضو، ما، فو، را، ثو).

ولنتأمل كيف عبّر النغم الممتد من  
هذه المقاطع الطويلة عن امتداد حالة  
النعيم، وكيف انتشرت حروف المد نثراً  
خلال السياق لتعبر عن تعدد حالات  
السعادة، وإننا لنمتد بخيالنا مع المدّات  
فترتسم في خيلتنا صور لحالات النعيم  
المتعددة هناك ملونة بألوان الراحة والهناء.

ولنستمع إلى القرآن الكريم وهو يعبر  
(٤٠) ينظر: لغة القرآن في جزء عم- ص ٣٦٠.

بالمقاطع المقفلة أقوى تعبير عن معاني  
العقاب الصارم الذي ينزل بالظالمين  
الكافرين الجاحدين نعمة الله وفضله  
في قوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوِّطًا  
عَذَابٍ﴾ [سورة الفجر: ١٣].

تكاد هذه المقاطع المقفلة تصور الحزم  
والصرامة في ذلك العقاب المنصب عليهم  
في عنف وفي قوة ولا تلائم المقاطع المفتوحة  
مثل هذه المعاني، ويساعد على تصور  
ذلك الموقف الشديد ما في جرس صوت  
(الصاد) من فخامة يسانده جرس صوت  
(السين) الذي يلفظ مفخماً قريباً من الصاد  
في هذا الموضع، فعند نطقها تُطبق الأسنان  
العليا على السفلى بقوة وكأنه تعبير عن  
إطباق العذاب على الكافرين، يضاف إلى  
ذلك صوت (الباء) المشدّد الذي يتكرر في  
النسق ليوحي بجرسه الانفجاري بمعاني  
الشدة والعنف، وبذلك يحقق النسق  
بالتعاون ما بين المقاطع والأصوات أفضل  
حالات التعبير عن المعنى والإيحاء به.

### رابعاً: توازن الإيقاع

نقصد بالإيقاع هنا: الزمن الذي  
تنطق به منظومة صوتية معينة ابتداءً من



للشعر والموسيقى ونحوهما، وأما التوازن فيكفي أن تنصت إلى صوت قارئ مجيد يرتل القرآن الكريم وسترى عندئذ أن ما في القرآن من جمال التوازن قد يجاوز أحياناً جمال الوزن، وانظر كذلك إلى الكثير من أساليب الترتيل - وخاصة ما بني منها على قصار الجمل - وسوف ترى لها جاذبية خاصة تجذب إليها انتباهك، وتمنح أذنك من المتعة ونفسك من الارتياح ما لا تجده في بعض الشعر والغناء» (٤١).

وقد أدرك الشعراء من ذوي الحس المرهف ما في الإيقاع المتوازن من روعة موسيقية ووفرة نغمية فعمدوا في بعض الأبيات إلى تساوي الوحدات بين الشطرين، وهم بذلك يحدثون في هذا التنسيق نغماً يضاف إلى العروض والقافية كما في قول البحري: فأحجم لما لم يجد فيك مطمئناً وأقدم لما لم يجد عنك مهرباً وفي النشر، لاحظ البلاغيون القضية التي نحن بصددتها وذكروها في دراستهم للسجع تحت مسمى (القرينة)، لأن القرينة عندهم هي القطعة من الكلام المزاوجة للأخرى وهي في (٤١) البيان في روائع القرآن - ص ٢٧٠.

أول لحظة في نطقها إلى آخر لحظة ينتهي فيها نطق تلك المنظومة الصوتية فهو إذن (الأصوات+ زمن النطق بها).

والإيقاع الذي نلاحظه هنا يأتي من مجموعة الأصوات التي تتألف منها الجملة أو التركيب التابع للجملة، فكثيراً ما توضع الجمل والتراكيب في نظام دقيق يتساوى زمن النطق بأصواتها، فتحدث إيقاعاً يستهوي النفوس ويُبهر العقول، ولما كانت الجمل والتراكيب تعبر عن أفكار مستقلة تامة، لذلك يجد السامع لذة في هذه الأفكار أو المعاني الموزعة توزيعاً متناسقاً على زمن النطق بها، وتستمتع الأذن لتكرار القالب الصوتي بحركاته وسكناته ومدّاته، ذلك القالب الذي تُصَبُّ فيه الجمل، فهو إطار صوتي موحد يحتضن أفكاراً متنوعة.

وقد أشار الباحثون إلى جمال التوازن في القرآن الكريم حين قارنوا بين الوزن والتوازن ف «كليهما من صور الإيقاع وهما أيضاً من القيم الصوتية التي تصلح أن تكون مجالاً للفن والجمال، أما الوزن فبحسبك أن تتأمل ما يمنحه من الجمال



النثر بمنزلة البيت من الشعر (٤٢) . وقسموا القرائن إلى ثلاثة أقسام: قصير، ومتوسط، وطويل وعدّوا القصير منها «أوعر أنواع التسجيع مسلکاً، وأصعبها مدرکاً، وأخفها على القلب، وأطيبها على السمع» (٤٣)، وأما المتوسط فمثلوا له بقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ [سورة الأعلى: ١-٥].

وجعلوا الطويل منه ما زاد على ذلك حتى يصل إلى عشرين كلمة أو أكثر، وذهبوا إلى أن القرائن إما أن تكون متساوية في الطول، وإما أن تزيد إحدى القرينتين على الأخرى بغاية قريبة فإن طالت فذاك غير محمود (٤٤).

وفي دراستنا هذه نوجه الانتباه إلى ما في القرائن من إيقاع وما تؤديه من دور نغمي مؤثر فلتأمل الإيقاع المتوازن في قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ = ﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾ - ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا﴾ = ﴿فَالسَّيِّقَاتِ﴾

(٤٢) صور البديع (فن الأسجاع) ص ١٩٥.

(٤٣) الطراز- ص ٢٣.

(٤٤) ينظر الطراز- ص ٢٥، ٢٩.

سَبَّحًا﴾. [سورة النازعات: ١-٤].

\* ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ = ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي

حَجِيمٍ﴾ [سورة الانفطار: ١٣-١٤].

\* ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ ثم ﴿إِنَّ عَلَيْنَا

حِسَابَهُمْ﴾ [سورة الغاشية: ٢٥-٢٦].

\* ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ ﴿وَإِذَا الْعُشُورُ

عُطِّلَتْ﴾ [سورة التكوير: ٣-٤].

\* ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ

زُوِّجَتْ﴾ [سورة التكوير: ٦-٧].

إن الإيقاع المتوازن للجمل في الآيات السابقة يستهوي القلب، وتجد له الأذن لذة، ويحدث نغماً يُسهّل حفظه وترديده، وتلك دقة معجزة مبهرة في توازن الجمل في النسق القرآني.

وتبدو الدقة في توازن الجمل كذلك عندما ينتظم النسق بأكمله مكوناً إيقاعاً طويلاً متوازناً يشتمل على مجموعة إيقاعات قصيرة، ومتوسطة، فتزداد روعة البناء الموسيقي في ذلك النظم كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ . ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى﴾

[سورة الليل: ٥-١٠].



الطول، تتبعها التراكيب أو الجمل القصيرة ثم الجمل الطويلة ويعود النسق الى الجمل القصيرة او المتوسطة وهكذا كما في قوله

تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْدَادًا

۝٧ وَخَلَقْنَاكَ أَزْوَاجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكَ سُبَاتًا

۝٩ وَجَعَلْنَا أَيْلًا لِيَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا

۝١١ وَبَدَّلْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا

سِرَاجًا وَهَاجًا ۝١٣ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً

تَجَاجًا ۝١٤ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَعَلْنَا أَلْفَافًا

۝١٦ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا ۝١٧ يَوْمَ يُفْعَلُ فِي

الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ

أَبْوَابًا ۝١٩ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠

إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِلطَّالغِينَ مَابًا ۝٢٢

لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ۝٢٣ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا

شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥ جَزَاءً وَفِاقًا ۝٢٦

[سورة النبأ: ٦-٢٦].

وإذا كانت الدراسات القرآنية قد عنيت

بالفاصلة في مثل هذه السورة ففي دراستنا

هذه لا نقتل من شأن الفاصلة وما يصدر عنها

من نغم ولكننا نضيف رافداً موسيقياً آخر هو

تنويع الإيقاعات الناتج عن تباين طول الزمن

الذي صبت به الجمل وبذلك تتناسب الأنغام

المتنوعة الصادرة عن الفواصل مع الإيقاعات

ويزيد من روعة الإيقاع في الآية السابقة

وفي غيرها نغم الفواصل الذي سنفرد

الحديث عنه لاحقاً، وبذلك جمع هذا النظم

المعاني المتضادة في جمل متوازنة، فجاء النسق

القرآني في أجمل إيقاع وأحلى نغم.

### خامساً: تنويع الإيقاع

إذا كان الإيقاع المتوازن أحد روافد

الموسيقى فإن تنويع الإيقاع رافد آخر من

روافد الموسيقى في النظم القرآني، ففي

بعض السور، وبخاصة السور التي تقتضي

إيقاعات كثيرة، يخرج النظم القرآني على رتبة

الإيقاعات الذي ينتج عن تكرار القالب

الصوتي وهو هذا التنويع يثري التعبير بأنغام

موسيقية متنوعة تبعد عن النفس الشعور

بالممل حين تعود الأذن نمطاً مألوفاً من

الإيقاع الموسيقي فتتضاءل متعة النفس به.

وقد جاء تنويع الإيقاع على نمطين

مرده في كليهما إلى طول الزمن الذي تصبُّ

فيه الجمل.

### النمط الأول: المراوحة في الكم

الموسيقى الناتج عن أصوات الجمل أو

التراكيب وتفاوت الزمن المستغرق في

نطقها فتأتي في النسق الجمل متوسطة



المتنوعة الصادرة عن طول الجمل.

**النمط الثاني:** التدرج في زيادة الكم الموسيقي الناتج عن أصوات الجمل أو التراكيب التابعة لها وهذا يعني التدرج في زيادة طول الزمن المستغرق في نطقها مما يسبب تصاعداً نغمياً متدرجاً تطرب له النفس كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ۝٣٥ جَزَاءً مِمَّنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ۝٣٦ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۝٣٧ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [سورة النبأ: ٣١-٣٨].

ولنلاحظ كيف بدأ النسق بالجمل والتراكيب القصيرة فأحدثت إيقاعاً قصيراً ثم جاء بالجمل متوسطة الطول، ثم بعدها بالجمل الطويلة مما أحدث تدرجاً تصاعدياً في الكم النغمي وكان ذلك النغم يرافق النفس لتصعد في سلم التأثر درجة درجة حتى تصل إلى ذروة التأثر في نهاية النسق.

### سادساً: نغم الفواصل

الفاصلة: هي الكلمة الأخيرة في الآية

القرآنية وربما سُميت كذلك لأن بها يتم بيان المعنى ويزداد وضوحاً وجلاءً وقوة، ونستدل على ذلك من قوله تعالى: ﴿كَتَبُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة فصلت: ٣].

ومن قوله تعالى ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ [سورة فصلت: ٤٤] ففي التفصيل معاني التوضيح والبيان، وقد اختصت لفظة الفاصلة بالقرآن الكريم، ولم يكن مناسباً أن تطلق لفظة السجع أو القافية على الكلمة التي تختتم بها الآية القرآنية تنزيهاً للقرآن الكريم عن أن يكون شبيهاً بحديث الكهان الذي ارتبطت به لفظة السجع، أو أن يكون ضرباً من الشعر الذي ارتبطت به لفظة القافية<sup>(٤٥)</sup>، وهذا فضلاً عن أنها- أي الفاصلة- تجمع الصفات الفنية التي تحملها القافية والسجعة وتزيد عليها بشحنة المعنى ووفرة النغم والسعة في الحركة<sup>(٤٦)</sup>.

وقد ورد ذكر مصطلح (الفاصلة) في

(٤٥) ينظر: الإتيان في علوم القرآن- ج ٢/ ٩٦،

٩٧ البرهان في علوم القرآن- ص ٥٤.

(٤٦) التعبير الفني في القرآن- ص ٢٠٨.



«لكنه- يقصد التسجيع- لا يحسن ولا

يصفو مشربه إلا باجتماع شرائط أربع:

**الشريطة الأولى:** ترجع إلى المفردات،

وهي أن تكون الألفاظ المسجوعة

حلوة المذاق، رطبة طنانة، صافية على

السمع، حلوة، رنانة، تشتاق إلى سماعها

الأنف، ويلذ سمعها على الآذان، مجنبة

عن الغثاثة والرداءة، ونعني بالغثاثة

والرداءة أن الساجع يصرف نظره إلى

مؤاخاة الأسجاع، وتطابق الألفاظ،

ويهمل رعاية حلاوة اللفظ، وجودة

التركيب وحسنه فعند هذا تمسه الرداءة

وتفارقه الحلاوة.

**الشريطة الثانية:** راجعة إلى التركيب،

وهي أن تكون الألفاظ المسجوعة في

تركيبها تابعة لمعناها، ولا يكون المعنى

تابعاً للألفاظ فتكون ظاهرة التمويه

وباطنة التشويه.

**الشريطة الثالثة:** أن تكون تلك المعاني

الحاصلة عن التركيب مألوفة غير غريبة

ولا مستنكرة ولا ركيكة مستبشعة، لأنها إذا

كانت غريبة نفرت عنها الطباع، وكانت غير

قابلة لها، وإذا كانت ركيكة مجتهد الأسماع.

كتب البلاغيين بوصفها ركناً من أركان

السجع الذي اهتموا بدراسته وإرساء

أركانه الثلاثة وهي:

١. القرينة: وتطلق على القطعة من

الكلام المزوجة للأخرى، وهي في

النثر بمنزلة البيت من الشعر.

٢. الفاصلة: وهي الكلمة الأخيرة من

القرينة وجمعها فواصل.

٣. الروي: وهو الحرف الأخير من

الفاصلة، وذكر في باب السجع

توسعاً لأنه خاص بالشعر (٤٧).

فالسجع إذن أعم من الفاصلة،

والفاصلة ركن من أركان السجع، ولكنها

الركن الأهم، فإليها تنحدر موجات النغم،

وبها يختتم الإيقاع، وعليها يتوقف جلاء

المعنى فهي في موقع يجعلها تحمل طاقة

هائلة في دلالتها، وفي جرسها ونغمها.

وبالنظر لأهمية الفاصلة عني

البلاغيون بوضع شروط لها لكي يكون

السجع بديعاً وفي شروطهم نلاحظ

تنبيههم إلى أهمية جرس اللفظة ونغمها في

هذا الموقع، يقول يحيى بن حمزة العلوي:

(٤٧) صور البديع (فن الأسجاع) ص ١٩٠.



**الشريطة الرابعة:** أن تكون كل واحدة من السجعتين دالة على معنى مغاير للمعنى الذي دلّت عليه الأخرى، لأنه إذن يكون من باب التكرير، فيكون على هذا لا فائدة منه» (٤٨)

وإذا كان العلوي- في هذه الشرائط- قد ذكر أموراً عديدة تتعلق بجمال السجع فإنه قد خصص الشريطة الأولى لجرس اللفظة ولنغمها الرائق، ولحسن وقعها على السمع، ذلك لأن الصفات التي منحها القدماء للألفاظ من كونها (حلوة المذاق) (رطبة) (طنانة) (صافية) (طيبة) (رنانة) كلها صفات تعود إلى جرس اللفظة وتناسق أصواتها، وجمال نغمها بدليل أنهم ربطوا صفات اللفظة هذه بـ (السمع) فقالوا: (صافية على السمع)، (تشتاق إلى سماعها الأُنفس) (يلذ سماعها على الأذان).

وقد أدرك الذين عمدوا إلى السجع في كتاباتهم الفنية قيمة هذا اللون من التعبير، ووقعه على السمع وأثره في النفس مما يسهل حفظه ورسوخه في الذهن- فقد روى الجاحظ في البيان والتبيين أنه

«قيل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي، لم تؤثر السجع على المنثور، وتلزم نفسك القوافي وإقامة الوزن؟ قال: إن كلامي لو كنت لا أمل فيه إلا سماع الشاهد لقلّ خلافي عليك ولكني أريد الغائب والحاضر والراهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع والآذان لسماعه أنشط وهو أحق بالتقييد» (٤٩)

وقد جعل أبو هلال العسكري هذا اللون من التعبير مقدماً على غيره حين ذهب إلى أنه «إذا سلم من التكلف، وبرئ من العيوب لم يكن في جميع صنوف الكلام أحسن منه» (٥٠).

وقد كثرت في القرآن الكريم الفواصل بوصفها وسيلة تعبيرية بالغة التأثير، فعليها يتوقف اكتمال المعنى، وفيها ذروة النغم، وبها ينتهي إيقاع القرينة، فهي إذن مشحونة بالنغم والإيقاع، وبها لا يمكن لللفظة أخرى في النسق أن توازيها في الكم الموسيقي، وكثيراً ما تنزاح بعض الألفاظ عن مواقعها المألوفة في الجملة لتتهيئ

(٤٩) البيان والتبيين- ج١ / ٢٨١ / ٢٨٢.

(٥٠) كتاب الصناعتين- ص ٢٠٤.

(٤٨) الطراز- ص ٢١.



معنوية ذكرها البلاغيون هي: (التوكيد) أو (الاهتمام بالمتقدم) أو (التخصيص) فإن في هذا التقديم فوائد نغمية وموسيقية مضاعفة ذلك أن هذا التقديم حقق نسقاً فيه من الجانب النغمي ما يأتي:

التدرج الإيقاعي المؤنس، الذي ينتج عن جمل متدرجة في الطول، فمن الإيقاع القصير ﴿حُدُوهُ﴾ ﴿فَعْلُوهُ﴾ إلى الإيقاع المتوسط ﴿تُرُّ الْجَحِيمَ صَلَوُهُ﴾ إلى الإيقاع الطويل ﴿تُرُّ فِي سَيْلَةٍ دَرَعَهَا سَبْعُونَ ذَرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾. انتهاء موجات الإيقاع المتدرجة بنغمات متشابهة انطلقت من الفاصلة في ﴿حُدُوهُ﴾ ﴿فَعْلُوهُ﴾ ﴿صَلَوُهُ﴾ ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾.

التناوب المتناسق في عدد مقاطع الفواصل. ﴿حُدُوهُ﴾ (ثلاثة مقاطع) خذوه=صلوه. ﴿فَعْلُوهُ﴾ (أربعة مقاطع) فغلوه=فاسلكوه. ﴿صَلَوُهُ﴾ (ثلاثة مقاطع). ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ (أربعة مقاطع).

وبذلك تكون هذه الانزياحات في مواقع الألفاظ قد حققت نظماً أو نسقاً اكتملت فيه الموسيقى وبلغت ذروتها بالفواصل.

وعند ملاحظة الفواصل في القرآن الكريم

الفرصة للفظة أخرى أن تأخذ الموقع لأن الأخرى هي المناسبة أن تكون (الفاصلة) ففي قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۙ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [سورة الضحى: ٩-١٠]. تقدمت لفظة اليتيم (المفعول به) وانزاحت عن موقعها المتأخر غالباً فهيات بذلك الفرصة للفعل ﴿تَقْهَرْ﴾ أن يكون فاصلة مناسبة توازي ﴿تَنْهَرْ﴾ وبذلك حصل في النسق ما يأتي:

١. توازن إيقاع الجمل (القرائن) لتساوي الوحدات الصوتية في كل من ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ و﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾.

٢. انتهى الإيقاع بنغم متشابه يطيب سماعه (تقهر/ تنهر) وبذلك ساعد انزياح المفعول به على تكوين تركيب جديد ونسق محمّل بموسيقى متميزة فيها الدقة الإيقاعية والجمال النغمي وفي قوله تعالى: ﴿حُدُوهُ فَعْلُوهُ﴾ ﴿تُرُّ الْجَحِيمَ صَلَوُهُ﴾ ﴿تُرُّ فِي سَيْلَةٍ دَرَعَهَا سَبْعُونَ ذَرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [سورة الحاقة: ٣٠-٣٢].

فإذا كان في تقديم المفعول به ﴿الْجَحِيمَ﴾ والجار والمجرور ﴿فِي سَيْلَةٍ﴾ فائدة



نجدها تأتي على أنماط متعددة، وقد وضع البلاغيون لكل نمط مصطلحاً وسنأخذ بمصطلحاتهم في هذه الأنماط وهي:

١- التوازي: وهو عند البلاغيين يعني اتفاق الفواصل وتمائلها تماماً في (الوزن) وفي (الروي) وهذا النوع من الفواصل يحمل كماً موسيقياً كبيراً للتطابق التام بين الفواصل في عدد المقاطع، ونوعها، وفي الحركات والسكنات مما يجعل ايقاع هذا النوع من الفواصل متساوياً تماماً لتساوي الزمن الذي تنطق به فضلاً عن صوت الروي المتماثل أيضاً فيضفي جرساً ونغماً تطرب له الأذن ونلاحظ ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الرَّجْعِ ۙ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّالِجِ﴾ [سورة الطارق: ١١-١٢]. ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۚ وَمَا هُوَ بِالهَزْلِ﴾ [سورة الطارق: ١٣-١٤]. ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [سورة الانشراح: ٧-٨].

ويزداد الكم النغمي ويعلو عندما تتماثل أصوات أخرى غير الروي في الفواصل، أي عند وجود ما يسمى بـ (لزوم ما لا يلزم) فيؤدي هذا التماثل للأصوات إلى إثراء التعبير بالأنغام الموسيقية المحببة

التي تتلففها الأذن بارتياح وتلتذ بها النفس ولنلاحظ ذلك في قوله تعالى:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۙ مَا صَلَ صَاحِبِكُمْ وَمَا عَوَىٰ ۙ وَمَا يُنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۙ﴾ [سورة

النجم: ١-٣]. ﴿وَالطُّورِ ۙ وَكَنْبِ مَسْطُورٍ ۙ فِي رَقِيٍّ مَنشُورٍ ۙ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [سورة الطور: ١-٤]. ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۙ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [سورة العلق: ١-٢]. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

الْفَلَقِ ۙ مِنَ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [سورة الفلق: ١-٢]. ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۙ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [سورة الضحى: ٩-١٠]. ﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْحُنْسِ ۙ الْجَوَارِ الْكُنْزِ﴾ [سورة

التكوير: ١٥-١٦].

ولزيادة التنعيم في بعض الآيات القرآنية وردت ألفاظ مماثلة لهذه الفواصل داخل النسق كما في قوله تعالى: ﴿لَنْ يَكُنَ

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [سورة البيئ: ١]. ﴿الرَّكَنُ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ۖ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ

حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۙ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [سورة هود: ١-٢]. ﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لَّمْزَةً﴾ [سورة الهمزة: ١].

٣١٥



## ٢- التوازن: توازن الفواصل عند

البلاغيين يعني اتفاق الفواصل في الوزن دون الروي وإذا كان تماثل الفواصل واتفاقها في الوزن وفي الروي يكسبها ثراءً موسيقياً، فإن في التنوع والتغيير وانتقال الفواصل من التوازي إلى التوازن تنشيط للنفس وإيقاظ للذهن، وإدخال لعنصر المفاجأة المثيرة عندما يتوقع السامع التماثل في الفواصل وإذا بها تحيد وتحقق تنوعاً نغمياً له لذته الخاصة وقد فصل ابن الأثير الكلام عن الموازنة بعض الشيء فقال: «هي أن تكون ألفاظ الفواصل في الكلام المنقور متساوية في الوزن.. وللکلام بذلك طلاوة ورونق وسببه الاعتدال، لأنه مطلوب في جميع الأشياء، وإذا كانت مقاطع الكلام معتدلة وقعت من النفس موقع الاستحسان وهذا لا مرأى فيه لوضوحه» (٥١).

ومما وردت فيه الفواصل متوازنة قوله تعالى:

﴿وَأَيْنَهُمَا الْكِتَابُ الْمُسْتَقِيمُ ۗ وَهَدَيْتُهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [سورة الصافات: ١١٧-١١٨]. ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً ۗ فَعَلَّنَهُنَّ

(٥١) المثل السائر- ص ١٠٦.

أَجْكَارًا ۗ ﴿٣٦﴾ عُرْبًا أَرَابًا ۗ ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾. ﴿وَمَا أَزِدْكَ مَا الطَّارِقُ ۗ ﴿٢﴾ النِّجْمُ الثَّاقِبُ ۗ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۗ﴾ [سورة الطارق: ٢-٤]. ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۗ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۗ﴾ [سورة القارعة: ٤-٥]. ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَأَتُونَ أَفْوَاجًا ۗ ﴿١٨﴾ وَفُجِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۗ﴾ [سورة النبأ: ١٨-١٩].

## ٣- التطريف: الفواصل المطرفة-

عند البلاغيين- ما اتفقت في الروي دون الوزن كقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۗ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۗ﴾ [سورة الهمزة: ٢-٣]. فالفاصلة الأولى (عَدَّه) على زنة (فَعَله) والفاصلة الثانية (أخْلده) على زنة (أفعله)

ولكن الملاحظ في النسق القرآني أن فوات الوزن في الفاصلة يعوّض بتطابق المقاطع أو تشابهها. فالفاصلتان السابقتان مختلفتان وزناً ولكنها متماثلتان في عدد المقاطع وفي نوعها.

ومما يدخل في باب الفواصل التي يتفق فيها حرف الروي تلك التي يتشابه



صوت الروي لدرجة كبيرة، وذلك كما في صوتي (الميم) و(النون) إذا وقعا رَوِيًّا، فكلاهما خيشوميان وفيهما غُنة وبهما ترنم خاص وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها «وقال بعض العلماء: كثر في القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون وحكمة وجودها التمكن من التطريب بذلك، كما قال سيبويه إنهم (أي العرب) إذا ترنموا يلحقون الإلف والياء والنون لأنهم أرادوا مد الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا، وجاء في القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع» (٥٢)

ويمكن ملاحظة ذلك التناوب البديع بين النون والميم المسبوقين بياء المد في سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْقَلَمِ ۝ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ مَلِكِ

يَوْمِ الدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝

أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ

أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [سورة الفاتحة].

وبعد فإن أسرار القرآن وعجائبه لا

تنتهي، وكلما تدبرنا القرآن وجدنا فيه سرّاً من أسرار إعجازه وعلى الرغم من عناية الباحثين قديماً وحديثاً بالبحث في إعجاز القرآن إلا أن موسيقى القرآن الكريم لم تحظ بعنايتهم كما حظيت وجوه الإعجاز الأخرى، وهذا ما دفعني إلى تتبع روافد الموسيقى والتنغيم في القرآن والبحث في ذلك السر الأسر الكامن في تنغيمه وإيقاعه وموسيقاه، وربما يزداد الآن إدراكنا لقوله تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ ذلك لأن الترتيل يضيف إلى تنغيم القرآن وإيقاعه نغماً وإيقاعاً آخر طارئاً عليه من خلال الأداء والقراءة، فإذا اجتمع التنغيم والإيقاع الصوتي الكامن أصلاً في القرآن الكريم مع ذلك التنغيم والإيقاع الترتيلي، لم يكن للأذن إلا أن تستمع وتنصت وتستمتع بالجمال الذي يأسر الروح والقلب والعقل وسبحان الله تعالى إذ يقول لعباده المؤمنين: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.



### فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. آراء في العربية- عامر رشيد السامرائي- مطبعة الإرشاد بغداد- ١٩٦٥ م
٣. الإتقان في علوم القرآن- السيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم الطبعة الأولى- مكتبة ومطبعة الحسيني القاهرة
٤. الأصوات اللغوية- الدكتور إبراهيم أنيس- مكتبة نهضة مصر بالفجالة.
٥. الإعجاز الفني في القرآن- عمر السلامي- تونس ١٩٨٠ م
٦. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية- مصطفى صادق الرافعي دار الكتاب العربي- بيروت ١٤١٠ هـ- ١٩٩٠ م
٧. البرهان في علوم القرآن- بدر الدين الزركشي- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- دار إحياء الكتب العربية الطبعة الأولى ١٩٥٧ م.
٨. البيان والتبيين- الجاحظ (ت ٢٥٥) تحقيق عبد السلام هارون القاهرة- ١٩٦١ م.
٩. البيان في روائع القرآن- الدكتور تمام حسان- الطبعة الأولى عالم الكتب- القاهرة ١٤١٣ هـ- ١٩٩٣ م.
١٠. تاريخ آداب العرب- مصطفى صادق الرافعي- الطبعة الثالثة- ضبط وتصحيح محمد سعيد العريان مطبعة الاستقامة- القاهرة ١٩٥٣
١١. التصوير الفني في القرآن الكريم- سيد قطب- القاهرة دار المعارف ١٣٨٦ هـ- ١٩٦٦ م.
١٢. التعبير الموسيقي- الدكتور فؤاد زكريا- دار مصر للطباعة الطبعة الأولى ١٩٥٦ م.
١٣. التعبير الفني في القرآن- بكري شيخ أمين- دار الشروق- بيروت- الطبعة الثالثة- ١٩٧٩ م
١٤. الحيوان- الجاحظ- تحقيق عبد السلام هارون- مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٣٨ م.
١٥. الخصائص العربية ومنهجها الأصيل في التجويد والتوليد محمد محمد المبارك- مطبعة نهضة مصر ١٩٦٠ م.
١٦. دراسات في علم العروض والقافية- احمد محمد الشيخ- الطبعة الثانية- الدار الجماهيرية للنشر والإعلان ١٩٨٨ م.
١٧. دراسة في الصوت اللغوي- احمد مختار عمر- عالم الكتب القاهرة- ١٩٧٦ م.



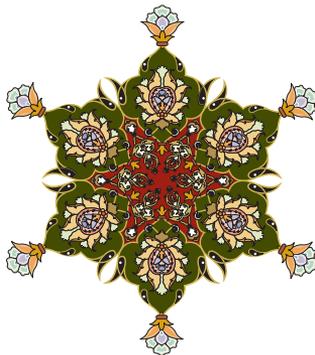
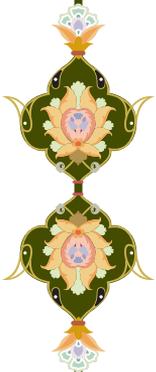
- المغرب-١٩٨٣م.
٢٦. لغة القرآن الكريم في جزء عم- محمود أحمد نحلة- دار النهضة العربية- بيروت لبنان ١٣٩٨ هـ-١٩٧٨ م.
٢٧. مباحث في علوم القرآن- الدكتور صبحي الصالح- الطبعة (١٥) دار العلم للملايين- بيروت- لبنان- ١٩٨٣م.
٢٨. مجلة كلية الآداب، جماعة فؤاد الأول- المجلد الرابع عشر الجزء الأول- مايو سنة ١٩٥٢م.
٢٩. محيط الفنون (٢ الموسيقى) دار المعارف بمصر- القاهرة. بحث بعنوان (الموسيقى العربية من قبل الإسلام حتى سيد درويش) للدكتور محمود أحمد حنفي
٣٠. مناهج البحث في اللغة- الدكتور تمام حسان- القاهرة ١٩٥٥م.
٣١. موسيقى الشعر- الدكتور إبراهيم أنيس- مكتبة الأنجلو المصرية- الطبعة الثالثة- ١٩٧٩م.
٣٢. الموسيقى والغناء عند العرب- أحمد تيمور- الطبعة الأولى- ١٩٦٣م.
١٨. دلائل الإعجاز- عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)- صححه وعلق حواشيه السيد محمد رشيد رضا- دار المعرفة- بيروت لبنان ١٣٩٨ هـ-١٩٧٨ م.
١٩. الدلالة الصوتية في اللغة العربية- صالح سليم عبد القادر- منشورات جامعة سيها ١٩٨٨م.
٢٠. صفوة التفاسير- محمد علي الصابوني- دار الرشيد سوريا حلب ١٣٩٨ م.
٢١. صور البديع (فن الأسجاع)- د. علي الجندي- دار الفكر العربي ١٩٥١م.
٢٢. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز يحيى بن حمزة العلوي- القاهرة ١٩١٤م.
٢٣. كتاب الصناعتين- أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) دار أحياء الكتب العربية- القاهرة- ١٣٧١ هـ.
٢٤. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) دار المعرفة- بيروت.
٢٥. العروض والقافية- دراسة في التأسيس والاستدراك- محمد العلمي- الطبعة الأولى- دار الثقافة- الدار البيضاء-



## ملخص البحث

يعرض السيد الباحث في مقدمة بحثه لمفهوم العولمة وتعريفها كمصطلح من أهم المصطلحات في لغة الإعلام الحديث. بعد ذلك يبسط الحديث في ما يظهر من امتداد تجليات ثقافة العولمة الى تاريخ أبعد من القرن الحادي والعشرين وقد يمتد الى عصور سبقت التاريخ الميلادي، ويستشهد في ذلك بتاريخ ذي القرنين والنبى سليمان.

بعد ذلك يستقريء السيد الباحث مظاهر العولمة في القرآن الكريم وكيف دعا الى الوحدة يوم اوحى الى الناس بأن المجتمع البشري عبر التاريخ كان مجتمعاً واحداً ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [سورة يونس: 19]. وهكذا ينطلق الباحث في بسط حديثه مستشهداً بآي القرآن الكريم والحديث الشريف ومأثورات الأئمة المعصومين ليصل الى حقيقة ظهور المنقذ في آخر الزمان وتداعيات ذلك الظهور على الارض.



# العولمة القرآنية وعالمية الاسلام

عادل عبد الرحمن البدرى  
مجمع البحوث الإسلامية - مشهد  
إيران الإسلامية

وشعارا يتداوله الصحفيون والسياسيون من كلّ شاكلة، وهناك تأكيد واسع الانتشار يفيد أننا في حقبة يتحدد فيها الشطر الاعظم من الحياة الاجتماعية بفعل صيرورات كونية تذوب فيها الثقافات القومية والاقتصادات القومية والحدود القومية، وتقف فكرة وجود عملية سريعة وجديدة من العولمة الاقتصادية في القلب من هذا التصوّر، ويزعم أنّ اقتصادا كونيا بحقّ قد برز، أو انه بسبيله الى البروز<sup>(١)</sup>.

وهناك مصطلحات اجنبية متعددة تحمل المفهوم نفسه أو تتشقق منه وتكاد تقاربه.

(١) بول هيرست وجراهام طومسون، مالعولمة، الاقتصاد العالمي وامكانيات التحكم. ترجمة فالح عبد الجبار- سلسلة عالم المعرفة- الكويت- ٢٠٠١- ص ٩.

مفهوم العولمة وتعريفها:  
يُعدّ مصطلح العولمة من أهم المصطلحات المتداولة في لغة الاعلام الحديث، وقد تناولت الادبيات السياسية والاقتصادية هذا المصطلح بوصفه المادة الاساس والقاعدة الاصلية للانطلاق نحو الدراسات الاستراتيجية المعنية بشؤون عالمنا المعاصر، وربّما عدّت العولمة محور الفكر السياسي والاقتصادي والاجتماعي للعالم الغربي الحديث، ممّا جرّ إلى مناقشات وإثارات علمية في شرقنا الاسلامي وما زالت قائمة الى اليوم. يقول مؤلفا كتاب ما العولمة؟: أضحي مفهوم العولمة موضوعة رائجة في العلوم الاجتماعية، وقولا مأثورا جوهريا في وصفات خبراء الادارة،

وتذوب فيها الحدود والموانع، وتتلاقى بها الكائنات البشرية بحرية، تعززها شبكات مواصلات واتصالات سريعة وسهلة. ويرى بعض أصحاب الاتجاه العولمي بأن من معطيات العولمة حصول تغيير دراماتيكي في بيئة الانتاج العالمي، ويعتبرون هذا التغيير بمنزلة بشير بمرحلة جديدة من التطور الارتقائي للشركات عابرة القوميات، ويرون أن ذلك ينطوي على انفكاك الشركات والشبكات عن القواعد القومية المميّزة، والانتقال الى اقتصاد كوني أصيل يرتكز على شركات كونية بحق (٣).

وعلى رغم حداثة مفهوم العولمة وطراوته الا أن التتبع والاستقراء يظهر لنا امتداد تجليات فكر وثقافة العولمة الى تاريخ ابعده من القرن الحادي والعشرين الميلادي، وقد يمتد من قرون سابقة لتشكيل التاريخ الميلادي، فأبرز عولمة اشار اليها القرآن الكريم هي عولمة دينية قادها في زمانه ذو القرنين، والتي جاءت

(٣) بول هرست وجراهام طومبسون (مصدر سابق) ص ١٣٢.

١. مصطلح Vosmopolitismus، ويعني سياسة العولمة، وهو مصطلح مشتق من نفس الكلمة اللاتينية.  
٢. مصطلح Globalisation، ويعني العولمة أو السياسة الكونية.  
٣. مصطلح International، ويعني التدويل، أو الدولي، أو العالمي أيضاً. وهذه المصطلحات المذكورة تكاد تشمل على مضمون واحد، وأهداف واحدة ويمكن تلخيصها أو اختزالها في مصطلح العولمة (٢).

والعولمة أو العالمية أو الكونية أو الفكر الدولي هو نتاج طموح الفكر البشري الذي يناضل من أجل امتلاك العالم ووضعه في مسار واحد، أو دائرة واحدة، أو ساحة واحدة يمكن اللعب بها بسهولة أو تذليلها والسيطرة عليها. فتناثرت الافكار القائلة بأن العالم ينبغي أن يكون قرية واحدة، أو كتلة بشرية موحدة تتحرك في مدينة أو دولة تتساقط

(٢) ينظر تفصيل هذا: عامر رشيد مبيض، موسوعة الثقافة السياسية الاجتماعية الاقتصادية العسكرية، ط حصص ١٩٩٩ ص ٩٦٢.



في قوله تعالى: ﴿وَسْتَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ۗ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۚ إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَايَاتُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۚ فَأَنْبَعِ سَبَبًا﴾ [سورة الكهف: ٨٣ - ٨٥].

وهنا ربّما كانت أوّل صورة او أوّل مرحلة من مراحل العولمة التي قادها هذا الشخص الذي امسك بقبضة العالم، وذو القرنين لم يكن نبيا، وإنما كان عبدا صالحا أحبّ الله فأحبّه، وناصح الله فناصحه الله، يقول ابو جعفر الباقر (عليه السلام): امر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه فغاب عنهم زمانا، ثم رجع اليهم فضربوه على قرنه الآخر، وفيكم من هو على سنته، وأنه خير بين السحاب الصعب والسحاب الذلول فاختار الذلول فركب الذلول، وسئل علي (عليه السلام) عنه فقال: سخرت له السحاب، وقربت له الاسباب، وبسط له في النور، وكان يبصر بالليل كما يبصر بالنهار (٤). وفي هذا اشارة الى ما كان عليه من تسلط وقوة وانفتاح في الارض. وذكر الفخر الرازي

بانّ ذا القرنين هو الاسكندر بن فيليبس اليوناني تلميذ ارسطو طاليس، وهو الذي بلغ أقصى المشرق والمغرب والشمال، وبنى الاسكندرية وغزا الامم البعيدة وبنى المدن الكثيرة (٥) فما تيسر له من قدرة وسطوة تمكن بها من بسط عولته أو فكرة العالمي في إخضاع الارض ووضعها في دائرة واحدة، وكأنها تبدو دولة واحدة آنذاك، وربّما يمكن لنا تسميتها إمبراطورية ذي القرنين. وأشخاص مثل الاسكندر يقال عنهم أوجدوا أو صنعوا حضارة عالمية انعكست في أسماء المدن التي اسسوها، وفي خضوع الدول والامم لهم حينذاك، وبما أوجدوا من معالم تنسب اليهم، وقد أدّت فتوحات الاسكندر وتقسيم تركته بعد موته الى انتشار الحضارة الاغريقية في اجزاء كبيرة من آسيا وإفريقيا، ممّا جعل المؤرّخين يطلقون على تلك الفترة حتى الفتح الاسلامي اسم العصر الهلينستي، وفي ذلك العصر وجدت عدة مراكز للحضارة الاغريقية اشهرها الاسكندرية

(٤) قصص الانبياء للراوندي، منشورات مكتبة

العلامة المجلسي، الطبعة الاولى ١: ٣٢٢

و٣٢٣.

(٥) التفسير الكبير، طبعة دار الكتب العلمية

طهران ٢١: ١٦٣.



زمانه وقادها سليمان عليه السلام كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَحِشْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾<sup>(٨)</sup> [سورة النمل: ١٧] وقوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحها شَهْرٌ وَأَسَلنا لَهُ عَيْنَ الْقَظْرِ وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾<sup>(٩)</sup> [سورة سبأ: ١٢] ومع أن التعبير القرآني كان مضغوطا في مفرداته ببلاغة متناهية في التعبير عن الطاقة الهائلة التي وهبها الله تعالى لعبده سليمان عليه السلام، إلا أن تفصيلا يتشوق له القارئ هذه المقدره التي تمكن بها سليمان عليه السلام من تذليل العالم وإخضاعه غير متوفرة في النصوص، يقول

(٨) الوزع جاء في الآية بمعنى الردع والرد والكف، قال ابن دريد: وزعت الرجل أزعته وزعا، إذا كفته عمّا يريد، ترتيب جمهرة اللغة ٣: ٥٨٤ (وزع)، ومنه جاء قول علي عليه السلام: كأنتي المقود وهم القادة، أو الموزوع وهم الوزعة. نهج البلاغة ط صبحي الصالح ٥٢٠ ح ٢٦١.

(٩) قال الشيخ علي بن ابراهيم: كانت الريح تحمل كرسى سليمان فتسير به في الغداة مسيرة شهر وبالعشي مسيرة شهر. تفسير القمي، منشورات الاعلمي بيروت ٢: ١٧٤.

وبرقة وانطاكية ونصيبين وجنديسابور<sup>(٦)</sup> وكانت مدينة الاسكندرية من اهم مدن العالم منذ ان انشأها الاسكندر سنة ٣٢٢ ق.م الى ان فتحها عمرو بن العاص، أي في مدّة الف سنة، وكان يمكن عدّها- وهي مركز لتجارة البحر المتوسط بأسره- ثانية مدن الامبراطورية الشرقية، أي المدينة التي تاتي بعد القسطنطينية، وكان البطالمة قد اجتذبوا اليها اشهر علماء العالم وفلاسفته، وكانت تشتمل على اشهر المكتبات والمدارس<sup>(٧)</sup>.

وهناك شخص آخر كانت له هيمنة وقدرة أكبر من هيمنة ذي القرنين هو النبي سليمان بن داود عليه السلام الذي طوي له الزمان والمكان وانقادت له المخلوقات والطبيعة لما حوت واوتيت من قدرة فكانت كلها مأمورة تجري بين يديه طائعة ذليلة، وفي القرآن الكريم أشارت الى هذه المرحلة من العالمية أو العولمة التي شهدتها

(٦) بشير التليسي وجمال الذويب، تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، دار المدار الاسلامي بيروت ص ٢٨٨.

(٧) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمه عادل زعيتر، ط الرابعة مصر ص ٢١٣.



السيد محمد حسين الطباطبائي: لم يرد في القرآن من قصصه إلا نبذة يسيرة، غير أنّ التدبّر فيها يهدي الى عامّة قصصه ومظاهر شخصيته الشريفة، منها وراثته لأبيه داود.. وفيها إيتاؤه الملك العظيم، وتسخير الجنّ والطير<sup>(١٠)</sup>. حتى أن سليمان عليه السلام أخضع هذه القوة الكبيرة التي كانت مسخرة له في طقوس عباداته لأداء فريضة الحجّ، فقد روى الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه الصدوق عن أبي جعفر الباقر عليه السلام ان سليمان عليه السلام قد حجّ البيت في الجنّ والإنس والطير والرياح<sup>(١١)</sup>.

وإذا كانت مرحلة العولمة الدينية، أو العالمية المساوية المشار لها آنفا قد تجلت في أزمنة ليست بقريبة، فإنّ عولمة جديدة في عصورنا الحديثة قد انبثقت بشكل نظري باتجاهين:

الاتجاه الاول في شرق الارض، واوربا الشرقية على وجه التحديد، متمثلا بالفكر الماركسي الاشتراكي الذي بشر بالشيوعية

(١٠) الميزان في تفسير القرآن، منشورات الاعلمي بيروت ١٥: ٣٦٧.

(١١) من لا يحضره الفقيه ط جماعة المدرسين قم ٢٣٥: ٢ ح ٢٢ ٨٥.

التي تنتهي عندها الحدود والموانع والقيود. والاتجاه الثاني في غرب الارض، وأوربا الغربية على وجه التحديد، متمثلا بالفكر الليبرالي الرأسمالي الذي يبشر وما زال بالرفاه ورفع الحواجز المانعة من الإبداع، ويكسر القيود التي تأتي على حريّة الإنسان بهذه الاوطان والجدران التي تمنع من تقدّم الإنسان باعتقادهم ومن هنا يمكن أن يقال: بأنّ تجدد الفكر العالمي أو العولمة يؤرّخ من بدايات القرن التاسع عشر الميلادي وتزامناً مع ترسخ النهضة الصناعية في أوربا وحين تنامت الافكار السياسية والاقتصادية لدى مفكري الغرب في وضع نظام علمي جديد يتناسب مع معطيات التقدم العلمي والصناعي الذي أبدعه الانسان الغربي، فالتطور الصناعي والعلمي الذي شهدته ربوع الغرب كانت حافزاً للتفكير في ربوع أخرى تنتقل لها هذه البضاعة. فالانتاج الواسع الذي أفرزته ماكينة الصناعة تطلبت البحث عن أسواق ومستهلكين لتصريف هذه المتوجات التي تكدّست، فلم تعد حاجة المستهلك الغربي تشبع نهم التاجر والصانع الاوربي،



علاوة على الحاجة المتزايدة للمادة الأولية للصناعة، وكان تحسّن طرق المواصلات والاتصالات آنذاك أوجب وخلق مناخات مساعدة لنشوء نظرية الاقتصاد العالمي، هذا الاقتصاد الذي يرمج التوزيع والاستهلاك واستخدام القوى العاملة وتوظيفها واستثمارها لتدخل في نسيج الصناعة الناشئة. وعلى كلّ حال فالبدائيات التاريخية لمفهوم العولمة المعاصرة ارتبطت بنزعة الاستعمار الاقتصادي الذي يطمح للسيطرة السوقية وفتح المجال للمنافسة العالمية، وتحقيق استثمار أكبر للشركات العملاقة وتشغيل مآكناتها الانتاجية ودفعها الى تطوير أداؤها لدفعها للحركة في كافة بقاع العالم. ولذلك ظهر هناك من يصف العولمة الرأسمالية بالقول: إنّ العولمة تلمّ شمل اللاعبين الممثلين لشتى الشركات والأمم، كما لو كانوا فرق كرة قدم تتنافس في إطار التصنيفات الدولية<sup>(١٢)</sup>.

ومّا يؤسف لموجات الفكر المعولم (١٢) هانس بيتر ما نتين وهارلد شومان، فح العولمة، الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية، ترجمة عدنان عباس علي، سلسلة عالم المعرفة الكويت ٢٠٠٣ ص ٣١٠.

ان نشيء من بعض أطروحات العولمة فكراً داعياً الى تفتيت التكتل والتجمع الاسلامي، وطرح التجمع الانساني بديلاً عن هذه الدائرة، وكأنّ المعولمين لم يقفوا عند نصوص القرآن الكريم التي تطرح هذا المفهوم. ويظهر جلياً للمتتبع لنصوص القرآن الكريم أنّ عدداً من الآيات الكريمة توحى للقارئ بأنّ المجتمع البشري عبر التاريخ كان مجتمعاً واحداً، وليس من العسير استخلاص هذه الوحدة الاجتماعية التي تعكس معالم المجتمع العالمي عبر الأزمنة الغابرة، فنصوص القرآن الكريم حكمت عن هذا المجتمع العالمي أو المعولم بلغة العصر كما في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [سورة البقرة: ٢١٣].

فالأصل التكويني للوجود البشري هو الاتحاد والتجانس والاتجاه الواحد، وما التباين والاختلاف الظاهري إلا طارئ على الجسم البشري المتألف كما نفهم من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [سورة يونس: ١٩].

وحين يهفو عقلاء البشر ومصالحوهم



الى دعوة عالمية إنسانية تلغي الفوارق بين العباد وتفجّر الحسّ الانساني لديهم، عليهم تأمل الخطاب القرآني الطافح بالرحمة والعطف والحنوّ على العباد، والذي يذكر بالوحدة والمشاكلة البشرية في الوجود، ومن هذا الخطاب قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ [سورة الانبياء: ٩٢].

وقوله أيضاً: ﴿وَلِئَلَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون﴾ [سورة المؤمنون: ٥٢]. ولذا تكون الأطروحة الإثنية أو العنصرية غير مقبولة، وبمثابة نعمة شاذة في مجمل الرؤية القرآنية. وليس بخاف على أهل البصيرة والعلم أن الثقافة العنصرية هي بالاصل تقوم على تمييز عنصر ما على غيره من العناصر، نتيجة بروز أو إبراز سمات معينة، تظهر أو توهم إظهار امتياز العنصر المفترض على سائر العناصر الاخرى، وقد تتمظهر بمظاهر مختلفة: العرق، اللون، اللغة، القومية، التاريخ، الجغرافيا وغيرها. ومن الظاهر والجلي لأهل العقول والألباب أنّ العنصرية هذه لا تتفق مع وحدة النوع الانساني

المخلوق من نوع واحد، أو أصل واحد، كما نصّ عليه القرآن الكريم، بل يقوم هذا الاختلاف على أمور تكوينية، أو وراثية، يحملها كلّ من الأب والأم، أو نتيجة للبيئة التي يعيش فيها ولا دخل للإنسان فيها، وليس بقادر على تغييرها، لكونها خارجة عن إرادته واختياره، وبالتالي فهي لا تشكل فضيلة أو رذيلة لصاحبها بحدّ ذاتها، مالم ينضمّ إليها اختيار المرء نفسه، وتمتعه بالفضائل أو بالردائل، امثالاً لامر الله تعالى أو تمرداً عليه. ولهذا أكد القرآن الكريم أنّ الميزان والملاك في التفضيل والتكريم هو العمل وتقوى الله (١٣)، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾ [سورة الحجرات: ١٣]، لذا لم يكن النبي ﷺ يسمح بتنامي الشعور القومي أو القبلي، لانه عدّه ارتكاساً وارتداداً، فيضعض الشعور الديني الواسع الذي ينسج رابطة أممية قويّة، لا

(١٣) ينظر حاتم اسماعيل، الاديان الكبرى قبل الاسلام، منشورات أمجاد للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط الاولى ٢٠٠٩ ص ١٤٠.



﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

[سورة الزخرف: ٣٣] بأنه لا يمكن جمع الناس على شريعة واحدة مع اختلاف المصالح (١٦). ولا يعني هذا الاختلاف العارض والقاطع للوحدة البشرية امتناع انبثاق الدولة او الحكومة العالمية الواحدة التي تنظم المصالح البشرية المتفاوتة والمتقاطعة، والتي أدت الى اندلاع الحروب وتشقيق المجتمع الموحد فتردّى في الشرك والضلال، وتناهى الى امم وكتل تبدو وكأنها قابلة للانقسام الأكثر تشعباً وتعقيداً. فالمرشح من نصوص القرآن أنّ الانتساب البشري يرجع الى أصل واحد، ودفع الجموع البشرية في مسار التوحيد والصلاح والانسجام العقيدي، يعني ارجاعها الى فطرتها السليمة التي عبر عنها القرآن الكريم بأنها من نفس واحدة، أو أصل واحد، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتِّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [سورة النساء: ١].

وأشار القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ

(١٦) تفسير البيان ٣: ٥٤٦ ط النجف.

يمكن للقبيلة أو الإقليم مها كان متسامحاً مع الآخرين من ان يشدها، ومن هذا يفسر ما جاء في الحديث عن النبي ﷺ قوله: من تعصّب أو تُعصّب له فقد خلع ريق الايمان من عنقه. وقال ﷺ: من كان في قلبه حبة من خردل من عصبية بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية (١٤).

وتحدّث بعض النصوص القرآنية عن أمنيات الانبياء والمصلحين في إيجاد المجتمع الواحد المتماثل في خطوطه العامة، هذا المجتمع الذي يتناغم ويتجانس في مجموعة بشرية متألّفة ومتكاملة، ربّما تتجه باتجاه واحد واعد، كما يفهم من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [سورة المائدة: ٤٨]، ومن هنا فإمكانية التفاهم والانسجام البشري قابلة للتحقق وفقاً لهذه الآية (١٥) الا أنّ التصادم والانانيات والنزعات الشريرة تمنع من التفاهم والانسجام، وقد فسّر الشيخ الطوسي (رحمه الله) قوله تعالى:

(١٤) أصول الكافي للكليني، ط دار الكتب الاسلامية طهران ٢: ٣٠٨.

(١٥) واشرنا الى بعض الايات التي تحمل دلالات عولمية او عالمية آنفا.



وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴿[سورة البقرة: ٢١].

إلى وحدة الوجود البشري وامتداد التاريخي، فالخلقة واحدة، والامتداد الذي أوجده الارادة السهاوية ما زالت قائمة. والانسان المعاصر الذي نتعايش معه هو امتداد للانسان الاوّل آدم عليه السلام، وما صور الموجودات البشرية التي تداولت هذه الارض وتناسختها في منصرم العصور إلا أجيال خلت فتناسلت في خصائصها بعضها عن بعض، وهذه الموجودات والمخلوقات التي خلقت مع الإنسان أو من أجله، كأنها كلها تحكي عبودية الانسان وما معه من مخلوقات ترى أو لا ترى، قال تعالى: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [سورة الاسراء:

٤٤] وهذا التسبيح البديع المتناغم يترجم خضوع المخلوقات وطاعتهم لخالق واحد أراد لهذه الكائنات ومعها الجموع البشرية أن تعمر الارض وتستجيب لنداء واحد هو نداء الرسول الذي تبعته السماء بالدعوة التي تقول: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ

تُرْجَعُونَ﴾ [سورة القصص: ٧٠].

ومن المناسب لهذا البحث أن نبحت بشكل مختصر مفهوم المجتمع. والمقصود هو المجتمع البشري، وأصل الكلمة من الاجتماع والجماعة والجماعية والمجموع... ويتطلب المجتمع وجود جماعة من البشر يعيشون ضمنه، كما وأنهم يحيون حياة جماعية فتصبح هناك صلوات مستمرة تجمعهم مع بعضهم البعض...

وذكر آخرون في تعريف المجتمع: بأنه يتكوّن من بني الانسان في وجودهم الذي يقوم على التضامن والاعتماد المتبادل. وقال آخرون في وصفه بأنه عبارة عن نسيج مكوّن من صلوات اجتماعية، تلك الصلوات التي يحددها الادراك المتبادل (١٧).

وفي ضوء هذه التعريفات، فامكانية انبثاق مجتمع عالمي أممي اوسع من النطاق المعارف والمألوف تبدو ممكنة، ويتحقق ذلك إذا كانت الأهداف والمشاعر مشتركة، ويتناول الأدب والبحث السياسي والاجتماعي الحديث مبدأ التعايش الذي

(١٧) ينظر محمد نجيب أبو عجوة، المجتمع الاسلامي، مكتبة مدبولي القاهرة: ١٦.



أدّل على ذلك من ملاحظتنا لحياة الطفل، وهو لم ينضج بعد عقلياً ونفسياً، فيستجيب فطرياً منذ ولادته لمفهوم التعايش<sup>(١٨)</sup>.

ويثار موضوع الهيمنة الاسلامية، أي الفرضية القائلة بأن غير المسلمين كيف يمكنهم أن يتقبلوا أفكار المسلمين القائلة بأن الديانات كلها منسوخة، وأن ما يحق له القيومية والهيمنة هو الدين الاسلامي وحده دون غيره. وأفكار المسلمين لا تعني بالضرورة رفض الوجودات الدينية القائمة على أرض الواقع، فليست هناك أصلاً عدائية، أو محاربة أو عمليات تصفية واستئصال للوجود الغيري، فالفكر الاسلامي يفتح ويتفاهم مع الفكر الآخر المغاير، ومن هذا الاعتبار كتب النبي محمد ﷺ الميثاق العالمي، أو عهد العولمة الاسلامية الى زعماء العالم آنذاك، وهم: كسرى، وقيصر، والنجاشي فقال: تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم، أن لا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله<sup>(١٩)</sup>.

(١٨) الاسلام وعلم الاجتماع، مجمع البحوث الاسلامية بيروت: ٧١.

(١٩) كنز العمال للمتقي الهندي، مؤسسة الرسالة بيروت ١٠: ٦٣٢ ح ٣٠٣٣٠.

يشكل مقدمة المجتمع الانساني العالمي، أو المجتمع المعولم بلغة أصحاب نظرية العولمة المعاصرة. ولم يستبعد المتفائلون في مبدأ التعايش أن تلتقي المشاعر الإنسانية عند نقطة التلاقي المشتركة، والتي ربّما تنصبّ فيها الاتجاهات جميعها.

يضع الدكتور محمود البستاني مجموعة من المبادئ تجعل التعايش بين البشر متحققاً فيقول، إن السماء التي ابدعت الكائن البشري ركبت فيه نزعة الحاجة الى الاجتماع تجسداً للمهمة العبادية التي تتطلب مفروضية اجتماعية بدءاً من عملية التناسل لاستمرارية البشر، مروراً بعملية توصيل مبادئ السماء اليهم، وانتهاءً بممارسة المبادئ الاجتماعية المفروضة عليهم في عملية الاختبار الالهي التي خلق الانسان أساساً من أجلها، إذ لا يمكن أن نتصور إمكانية تحرير التجربة العبادية، الا من خلال العلاقات التي تفرضها عمليات التناسل والتوصيل وممارسة المبادئ، وحيث لا يمكن تحرير هذه العلاقات الا من خلال نزوع فطري يحمل البشر على التعايش فيما بينهم. ولا



فالمسلمون يعتقدون بالتوحيد كمانع  
وصائن وحافظ للحقوق العامة والخاصة  
ويستندون الى نبيهم الاكرم ﷺ الذي  
يقول: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولو:  
لا اله الا الله، فاذا قالوها فقد حُرِّمَتْ عليّ  
دماؤهم وأموالهم» (٢٠).

فلا تجاوز ولا نكران لحقوق ووجود  
غير المسلم، وبالامكان التعايش والتفاهم  
والاحترام المتبادل للاعتبارات والقيم  
الدينية، فعندها يكون عالم الانسان المسلم  
وغير المسلم، وقد شهد المسلمون واليهود  
وغيرهم في مجتمع المدينة-يثرب- تجربة  
التعايش بين المسلمين وغيرهم في دستور  
المدينة الذي أقره رسول الله ﷺ.

وانطلاقاً من مبدأ دستور المدينة الذي  
أقره النبي ﷺ في العام الاوّل للهجرة،  
يكون هذا العالم مائدة مستديرة يتفاهمون  
على مبدأ التعايش والتسامح والإقرار  
باليد السماوية الصانعة للدين الاسلامي  
والاديان الاخرى. وعند الإقرار المتبادل  
لزعماء الاديان لهذه المبادئ تطرح نظرية  
اختبار مصداقية الامم والشعوب، وهنا  
(٢٠) عيون أخبار الرضا للصدوق ٢: ٦٤ ح ٢٨٠.

تظهر أهمية هيئة التحكيم والتقويم، او  
بلغة اخرى الجماعة التي تراقب وتشرف  
على هذا المجتمع المعولم أو المجتمع  
العالمي، فمن الذي يكون لائقاً بهذا  
المقام. وهنا يطرح المسلمون أنفسهم  
باعتبارهم يتسبون الى آخر الأمم والى  
آخر حضارة سماوية تجسدت في الارض،  
ومن هذا المنطلق يحق لنا القول أنّ  
المسلمين يمتلكون خبرة ورؤية تاريخية  
كاملة لمسيرة الاديان والحضارات، آخذين  
بنظر الاعتبار اختزان التجارب والرؤى  
الموروثة لديهم والتي يعكسها طبقة من  
العلماء، ومن هؤلاء العلماء الواعين  
يمكن لنا ان نختار لهذا المجتمع المعولم  
الامة الوسط التي تعطي شهادات حسن  
السلوك للمجتمع العالمي. وهنا يمكن  
ان نصل الى نتيجة قررها القرآن الكريم  
الذي جعل الامة الاسلامية أمة معتدلة  
ووسطية حسب مغزى الآية الكريمة:  
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا  
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]  
فجعلها حاكماً ومعياراً للامم الاخرى،  
واذا كانت تطبيقات العولمة وشعاراتها



ضارياً تغتتم أكلهم، فانهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق» (٢١).

وقد فهم مفكر مسيحي - من معاصري زمن العولمة - البعد الانساني للمسلمين فقال: لذلك كانت الامة الاسلامية، إمكانياً أمة عالمية، وبما أنها عالمية، فهي متحدة أيضاً وأعضاؤها متساوون، فالمسلمون كلهم أيّاً كانت ثقافتهم أو عرقهم، انما ينتمون الى الامة بالتساوي، لهم حقوق واحدة وعليهم مسؤوليات واحدة. وقد جمعت هذه الوحدة المعنوية حتى بين من تباينت مذهبهم في حقيقة الاسلام وقضايا النهج والعقيدة.

وكان هناك شعور مشترك لدى الشيعة والسنة وتفرعات كل منها بالانتماء معاً الى الجماعة الواحدة، شعور قائم على اعتقاد راسخ لدى المسلمين بأن وحدة العيش معاً انما هي أهم من الدفع بالخلافات العقائدية الى نتائجها المنطقية. وكان هذا يصحّ أيضاً على جماعات النصارى واليهود الذين استمروا على العيش تحت الحكم الاسلامي في مصر وسوريا والعراق (٢١) نهج البلاغة: ٣٢٧ كتاب (٥٣).

التي لا بدّ من أن تمرّ وتدخل في منعطفات الاختبار، ومن المناسب لهذا الاختبار ان يجريه المسلمون، فهم الذين يقدرّون مصداقية شعارات العولمة وتطبيقاتها، ومنها اطروحة العالم الواحد او المجتمع البشري الواحد الذي وضع الاسلام أسسه وقواعده، وهذه الاسس والقواعد النابعة من معدن التوحيد ينبثق عنها تشريع ينظم علاقات الناس واخلاقهم والمبادئ والقيم التي ينبغي ان يتفق عليها، وهذه لا تخصّ امة دون امة من الناس، او جنساً دون آخر، او جيلاً دون جيل، او زماناً غير زمان العولمة، باعتبار انه آخر زمان، او الزمان المثل ونحو ذلك.

تقول الآية الكريمة: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾

[سورة الانبياء: ٩٢]. فالناس كلهم في نظر المسلمين سواء ومرحومون في صلب الاسلام واسباسه، وقد وضع الامام علي عليه السلام هذا المبدأ بين يدي حاكم الاسلام السياسي الاشتهر النخعي حينما قال له «واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم، والल्पف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً



وغيرها من الاقطار. نعم لم يعتبروا جزءاً من الامة الاسلامية، الا انه كان معترفاً لهم، وهم اهل الكتاب بانهم اصحاب وحي حقيقي يؤمنون بالله وبالانبياء وباليوم الآخر، وانهم بالتالي يتمون ايضاً الى الاسرة الروحية الواحدة التي يتمون اليها المسلمون (٢٢).

القرآنية التي تدعو الى بسط العدل ونشره في ربوع الارض، لأن ما ينادي المعولون به من عدل، هو العدل الصوري الذي ينسجم مع تطلعاتهم الاقتصادية في نطاق تأمين المصالح الاقتصادية والتجارية للنظام العالمي الجديد.

### عالمية الإسلام والرسالة المحمدية

كانت الرسالة التي بعث بها النبي ﷺ وما زالت عالمية، وقد اكد القرآن للنبي ﷺ ذلك بقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة سبأ: ٢٨]. وقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الانبياء: ١٠٧].

وقال تعالى في تأكيد عالمية الدعوة: ﴿ قُلْ لَا آسَأُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنِّ هُوَ إِلَّا ذِكْرِي لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الانعام: ٩٠]. وقال: ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنِّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة يوسف: ١٠٤].

وقال أيضاً: ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة القلم: ٥٢]... وغيرها من الآيات الدالة على شمولية هذه الرسالة وامتدادها الزمني والمكاني، وانعتاقها من النطاق الاقليمي

ويأخذ العدل المكان الثاني في العولمة القرآنية، فتحدّد مهمة الرسل والانبياء في إرساء العدالة في المجتمع البشري فتقول الآية: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [سورة الحديد: ٢٥].

ثم تتحدث الآيات الكريمة عن بسط العدل وضرورته للكيان البشري فتجعل صفة الوجوب والحتم في ممارسة الحكم والدولة في قوله: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [سورة النساء: ٥٨].

ولذا تكون العولمة الحقيقية هي العولمة

(٢٢) الفكر العربي في عصر النهضة، البرت حوراني ١٣، ترجمة كريم عرقول، منشورات نوفل بيروت ١٩٩٧.



والقومي لصاحب الرسالة ﷺ الذي تفتخر الامم بنسبتها الى اسمه المبارك.

ولم ينكر المفكرون الغربيون عالمية الرسالة المحمدية وديمومتها، يقول البرت حوراني: فقد أرسل الانبياء السابقون في بادئ الامر، كل الى امة معينة لإنذارها وهدايتها. فكانت تتقبل الرسالة ثم تتنكر لها أو تسيء فهمها، لا بل تعبت بنصوصها. لذلك نشأت الحاجة الى تكرار الوحي. أمّا الوحي الاخير، الوحي النازل على محمد ﷺ، فانه يتميز عما قبله من وجهين: فهو رسالة الى العالم اجمع، كما أنه يحمل في طياته ضمانه صدق تلك الرسالة وأمانة نقلها (٢٣).

ومن هذا يقال إنّ الحكومة العالمية التي ينادي بها الانبياء يفترض بها أن تكون اسلامية ولكن ما يطرح من هو القائد المؤهل لهذه الحكومة العالمية. ويقول المسلمون: إن تحقيق الحكومة العالمية يتم على يد امام كامل معصوم تسدده السماء وهذا الامام المفترض الطاعة هو الامام المهدي عليه السلام.

وتتحدث الاخبار عن هذا القائد

(٢٣) الفكر العربي في عصر النهضة: ١٣.

الذي يقود الدولة العالمية فتكون الارض في قبضته ويصطف مسيح أهل الكتاب خلفه تابعاً ومصلياً، وتكون دول العالم في أمرته بوصفها ولايات خاضعة لنفوذه الربّاني، وليس لنفوذه السلطاني المقيد برسومات الحكومة المدنية المعاصرة، وهذا يستفاد من رواية الباقر عليه السلام إذ يقول في وصفه: منصور بالرب، مؤيد بالنصر، تطوى له الارض وتظهر له الكنوز، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر الله عز وجل به دينه، ولو كره المشركون، فلا يبقى في الارض خراب الا قد عمر، وينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلي خلفه (٢٤).

وكانت فكرة الحكومة العالمية بقيادة شخص ربّاني كامل سائدة في تاريخ الاديان، وحتى الى ازمنتنا المتأخرة، وكانت وما زالت فكرة المسيح المنتظر الذي ينتظره النصارى ليحكم العالم هي نفسها المسيطرة على تاريخ الفكر اليهودي، الا انهم يعتقدون ان المسيح المنقذ من اليهود انفسهم، لذا كثر المدعون

(٢٤) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ٣٣١

ح ١٦.

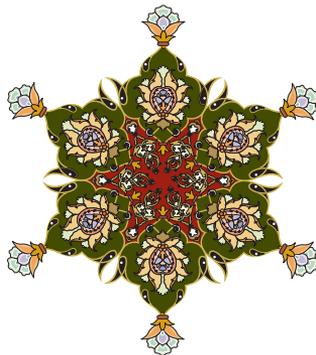


للمسيح في التاريخ، وابرز من أدعى المسيح في القرون المتأخرة هو الحاخام اليهودي ساباتي زيفي الذي أدعى انه المسيح المنتظر في القرن السابع عشر فقد راجت في تلك الايام شائعة مفادها أن المسيح سيظهر وذلك في عام ١٦٤٨ م، كي يقود اليهود في صورة المسيح، وانه سوف يحكم العالم من فلسطين، ويجعل القدس عاصمة للدولة اليهودية المزعومة...

وفي هذه الحقبة الزمنية ظهر شخص آخر ينافس ساباتي وهو كوهين أدعين ايضاً بانه المسيح وقد تقدم بشكوى الى

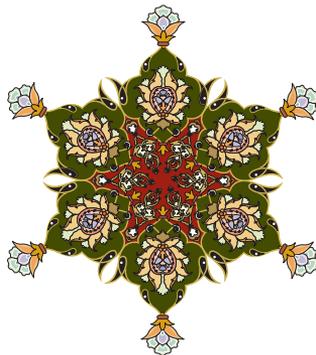
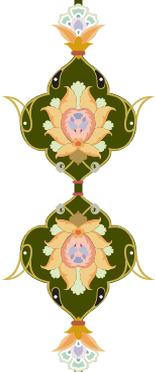
السلطان العثماني أكد فيه ان ساباتي ينوي القيام بحركة تمردية في سبيل تأسيس دولة يهودية في فلسطين<sup>(٢٥)</sup>. وهذا يعني ان الدولة العالمية سائغة ومقبولة في تضاريس الواقع، ولهذا فالعقول البشرية تستقبل فكرة الحكومة العالمية وفقاً لمعتقداتها وتصوّراتها الدينية ولهذا السبب يمكن اعادة طرحها تساوقاً مع معطيات الفكر السياسي الحديث الذي دعا الى ما أسموه بالعوامة.

(٢٥) احمد نوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية: ٣٩، ط وزارة الثقافة والاعلام بغداد ١٩٩٠.



## ملخص البحث

أخذ السيد الباحث من سورة القيامة انموذجاً لدراسته الاسلوبية التي حصرها بالمستوى الصوتي والايقاعي فبعد ان قرر ان الله - سبحانه - قد من على العرب حين انزل القرآن بلغتهم واسلوبهم لكي يحاكي مشاعرهم وعقولهم في نظمه وحكمه، تتبع السيد الباحث آيات سورة القيامة لثبت الانسجام الرائع الذي ظهرت به الآيات المباركات من خلال المستوى الايقاعي والصوتي. وقد اعتمد البحث مجموعة من المصادر منها ما هو تفسير ومنها ما هو دراسة بلاغية أو أسلوبية، قديمة وحديثة. بعد ذلك اسهب الحديث عن (الفاصلة) لما فيها من دلالة واضحة على الفكرة التي يدور موضوع السورة حولها وهي فكرة (البعث) و(النشور).



# سورة القيامة

## دراسة أسلوبية (المستوى الإيقاعي والصوتي)

هشيم عباس عودة

بغداد - العراق

التمهيد

هذه الدراسات بالأسلوبية ويسميتها بعض<sup>١</sup>: البلاغة الجديدة لما لها من ارتباط وثيق بالبلاغة العربية القديمة.

ولا يمكن لنا في هذا المجال أن نفصل الدراسات الحديثة عن الدراسات القديمة، إذ أنها تسلك طريقاً واحدة، ألا وهو الوصول إلى مكونات النص الإبداعي «وقد أتاح هذا القصور للأسلوبية الحديثة أن تكون وارثة شرعية للبلاغة القديمة، ذلك أن الأخيرة وقفت في دراستها عند حدود التعبير ووضع مسمياته وتصنيفها، وتجمدت هذه الخطوة، ولم تحاول الوصول إلى بحث العمل الأدبي الكامل، كما لم يتسن لها بالضرورة دراسة الهيكل البنائي لهذا العمل، وكان ذلك بمثابة تمهيد لحلوم

علاقة الأسلوبية بالبلاغة العربية: لم تكن الدراسات الأسلوبية بمعزل عن الدراسات البلاغية عند القدماء، فالأسلوبية ولدت من رحم البلاغة، فعندما كانت الأخيرة تعنى بدراسة مواضع المجاز والتشبيه والكنائية، ومما يشمل علم البيان، أو التقديم والتأخير والحذف والذكر، ومما يشمل علم المعاني، أو المحسنات اللفظية والمعنوية، ومما يشمل علم البديع، أخذت هذه العلوم تتحد وتكون دراسة جديدة لبيان أسلوب النص بشكل وحدة واحدة متكاملة غير مجزأة، من خلال دراسة المستوى الإيقاعي والصوتي الخاص بالنص، والمستوى التركيبي والمستوى الدلالي له، وتسمى

التي تخيل البلاغيون وجودها فيها» (٢).  
فالأسلوبية مصطلح ظهر في العصر الحديث، يدع ما يحيط بالنص، ويلج إلى داخل مكوناته وعناصره الجوهرية، وذلك للوصول إلى فهم أعمق لحقيقة النص من خلال دراسة اللغة عبر الانزياحات اللغوية والبلاغية، ودراسة النص من خلال مستوياته الثلاثة الإيقاعي والصوتي والمستوى التركيبي والمستوى الدلالي، وتكشف لنا هذه المستويات ما كان غائبا عن ظاهر النص.

وقد مثلت البلاغة في كثير من جوانبها العلاقة بين الأسلوب والمعنى وصلته هذا الأسلوب بما تتعرض له الجملة هو الذي يدخل تحت ما سُمي بعلم المعاني الذي يختص بتتبع سمات تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل لها من الاستحسان وغيره، «وإن سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه سبيلها في الأشياء التي هي حقيقة فيها. وأنه كما يفضل هناك النظمُ النظمَ، والتأليفُ التأليفَ، والنسجُ النسجَ، والصياغةُ الصياغةَ، ثم يعظم

(٢) (م.س.)، ص ٢٦٠.

الأسلوبية في مجال الإبداع كبديل يحاول تجاوز الدراسات الجزئية القديمة، وإقامة بناء علمي يتعد عن الشكلية البلاغية التي أرهقتها مصطلحات البلاغيين بتفريعاتٍ كادت تغطي على كل قيمها الجمالية» (١).

وقد نرى غالبية علماء البلاغة اتجهوا في كثير من دراساتهم، «إلى الاختيار من النماذج المطروحة أمامهم؛ ليؤيدوا بها ما استنبطوه من القواعد، ولم يكن لهم في هذا المجال استقراء دقيق، بل ربما وصل بهم الأمر إلى افتراض وجود نموذج لقاعدتهم في نص من النصوص، إذا أعوزهم الوجود الحقيقي له، أو ربما حاولوا صناعة نص يحمل الخاصة التي يريدون الاستشهاد بها على قاعدتهم. وهذا كله جعلهم يحمّلون فنون القول ما لا تحتمل من صورهم البلاغية؛ فأصبحت البلاغة تصدر عن مجموعة من القواعد التي تساند الأحكام البلاغية والنقدية، والتي كانت تعتمد العرف والتقاليد السائدة في النماذج السابقة، أو

(١) محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ط ٣، دار نوبار القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٢٥٩.



الفضل، وتكثر المزية. حتى يفوق الشيء نظيره، والمجانس له درجات كثيرة، وحتى تتفاوت القيم التفاوت الشديد كذلك يَفْضَلُ بعضُ الكلام بعضاً<sup>(٣)</sup>.

ولا ننسى أن علم الأسلوب نشأ، في حقيقة الأمر، من مدرسة قديمة في علم اللغة التاريخي. وكان ذلك علماً لغوياً خالصاً بلغة معينة، أو مجموعة من اللغات، ولذلك كان -بمعنى واضح- أقرب إلى دراسة الأسلوب. وحتى في هذا الصدد كان كثير منه لا علاقة له بالموضوع، وغالبا ما نجد، مثلا في عمل (سبتزر)<sup>(٤)</sup> \*Leo spitzer بقايا عتيقة من فقه اللغة التي تفنده كمنطلق؛ ولكن لها علاقة حقيقية طفيفة بما يريد قوله في الأساس. وتبين

(٣) عبد القاهر الجرجاني؛ دلائل الإعجاز، تح: محمد عبده، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، ص ٢٩.

(٤) \*نمساوي النشأة، ألماني التكوين، فرنسي الاختصاص. عاش بين سنتي (١٨٨٧-١٩٦٠م)، وهو من علماء اللسانيات ونقاد الأدب من مؤلفاته: «دراسات في الأسلوب» و«الأسلوبية والنقد الأدبي» ينظر؛ عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ط ٣، الدار العربي للكتاب، ص ٢٤٨.

مدرسة (ريجارديز) أن نقطة الانطلاق يمكن أن تكون مختلفة تمام الاختلاف، ولكن الحقيقة تظل جلية في أن الأدب بناء لغوي قائم على صياغات ذوقية تعتمد على ذوق الكاتب، وإن شيئا في إدراك طبيعة اللغة يبدو جوهريا لطالب الأدب<sup>(٥)</sup>.

الفكرة الرئيسة للسورة:

لما أنزل الله (عزَّ وجل) القرآن الكريم كان موضوعه الأساس ترسيخ عقيدة التوحيد لدى الناس، فضلا عن سوره فإنها تحمل تحت طياتها فكرة رئيسة تدور حولها الآيات المباركات وترتبط بها ارتباطاً وثيقاً، فلو تأملنا (سورة القيامة)، وبحثنا في مقاطع الآي وجدناها تشير إلى موضوع (البعث والنشور) هذا من جهة، ومن جهة أخرى علاقة السورة بالسورتين السابقة واللاحقة، علاقة تنصّ على هذه الفكرة، «لما ختم الله سبحانه سورة المدثر بذكر القيامة، وان الكافر لا يؤمن بها افتتح هذه السورة بذكر القيامة، وذكر

(٥) ينظر، دار كراهام هاف؛ الأسلوب والأسلوبية، تر: كاظم سعد الدين آفاق عربية، ١٩٨٥م، ص ١٠٨.



وكل هذا يدل على أن موضوع السورة هو (البعث والنشور)، لأنها مرتبطة بسبب نزولها وهي إثبات البعث يوم القيامة.

### الموسيقى والصوت في العبارة القرآنية

**العنصر الموسيقي:** يعد العنصر الموسيقي من أهم العناصر الجمالية التي يتمتع بها النص القرآني أو الأدبي ذو السمات الإبداعية لأن الموسيقى «علم رياضي يبحث فيه عن أحوال النغم من حيث الاتفاق والتنافر وأحوال الأزمنة المتخللة بين النقرات من حيث الوزن وعدمه ليحصل معرفة كيفية تأليف اللحن»<sup>(٩)</sup>. وبما أن العربي يتمتع بإذن موسيقية فهو يتلذذ بالعبارات الجميلة ذات الأوزان والقوافي التي تدخل في خلجات النفس، ولهذا نجد القرآن الكريم حريصاً على تحقيق هذا المعنى، فلو تأملنا القرآن الكريم، فإننا لا نجد آية فيه تخلو من العنصر الموسيقي؛ لأنه نزل على مسامع العرب، فكان عليه أن يكون جرساً

أهوالها»<sup>(٦)</sup>، وقد يكون للسورة كلها جوٌّ خاص وسمّةٌ خاصة فتطبع ألفاظها بتلك السمّة. وهذا واضح وكثير في القرآن الكريم، وإذا ما دققنا النظر وجدنا أن كل لفظة اختيرت لموضوع السورة الرئيس، فضلاً عن السياق الذي يقتضي وضع كل لفظة للمدلول الخاص بها، و الذي يطابق تلك اللفظة<sup>(٧)</sup>. يقول الرازي في بداية تفسير سورة القيامة: «إعلم أن في الآية إشكالات أحدها: ما المناسبة بين القيامة وبين النفس اللوامة، حتى جمع الله بينهما بالقسم؟ وثانيها: المقسم عليه هو وقوع القيامة فيصير حاصله أنه تعالى أقسم بوقوع؟ وثالثها: لم قال: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ولم يقل: والقيامة كما قال في سائر السور، ﴿وَالطُّورِ﴾ و﴿الذَّرِيَّتِ﴾ و﴿الضُّحَى﴾ والجواب، إن أحوال القيامة عجيبة جداً، ثم المقصود من إقامة القيامة إظهار أحوال النفس اللوامة»<sup>(٨)</sup>.

(٦) (م. س)، ١٠ / ص ١٤٥.

(٧) ينظر، فاضل السامرائي؛ التعبير القرآني،

ط١، دار الزهراء، قم، ص ٢٣٧، ٢٣٩.

(٨) الفخر الرازي؛ التفسير الكبير، ط١، دار

إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ-

٢٠٠٨م، ١١م، ج٣٠، ص٧٢١.

(٩) حاجي خليفة؛ كشف الظنون، دار إحياء

التراث العربي، بيروت، ١٩٧٦م، ج٢ /

ص١٩٠٣.



يرن على مسامعهم حتى يتمكن من خطف مشاعرهم التي كانت لا تقاوم أمام النص الجميل المؤثر. ويتحدث كمال أحمد غنيم عن النعمة الموسيقية فيقول: «إن لها أثراً عميقاً في وجدان الناس، ودوراً عظيماً في إثارة مشاعرهم، ونقلهم إلى أجواء جديدة، وقدرة فائقة على مخاطبة أرواحهم وعقولهم، حيث تكمن هذه الخاصية في الموسيقى التي تناسب أنغامهم بألحان ذات دلالة توظف إحساس المتلقي، وتخلق لديه ملامح عالم النص، وتشعره بالمتعة الفنية التي يتذوقها من خلال تجاوب النغم مع الفكرة، وما لذلك من تأثيرات داخلية»<sup>(١٠)</sup>.

وأما عبد الوهاب حمودة، فيتحدث عن طريقة انسجام النغم وتشابه الصوت بين الموسيقى والمعنى، فيتكلم عن قوله تعالى: ﴿فَكَبِّبُوا فِيهَا لَهُمُ وَالْغَاوِنُ﴾ [سورة الشعراء: ٩٤]، فيقول: «إن هذا الفعل يتكون موسيقياً من نقطتين متماثلتين متكررتين في سرعة وتوال على تخيل

(١٠) كمال أحمد غنيم؛ عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر، مكتبة مدبولي، مصر، ١٩٩٨م، ص ٣٠٣.

المعنى، وأحكم في تصوّر الحالة»<sup>(١١)</sup>.

**العنصر الصوتي:** مما لاشك فيه أن الصوت في العبارات القرآنية هو صاحب التأثير الكبير في الجو العمومي لها، «ومن هنا لا بد أن تكون الأصوات منسجمة مع السياق العام للعبارات القرآنية، فتحسن نعلم أن الصوت في حالة الغضب يختلف عما هو في حالة الفرح، وكذلك يختلف عما هو في حالة الحزن، ومن هنا لا بد من الإشارة إلى قضية في غاية الأهمية ألا وهي (أسلوب قراءة القرآن)، فنجد الكثير منهم عندما يبدأ بتجويد القرآن يسترسل بأسلوب واحد إلى نهاية القراءة وكأن القرآن كله على نغمة واحدة»<sup>(١٢)</sup>.

إذ لا بد أن تكون القراءة ذات نغمات مختلفة بحسب سياق الآية، وقد سهل لنا القرآن ذلك من خلال اختيار الألفاظ المجسمة لمعانيها، «من تلك الألفاظ:

الحاقة، والطامة، والصاخة... هذه الصيغة (١١) لبيد سعد؛ التغني في القرآن، الهيئة العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م، ص ٥٠.

(١٢) أحمد حسن الشاوي؛ الموسيقى القرآنية والحرس الدلالي، مقال منشور في مجلة مآب، العدد الخامس، ٢٠٠٧م.



## المستوى الإيقاعي والصوتي في سورة

## القيامة

**الفواصل:** تميّز القرآن الكريم بمنهج فريد في فواصله ورؤوس آياته، ونعني بـ «الفواصل حروف متشكّالة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني»<sup>(١٥)</sup>، وهناك من العلماء من يفرق بين الفاصلة ورؤوس الآي، فهذا أبو عمرو الداني قد فرّق بينهما، قال: «أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده. والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس، وكذلك الفواصل يكثر رؤوس أي وغيرها وكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية؛ فالفاصلة تعمّ النوعين، وتجمع الضريين ولأجل كون معنى الفاصلة هذا ذكر سيبويه في تمثيل القوافي ﴿يَوْمَ يَأْتُ﴾ و ﴿مَا كُنَّا نَبْعُ﴾ وهما غير رأس آيتين بإجماع مع ﴿إِذَا يَسَّرُ﴾ [سورة الفجر: ٤] وهو رأس آية باتفاق»<sup>(١٦)</sup>، ونعني برأس الآية نهايتها

صوتياً تمتاز بتوجه الفكر نحوها في تساؤل واصطكاك السمع بصداها المدوي، وأخيراً بتفاعل الوجدان معها مترقبا: الأحداث المفاجئات، النتائج المجهولة. الحاقة والطامة والصاخة: كلمات تستدعي نسبة عالية من الضغط الصوتي، والأداء الجمهوري لسماع رنتها، مما يتوافق نسبياً مع إرادتها في جلجلة الصوت، وشدة الإيقاع»<sup>(١٣)</sup>، وإذا ما توافق هذا التنسيق أو ذلك مع تقطيع إيقاعي أو مفاصل هندسية (كالمقاطع النبرية وآخر الأجزاء وأول الشطر وآخره) فإن هذا التعاون بين تنسيق صوتي وبناء عروضي -يسند الواحد الآخر- يبرز هندسة هي في الأساس تنظيم بين الشعر وفي غيره تكون هندسة إيقاعية فيها تكرار الفونيمات في مقاطع نبرية<sup>(١٤)</sup>، هذا في الشعر فكيف في القرآن الكريم وهو غاية في التنظيم والإيقاع.

(١٥) الزركشي؛ البرهان في علوم القرآن، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤٢٨هـ-

٢٠٠٧م، ج ١/ ص ٥١.

(١٦) الزركشي؛ البرهان في علوم القرآن، ج ١/

ص ٥١.

(١٣) محمد حسين الصغير؛ الصوت اللغوي في القرآن الكريم، دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ١٦٩، ١٦٨.

(١٤) ينظر؛ جوزيف ميشال؛ دليل الدراسات الأسلوبية، ط ١، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٩٣.



التي توضع بعدها علامة الفصل بين آية وآية «والأصل في الفاصلة والقريفة المتجردة في الآية والسجعة المساواة، ومن ثم اجمع العادون على ترك عدّ ﴿وَيَأْتِ بِتَاخِرِينَ﴾ [سورة النساء: ١٣٣] و﴿وَلَا أَمَلَيْتُكَهُ الْمُفْرِيُّونَ﴾ [سورة النساء: ١٧٢]» (١٧).

وبما أن الفاصلة عنصر مهم من عناصر الإبداع القرآني «تساءل بعض الدارسين: عن العلاقة بين الآية القرآنية، ونهايتها، فاننا لانرى كبير ارتباط بينهما، فقد يكون الحديث في الآية حول فكرة وتأتي الفاصلة بفكرة أخرى، فلا نجد ارتباطاً بين الأولى والثانية، أو بين المقدمة والنتيجة؟ وها نحن أولاء نسوق هذا البحث لهذه الفئة المتسائلة. نقول إن موقع الفاصلة في الآية يشبه موقع القافية في البيت الشعري، وكما أن القافية في البيت عنصر متميز، فإن الفاصلة كذلك في الآية عنصر متميز، ولكنها-كالقافية-تبقى جزءاً أصيلاً من الآية، غير منفصل عنها» (١٨).

(١٧) السيوطي؛ الإتقان في علوم القرآن، تح: أحمد بن علي، دار الحديث-القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ج ٣/ ص ٢٤٧-٢٤٨.  
(١٨) بكري شيخ أمين؛ التعبير الفني في القرآن

وإذا نظرنا إلى سورة القيامة وما فيها من دقة النظم وروعة التأليف، وما تجلّى فيها من صور التخيل، ومن التوقيع الموسيقي، بل ومن صور البيان عامة ما لا يمكن أبداً أن يكون في غير القرآن الكريم، ليكون مثل هذا التأثير النفسي العميق.

ولو تأملنا أكثر في فواصل الآي نجد السورة عبارة عن لوحات تحاكي الإنسان في كل حال من أحوال يوم القيامة وكلها تنسجم وترتبط بالفكرة الرئيسة للسورة وهي (البعث والنشور).

انظر إلى اللوحة الأولى من السورة وهي لوحة القسم وما يتصل به ويستغرق ذلك ست آيات بفاصلة واحدة هي، الهاء المسبوقة بالميم أو النون المسبوقة بالمد في «القيامة، اللوامة، عظامه، بنانه، أمامه، قيامة» تؤكد على أن الإنسان محصورٌ بين قيامتين قيامة البعث وقيامه النشور وما بين القيامتين سلسلة خلق الإنسان، وحيث يتغير الموضوع وتأتي لوحة أخروية جواباً على سؤالٍ من «متعنتٍ مستبعد

الكريم، ٧، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٢٠٩.



والمشاهد الخاطفة، وحتى عملية الحساب ﴿يَبْنُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾، هكذا في سرعة وإجمال. وقد تم التناسق العجيب بين هذا كله، بهذا القصر، وبهذه السرعة. وكان هذا كله مقصوداً؛ حيث جاء إجابة عن سؤال متهمك ﴿سَتَلَأَبَاوُنَّ الْإِنْسَانَ لِفَتْحِهِ﴾؛ فاتاه الجواب سريعاً خاطفاً، وقاطعاً وحاسماً، ليس فيه ريث ولا إبطاء، حتى في إيقاع النظم وجرس اللفظ: ﴿بَرَقَ﴾، ﴿وَحَسَفَ﴾، ﴿أَيْنَ الْمَفْرُوقِ﴾، ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ (٢٢).

وتبدأ لوحة جديدة بموضوع جديد فيتغير إيقاع الفاصلة كذلك في ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ﴾ (٢٣) \*، وقد يتبادر إلى الذهن سؤال، ما علاقة هذه الآيات بالفكرة الرئيسة للسورة، وقد اعترضه أمر للرسول ﷺ، بأن لا يُعَجِّلَ لسانه بتريد ما يوحى إليه، فلا خوف من أن ينساه (٢٤)، (٢٢) صلاح الدين عبد التواب؛ الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ص ٤٠.

(٢٣) \* والآيات التي بينها هي: ﴿وَلَوْ أَلْفَ مَعَادِيرَةٍ﴾ (١٥) ﴿لَا تَحْرُكُهُ بِوَيْهٍ لِّسَانِكَ لِيُعَجَّلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ﴾ (١٧) ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانْبَعَثَ أَنَّهُ﴾.

(٢٤) ينظر؛ البيضاوي، تفسير البيضاوي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م،

لقيام الساعة» (١٩). وتتغير الفاصلة فتكون راءاً قبلها حرف متحرك في ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصُرُ﴾ (٧) ﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾ (٨) ﴿وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [سورة القيامة: ٧-٩]، ويتوالى الإيقاع بالفاصلة نفسها حتى الآية الثالثة عشرة حيث تنتهي اللوحة القرآنية. فنجد في هذه الآيات «موقف تشترك فيه الحواس الإنسانية، والمشاهد الكونية، والنفس البشرية: فالبصر يُحْطَفُ، والقمر يُحْسَفُ، والشمس تقترن بالقمر بعد افتراق، وقد انفرط نظام الكون. وفي وسط هذا الذعر، وفي هول ذلك اليوم-يوم الفرع الأكبر- يتساءل الإنسان المدعور المرعوب: أين المفر؟ ولا ملجأ حينئذٍ ولا مفر إلا إلى الله» (٢٠)، وفيها ﴿يَبْنُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ وحيث لا تقبل منه المعاذير؛ ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (٢١)، والملاحظ في تصوير هذا الموقف، «إن كل شيء سريع: الفِقْرُ والفواصل، والإيقاع والموسيقى، (١٩) الزمخشري؛ الكشاف، ج ٤ / ٦٦١.

(٢٠) صلاح الدين عبد التواب؛ الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ط ١، دار نوبار، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٤٠.

(٢١) ينظر؛ الكشاف، ج ٤ / ص ٦٦٢.



«فهذه حادثة كانت ملابسةً للآيات السابقة، ثم أعقب هذا الاعتراض بخطاب لمن يتساءلون عن القيامة كأنها لا تجيء. وهنا تأخذ النفس الدهشة والعجب من هذا التخلص البديع، وذلك الانتقال العجيب من خطاب الرسول بعدم العجلة، إلى خطاب القوم ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ (٢٠) و﴿وَتَذُرُونَ الْآخِرَةَ﴾، ومما يلحظ أن هناك نوعاً من تداعي الصورة في الحس، حيث جاء الموقف الأول سريعاً خاطفاً، فجاء بعده ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ثم أعقب ذلك تسمية الدنيا باسم ﴿الْعَاجِلَةَ﴾. وذلك في الحس لطيف دقيق تتابع فيه ألفاظ العجلة والسرعة، وموسيقى العجلة والسرعة؛ بل ومشاهد العجلة والسرعة» (٢٥).

ثم تبدأ لوحة أخرى من قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ إلى قوله تعالى ﴿تَنْظُرُونَ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (٢٦) \*، وتكون بفاصلة واحدة هي الهاء وزنة واحدة هي زنة «فاعلة» في

ج ٢ / ص ٥٤٨-٥٤٩.

(٢٥) الصورة الأدبية في القرآن الكريم؛ ص ٤١.

(٢٦) \* والآيات التي بينهما هي: ﴿وَتَذُرُونَ الْآخِرَةَ﴾

﴿١١﴾ و﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ (٢٢) ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (٢٣) و﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾.

«العاجلة، الآخرة، ناضرة، ناظرة، باسرة، فاقرة»، كل هذه المشاهد والصور تتلاحق في حس السامع أو القارئ إلى أن يجد نفسه في ذلك الموقف الآخر في الآخرة حيث ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ (٢٢) ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وحيث، ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ (٢٤) ﴿تَنْظُرُونَ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾، وهي الوجوه الأخيرة ليست كالحلة عابسة فحسب؛ ولكنها مع ذلك يخالجها التوجس أن تنزل بها داهية (٢٧).

حتى إذا بدأت لوحة جديدة تصور حالة الموت تتغير الفاصلة كذلك في ﴿كَلَّا﴾ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾، وتستمر فاصلة القاف حتى انتهاء اللوحة في الآية ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ (٢٨) \*، وهنا تنقلنا الآيات إلى موقف الاحتضار «وتصوره متصلاً بموقف البعث، وكأن ليس بينهما فاصلة من الزمان أو المكان، وتسير الآيات في تصوير الموقف على هذا النسق، فتصور الاحتضار- مع أنه لم يأت بعد، ولكنه آتٍ- كأنه حاضر الآن، ثم تجعل الحياة،



(٢٧) ينظر؛ الكشف، ج ٤ / ص ٦٦٢-٦٦٣.

(٢٨) \* والآيات التي بينهما هي: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ (٢٧)

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْفُرْقَانَ﴾ (٢٨) ﴿وَاللَّفْتِ الْمَسَاقِ بِالْسَاقِ﴾.

هو: التوازي النحوي، لكن الأثر الكبير في تحديد هذا المفهوم يرجع إلى التقاطع الحاصل في الدرس النقدي الحديث، حيث نص (جاكسون) **Jacobson** على أن التوازي: «عنصر قد يحتل المنزلة الأولى بالنسبة للفن اللفظي»<sup>(٣١)</sup>، وقد طبق (جاكسون) هذا المفهوم على الشعر المنظوم، فتبين أن التوازي عنصر شعري في المقام الأول، حيث تشكل القافية حالة مكثفة للمسألة الأساسية للشعر التي هي التوازي<sup>(٣٢)</sup>. وإذا كان جاكسون قد حدد خصائص التوازي في أنه عبارة عن تأليف ثنائي يقوم على أساس التماثل الذي لا يعني التطابق، فهذا التحديد قد شكل قاعدة مثلى ومنطلقا أساسيا لجل الدراسات اللاحقة.<sup>(٣٣)</sup>

وإذا عدنا إلى سورة القيامة وأنعمنا النظر مرة أخرى في هذه اللوحة الرائعة لوجدنا، «إن الأسلوب الموسيقي

(٣١) جاكسون؛ قضايا الشعر، تر: محمد الولي ومبارك حنون، سلسلة المعرفة الأدبية، دار

توبقال، الدار البيضاء، ١٩٨١م، ص ١٠٣.

(٣٢) ينظر؛ (م. س.)، ص ٤٧.

(٣٣) ينظر؛ (م. س.)، ص ١٠٣.

وهي حاضرة وما زلنا نحياها، كأنها ذكر الماضي؛ ليرى هذا الذي التفت منه الساق بالساق من الهول والرعب، وبلغت روحه التراقي، وتساءل من تساءل: ألا من راق يرقيه، ويرفع عنه هذه الحال؟»<sup>(٢٩)</sup>، ثم تبدأ فاصلة جديدة بموضوع جديد إلى آخر السورة هي فاصلة الألف المقصورة وهكذا نجد مجموعة

موضوعات أو لوحات متتالية وأكثر ما يحدد معالمها ويصور حدودها الفاصلة المتبعة فيها، وهذا بلا شك من صور الإعجاز ذو الجمال في هذا الكتاب الخالد. «وما أشد اتفاق الناحيتين الدينية والفنية في تعبير القرآن وتصويره؛ ليكون له من بعد ذلك أعظم الأثر وأعمقه في مختلف النفوس»<sup>(٣٠)</sup>.

**التوازي النحوي:** من المصطلحات

التي ظهرت في العصر الحديث ومما أفرزته الدراسات اللسانية لمواكبة التطور البلاغي والنقدي اتجاه النص الإبداعي

(٢٩) الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ص ٤١-٤٢.

(٣٠) سيد قطب؛ في ظلال القرآن، دار إحياء

الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٣م، مج ٦ /

ص ٣٧٦٩.



الإيقاعي يتنوع بتنوع الأجواء التي انطلق فيها، فأنت تتلمس بيقين أن هناك نظاما خاصا منسجما مع الجو العام باطراد لا يستثنى» (٣٤). والذي أضاف إيقاعا أكثر روعة وموسيقى تنسجم وجمالية النص، هو التوازي النحوي في الآيات.

• ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ﴿وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ  
اللَّوَامَةِ﴾.

• ﴿رِقِّ أَبْصَرُ﴾ ﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾.

• ﴿مُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾.

• ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾.

• ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ ﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾.

وكل هذه الآيات، من خلال التوازي النحوي شكلت إيقاعا ينسجم مباشرة مع الجو الذي تسرح به الفكرة الأساسية للسورة، حيث تبدأ القيامة إلى نفس الإنسان اللوامة «التي تلوم نفسها أبدا وإن اجتهدت في الطاعة أو النفس مطمئنة اللاتمة للنفس الأمانة أو بالجنس» (٣٥).

إلى تغيير مفاجئ وسريع في الكون «ويظهر

(٣٤) طالب محمد إسماعيل الزويبي؛ من أساليب التعبير القرآني، ط ١، دار النهضة، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٣٩٠.

(٣٥) تفسير البيضاوي، ص ٥٤٧.

في النص الكريم أسلوب ذو حركة سريعة، قصيرة، قوية المبنى ينسجم مع الجو سريع النبض، شديد الارتجاف» (٣٦). ينسجم و لحظات. ذلك اليوم المهول. وقد يضيفي هذا التوازي صوراً فنية رائعة كما «إن التناسق في النص القرآني، يبلغ الدرجة العليا في إحداث جماليات التصوير الفني. والإيقاع الموسيقي أحد ملامح هذا التناسق وهو ناتج عن ملاءمة اللفظ مع النسق الخاص الذي ورد فيه، كما انه يتنوع بتنوع الفواصل، القصير منها والطويل، المتماثل منها والمختلف» (٣٧). وكذلك في العبارات المتوازية نحوياً لها جرسها الموسيقي الخاص.

**التضاد في سورة القيامة:** التضاد عند الأسلوبيين هو ما يقابله عند البلاغيين القدامى من دمج الطباق والمقابلة معا ليكون هذان المصطلحان ما يعرف بالتضاد. **المطابقة:** وتسمى الطباق والتطبيق

والتكافؤ والتضاد، وهي الفن الثالث من

(٣٦) من أساليب التعبير القرآني، ص ٣٩٠.

(٣٧) محمد قطب عبد العال؛ من جماليات التصوير في القرآن الكريم، ط ٢، الهيئة

المصرية العامة، ٢٠٠٦م، ص ٢٣٣.



والمقابلة من وجهين:

الأول: إن الطباق لا يكون إلا ضدين غالباً، كقوله تعالى: «وهو الذي يُميتكم ثم يُحييكم» [سورة التوبة: ٨٢]، والمقابلة تكون غالباً بالجمع من أربعة أضداد ضدين في أصل الكلام وضدين في عجزه وتبلغ إلى الجمع من عشرة أضداد، خمسة في الصدر وخمسة في العجز.

الثاني: لا يكون الطباق إلا بالأضداد، والمقابلة تكون بالأضداد وغيرها، كأن العام يشمل الخاص وليس العكس (٤١).

ويتضح من خلال ما ذكرناه وجود تقارب كبير بين المقابلة والطاق عند البلاغيين القدامى، هذا ما جعل المحديثين أن يجعلوها بمصطلح واحد وهو (التضاد).

فلو تتبعنا النص القرآني على انه لوحة مترابطة متكاملة ونظرنا إلى التضاد والذي استعمله النص، نجد فيه سرعة وخفة وترابطاً بينها وبين الفكرة الرئيسة للنص،

(٤١) ينظر: ابن أبي الأصعب المصري؛ بديع القرآن، تح: حفني محمد شرف، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ٣١.

بديع ابن المعتز. والطبقة هي: «الجمع بين المتضادين، أي متقابلين في الجملة ويكون ذلك إما بلفظين من نوع واحد، كقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ آيْكَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [سورة الكهف: ١٨]، هذا في الأسماء أما في الأفعال كقوله تعالى: ﴿تَوَفَّى الْمَلِكُ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكُ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ [سورة آل عمران: ٢٦]، وكذلك الحروف، كقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦]» (٣٨).

المقابلة: تكلم عنها قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر «وهي من أنواع المعاني» (٣٩)، وأدخلها جماعة في المطابقة كابن الأثير الذي قال: «اعلم أن الأليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع المقابلة» (٤٠).

وقد فرّق البلاغيون بين المطابقة

(٣٨) احمد مطلوب؛ البلاغة العربية، ط ١، بغداد، ١٩٨٠، ص ٢٨٥-٢٨٧.

(٣٩) تح: كمال مصطفى، ص ١٥٢.

(٤٠) ابن الأثير؛ الجامع الكبير، تح: مصطفى جواد، جميل سعيد، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٦م، ص ٢١٢.



### الجناس في سورة القيامة

**الجناس:** يسميه بعضهم (التجنيس)

وهو ثاني فن من فنون البديع عند ابن المعتز، وقد عرفه بقوله: «هو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر و كلام» (٤٣)، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها. وهناك تعريفات كثيرة ولكنها تتفق في أنّ الجناس «أن تتفق اللفظتان في وجه من الوجوه ويختلف معناها» (٤٤).

وللجناس أقسام كثيرة ولكنه بصورة عامة ينقسم إلى:

١- جناس تام.

٢- جناس ناقص.

ويرى البلاغيون: «أن الجناس التام هو ما اتفق طرفاه في أربعة أمور هي:

أ- جنس الحروف ب- عدد الحروف ج- ضبط الحروف د- ترتيب الحروف، أما غير التام فهو ما اختلف طرفاه في واحد من

(٤٣) ابن المعتز؛ البديع، تح: كراتشكوفسي، القاهرة، ١٩٥٧م، ج٢ / ص٢٥.

(٤٤) العلوي؛ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، القاهرة، مطبعة

المقطف، ١٩١٤م، ج٢ / ص٣٥٦.

وهو (يوم الحساب) أو (البعث والنشور)، انظر في الآيات المباركات:

• ﴿يَبْنُوا لِلْإِنْسَانِ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾

• ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذُرُونَ الْآخِرَةَ﴾

• ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا وُصِّلَ﴾

• ﴿وَلَكِنَّ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾

• ﴿جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾

إن الألفاظ، (قدم، أخر، صدق، كذب، صلى، تولى)، كونها أفعالاً يتم من خلالها محاسبة الإنسان عليها يوم القيامة، ماذا قدم؟ وماذا أخر؟ وهل صدق؟ وهل كذب؟ وهل صلى؟ وهل تولى؟، وكل هذه الأفعال لها ارتباط وثيق بالإنسان ذكراً كان أم أنثى في العاجلة أم في الآخرة، فسبحان الله على هذا النسق اللامتناهي في الدقة والبراعة.

إن حركة السياق داخل النص له نعمة خاصة، «تأمل كيف يلتقي الجرس الموسيقي، مع حركة الجمل الصوتية، تتناسق الصور في جزئياتها المتناسبة، كتناسق الحروف بعضها مع البعض» (٤٢).

(٤٢) من أساليب التعبير القرآني، ص٣٨٦.



الأربعة المتقدمة» (٤٥)

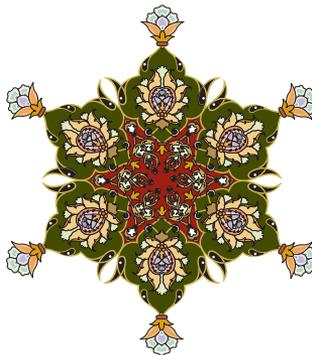
قراءته وتكرره فيه حتى يرسخ في ذهنك  
والكلام موجه إلى الرسول ﷺ (٤٦).

وأما في قوله تعالى: ﴿وَالنَّفْتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ﴾  
(٣٩) **إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ** فهناك جناس  
ناقص، أعطى هذا الجناس صورة رائعة  
من الصور القرآنية فل تأملنا هاتان الآيتان  
وجدنا أن الجناس في الحروف الثلاثة  
(س-ا-ق) ساق وسوق الإنسان إلى يوم  
الجزاء (البعث والنشور) ارتباط وثيق  
بالفكرة الرئيسة للسورة المشار إليها آنفاً.  
وهذا الأمر حاصل واليوم آتٍ لا محالة.

ومن خلال قراءتنا للنص المبارك  
وجدنا موضع واحد فيه جناس تام، وهو  
في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧)  
**فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانْبَعِثْهُ فَرَأَاهُ** [سورة القيامة: ١٧-  
١٨]، حيث أعطى هذا الجناس سياق  
النص جمالية رائعة، وموسيقى عالية،  
وكأن القارئ يتجسد له ذلك الواقع الذي  
نزلت فيه الآيات المباركات، إن (قرآنه)  
الأولى هي إثبات قراءته في لسانك يا  
محمد ﷺ وهو تعليل للنهي وأما الثانية هي

(٤٥) عبده فلقيلة؛ البلاغة الاصطلاحية، دار  
الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٣٥٦.

(٤٦) ينظر؛ تفسير البيضاوي، ج ٢ / ص ٥٤٨.



نافذة

# المصباح

العرض والنقد والتعريف

# الدراسات القرآنية

## في مطبوعات العراقيين ٢٠٠١-٢٠١٠

أ.د. صباح نوري المرزوك

جامعة بابل

الجامعة للدراسات القرآنية التي ظهرت مطبوعة على هيئة كتب للمدة من سنة ٢٠٠١م لغاية نهاية سنة ٢٠١٠م وذلك بذكر:

١. اسم المؤلف كاملا وبيان توصيفه (السيد، الشيخ، الحاج، الدكتور، المحامي، القاضي...).
٢. عنوان الكتاب، واذا كان للمؤلف اكثر من كتاب نقوم بترتيب المؤلفات حسب السياقي الهجائية.
٣. جهة الاصدار واسم دار النشر واسم المطبعة.
٤. مكان الطبع.
٥. سنة الطبع.
٦. بيان الاجزاء والمجلدات.
٧. بيان عدد الطبعات.

الاهتمام بالقرآن الكريم ودراسته ومعرفة دقائقه قديم لأنه كتاب قريب الى قلوب الناس فقد حث الله على تلاوته وترتيله، وقام آخرون بواجب تفسيره واعرابه ودراسة نحوه وبلاغته من حيث الفاظه ومعانيه وقد لامس اكثر من علم وفن القرآن الكريم فعزم الباحثون على دراسة هذه العلاقات وبيان مدى التأثير والتأثير بينها.

لذلك تطوع الباحثون للغوص في عالم القرآن الكريم بكتابة البحوث والدراسات وتحرير الكتب، وحرصت الجامعات على ان تخصص قسما من رسائلها للكتابة في القرآن الكريم. وقد قمت باعداد هذه الببليوغرافية

\* القصص القرآني في الشعر الاندلسي

(١)

(دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ٢٠٠١م).

إيتسام عبد الكريم المدني (الدكتورة)

بنية النص القرآني: دراسات موازنة بين

البنى العقائدية واللغوية والفنية (بيت الحكمة،

بغداد ٢٠٠٩م).

(٧)

احمد مطلوب (الدكتور)

البرهان في إعجاز القرآن أو بديع القرآن

(تحقيق بالاشتراك) (المجمع العلمي، بغداد،

(٢)

بغداد ٢٠٠٥م).

ابراهيم الجعفري

\* الوحدة الاسلامية في القرآن (ط ٢):

مؤسسة الكتاب الثقافية، بغداد ٢٠٠٩م)

(٨)

احمد خورشيد رؤوف (الشيخ)

التسهيل في تجويد التنزيل (شركة الخنساء،

(٣)

بغداد ٢٠٠٢م).

ابراهيم محمد علي الخفاجي

الحسين بن علي في القرآن الكريم (دار

الاندلس، النجف ٢٠٠٧م).

(٩)

احمد نوري الحكيم

شهر رمضان المبارك بين تعاليم قرآنية

وسنة نبوية (إصدار العتبة العباسية المقدسة في

كربلاء، دار الضياء، النجف ٢٠٠٩م).

(٤)

ابراهيم النعمة

دراسات قرآنية (مط. الزهراء، الموصل

٢٠٠١م).

العباس بن علي في القرآن وعند اهل البيت

(ط ٢: العتبة العباسية المقدسة في كربلاء، مط.

(٥)

الغدير والعصامي، النجف ٢٠٠٨م).

احمد ابراهيم صاعد

القول في القرآن الكريم: دراسة لغوية

ونحوية (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد

٢٠٠٥م).

القرآن الكريم: الميثاق وعهد أعلم (العتبة

العباسية المقدسة، مط. مجمع اهل البيت،

النجف ٢٠٠٨م)

(١٠)

احمد الوائلي (الشيخ الدكتور)

(٦)

احمد حاجم الربيعي (الدكتور)



الدراسات القرآنية في مطبوعات العراقيين ..... المصباح

باقر صادق كاظم الكشواني الموسوي  
أسرار التداوي والعلاج بالقرآن الكريم  
(بيروت ٢٠٠٥م).

(١٦)

جعفر السيد باقر يعقوبي الموسوي  
الكبائر من القرآن والسنة (النجف  
٢٠١٠م).

(١٧)

جعفر صادق حمودي التميمي (الدكتور)  
التطبيقات البلاغية في تفسير ابي السعود  
العمادي (مط. دار الحوراء، بغداد ٢٠٠٩م).  
الصورة البيانية في التفسير الكبير للامام  
(مط. دار الحوراء، بغداد ٢٠٠٦م).

(١٨)

جلال الحنفي البغدادي (الشيخ)  
الحضارة الاسلامية من خلال الآي  
القرآني (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد  
٢٠٠٣م).

(١٩)

جمال محمود حميد الكبيسي  
التيسير الوافي في التجويد الكافي (شركة  
الخنساء، بغداد ٢٠٠٢م).

(٢٠)

حامد كاظم عباس (الدكتور)

موسوعة القصص المنبرية (عقائدية تاريخية  
فقهية علمية قرآنية روحية) (دار الكتاب العربي  
للطباعة والنشر، بيروت ٢٠٠٩م).

(١١)

اسامة النقشبندي  
فهرس مخطوطات القرآن الكريم في  
مكتبات العراق (مؤسسة الفرقان، لندن  
٢٠١٠م).

(١٢)

اطيف محسن راضي  
اثقل اية في القرآن الكريم (مط. الميناء،  
بغداد ٢٠٠١م)

(١٣)

انمار عبد الجبار جاسم (الدكتور)  
الظواهر اللغوية في قراءة الامام علي عليه  
السلام للقرآن (الهيئة الثقافية العليا لمكتب  
السيد الشهيد الصدر ومركز الهدى، النجف  
٢٠٠٩م).

(١٤)

اياد عبد الودود عثمان الحمداني  
التصوير المجازي: انماطه ودلالاته، في  
مشاهد القيامة في القرآن (دار الشؤون الثقافية  
العامة، بغداد ٢٠٠٤م).

(١٥)



العدد السابع - خريف (١١٤٣٣هـ - ٢٠١١م)



٣٥٤



(٢٠٠٢م).

(٢٦)

خديجة الحديثي (الدكتورة)

البرهان في إعجاز القرآن او بديع القرآن  
(تحقيق بالاشتراك) (المجمع العلمي، بغداد،  
٢٠٠٥م).

(٢٧)

خليل ابراهيم المشايخي (الدكتور)

رسالة في فن التجويد، تأليف: الشيخ  
هادي كاشف الغطاء (دراسة وتحقيق)  
(مؤسسة كاشف العطاء، النجف، دت،  
٦٥ص).

(٢٨)

خولة مهدي شاكر الجراح

البحث القرآني عند السيد محمد باقر  
الحكيم (مؤسسة تراث الشهيد الحكيم،  
النجف ٢٠٠٨م).

(٢٩)

داود سلمان الكعبي

التسامح في القرآن (بغداد دت)

(٣٠)

زكي فهمي احمد شوقي الالوسي  
(الدكتور)

الطبري النحوي من خلال تفسيره (دار

الدلالة القرآنية في شعر الشريف الرضي

(دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ٢٠٠٤م).

(٢١)

حسن سلمان (الدكتور)

دراسات قرآنية حول الانسان والمجتمع  
(مط. الشروق، النجف ٢٠١٠م).

(٢٢)

حسن طه حسن السنجاري

توكيد مضمون الجمل بتتبع الترادف في  
القران الكريم (٢٠٠٥م).  
الشافى الوجيز في اعراب كتاب الله العزيز  
(٢٠٠٥م).

(٢٣)

حطاب جبار العبادي

عظمة القرآن الكريم وفضله: دراسة  
تاريخية وعبادية شاملة (ميسان ٢٠٠٦م).

(٢٤)

خالد احمد المشهداني (الدكتور)

المجيد في اعجاز القرآن المجيد للزملكاني  
(تحقيق وشرح) (دار عمار، عمان ٢٠٠٦م).

(٢٥)

خالد رشيد الجميلي (الدكتور)

اقباس الرحمن في ادلة نفي العجمة عن  
القرآن (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد



الدراسات القرآنية في مطبوعات العراقيين ..... (المصباح)

- الشؤون الثقافية العامة، بغداد ٢٠٠٢م). (٣١)
- ستار جبر حمود الاعرجي (الدكتور)
- مناهج المتكلمين في فهم النص القرآني
- (بيت الحكمة، بغداد ٢٠٠٨م). (٣٢)
- سعيد الزبيدي (الدكتور)
- سؤال في التفسير (دار الفكر، دمشق
- ٢٠٠٥م). (٣٣)
- سعيد كاظم العذاري
- الصحابة في القرآن والسنة والتاريخ
- (مركز الرسالة- قم ١٤٢٦هـ) (٣٤)
- شلتاغ عبود (الدكتور)
- اسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم
- (دار المحجة البيضاء، بيروت ٢٠٠٩م) (٣٥)
- صالح الطائي (الشيخ)
- معالم الايمان في تفسير القرآن (ج ١-٣:
- مط. النبراس، النجف ٢٠٠٢م). (٣٦)
- صباح عباس عنوز (الدكتور)
- الاداء البياني بين التأويل و تفسير النص
- القرآني (النجف ٢٠١٠م). (٣٧)
- صباح علاوي السامرائي (الدكتور)
- دراسات في النحو القرآني (دار الحكمة،
- لندن ٢٠١٠م). (٣٨)
- صباح الشيخ محمد الطرفي
- غصن البان في معرفة تجويد القرآن وفوائد
- اخرى، تأليف: الشيخ محمد ابراهيم الطرفي
- (تحقيق) (ط ٢: النجف، دت). (٣٩)
- صبيح عبد الرحمن الانصاري
- البيان في رد الشبهات الثلاث في لغة
- القران (رابطة على ورق، العمارة دت)
- لآلي قرآنية (رابطة على وراق، العمارة
- ٢٠٠٩م). (٤٠)
- ضاري مظهر صالح (الدكتور)
- دلالات اللون في القرآن الكريم (دار
- الصادق، الحلة ٢٠٠٨م). (٤١)
- ضياء الدين زين الدين
- مبادئ عامة في اصول التجويد القرآني-
- القرآن كتاب الله (ج ١: دار الضياء، النجف



(١٤٣٣هـ - ٢٠١١م) خريف - العدد السابع



٣٥٦



- (٤٢٤ هـ). (دار المحجة البيضاء، بيروت ٢٠٠٥ م).
- (٤٢) طه محمد حسين الموسوي  
القرآن منهج وسلوك (٢٠٠٤ م).  
القرآن يتحدى (٢٠٠٤ م).  
مكانة القرآن الكريم في المجتمع الاسلامي (٢٠٠٣ م).
- (٤٣) عادل كمال جميل  
كمال الاعجاز في القرآن الكريم (مط.  
الديوان، بغداد ٢٠٠١ م).
- (٤٤) عادل محمد علي الشيخ حسين  
الفاظ علوم الحياة في القرآن الكريم (دار  
الياقوت للطباعة والنشر، عمان ٢٠٠٣ م).
- (٤٥) عالم سبيط النبلي  
الطب القرآني (دار المحجة البيضاء،  
بيروت ٢٠٠٩ م)  
ملحمة جلجامش و النص القرآني (دار  
المحجة البيضاء، بيروت ٢٠٠٩ م)  
النظام القرآني (دار المحجة البيضاء،  
بيروت ٢٠٠٩ م)  
النظام القرآني- مقدمة في المنهج اللفظي
- (٤٦) عامر عمران الخفاجي (الدكتور)  
اضواء البيان في علوم القرآن (دار الصفا  
للطباعة والنشر، عمان ودار الصادق، بابل  
٢٠١٠ م).
- (٤٧) عباس علي حسين الفحام (الدكتور)  
الاثر القرآني في نهج البلاغة: دراسة في  
الشكل والمضمون (العتبة العلوية المقدسة،  
منشورات الفجر للطباعة والنشر والتوزيع،  
بيروت ٢٠١٠ م).
- (٤٨) عبد الامير كاظم زاهد (الدكتور)  
تاملات في النص القرآني (٢٠٠١ م).  
مقدمات منهجية في تفسير النص القرآني  
(دار الضياء، النجف ٢٠٠٨ م).
- (٤٩) عبد الحليم عوض (الشيخ)  
الرسول المصطفى وفضائل القرآن (عرض  
ونقد) (ج ١-٢: طهران ٢٠٠٢، ٢٠٠٣ م).



- (٥٤) قضاء الحوائج بالقران الكريم (دار الانصار، قم ٢٠٠٥م).
- عدوية جبار الموسوي
- (٥٠) عبد الرحمن مطلق الجبوري
- الشفاء القرآني والتصدي للسحرة والبطلوسية والقراءات القرآنية في مثلثه (مط. الاخوان، بغداد ٢٠٠٢م).
- (٥٥) بين الكون والتشريع في القرآن الكريم (دار الضياء، النجف ٢٠١٠م).
- عزيز عارف
- نماذج من الخلل في ترجمة القرآن الكريم بالانكليزية والفرنسية (ج:١: دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ٢٠٠٥م).
- (٥٦) عطاء رمضان في حياة القرآن والاسلام (بغداد ١٤٢٢هـ).
- علاء الدين المدرس
- اقباس من اثر القرآن في التاريخ والحضارة والتراث (مكتبة الرقيم، بغداد ٢٠٠١م).
- (٥١) عبد الكريم محمد جعفر (المهندس) من معاجز القرآن الكريم (بلا مط، ١٤٢٢هـ، ١٤٢ص).
- اقباس من الاعجاز العلمي في القرآن والسنة (مكتبة الرقيم، بغداد ٢٠٠١م).
- (٥٢) عدنان الربيعي (الشيخ) عيسى في القرآن الكريم (بغداد ٢٠٠٤م).
- (٥٣) علي حسين الابراهيمى
- امثل البيان في تفسير القرآن، الجزء التاسع والعشرون (بيروت ٢٠٠٥م).
- عدنان غدار الدليمي
- امثل البيان في تفسير القرآن، الجزء الثلاثون (بيروت ٢٠٠٤م).
- سور القرآن الكريم أسباب التسمية (بالاشتراك) (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ٢٠٠٥م).
- تفسير سورة الحجرات للشيخ محسن القرائتي (ترجمة) (بيروت ٢٠٠٤م).



- (٥٨) علي رحيم هادي الحلو (الدكتورة)  
القرآن اعراب وبيان (ج ١: جمعية النهوض  
الفكري، النجف ٢٠٠٨ م).
- (٥٩) علي عبد الرزاق مجيد مرزة (الشيخ)  
التجديد في تفسير القرآن المجيد ١-٦ (ط-  
قم، مستمر بطبع اجزائه)
- (٦٠) علي محمد علي دخيل  
\* الآيات العلمية في القرآن الكريم (دار  
الهادي، بيروت ٢٠٠٣ م)
- (٦١) غالب حسن  
مداخل جديدة للتفسير (دار الهادي  
للنشر، بيروت ٢٠٠٣ م).
- (٦٢) فاخر هاشم الياسري  
خطرات في اللغة القرآنية (دار الشؤون  
الثقافية العامة، بغداد ٢٠٠٨ م).
- (٦٣) فارس رزاق علوان الحريزي  
حليف القرآن واسطوانة المسجد الشهيد  
زيد بن علي بن الحسين (النجف دت)  
فوزي الطائي  
سور القرآن الكريم أسباب التسمية  
(بالاشتراك) (دار الشؤون الثقافية العامة،  
بغداد ٢٠٠٥ م).
- (٦٤) قصي حسين آل فرج  
تراجم قراء القراءات القرآنية في الموصل  
(الموصل ٢٠٠٤ م).
- (٦٥) قيس العطار (الشيخ)  
ادب المقابر قرانا ونثرا وشعرا (لسان  
الصدق، قم ٢٠٠٦ م).
- (٦٦) قيصر كاظم عاجل الاسدي  
البحث القرآني عند الدكتور محمد حسين  
علي الصغير (دار الضياء، النجف ٢٠٠٨ م).
- (٦٧) علي الصغير (دار الضياء، النجف ٢٠٠٨ م).



(٧٢)

محمد باقر الناصري (الشيخ)  
خيرة القرآن المجيد (دار المحجة البيضاء،  
بيروت ٢٠٠٩م)

(٧٣)

محمد جعفر الشيخ ابراهيم الكرباسي  
(الشيخ)

اعراب القرآن (ج ١-٨: مكتبة ودار  
الهلل، بيروت ٢٠٠١م).

(٧٤)

محمد حسن محيي الدين (الدكتور)  
الوجيز في علوم القرآن العزيز (مؤسسة  
بقية الله لنشر العلوم الإسلامية، النجف  
٢٠٠٧م).

(٧٥)

محمد شعلان العبيدي  
التبيان في تفسير معاني القرآن (بغداد  
٢٠٠٢م).

(٧٦)

محمد صادق الكرباسي (الشيخ)  
التفسير المسترسل، جزء عم ٣٠ (مكتبة  
دار علوم القرآن، كربلاء ٢٠١٠م).  
الحسين الكريم في القرآن العظيم (المركز  
الحسيني للدراسات، لندن ٢٠٠٥م).

(٦٨)

كاسد ياسر الزيدي (الدكتور)  
منهج الشيخ أبي جعفر الطوسي في تفسير  
القرآن الكريم-دراسة لغوية نحوية بلاغية  
(بيت الحكمة، بغداد ٢٠٠٤م).

(٦٩)

كاظم محمد علي شكر  
اسرار الحروف المقطعة في القرآن الكريم  
(دار المحجة البيضاء، بيروت ٢٠٠٩م)

(٧٠)

ماجد ناصر البديري  
التيسير في التفسير (ج ١-٨: دار المحجة  
٢٠٠٩م)

قصص الصحايات في القرآن (دار  
المحجة البيضاء، بيروت ٢٠٠٩م)  
قصص اليهود و النصرى في القرآن (دار  
المحجة البيضاء، بيروت ٢٠٠٩م)

(٧١)

محمد باقر الحكيم (السيد)  
تفسير سورة الحديد (مؤسسة تراث  
الشهيد الحكيم، النجف ٢٠٠٦م).  
المجتمع الانساني في القرآن الكريم  
(مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، النجف  
٢٠٠٦م).



(٧٧) منهج النظم الاسلامية بين المؤرخين  
محمد صادق بن موسى تاج (الشيخ)  
والفقهاء ( مؤسسة السيدة المعصومة، قم  
تفسير المعين للكاشاني (بيروت ٢٠٠٨م). (٢٠٠٨م).

(٨٣)

(٧٨)

مصعب الراوي (الدكتور)  
محمد علي احمد اليوسفي الكتبي  
ام القرآن: دراسة وتحليل (دار الشؤون  
مسابقات قرآنية (طبعت باسم مستعار:  
الثقافية العامة، بغداد ٢٠٠١م). (بيروت ٢٠٠١م).  
حسين العلوي)

(٨٤)

(٧٩)

مي فاضل جاسم الجبوري (الدكتورة)  
محمد موح الكناني الكتبي الحلي  
اعراب القرآن الكريم- دراسة في منهجية  
المعطوفات القرآنية والمعجزات العلمية  
التأليف (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد  
مط. البغدادي، كربلاء ٢٠٠٩م) أ  
(٢٠٠١م).

(٨٥)

(٨٠)

نعمة هادي الساعدي  
محمد يعقوبي (الشيخ)  
القرآن والعقلية العربية (دار الهدى- قم  
رحلة مع اللغز القرآني (دار المحجة  
البيضاء، بيروت ٢٠٠٩م).  
١٤٢٤هـ).

(٨٦)

(٨١)

نهي حازم سليمان الحلي  
محمود البستاني (الدكتور)  
اثر اللهجات العربية في الدراسات النحوية  
المنهج البنائي في التفسير (دار الهادي  
والقراءات القرآنية (دار الفرات، الحلة ٢٠١٠م).  
للنشر، بيروت ٢٠٠١م).

(٨٧)

(٨٢)

هادي عبد علي هويدي (الدكتور)  
محمود شاكر عبود الخفاجي (الدكتور)  
اسم الفاعل والمشبهات به في القرآن  
ملاحح الفكر التاريخي في القرآن الكريم  
الكريم (دار الضياء، النجف ٢٠٠٨م).  
(مؤسسة السيدة المعصومة، قم ٢٠٠٨م،  
الجامعة الاسلامية، النجف ٢٠١٠م).



## وقفة عند تحقيق فوائد قرآنية — لغوية

لفخر الدين الطريحي ت ١٠٨٥ هـ

أ.د. محمد الخطيب

عضو الهيئة الاستشارية

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد رسول الله، وعلى آله الثقا، وصحبه الابه، ومن والاه، وبعد.

فقد نشر الباحثان الجليلان، (المدرس علي عباس عليوي الاعرجي)، والسيدة (سليمة فاضل حبيب الكلاي)، في مجلة (المصباح)، والتي تصدر عن العتبة الحسينية المقدسة، وضمن (العدد الرابع، سنة ٢٠١١م)، تحقيقاً للمخطوط الموسوم (فوائد قرآنية-لغوية)، للأديب اللغوي (فخر الدين الطريحي)، المتوفي (سنة ١٠٨٥ هـ).

وقد بذل الباحثان في سبيل تحقيق هذا المخطوط، وإخراجه بالصورة الحسنة، جهداً مباركاً، ونشاطاً محموداً، وهمة عالية مشهودة، إذ لم يخلا على المتلقي بالرجوع في التوثيق، إلى مصنفات اللغة، والنحو، والصرف، ومصادر التفسير، والحديث، والشريعة، وكتب الأدب، والتاريخ، والبلدان، والمعارف، وتراجم الاعلام، والسير.

ومن يعد الى هوامش التحقيق، يجد التفصيلات العامة، واللغوية، والصرفية، لكثير من النكت، والمصطلحات الواردة في المتن المحقق، فضلاً عن سعي المحققين الحثيث، الى وضع علامات التشكيل الصرفي، والنحوي، وعلامات التنقيط (الترقيم) في مواضعها الصحيحة.

غير أن هناك ملاحظات منهجية، أدونها، لا تبخس عمل الباحثين، ولا تصادر جهدهما الطيب في تحقيق هذا المخطوط للدارسين، بل هي وجهات نظر، أتوخي فيها مزبداً من الاتقان لهذا التحقيق، كما ارجو فيها جزيل هبات الباري -تعالى- وثواب الآخرة، لا طعنأ في النص وتحقيقه، ولا غمزأ بالمحققين وأدائهم.

وهذه الملاحظات وهي:

١- لقد ثبتت المحققان الفاضلان عنواناً للمخطوط في المجلة، يختلف عما ذكراه في وصف المخطوط، فعنوان النص المخطوط المحقق المقدم في المجلة إلى القراء (فوائد قرآنية - لغوية)، وعنوان المخطوط قبل التحقيق الذي عثر عليه الباحثان في ذيل كتاب (مجمع البحرين، ومطلع النيرين)، للمؤلف نفسه (فخر الدين الطريحي ت ١٠٨٥ هـ)، وفي مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام (فوائد لغوية)، وهذا انحراف عن الدقة واضح، إذ لا يباح لأصاحب التحقيق تغيير عناوات المخطوطات - مهما كانت - إلا بشرائط نادرة صارمة، لسنا في معرض الحديث عنها. فالأمانة توجب تثبيت عنوان المخطوط الذي وضعه المؤلف القديم، على أصل التحقيق، دون إضافة، أو إزالة، أو تغيير.

وإذا ما كان للباحثين الجليلين رأي في مجانية عنوان المخطوط الأصلي قبل التحقيق للدقة اللغوية والمعنوية، أو في ضعف استيفائه مفردات المادة المذكورة المخطوطة، كونها تعدت أضرب اللغة، إلى نكت من القرآن الكريم، فإن ذلك كله يُثبت في هامش خاص معلوم، أو يعرض في مقدمة عمل المحققين، أو ضمن دراستها للمخطوط قبل تحقيقه.

٢- هناك مخطوطات يتم تحقيقها على نسخة واحدة، إن كانت فريدة، أو تعذر الوصول إلى مثيلاتها وقت التحقيق، وهذا أمر مقبول على كراهية.

ولكن قواعد التحقيق الرصينة، تفرض جمع النسخ المخطوطة للمادة أو للكتاب المراد تحقيقه من بقاع العالم المختلفة إلى يد المحقق، والمقابلة فيما بينها، واعتماد أقدمها، وأصوبها، أمّا، والنظر في التغييرات التي جرت على كل منها، وتدوين تلك التغييرات في الهوامش، بعد ترميز النسخ المخطوطة بالحروف، أو بالأرقام، أو بالعلامات الأخرى.

وهكذا... كان يتوجب على الباحثين الجليلين، جمع النسخ الأخرى لهذا المخطوط من الهند وغيرها - بحسب ما ذكره بروكلمان - والمقابلة بينها، وبين نسخة مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام، وبيان النسخة الأم الأصوب والاقدم، ثم اعتمادها في التحقيق.

٣- الدراسة الموضوعية قبل التحقيق، التي أجراها الباحثان العزيزان على المخطوط كانت مقتضبة جداً، إذ يُستحب الإطناب في الآتي:

أ- وصف معدل أطوال الصفحات في المخطوط واعراضها، مع بيان نوع الخط المستخدم، وتقدير المسافات بين الأسطر، وعدد الكلمات في الصفحة الواحدة، وذكر أهم مواضع الطمس، والسقط، والبياض، وتحمين زمن تحرير هذه النسخة المخطوطة.



## وقفه عند تحقيق فواد قرآنية ..... **المصباح**

ب- ذكر المحققان الفاضلان، ان جلّ مادة المخطوط منقولة من كتاب (مغني اللبيب عن كتب الأعراب) لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ)، وهذا تنبيه حسن، ولو أضاف إليه المحققان أشهر أعلام اللغة، والبيان، والتفسير، والفكر، الذين عرض الطريحي آراءهم وناقشها، لكانت الفائدة أعم.

ج- يا حبذا التفصيل في مستوى قيمة مادة مخطوط الطريحي، قياساً بأعمال مماثلة، من خلال إجراء الموازنات بينها، وإظهار آراء النخبة من القدماء، والمحدثين، بشأن ما قيل في تحليلها، وتقويمها، ثم في خاتمة الدراسة إبراز آراء المحققين العزيمين لمواضع الإجادة، ومواضع الإخفاق في المخطوط.

٤- لا حاجة في الهوامش الى الإكثار من معجمات اللغة، للإفصاح عن معاني الكلمات المثبتة في المتن، ما دامت تتقارب في مضامينها بعبارات عدة، والاكْتفاء مثلما فعل المحققان في مواطن من التحقيق بـ(لسان العرب)، بوصفه معجماً لغوياً، موثقاً به، جامعاً لما سبق، شاملاً المواد العربية القديمة، معززاً بنصوص من القرآن الكريم، والاحاديث النبوية الشريفة، والابيات الشعرية، والامثال السائرة.

ثم للمحققين الجليلين الإفادة بقوة في الهوامش، من معجمات الألفاظ، كـ (جواهر الألفاظ)، (لقدامة بن جعفر)، و (المخصص) (لابن سيده)، ومن معجمات المجاز كـ (اساس البلاغة) للزمخشري، وقد استعملها الأقدمون في انتقاء اللفظ المناسب للمقصد المراد.

وكذلك التعويل على معجمات البلدان في الكشف عن مواقع المدن وخصائصها كـ (المسالك والممالك) (للاصطخري)، والاستعانة بكشافات الاصطلاح كـ (التعريفات) للشريف الجرجاني، و (كشاف اصطلاحات الفنون) (للتهانوي).

٥- جرت العادة أن يقال عند تكرار المصدر - أي الكتاب القديم - بالتتابع، أو على التوالي في الهوامش، (المصدر نفسه)، فلا حاجة ماسة الى تكرار اسم الكتاب بعينه، مثلما فعل المحققان في ص ٢١٢ حين تكرر اسم (مغني اللبيب) لمرتين على التوالي.

٦- يُفَضَّلُ أن يدوّن المحققان في الهامش، تعليقها العلمي الخاص على النكتة المثبتة في المتن بما يوجه القارئ نحو المبتغى العلمي.

٧- يبدو أن انتهاء النسخة المخطوط مباشرة بلا خاتمة تلخص الافكار الواردة في المتن، ومن دون ذكر تاريخ الانتهاء من تحرير النسخة المخطوط، كان مراده أن هذا المخطوط يتشكل من مجموعة تعليقات، وآراء في موضوعات لغوية، واخرى قرآنية، نتجت عن قرآيات وأبحاث سابقة للمؤلف مما يستدعي التنويه بذلك في الدراسة... والله من وراء القصد.



إقرأ في العدد القابل

قَدَم اللغة العربية في ضوء معطيات القرآن الكريم

أ.د. محمد حسين الصغير

العدول في النص القرآني بين الإسلوية المعاصرة والنظام اللغوي

أ.د. عسمن مندِيل العلياي

منهج تفسير القرآن بالعلوم البحتة (عرض وتحليل ونقد)

أ. محمد علي هدد

دلالة كلمة (البحرين) في القرآن الكريم

أ.د. محمد كريم الشمري

مستوى الدلالة القرآنية في نهج البلاغة

د. عادل عباس الصراوي

نظرة في تجسم القرآن الكريم

الشيخ عبد الحلیم عوض الحلي

الطغاة وسنن التأريخ في ضوء المنهج القرآني

الشيخ موسى نصار